الجمهوريـــّة الجزائريّـــة الدّيمُقراطيّـــة الشّعبيّـــة

وزارة التّعليـم العالــي والبحــث العلمــيّ

جامعة مولود معمري- تيزي وزو-

كليّة الآداب واللغـــات

قسم اللغة العربية وآدابها

التخصّــص: اللغة والأدب العربي

الفـــــرع: الأدب الشعبي

مذكّرة لنيل درجة الماجستير

إعداد الطالبة: شهيرة بوخنوف

الموضوع:

أساطير وطقوس الاستسقاء واستقبال الربيع في منطقة خراطة (بجاية)

- مقاربة اثنولوجيّة-

لجنة المناقشة:

د/ خالد عيقون، أستاذ محاضر صنف "أ"، جامعة تيزي وزو........................ رئيسا

د/ زهية طراحة، أستاذة محاضرة صنف "أ"، جامعة تيزي وزو................ مشرفا ومقررا

د/ سعيد حاوزة، أستاذ محاضر صنف "أ"، جامعة تيزي وزو........................ ممتحنا

تاريخ المناقشة: 2012/07/01م.

الإهداء

أهدي ثمرة جهدي وخلاصة عملي:

إلى سندي في الحياة، جذوة الحبّ التي لا تخبو: أمّي، أبي

متّعهما الله بمزيد من الصحة والعافية

إلى شموع البيت، إخوتي وأخواتي

إلى الرّواة مصدر مادتي

إلى رفيقات الدرب، صديقاتي

إلى كلّ معلم وأستاذ تربيت وتعلمت على يديه

إلى كلّ من مدّ لي يد العون من قريب أو من بعيد

إليكم جميعا كلّ الحبّ والتقدير

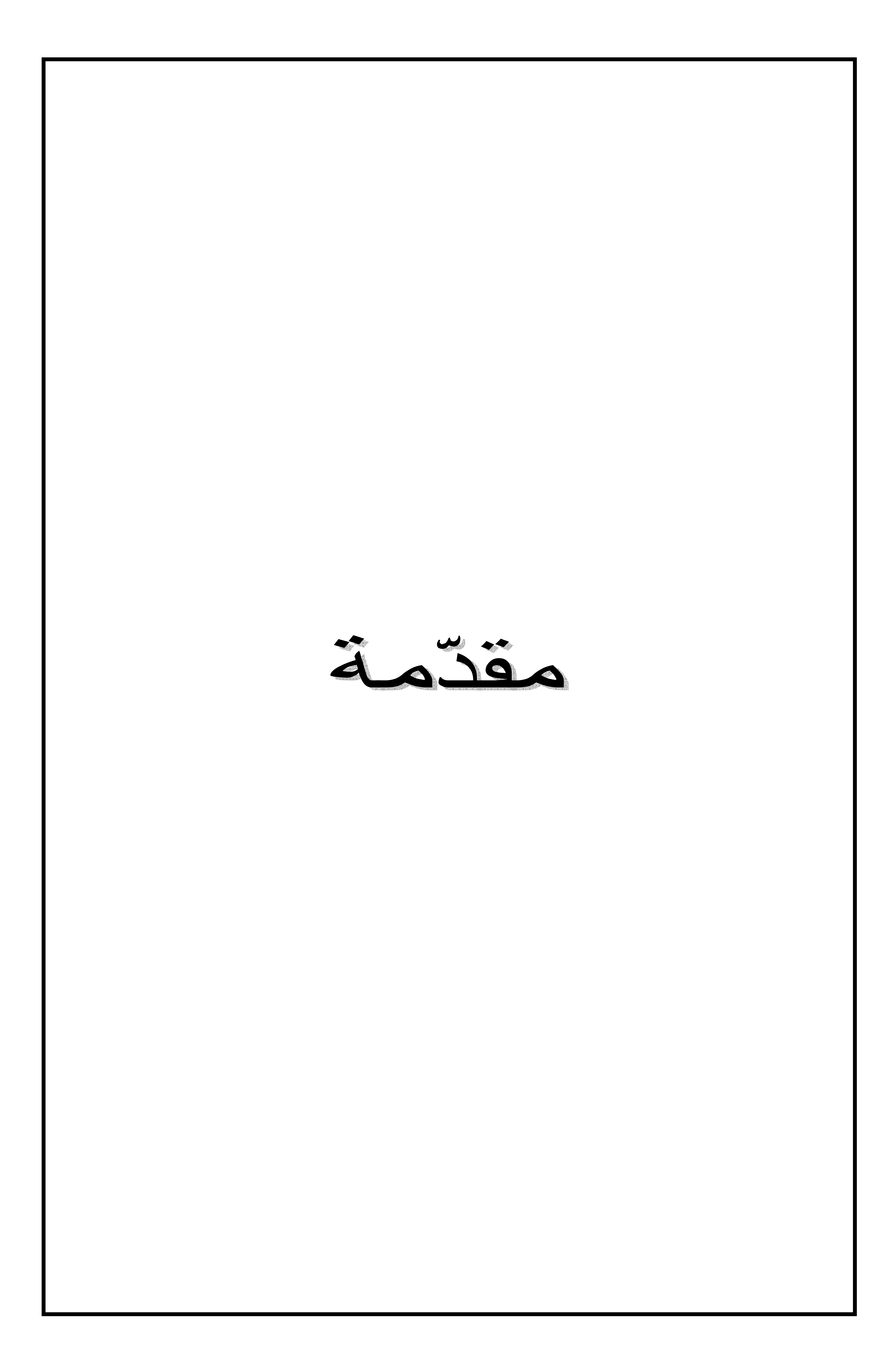
شكر وعرفان

لله الشكر من قبل ومن بعد فالحمد لله الذي وفقني على إتمام هذا البحث.

أقدم شكري الجزيل إلى قمة العطاء العلمي والأخلاقي، الأستاذة المشرفة الدكتورة "زهية طراحة " التي كانت لي نبراسا منيرا، ينير لي الدرب في كلّ عثرة. فجزاها الله خير الجزاء.

كما أسدل شكري إلى كلّ أساتذة السّنة التحضيريّة ماجستير

فلهم مني جزيل الشكر.



مقدّمة

يعتبر الأدب الشعبي ميدانا ثريا للبحث العلمي، فهو كنز ثمين وميدان بكر لا يزال عامرا بالأسرار والعجائب، ومن ثم فهو بحاجة ماسّة إلى دراسات تسبر أغواره وتحلّ رموزه وتفكّ غموضه. فهو خزان ثريّ ملتصق بالإنسان، يأبى الانفصال عنه وعبثا من يحاول، فحاضرنا اليوم يخبرنا عن ماضينا الذي نتلوه بصيغ مختلفة ومتعدّدة، ولعلّ الشكل الأدبي الشعبي الذي حافظ على هذا الماضي وحاول حكيّه بطريقته الخاصّة هو الأسطورة بأصولها ورموزها وممارساتها الطقوسية المختلفة.

وتكمن أهمية البحث في جمع هذا النوع الفولكلوري قبل أن تهب عليه رياح النسيان من أجل الحفاظ عليه هذا من جهة، ومن جهة أخرى هو الكشف عن الهوية وملامح المجتمع الخراطي البجائي، لأن التعرف على الهوية مرهون بمعرفة الأساطير والطقوس المرافقة لها فالحفاظ على الأساطير إذن هو حفاظ على هوية وشخصية مجتمع الدّراسة، وعسى أن يساعد هذا النوع الفولكلوري على إرساء أسس ثقافيّة تراثيّة صلبة في ظل تجدّد القيّم والأخلاق لتواجه الآثار السلبية للعولمة. فهدف البحث إذن هو فهم جوانب التغيّر في الفولكلور الشعبي الجزائر الميثي. فما أحوجنا اليوم في هذا العصر إلى معرفة ماضينا وتراثنا الشعبي الأصيل ومكوّناتنا الأولى الأسطورية من أجل إعادة بناء الثقافة الشعبيّة الجزائرية لاستشراف مستقبل أفضل.

وينبع سبب اختيارنا لمنطقة خراطة إحدى دوائر ولاية بجاية كحيّز للدراسة، لأنّنا من أبناء المنطقة ومن لحمتها، نتقن لهجتها التي هي لهجة قبائلية خاصة بها، كما أنّنا نعرف عاداتها وتقاليدها ومعتقداتها مما سهل لنا بعض الشيء الاتصال برواتها. وبما أن موضوع الأساطير والطقوس بالمنطقة لم يحظ بأي دراسة علمية أكاديمية –على قدر علمنا– فهو جدير بهذا الاهتمام، ممّا جعلنا نبحث في: "أساطير وطقوس الاستسقاء واستقبال الربيع في منطقة خراطة (بجاية) –مقاربة اثنولوجيّة–". يضاف إلى ذلك سبب آخر يكمن في رغبتنا أن نحافظ على هذا الإرث الثقافي الشعبي ولو بالنزر اليسير منه، الذي هو على حافة الزوال في ظل هيمنة العولمة في شتى مجالات الحياة هذا من جهة، ومن جهة ثانية، فقد رأينا أن جلّ البحوث العلمية الجزائرية في تخصّص الأدب الشعبي تدور حول الحكايّة الشعبيّة جمعا ودراسة وتحليلا، أما الأساطير فعلى الرغم من كثرة ما كتب فيها عالميا، إلا أنّها لم تنل حظها الوافي الكافي من الجمع والدّراسة والتحليل محليا (جزائريا).

وتعدّ الأساطير بكلّ ما تطرحه من مواضيع وإشكالات وقضايا، مادة خامة للمهتمين بالبحوث والدراسات الشعبيّة الفولكلورية فرغم قدمها وعراقتها، فإنّها تغري الباحث وتدفعه بكلّ حماسة للتأمّل والبحث فيها. وقد لاحظنا في السنوات الأخيرة تأثير وسائل الاتصال والعولمة على التراث الفولكلوري المحلي، فارضة نفسها على كلّ الفئات الاجتماعية ولاسيّما فئة الناشئين المتعلمين، محاولة إبعادهم عن أصولهم وتراثهم العريق. وفي خِضم هذه الوسائل التكنولوجية الحديثة المنتشرة وثقافة المتعلمين، نتساءل عن مكانة بعض الأساطير الباقية:

فهل بقاء الأساطير عامة وأساطير الطقوس خاصة في مجتمع الدّراسة، دليل على استمرارها وصمودها ضدّ عواصف الحداثة والعولمة؟ أم أنّها معرضة للتغيّير؟ وإذا كان الأمر كذلك، فأين تتبدى ملامح هذا التغييّر؟

وينبثق من التساؤلات السابقة، التساؤل التّالي:

ما وضع الأساطير وطقوس الاستسقاء واستقبال الربيع عند الفئة الناشئة المتعلمة في واقعنا المعاصر؟

وللإجابة عن هذه الإشكاليات، انطلقنا من مجموعة فرضيات حاولنا إثبات تحققها استعانة بالدراسة الاثنوغرافيّة والاثنولوجيّة وهي:

ــ إنّ بعض الأساطير لا تزال متداولة في المجتمع المحلي رغم التغيّر الاجتماعي الذي شهدته المنطقة في الآونة الأخيرة.

ــ نتوقع تأثير وسائل التكنولوجية الحديثة على بعض الرواة والمخبرين المتعلمين تعليما متوسطا.

ــ إنّ التغيّر الاجتماعي أكثر تأثيرا في الأساطير والطقوس المتداولة في المدن منه في الأرياف. ومن ثم وجود بعض الاختلافات والفروق بين نظرة الساكنين في المدن والأرياف للأساطير والطقوس المصاحبة لها.

ــ هناك فروق ذات دلالة إحصائية للأساطير والطقوس المرافقة لها كطقس الاستسقاء "أَنْزَارْ" وطقس استقبال الربيع "شَوْرْپِـيعْ" بين المدينة والريف. وتوجد بعض الفروق بين الممارسات الطقسية القديمة التي كانت تمارس فيما مضى في مجتمع البحث والطقوس الحديثة

نتيجة تأثير العولمة والدين الإسلامي. أي محاولة الكشف عن أصالة الأساطير والتغيّر الذي طرأ عليها.

وسنحاول رصد التغيّرات التي طرأت على النوع الأسطوري على الأقوال الحيّة للرواة المسنين من أجل معرفة أصالة الأساطير والطقوس المرافقة لها، مع الاستعانة بالمعايشة الميدانية الحيّة وبالرواة الناشئين المتعلمين لاستخلاص التحوير والتغيير الذي يكون قد طرأ عليها، وذلك لسبب غياب الدّراسات القديمة والحديثة لتراث المنطقة، تسهيلا لعملية المقارنة بين الأصالة والحداثة. فإشكالية البحث إذن قد فرضت على عملنا الميداني اعتماد إخباريين وإخباريات أميين ومتعلمين تعليما متوسطا بهدف معرفة تأثير العولمة بأشكالها المختلفة على الأساطير وطقوس الاستسقاء واستقبال الربيع. وقد اعتمدنا في جمع مدونة البحث على الملاحظة بالمشاركة، والمقابلة بنوعيها الفردية والجماعية، وتتراوح دراستنا هذه ما بين المعايشة الحيّة والطلب كلّما دعت الضرورة إلى ذلك. وقد كنا ندوّن الأساطير التي رفض رواتها تسجيل صوتهم على آلة التسجيل وقت سماعها مباشرة حتى لا تخوننا الذاكرة، أما عن الأساطير المسجلة على آلة التسجيل فقد كنا ندونها عند العودة مباشرة إلى المنزل، كما رويت لنا دون إضافة أو تعديل. وما نريد التنويه به، هو أنّنا جمعنا أكثر من رواية واحدة لبعض الأساطير، إذ كلما عثرنا على رواية مختلفة بعض الشيء جمعناها وقمنا تسجليها.

وقد حاولنا في هذا البحث تسليط الضوء على الأساطير والطقوس الحيّة الميدانية، التي لا تزال تمارس في بعض مناطق مجتمع البحث، وعسى أن نصل إلى نتائج واقعية دقيقة ولاسيّما وأن الأساطير الجزائرية لم تحظ تقريبا بأي دراسة اثنوغرافية حيّة، إلا بعض الدّراسات النادرة نذكر منها:

ـــ عبد الرحمن بوزيدة وجمال معتوك وآخرون: قاموس الأساطير الجزائرية؛

ـــ بداك شابحة: الممارسات السحرية للمجتمع الأمازيغي، "وقد حاولت الباحثة في هذا البحث استخلاص المعتقد الشعبي السحري من خلال الأساطير القبائلية، فتركيزها كان على السحر أكثر من الأساطير"؛

ـــ إضافة إلى ما قام به بعض الأنثروبولوجيين الأجانب من جمع وتقديم لبعض الأساطير المحدودة جدا، الواردة في كتاب حول الحكاية القبائلية عامّة:

-Leo Frobenius: Contes Kabyles, T1, traduction des textes allemands par Mokran Fetta.

فالجزائر إذن – في حدود معرفتنا– تخلو حتى الآن من دراسات وبحوث علمية أكاديمية ميدانية تتناول تفسيرات ميثية حديثة، تربط التراث الأسطوري بالتغيّر الاجتماعي.

أما عن بنية البحث، فيتكون من مقدّمة ومدخل وفصلين وكلّ فصل مقسم إلى مبحثين وخاتمة وملاحق تابعة له.

مقدّمة: تحدثنا فيها عن الموضوع وأهميته وسبب اختياره والمنهج المتبع وإشكاليته، إلى غير ذلك.

أما **المدخل** فقد جعلناه تحديدا لمصطلحات البحث، كتحديد مجتمع البحث من حيث الموقع والتاريخ والتنظيم الاقتصادي والاجتماعي، ومحاولة البحث عن مفهوم الأساطير والطقوس والاثنولوجيا (النياسة)، باعتبارها مصطلحات مهمة تمس صلب الموضوع، ثم عرجنا إلى كيفية جمع مدونة البحث من الميدان.

أما **الفصل الأول** فقد سمّيناه بـ: "**الأساطير المحليّة والتغيّر الاجتماعي**" وينقسم إلى مبحثين:

المبحث الأوّل: وُسِمَ "**تصنيف الأساطير**" وقد افتتحناه بتمهيد موجز يحيط بعناصر البحث وبعدها تحدثنا عن مميزات الأساطير أي عن أهم الخصائص التي تجعلنا نميّز النص الأسطوري عن بقية الأشكال الفولكلورية الأخرى، ثم تحدثنا عن علاقة الأسطورة بالحكايّة الخرافيّة العجيبة نظرا للتداخل الموجود بينهما، ولاسيّما في وقتنا الحالي أين اندمجت الأساطير بالحكايات وبات من الصعب التمييز بينهما، ثم كان الحديث عن أنواع الأساطير المحليّة، وفي هذا العنصر حاولنا تصنيف المدونة التي جمعناها من الميدان إلى عدة أنواع، وفي آخر هذا المبحث حاولنا استخراج واقع الأساطير، وأهم وظائفها داخل نسق المجتمع الذي يتداولها لننهيه باستنتاج موجز حول ما قيل في هذا المبحث.

ووُسم **المبحث الثاني:** "**الأساطير بين الأصالة والتغيّر الاجتماعي**" وبدأناه بتمهيد، كما تناولنا فيه عنصر الأساطير بين الرواة المسنين والناشئين، لننتقل بعدها إلى التغيّر الاجتماعي وأهم أنواعه وعوامله، ثم تناولنا الأساطير وطقوس الاستسقاء واستقبال الربيع بين الأصالة

والتغيّر الاجتماعي، وقد حاولنا في هذا العنصر ذكر الأساطير وطقوسها كما كانت في قديم الزمان، وإلى ما آلت إليه في وقتنا الراهن نتييجة العصرنة، واختتم هذا المبحث بتطبيق حللنا فيه الاستبانة الموّجهة لتلاميذ السنة الثانية متوسط، للتأكد من صحة الفرضيات التي قلناها سابقا مع ذكر الاستنتاجات المستخلصة من التحليل.

أما **الفصل الثاني** فقد وُسم بـ: "**مقاربة اثنولوجية لأساطير الطقوس –طقوس الاستسقاء واستقبال الربيع**– وقد قسمناه أيضا إلى مبحثين:

المبحث الأوّل موسوم بـ: "**طقس الاستسقاء (أَنْزَارْ)**"، وبدأناه بتمهيد موجز، ثم تناولنا الماء والإنسان والأساطير، والماء في منطقة خراطة البجائية، لننتقل بعدها إلى ذكر تفاصيل طقس الاستسقاء (أَنْزَارْ) في منطقة خراطة، وبعض خلفياته الأسطورية، وأنهيناه بتحليل أهم الرموز الواردة فيه تحليلا اثنولوجيا (نياسيا) لنختمه بحوصلة موجزة حول ما قيل.

أما **المبحث الثاني** المُعنون بـ: "**طقس استقبال الربيع (شَوْرْپِـــيعْ)**" فقد افتتحناه بتمهيد ثم دارت الدّراسة حول الإنسان والنبات والأساطير، لنعطي بعدها وصفا دقيقا لطقس الربيع (شَوْرْپِـيعْ)، كما تحدثنا عن نبتة أَذْرْڤــِيسْ"Adergis" (بونافع) وذكرنا بعض فوائدها، وانتقلنا بعد ذلك إلى ذكر كيفية مشاركة الأطفال في الطقس المقّدس، وموقف بعض رجال الدين من الطقس الدوري، وبعض خلفياته الأسطورية، كما تم عرض ودراسة أهم الرموز الاثنولوجية (النياسية) التي يحملها الطقس بين ثناياه، ثم استنتاج موجز له.

وختمنا البحث في الأخير **بخاتمة**، وهي عبارة عن مجموعة من النتائج التي توصلنا إليها، مع ذكر بعض الاقتراحات في البحث.

واعتمدنا في معالجة هذا البحث على مصادر ومراجع متنوعة بتنوع المواضيع التي تطرقنا إليها، ومن بين المراجع الأساس التي ساعدتنا على إنجاز هذا البحث نجد:

- ميرسيا ايلياد: ـــ أسطورة العودة الأبدية، تر: حسيب كاسوحة؛

ـــ المقدّس والمدنّس، تر: عبد الهادي عباس؛

ـــ Aspects du Mythe

- Luc Benoist: Signes, Symboles et Mythes

- سير جيمس فريزر: ــ أدونيس أو تموز، تر: جبرا إبراهيم جبرا،
ــ الغصن الذهبي، تر: أحمد أبو زيد، ج1؛

- كلود ليفي ستروس: الإناسة البنيانية (الأنثروبولوجيا البنيوية)، تر: حسن قبيسي، ج1، ج2؛
- م. ف ألبيديل: سحر الأساطير، تر: حسن ميخائيل اسحق؛
- فيليب سيرنج: الرموز في الفن، الأديان، الحياة، تر: عبد الهادي عباس.

وفي موضوع بحث كالذي بين أيدينا، نعتقد أن المنهج المناسب ولاسيّما وأنّنا في صددّ دّراسة ميدانية، هو المنهج الاثنولوجي (النياسي) الذي يقوم على تحليل الظواهر الموصوفة ودّراستها، ومن ثم استنتاج الأحكام التي تبيّن قيمتها، وعليه فإنّنا سنحاول قدر جهدنا تطبيق بعض المقاربات الاثنولوجية (النياسية) مع الاستعانة بالمنهج الأنثربولوجي (الإناسي) كلّما اقتضت عناصر البحث ذلك.

وقد واجهتنا بعض الصعوبات أثناء إنجاز هذا البحث، ولعلّ أشدّها صعوبة هو أن بحثنا عبارة عن دراسة ميدانية، ولا يخفى ما للبحث الميداني من صعوبات أهمها صعوبة إقناع الرواة بالعمل الذي نقوم به، وصعوبة إقناعهم بسرد النوع الأسطوري ورفض أغلبهم – النساء خاصة– تسجيل صوتهم على آلة التسجيل. كما أنّه ليس من السهل أن نجوب المداشر والقرى في وقت قلت فيه الثقة وكثرت الشكوك، ولاسيّما أن المنطقة محافظة، أضف إلى ذلك صعوبة ترجمة لهجة المنطقة إلى اللغة العربية، لأن بعض الأصوات لا نجد لها ما يماثلها في اللغة العربية، ورغم ذلك فقد حاولنا قدر جهدنا الحفاظ على فونيماتها ومونيماتها وأساليب نطقها.

أخيرا أشكر الأستاذة المشرفة الدكتورة "زهية طراحة" التي تحملت معي أعباء البحث وقدمت لي يد العون والمساعدة بالنصائح والكتب القيّمة، فلك مني خالص شكري وتقديري على ما بذلته من جهد في توجيه البحث وتصحيح مساره. كما أشكر الأستاذ الدكتور عبد الحميد بورايو، والأستاذة ذهبية آيت قاضي على النصائح والكتب التي قدماها لنا طوال البحث، وأشكر أعضاء اللّجنة المناقشة، وكلّ الطاقم الإداري قسم اللغة العربية وآدابها جامعة مولود معمري تيزي وزو.

والله نسأل التوفيق والسداد.

المدخل: مصطلحات الدّراسة

1 ــ منطقة خراطة.

2 ــ الأساطير Les Mythes .

3 ــ الطقوس Les Rituels .

4 ــ الاثنولوجية (النياسة) Ethnologie.

5 ــ التحقيق الاثنوغرافي (الناسوتي).

المدخل: مصطلحات الدّراسة

تستوجب دراسة أيّ ظاهرة من ظواهر الثقافة الإنسانية الوقوف عند المصطلحات من أجل تحديدها وتوضيحها، لأنّ معرفة الظاهرة تقي الباحث شرّ التهاوي وتجنبه الكثير من الهفوات وتدفعه إلى السير قدما. لأنّه دون هذه الخطوة المبدئية الأولى لن يصل الباحث إلى حلّ لإشكالاته المطروحة. ولهذا ارتأينا قبل الولوج إلى عمق الموضوع لفك إشكالياته، أن نحيط بعناصره الرئيسية لتسهيل عملية الفهم والتحليل. وعليه فإنّنا سنحاول في هذا المدخل التعريف ببعض مصطلحات البحث كتحديد منطقة الدراسة، وتعريف الأساطير والطقوس والاثنولوجيا (النياسة) باعتبارها مصطلحات مهمة تمس صلب الموضوع، وفي الأخير سنتحدث عن التحقيق الاثنوغرافي الذي قمنا به في مجتمع البحث.

1 ــ منطقة خراطة

أ/ الموقع والتاريخ

تقع منطقة "خراطة" جنوب شرق ولاية بجاية على الطريق الوطني رقم (09) الرابط بين ولايتي بجاية وسطيف وهي إحدى دوائر ولاية بجاية، تبعد عن مقر الولاية بحوالي 65 كلم²، والشيء الذي يفصلها عن "تاسكريوت" و"آيث سماعيل" التابعتان لدائرة "ذرقينة" هو النفق (Tunnel) ويسمى باللّهجة المحليّة شعبة الآخرة (Chabet Elakhera)، وهو طريق محفور تحت سفح الجبل من قِبل الاستعمار الفرنسي ما بين 1863 ــ 1870 وذلك عندما حط رحاله بها. وقد أقرها مشروع التقسيم الإداري الجديد ولاية منتدبة. ووقوعها على الطريق الرابط بين ولايتي بجاية وسطيف سهل لها مهمة الاتّصال بين الشمال والجنوب ومن ثم معرفة كلّ ما يتعلق بالعولمة والتكنولوجيا وهذا ما جعلها تكتسب بعض سمات التحضر التي انعكست على سلوك أبنائها.

كانت منطقة "خراطة" في القديم «مدينة رومانية تسمى وادي أقريون نسبة إلى القرية التي تحمل نفس الاسم بدوار بني مرعي*، وكانت معسكرا أماميا مهما في عهد الرومان.

*– إحدى قرى منطقة "خراطة" تبعد عنها بحوالي: 02 كلم²، وبها مغارة يسميها السكان بلهجتهم المحلية "ثَفَالُوتْ نْتْرُومِيثْ" أي: "مغارة الرومية" وفيها جبل يدعى "أَذْرَارْ أَمْلاَلْ" أو "أَشْطُوبْ أَمْلاَلْ" أي: "الجبل الأبيض" وهو يحتوي على صخرة يسميها سكان القرية "ثــَـپـْـلاَطْ إِرْقْمْنْ" أي: "الصخرة المزركشة".

تأسست مدينة خراطة الحالية سنة 1948 من طرف ثلاثة معمرين فرنسيين وكانت تابعة لبلدية تاقيطونت المختلطة التي كان مقرها بعين الكبيرة»[1]، ولكن«بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر عرفت أقريون باسم خراطة لربما لكون الجبال المحيطة بها مخروطية الشكل وكانت تابعة لبايليك قسنطينة خلال عهد الأتراك»[2]، فأصل التسمية إذن قد يعود إلى كون تضاريسها مخروطية الشكل.

وقد كانت منطقة خراطة تابعة لعين الكبيرة (سطيف) إلى غاية 1974م، حيث أصبحت دائرة تضم أربع بلديات هي: خراطة وتاسكريوت ودرقينة وسوق الاثنين إلى غاية التقسيم الإداري لسنة 1985م أين أصبحت تضم ثماني بلديات بعد أن أضيفت إليها بلديات: تامريجث وملبو وذراع القائد وآيت اسماعيل وفي سنة 1989م أصبحت تضم بلديتين هما: خراطة وذراع القائد[3].

تتكون إذن دائرة خراطة حاليا من بلديتين هما: بلدية خراطة وبلدية ذراع القائد فقط ومن مختلف قرى هاتين البلديتين جمعنا مدونة بحثنا.

وتبلغ مساحة **بلدية خراطة** 97.69 كلم²، وهي تحتلّ المرتبة الثانية من حيث عدد المسجلين في الحالة المدنية بعد بلدية مقر الولاية (بجاية)، ويبلغ عدد سكانها حسب إحصائيات 2008م بـ: 35415 نسمة، وينقسم إقليمها إلى أربعة مناطق هي: خراطة المركز وجرمونة وبني مرعي وقلعون وكلّها تحتوي على أحياء متعددة[4]. ويغلب على أراضيها طابع التضاريس فمعظم أراضيها جبال، و تشكل نسبة السهول فيها حوالي 30% أو 40% من مجموع أراضيها.

أمّا **بلدية ذراع القائد** فقد كانت تابعة **لبلدية خراطة** منذ التقسيم الإداري لسنة 1985م وقد كان مقرها في منطقة "أجيون" والذي لا يزال فرعها متواجدا هناك إلى يومنا هذا أما مقرها

1– حمامين سعيد – المندوب الخاص مكلف بالحالة المدنية لبلدية خراطة – الحالة المدنية: تشخيص وتحديات، خراطة أيّام 16 ــ 17 ــ 18 جويلية 2009، إشراف: عمران خير الدين، رئيس المجلس الشعبي البلدي، بلدية: "خراطة"، دائرة: "خراطة"، ولاية: "بجاية"، ص2.

2– يحي بوعزيز: ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ثورات القرن العشرين، ط2، ج2، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، رويبة، الجزائر، 1996، ص89.

3– ينظر: حمامين السعيد: م. س، ص. ن.

4– مقابلة مع السيّد: حمامين السعيد، مندوب خاص مكلف بالحالة المدنية لبلدية: "خراطة"، على الساعة التاسعة والنصف صباحا، يوم الخميس 2011/02/17م، بلدية: "خراطة".

فأصبح اليوم متواجدا في ذراع القائد (البرزاخ). وتبلغ مساحة بلدية ذراع القائد 120.16 كلم² أما عدد سكانها فيقدر حسب إحصائيات 2008 بـ: 29222 نسمة وتتكون من المناطق التاليّة: ذراع القائد (البرزاخ) ورحامين وأجيون وأزغار وثاقليعث، وكلّها تحتوي على أحياء متعددة[1] وإذا كانت أغلب الأراضي التابعة **لبلدية خراطة** عبارة عن جبال، فإن معظم أراضي **بلدية ذراع القائد** صالحة للزراعة، إذ تحتل نسبة السهول فيها إلى ما يربو عن 80% من مجموع أراضيها.

بعد هذا العرض الموجز **للبلديتين**: " بلدية خراطة" و"بلدية ذراع القائد" التابعتان لدائرة خراطة نقول: إن مساحة منطقة خراطة ككلّ – مساحة مجتمع البحث – تقدر: 217.85 كلم² أمّا عدد سكانها إجمالا فيقدر بـ: 64637 نسمة، من هنا نستنتج أن اكتظاظ السكان موجود في بلدية خراطة، فمساحة **بلدية ذراع القائد** أكبر من مساحة **بلدية خراطة** وهي أقل منها سكانا.

أمّا من حيث المناخ فهي منطقة معتدلة صيفا غزيرة الأمطار شتاء ومعظم مياهها تتجمع في سد يدعى عند أهل المنطقة: (Barrage) وهو سد كبير ذو مياه عميقة يضارع البحر في بهائه، و«قد تأسس سنة 1952 وتبلغ مساحته 07 كلم²، وقد وصل محتوى الماء فيه إلى 105 مليون م³»[2]، وهو يمر من معظم المناطق من أجيون وجرمون وخراطة المركز ومرواحة وذراع القائد،... وقد بني من أجل جمع مياه الأمطار وتكوين الطاقة الكهربائية.

وما نريد التنويه إليه هو أن هناك تداخلا لغويا في المنطقة بين القبائلية لهجة المنطقة المميّزة والعربية الدارجة، وهذا يعود إلى الموقع الجغرافي للمنطقة، لوقوعها في المنطقة الوسطى بين ولاتي بجاية وسطيف، ولهذا فلا عجب من استعمال الناطق بالأمازيغية بعض الكلمات باللّهجة العربية الدخيلة إليه مثل:

الكلمات بلهجة المنطقة	**ترجمة الكلمات إلى اللغة العربية**	**الكلمات بلهجة المنطقة**	**ترجمة الكلمات إلى اللغة العربية**
ثَحْكَايْثْ	الحكاية	لْجِيلْ	الجيل
أَذْلـْعـْپـْغْ	ألعب	صـْپـْحْ	الصباح

---

[1]– مقابلة مع السيّد: مالة عبد المجيد، رئيس المصلحة الشعبية لبلدية: "ذراع القائد"، على الساعة العاشرة صباحا، يوم الاثنين 2011/02/14م، بلدية: "ذراع القائد".

[2]– مقابلة مع السيّد: حمامين سعيد: السابق الذكر.

أَذْگـْثـْپـْغْ	أكتب	لـْفـْچـْرْ	الفجر
أَذْعِيْطْغْ	أصرخ	رْعْضْ	الرعد
رْپِـيع	الربيع	لـْپـْرْقْ	البرق
لْخْرِيفْ	الخريف	أَذْزْغرْثْغْ	أزغرد
شْثْوَى	الشتاء	لْمْفْثَاحْ	المفتاح
صِيفْ	الصيف	شْعْرْ	الشعر
سْهِيغْ	نسيت ـــ السهو	لْحْشِيشْ	الحشيش

وتشكل اللّهجة العربية في المنطقة اللغة الأم عند بعض الأسر، أضف إلى ذلك أن المنطقة تستعمل بعض الكلمات باللغة الفرنسية، وهذه الظاهرة اللّغوية وطنية لا تخص المنطقة فحسب، بل تمس الوطن كلّه. وإذا كانت علامة النفي في منطقتي بجاية وتيزي وزو هي "أَرَّى" مثلا: أُدْقَرَّى أي: لا تقل لي، فإنّها في منطقة خراطة "ني" في بعض المناطق، وفي المناطق الأخرى "أولا" مثلا: أُدْقَرَانِّي/ أُدْقَرْ أولاَ أي: لا تقل لي.

سجلت منطقة خراطة الأبيّة اسمها في التاريخ بأحرف من ذهب، حيث مرّت بأحداث تاريخية عظيمة، آخر أحداثها الاستعمار الفرنسي عام 1830م، الذي ترك آثارا لا تندمل في نفوس أهلها، ولاسيّما الطاعنين في السن الذين عاشوا أحداث ومجازر 08 ماي 1945م التي مهدت الطريق لبداية الثورة التحريرية.

يقول في هذا الصدد المجاهد الحاج أعمر بوخنوف في الذكرى السادسة والستين من أحداث 08 ماي 1945[1]:

«كانت المظاهرات الأولى في خراطة غير منتظمة، وقد شارك فيها كلّ من الرجال والنساء على حد سواء، وقد قاتل فيها أهل خراطة بكلّ ما أتيح لهم من وسائل (الحجارة العصيّ...)، ولمّا اشتد الصراع بين خراطة والاستعمار، اتصل الاستعمار المتواجد في خراطة بالتكنات العسكرية الموجودة في سطيف وبجاية وما هي إلا ساعتان حتى انتشر الاستعمار في

[1]– المخبر: أعمر بوخنوف، 90 سنة، على الساعة الثانية زوالا، يوم: 08/ 05/ 2011م، مجاهد، فهو شاهد عيان عاش أحداث الثورة، ومجازر 08 ماي 1945م في المنطقة. وقد ألقى هذا الخطاب في الذكرى السادسة والستين من أحداث 08 ماي 1945م في منطقة: "خراطة المركز" بلهجة المنطقة، و قمنا بترجمته إلى اللّغة العربية كما ألقاه.

المنطقة (كالنحل في الخلية)، فقتلوا الكثير من أبناء قريتنا، وقد أمسكوني في المظاهرات فعذبوني مع صديقي عمران وخلوفي محند. والمظاهرات لم تكن منتشرة في خراطة فحسب، بل انتشرت أيضا في: ڤالمة وسطيف... ولكن عندما تأسست جبهة التحرير عرف القتال في المنطقة تنظيما دقيقا، وهو الشيء الذي ساعدنا على إخراج الاستعمار الغاشم من وطننا العزيز إذا لم ندافع عنه نحن أبناء الوطن، فمن سيدافع عنه؟

فرنسا فعلت الكثير، شردتنا ويتمتنا وتركتنا حفاة، ودمرت منازلنا ولاسيّما في 08 ماي 1945م، فلم نكن نملك ولو منزلا واحدا نأوي إليه، فأصبحت الكهوف والمغارات مأوانا وقد ذُللنا حتى من قِبل إخواننا الخونة، فسبحان الله! لماذا يخونون وطنهم الأم؟ الوطن الذي ولدوا وترعرعوا فيه، لقد نسوا مع فرنسا بأن حكم الحاكمين هو الله سبحانه وتعالى، فنحن اليوم موجودون على سطح الأرض وغدا نكون تحتها، والحمد لله ذقت الاستقلال وعشت فرحته وأتمنى بأن يرزقنا الله جنة النعيم. وفي الأخير أتمنى المغفرة والجنة للشهداء الأبرار الذين ضحوا بالنفس والنفيس في ميدان المعركة. وقد استشهد بالآية الكريمة ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلَ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِم يُرْزَقُونَ﴾[1].

أمّا المجاهد علي يعيش فيقول[2]: «إنّي أتذكر جيّدا أحداث ومجازر 08 ماي 1945م رغم أنّي كنت في السن السابعة عشرة. بعد أن وصلتنا أنباء مجازر سطيف قمنا بإخبار كلّ سكان القرية، واتفقنا على إعلان المظاهرات بدءا من ذلك اليوم، وقد كانت مظاهراتنا قوية إلى درجة أن الفرنسيين الذين يسكنون في خراطة غادروها وتركوا منازلهم خوفا منا.

وفي اليوم الموالي أي في اليوم التاسع ماي كانت مظاهراتنا أقوى من اليوم الأوّل إذ منذ طلوع الفجر فلا تسمع إلا صرخات تدعوا إلى الجهاد في سبيل الله، وبالفعل فقد شعرنا بحماس لا مثيل له إذ استطعنا قتل بعض الأوروبيين الفرنسيين، وفي مقابل ذلك فقد كان ردّ القوات الفرنسية عنيفا ووحشيا فقتلت منّا الكثير ولم تكن تميّز بين الصغير والكبير، وقد حطمت منازلنا فالدخان كان يعمّ أنحاء المنطقة إذ لم نكن نرى أي شيء نتيجة الدخان الكثيف، ولم نكن نسمع سوى أصوات بكاء النساء والأطفال والجرحى والقتلى. والله كانت منطقة خراطة مغطاة بالجثث

---

[1]– سورة آل عمران، الآية 169.

[2]– المخبر: علي يعيش: 83 سنة، مجاهد، فهو شاهد عيان عاش أحداث ومجازر05/08/ 1945م في المنطقة، على الساعة الثالثة زوالا، يوم: 17/ 08/ 2011م، قرية: "أزغار"، بلدية: "ذراع القائد".

التي لا تعد ولا تحصى، والأعظم من ذلك أنّهم كانوا يملأون الحافلات بسكان المنطقة ويرمونهم من أعالي جبال شعبة الآخرة «Chabet Elakhera» (Tunnel) وهم أحياء إلى الوادي الموجود في الأسفل.

وعندما تصل الطائرات إلى المنطقة ننادي المجاهدين بأعلى صوتنا: "عليكم بلادي" وعندما تذهب وتتجاوزنا ننادي: "العافية، العافية". إيه، والله فرنسا مسكينة أرادت الحصول على بلدنا الأم، ولكنّها كانت مخطئة إذ لم تستطع الحصول ولو على شبر واحد من أرضنا الحبيبة». بهذا استطاعت المنطقة أن تتقاسم لقب عاصمة 08 ماي1945م مع مدينة سطيف العالية.

وقد وصلت إلى منطقة خراطة أحداث سطيف «عند قدوم حافلة سطيف، بجاية انتشر خبر قتل الحاكم من شخص لآخر كنثار البارود في قرية خراطة. وما إن انتشر هذا الخبر في الدواوير وقعت اتصالات بين المسؤولين خلال ليلتي 8 و9 ماي 1945، وهكذا لم ينم في تلك الليلة سكان دواوير بني مرعي، جرمونة، قلعون، واد البارد، وذراع القائد.»[1] و«عندما اندلعت ثورة 1871 بزعامة المقراني والشيخ الحداد شهدت خراطة ومنطقتها عدة معارك بزعامة الشيخ عزيز بن الحداد وبومرزاق المقراني»[2]، لهذا سميت بعض الدواوير بأسماء هؤلاء المقاومين الأبطال مثل: (آيث لعزيز) بدوار بني مرعي.

أمّا عن عدد ضحايا الأوروبيين الذين قتلوا من قِبل سكان المنطقة، فقد وصل حسب قول رضوان عيناد ثابت في القائمة الرسمية إلى سبعة قتلى ويهودية واحدة[3]. ومن أهم شهداء المنطقة نجد الشهيد سعال محند ومصاور أحمد ومصاور حميد المدعو محند أولعيد ويحياوي عبد الله وعيطر علي وبخوش أعمر وبخوش علي وسوماني محمود[*] وحنوز عبد المجيد[**] والأب صلاح عثمان وابنيه: صلاح عبد القادر وصلاح العيد وهلمّ جرا. ومن الشواهد التاريخية

---

[1]– رضوان عيناد ثابت: 8 ماي 1945 في الجزائر، تر: عيناد ثابت ومغيلي، د. ط، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية، الجزائر، د. ت ، ص226.

[2]– يحي بوعزيز: ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ثورات القرن العشرين، ص90.

[3]– رضوان عيناد ثابت: م. س، ص85 ــ 95.

[*]– وبه سميت إحدى ثانويات المنطقة وهي: "ثانوية سوماني محمود" بخراطة المركز.

[**]– وقد خلدت اسمه إحدى مستشفيات المنطقة: "مستشفى الشهيد أعراب حنوز" بخراطة المركز، وبه سميت أيضا إحدى الجسور وهو "جسر حنوز" الذي يقع في منعرجات الطريق القديم مقابل للنفق في منطقة خراطة المركز. وسمي بذلك لأنه المكان الذي استشهد فيه مع عائلته.

الحيّة في المنطقة، الكنيسة الفرنسية الذي يعود تاريخ بنائها إلى ما قبل عام 1900م وتبلغ مساحتها المبنية بـ: 275 م²، وقد كانت تقام فيها الصلوات على طريقة المذهب الكاثوليكي كما أنّها كانت حصنا منيعا لصالح المعمرين إذ كانوا يراقبون فيها حركات سكان المنطقة ولاسيّما وأنّها أقيمت في مدخل المدينة وفي مكان عال[1]، ونظرا لأهمية هذا المعلم التاريخي فقد تحولت الكنيسة اليوم إلى متحف المجاهد ومكتبة المعرفة التي يتوافد إليها التلاميذ وطلاب المنطقة.

ب / العادات والمعتقدات

احتلت المعتقدات والعادات حيّزا كبيرا في مخيلة الفكر الإنساني، فلكلّ أمة عاداتها ومعتقداتها التي توارثها الخلف عن السلف، فهي كالمرآة تنعكس عليها صور الماضي، إذ تمارس يوميا داخل المجتمع الذي يحاول الحفاظ على كيانه من خلال التمسك بها «فالمعتقدات والخرافات الشعبية منفذا من المنافذ الأساسية لدراسة عقلية الشعوب ومدخلا مهما من أجل اقتحام فظاءاتها العقائدية والفكرية وممارساتها الطقوسية الباطنية والمختفية منها والظاهرة الجلية، فهي تترجم أيضا مستويات التفكير الشعبي وحركيته داخل فضاءات مادية وروحية خاصة»[2].

تمكننا خلال مراحل البحث الميداني الحيّ من جمع بعض عادات ومعتقدات المنطقة لما لها من صلة بالأساطير رغم صعوبة العثور عليها لأن «هذه المعتقدات الأسطورية شبيهة بقطع صغيرة من أحجار متناثرة بين زهور تنبت في أرض خصبة لا يكتشفها إلا ذو بصر حاد»[3] وهذا يعني، إنّه من الصعب اكتشاف المعتقدات لأنّها خبيئة في صدور النّاس، وهم لا يستحضرونها إلا في ظروفها ومناسباتها الخاصة.

---

[1]– استقيت هذه المعلومات من أحد عمال "متحف المجاهد" في منطقة: "خراطة المركز"، على الساعة العاشرة صباحا، يوم: 2011/08/16م.

[2]– محمد سعيدي: من أجل تحديد الإطار المعرفي والاجتماعي للمعتقدات والخرافات الشعبية – ظاهرة زيارة الأولياء والأضرحة نموذجا – د. ط، مطبوعات مركز الأبحاث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، الجزائر، 1995، ص6 ـ 7.

[3]– فريدريش فون ديرلاين: الحكاية الخرافية (نشأتها. مناهج دراستها. فنيتها) تر: نبيلة إبراهيم، ط1، دار القلم، بيروت، لبنان، 1973، ص32.

قبل الإبانة عن عادات ومعتقدات المنطقة نرى أنّه من المنطقي أن نحدد معانيها أوّلا وذلك تسهيلا لعملية فهمها وسردها، فما المقصود بالعادات والمعتقدات؟

جاء في قاموس مصطلحات الاثنولوجيا والفولكلور، إن العادات الشعبية «هي أساليب الشعب وعاداته بمعنى القواعد المستترة للسلوك، التي يؤدي خرقها إلى الصدام مع ما يتوقعه رأي الجماعة»[1] وهذا يعني، إن العادات سلوكات معتادة مألوفة، فخرقها خرق لقيّم المجتمع ولقد أكد «سمنر Sumener أول من قدم المفهوم (في عام 1906) أن العادات الشعبية هي قوى أساسية في داخل المجتمع، تنمو لا شعوريا، وكذلك تتقبلها الجماعة لا شعوريا، وهي تتضمن اتجاها معينا في التفكير والسلوك»[2] .

أمّا تعريف المعتقدات من «وجهة التحليل الأنثروبولوجي فهي عبارة عن بقايا أساطير اندثرت وبقي أثرها مستمرا عبر العصور نتيجة تمسك الإنسان بها خوفا من المكروه وطمعا في جلب الرزق والخير»[3] أي، إن للمعتقدات صلة بالأساطير، فعلم الأساطير «يعتبر في نظر علماء الأديان أساسا للبوادر الأولى الاعتقادية لدى الإنسان ولدى الأمة. ومن عند تلك الأساطير اليونانية أو الهندية أو الفرعونية انطلق الاعتقاد الأول»[4].

بعد هذا التعريف الموجز للعادات والمعتقدات نودّ ذكر ما لاحظناه وعايشناه مع أهل المنطقة، فمن معتقداتهم أنّه لا ينبغي للمرأة الحامل أن تنظر إلى الأشياء القبيحة المظهر، لأن ذلك سينعكس على جنينها، ولهذا عليها النظر إلى الأشياء الجميلة المظهر ليكون ولدها جميلا في الملامح، كأن تنظر مثلا إلى صورة طفل جميل، أو أن تشرب ماء فوق رأسه، كما أنّه على المرأة الحامل أن تأكل كلّ ما تشتهيه لأنّها إذا لم تفعل ذلك، سيظهر ما اشتهته على شكل علامة في جسد مولودها، فإذا «ظهرت علامة خاصة على جسد المولود، فيرجعون هذه العلامة إلى أن أمه قد توحمت وحرمت، فظهر أثر ذلك على جسد وليدها»[5]، كما أنّها تخفي طفلها عن

---

[1]– ايكه هولتكرانس: قاموس مصطلحات الاثنولوجيا والفولكلور، تر: محمد جوهري وحسن الشامي، ط2، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1973، ص246.

[2]– م. ن ، ص. ن.

[3]– كاملي بلحاج: أثر التراث الشعبي في تشكيل القصيدة العربية المعاصرة (قراءة في المكونات والأصول، دراسة)، د.ط، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، سورية، 2004، ص121.

[4]– زكي المحاسني: أساطير ملهمة، د. ط، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1970، ص8.

[5]– محمد قنديل البقلي: وحدة العادات والتقاليد بين مصر والشام، د. ط، دار الجيل للطباعة، د. ت، ص 64.

الطائر الخفاشي بعد المغرب خاصة، لأنّه في نظرهم يصيب الطفل بالمرض وقد يقتله. وإذا انتزع سنّه تأخذها الأم وترميها في الصباح الباكر من ورائها إلى بيت قديم عتيق وتقول: «فكِغَاكَّـدْ ثِيغْمْسْثْ نْويذِي، فْكَايْدْ ثِيغْمْسْثْ نْدْهـبْ»[1]، أي: «أعطيتك سن الكلب، فأعطني سن الذهب» وذلك لتكون أسنانه مستوية كأسنان المشط، عكس المصريين والشاميين الذين يرمون الضرس إلى الشمس قائلين: «يا شمس يا شموسة خذي سن الحمار وهاتي سن العروسة»[2] وإذا ما بدأ الطفل بتعلم المشي تسرع الأم وتصبّ الماء تحت قدميه، اعتقادا منها بقوة الماء وسحره إذ تظن بأنّه سيستقيم مشيه في ظرف ثلاثة أيّام وسيكون عزيزا في نفوس النّاس كالماء وهلّم جرّا.

ويعتقد أهل المنطقة أن الإنسان إذا ما توفي سيذهب إلى عالم آخر، عالم الحساب والعقاب، فهم يعتقدون أن الطفل إذا توفي سيدخل إلى الجنة مباشرة لأنّه بريء ويسمونه "أَقْـطِيطْ لْجْنَة"، أي: "طائر الجنة"، والأمر نفسه بالنسبة إلى الفتاة العذراء التي تدخل الجنة من أوسع أبوابها. وهم يتنافسون في أوّل من يضع قطعة من النقود في فم الميّت، فمن وضعها أوّلا سيرزق بثروة طائلة، وبعدها يأخذ تلك القطعة ويحرص عليها كلّ الحرص على عدم ضياعها وهو معتقد قديم كان منتشرا عند اليونان حيث يقول الكزاندر هجرتى كراب «كان الإغريق يضعون قطعة نقود في فم الميّت، وتلك عادة عاشت إلى العصور الحديثة ولم تزل موجودة في بلاد مختلفة وتختلف كذلك الأماكن التي توضع فيها النقود فتكون حجر الميّت أو طرف كنه أو راحة يده أو جيبه»[3]، وهم يعتقدون أن روح الميّت لا تفارق البيت بعد موته إلا بعد مرور أربعين يوما، وهناك من يعتقد أن روحه قد تتحول إلى طائر يدور حول قبره، وأحيانا يقوم بزيارة أهل المتوفى كلّ سبعة أيّام إلى غاية بلوغ أربعين يوما، والشيء نفسه نجده عند المصريين، يقول في هذا الشأن واليس بدج: «لقد اعتقد المصريون أن أرواح الموتى يمكن أن تكتسب شكل أي كائن حيّ أو نبات، كذلك الآلهة الذين يمثلونهم بدقة في وجوه عدّة

---

[1]- المخبرة: صليحة بن حدة: 47 سنة، مربية، أميّة، على الساعة التاسعة والنصف ليلا، يوم: 2011/01/29م، قرية: "أجيون"، بلدية: "ذراع القائد".

[2]- محمد قنديل البقلي: وحدة العادات والتقاليد بين مصر والشام، ص84.

[3]- الكزاندر هجرتى كراب: علم الفولكلور، تر: رشدي صالح، د. ط، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 1967، ص540.

ويستطيعون، بل ويأخذون أشكال الطيور والحيوانات،...»[1] وإذا نبتت زهرة أو ما شابه ذلك على قبر الميّت، فإنّهم يؤمنون بأن صاحبه قد دخل الجنة وأن الله سبحانه وتعالى راض عنه وهم يمنعون مشط شعرهم إلا بعد مضي ثلاثة أيّام من الوفاة تجنبا لسقوط الشعر مبكرا، وهم يستحمون بعد ثلاثة أيّام بالماء ليجدّدوا قواهم. وهناك من يرفض مشط شعره ليلا في الأيّام العادية، وأهل المنطقة يرفضون ارتداء ثياب الموتى ويعود هذا السبب ربّما لنجاستها، لهذا نجدهم يحرقون ملابس الميّت أو يرمونها إلى المزابل، ونستحضر في هذا المضمار مقولة الكزاندر هجرتى كراب الذي يقول «وتتعلق النجاسة ذاتها بممتلكات الميّت وأشيائه الخاصة وبثيابه على نحو أخص، وقد أدى هذا الظن إلى تدمير ممتلكاته بعد موته أو إهلاكها... بل لا يزال الأوروبيون والأمريكيون إلى يومنا هذا لا يقبلون فكرة ارتداء ثياب الموتى»[2].

ومن عادات المنطقة أيضا أنّه من المستحسن أن لا تُرمى الأوساخ ليلا، وإذا ما نسيت الفتاة وقامت برميّ الأوساخ ليلا أسرعت الأم إلى شعل عود كبريت وترميه خارج المنزل في مكان رميّ الأوساخ، اعتقادا منها بأن النّار تمنع دخول الأذى إلى البيت.

إن سكان منطقة خراطة مؤمنون كبقية أهالي الجزائر، فهم يؤمنون بالله ورسوله واليوم الآخر والجنة والنّار،... ورغم ذلك فإنّهم لا يزالون يحتفظون ببعض معتقدات الأجداد بما فيها السحر، إذ نجد أن الدين والسحر قد تعايشا جنبا إلى جنب يقول في هذا الصدد واليس بدج: «نرى في النصوص والأعمال الدينية كيف كان السحر جزءا من الدين، وكيف يظهر أحيانا في حالات محددة جنبا إلى جنب مع المفاهيم الروحية الراقية»[3] فالسحر والدين إذن قد يتعايشان معا داخل المجتمع الواحد، بل «قد يتعايش السحر والعلم معا، ليس في المجتمع الواحد (مما قد لا يكون أمرا شاذا) بل لعلهما يتعايشان معا في عقل إنسان واحد»[4].

ويمس السحر جميع الجوانب في المنطقة، فالفتاة العذراء إذا تأخر زواجها فإنّها تلجأ إلى السحر بمختلف الوسائل، والتاجر إذا تكدست سلعته وامتنع النّاس من الشراء منه، فإنّ أفضل وسيلة لديه هو السحر،... فكلّ من ضاقت عليه الدنيا وغلقت أبواب الخير عليه، فإنّ أفضل

[1]– واليس بدج: السحر في مصر القديمة، تر وتقديم: عبد الهادي عبد الرحمن، ط1، سينا للنشر، 1998، ص203.

[2]– الكزاندر هجرتى كراب: علم الفولكلور، ص427.

[3]– واليس بدج: م، س، ص31 .

[4]– الكزاندر هجرتى كرابّ م. س، ص437.

علاج له هو اللّجوء إلى السحر حسب معتقداتهم، ولعلّ كثرة اللجوء إلى الساحر والإيمان به هو السبب الذي جعل بعض السحرة يجعلون السحر وظيفة يشتغلون عليها، إذ تدر عليهم أموالا باهظة.

ويعتبر عالم الجن من الكائنات الخفية التي يؤمن بها أهالي منطقة خراطة، فإذا نهق الحمار ليلا استعاذوا منه، لأنّه في تصورهم قد رأى جنا، وهم يعتقدون أن الإنسان قد يصاب بالجن إذا كفر بالله ورسوله ولا يشفى منه إلا إذا رُقيّ، كما أنّهم لا يقتربون إلى المقابر ليلا خوفا من الجن والأرواح الشريرة التي تعيش في الأنهار والأودية، وفي الأماكن القذرة، لهذا نجدهم يستعيذون بالله من الشيطان الرجيم، ويقرأون بعض الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة لمواجهة القوى الخارقة، لأن «الاستعاذة بقوة غيبية خارقة تعتبر وسيلة للتغلب على شر قوة أخرى وذلك في سياق صراع الإنسان العربي مع الطبيعة أو قوى بشرية أخرى»[1]، فإذا ما فعلوا كلّ هذا اختفت وعادت إلى جحورها، كمّا أنّهم يعتقدون أن الجن يدخل في الأظافر الطويلة، لهذا نجد أن أغلبهم يقلمون أظافرهم بمجرد بروزها ويدفنونها تحت التراب «أَلْـعـْـپـْـذْ أَسْمَّى ذِيمْثْ، أَذِگـْـثـْـپ ْ فِشَرْنِيسْ لْحَيَاتِيسْ»[2] أي: «فالإنسان عندما يُتوفى، يكتب بأظافره سيرة حياته»، وهم يدفنون شعرهم أيضا عند قصه تحت التراب خوفا من الساحر وسحره لأن «الشعر والأظافر جزء لا يتجزأ من جسمه، وحيث أنّها كذلك لا تزال، فإنّ أي « فعل» يقع عليها سيكون له «ردّ فعل» يصيب جسمه هو»[3].

ولدرء العين الحاسدة نجد أنّهم يعلقون قلادة العين في رقبتهم، وهذه الظاهرة كانت منتشرة عند المصريين، يقول في هذا الصدد واليس بدج: «عندما كان المصريون يلبسون العين كحمولة، فإنّهم قصدوا بها أن تجلب لهم نعماء القوة والعزيمة، الحماية والأمان، الصحة والعافية، وما شابه، وفي عقولهم عينا حورس ربّما البيضاء أو الشمس»[4]، وإذا ما أصيب أحدهم بالعين فإن أفضل علاج له كما يعتقدون هو أن يبخر نفسه بخرقة ملابس الشخص الذي أصابه بالعين.

---

[1]– زكي المحاسني: أساطير ملهمة، ص8.

[2]– أخبرتني بهذه المعلومة الرّاوية: صليحة بن حدة السابقة الذكر.

[3]– الكزاندر هجرتي كراب: علم الفولكلور، ص438.

[4]– واليس بدج: السحر في مصر القديمة، ص69.

يؤمن أهالي المنطقة بالحلم، فإذا ما حلم الإنسان بشيء مكروه نجده طوال اليوم متشائما حزينا قائلا: "أَرْبِّ شْرْقْـتْ إِلْخِيرْ"، أي: "يا ربّ اجعله خيرا"، وعندما يحلم به ينهض مباشرة من نومه، يتوضّأ ويصلي ركعتين ويتصدق ويدعو الله بأن يجعله خيرا، وهناك من يأخذ حفنة من الملح ويذهب إلى إحدى المزابل القريبة من المنزل ويرميه قائلا: «لْمْلْحْ أُدِغْمِي، ثَرْقْـيـثِوْ أُنْتْرَافْ»[1]، أي: «مثلما لا ينبت الملح، فإن حلمي لن يتحقق». أمّا إذا حلم الإنسان بحلم خيّر محبوب فإنّه يستبشر خيرا ويحمد الله على ذلك، ويطلب منه تحقيق حلمه.

ويتشاءم أهل المنطقة عند كسر بعض أواني المطبخ، فإذا ما كُسر الإناء مثلا قالوا: "إِرْزَى رْبِّ شْرْ"، أي: "كسر الله الشر" وهناك من يعتقد بأنّه ستكون جنازة في المنطقة فيلجأون إلى الصلاة والصدقة تجنبا لوقوع ما هو آت. ولليدين اليمنى واليسرى عدة معتقدات فإذا تآكلت اليد اليمنى فإن صاحبها سيتصدق، وأن هناك من يذكره بخير، أما إذا تآكلت اليد اليمنى فإن صاحبها سيرزق مالا وهناك من يرى أن هناك من يتحدث عنه بشر، والشيء نفسه نجده تقريبا عند الشاميين، يقول محمد قنديل:«إذا أصيبت كف اليمنى بالأكلان فيترقب الشاميون أن يدفعوا مالا، أو أن يخسروا شيئا ولكن المصريون ينتظرون السلام على قادم من سفر»[2]. كما نجد أن بعض النساء يتشاءمن من النظر في المرآة ليلا ويقلن أنّ من نظر إليها ليلا سوف تكون مئناثا، وإذا تحرك جفن العين يتفاءلون خيرا ويتوقعون رؤية شخص عزيز عليهم لم يروه منذ أمد طويل، وهم لا يقتلون العنكبوت فقتلها حرام وإثم كبير لا يغتفر، لأنّها هي التي أنقذت الرسول (ص) وصاحبه أبا بكر الصديق من أذى قريش في غار حراء، كما أنّهم لا يقتلون السرعونة (أو فرس النبي) التي تسمى باللّهجة المحليّة (نَانَة حِيجَة) لأنّها قامت بأداء مناسك الحج* هذا من جهة، ومن جهة ثانية يتشاءمون عند رؤية أي حيوان أسود في الصباح الباكر فإذا ما وقع لهم أي مكروه في ذلك اليوم، فإنّهم يرجعون سبب ذلك إلى الحيوان الأسود مباشرة.

ويعتقد أهل منطقة خراطة أن للأشجار قدرة على شفاء الأطفال إذا ما تم غرس المسامير فيها، وهم يعتقدون أن لها روحا فمن قطعها كأنّه قتل نفسا بغير ذنب، كما أنّهم يقولون أن الشجرة تبكي أثناء قطعها، ويستدلون ذلك بالماء الذي ينزل منها في مكان قطعها «ولا يزال

---

[1]– المخبرة: فضيلة. ع: 50 سنة، مربيّة، أميّة، على الساعة الثانية زوالا، يوم: 2011/01/08م، قرية: "أزغار"، بلدية: "ذراع القائد".

[2]– محمد قنديل البقلي: وحدة العادات والتقاليد بين مصر والشام، ص175.

*– ينظر: الملحق رقم: (01)، ص 257 ــ 245.

الشيوخ من الفلاحين في بعض أنحاء النمسا يعتقدون أن أشجار الغابة تتمتع بالنفوس والحياة... فلقد سمعوا من الآباء أن الشجرة تحس بآلام القطع تماما مثلما يشعر الجريح بآلام جراحه»[1] وسكان المنطقة يلعنون قاطع الأشجار، إذ يقولون له: «أَكـِقـْـزَمْ رَبِّ أَمـْگ إِهـْتـْـقـْـزَمْذْ»[2] أي: «فليقطعك الربّ كما قطعتها»، وهم يطلبون أثناء قطعها الغفران من المولى عز وجل.

وتحتل الأعداد والأمكنة مكانة مهمّة ومميزة في نفوس أهل المنطقة، فالأم عندما تعدّ الفطائر الرقيقة تجعل الأخيرة صغيرة الحجم، ولا يأكلها أفراد العائلة، فهي تعطيها للكلب أو القط، كما أنّهم يعتقدون أن من ألقى رأسه لأوائل المطر وأواخره سيشفى من أمراضه، ولاسيّما أمراض الرأس. وقد صادفنا في بعض الحالات أن هناك من يعتقد أن القمر أنثوي بسبب صعود المرأة وابنها إليه[*] «فحياة المرأة الفيزيولوجية والسيكولوجية ذات طبيعة قمرية وإيقاع قمري فهي مرتبطة بدورة شهرية معادلة لدورة القمر الذي يبدأ هلالا في أوّل الشهر ليتلاشى في آخره، بعد أن يمر في فترة تقع في منتصف الشهر عندما يبلغ البدر تمامه»[3]، ومن عاداتهم وضع الخيوط على الأشجار أثناء زيارة الأوليّاء وذلك للتبرك وجلب الخيرات وإبعاد الأذى.

انطلاقا من هذا التوضيح يمكن لنا أن نقول، إن عادات ومعتقدات أهل منطقة خراطة كثيرة ومتعدّدة تمس معظم الجوانب، وهي لا تزال موجودة في ذهنية أهل المنطقة رغم قدمها وهم يؤمنون بها، فالإنسان «يتعامل مع الظواهر الطبيعية والاجتماعية تعاملا عقائديا خرافيا وبالتّالي شكل لديه هذا التعامل نمطا عقليا وفكريا شائعا في تفسير وجود الحياة في هذا الكون. إنّ هذا النمط العقلي كان ناتجا عن التأثير التفكير الميثولوجي الديني التقليدي والبدائي والذي يعلل الأحداث والظواهر في نهاية المطاف بردها إلى إرادات وإلى رغبات كانت غير مرئية»[4]. والشيء الملفت للانتباه، إن بعض عادات ومعتقدات المنطقة تتشابه مع بعض عادات ومعتقدات مصر والشام والإغريق. وأهل المنطقة يحافظون عليها حفاظا شديدا لأن الحفاظ عليها هو حفاظ

---

[1]– سير جيمس فريزر: الغصن الذّهبي، دراسة في السحر والدين، ترجمة وإشراف: أحمد أبو زيد، د. ط، ج1، الهيئة المصرية العامة للـتأليف والنشر، 1971، ص394.

[2] – المخبرة: صليحة بن حدة، السابقة الذكر.

[*]– ينظر: الأسطورة كاملة في الملحق رقم: (01)، ص265.

[3]– فراس السوّاح: لغز عشتار – الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة – ط7، منشورات دار علاء الدين، دمشق، سورية، 2000، ص74.

[4]– محمد سعيدي: من أجل تحديد الإطار المعرفي والاجتماعي للمعتقدات والخرافات الشعبية، ص03.

على الهوية الثقافية للمجتمع، وهي رمز للروح الجماعية التي يتميز بها سكان المنطقة، وهم لا يستطيعون التخلي عنها، تقول إحدى الرّاويات: «لْعَذَثِّيِي أُنْزْمِرَانِي أَهْنْتْنْجْ، لاَزَمْ أَهْنْتْنْخْذْمْ، كُلْ مَاحْلِيسْ أَهْنْتْنْخْذْمْ»[1] أي: «هذه العادات لا نستطيع التخلي عنها، يجب أن نفعلها، كلّما آن وقتها نمارسها» والشيء الملفت للانتباه أن البعض منها نابع من العقائد الدينية الإسلامية.

أخيرا يرى مجتمع الدّراسة، إن العادات والتقاليد هي التي تحفظ مجتمع اليوم من متغيّرات العصر التي يبثها الغربيون في شتى أنواع وسائل العصرنة، فهي التي تحافظ على وحدتهم وأصالتهم، فهي تقف كالمرصاد في وجه الفسوق والفجور وهي تقوم بأهم دور ألا وهو الحفاظ على إرث الأجداد الذي تركوه ذخيرة وكنزا لا يفنى لأبنائهم، فهي إذن تحفظ للمجتمع رخاءه وازدهاره وتمنع وصول العوائق إليه.

ج / التنظيم الاقتصادي والاجتماعي

يتراوح الجانب الاقتصادي في المنطقة ما بين الفلاحة والرعي والشجارة وتربية الدواجن... فهو اقتصاد متنوع ومختلف، يختلف باختلاف الفصول والمناطق، إذ نجد أن لكلّ قرية إلا ولها ما يميّزها عن القرى الأخرى فقرية "أجيون" مثلا تكثر فيها أشجار اللّوز والتين الهندي والزيتون... وفي قرية "البرزاخ" يكثر فيها العنب والتفاح،... أمّا قرية "أزغار" فتشتهر بأشجار الزيتون والتين واللفت الأصفر... أمّا منتوجات قرية "ثاقليث" متنوعة ومختلفة وهي تتميّز أكثر في البستنة... أما قرية "جرمونة" فمعظم أراضيها مغطاة بأشجار الزيتون وهلمّ جرّا.

إن الجانب الجغرافي في المنطقة قد سهل مهمة خدمة الأرض، ولاسيّما وأن معظم أراضي المناطق التابع لبلدية (ذراع القائد) صالحة للزراعة. فخدمة الأرض هي العمل المفضل عند معظم هذه المناطق، إذ هي تركة الأجداد للأبناء والكنز الذي لا يفنى إذا وجدت من يخدمها ومن هو أصلب منها، وقد كانت في قديم الزمان تحظى بعناية فائقة، فمثلما تعتني الأم بطفلها يعتني الفلاح بأرضه، ويتعهدها بالخدمة لأنّها المصدر الأساس والأوّل في الغذاء، يقول الفلاح المدعو سي منصور: «لْقَاعَى أَيْنْ ذِمَّا ثَعْزِيزْثْ إِيْدِتْمُودْنْ أَيْنْ يــْغــِيغْ، إِيرْذْنْ ثــِيمــْزِينْ إِياوْنْ ثِيشْرْثْ لــْيــْصلْ،... لْقَاعَى أَمِمَامْ أُمْتَجَانِي، بْصحْ خْصَارَة قــْلْجِيلْ نْتُورَى إِتْعُوفْ

---

[1]– المخبرة: بهيجة معوش: 54 سنة، مربيّة، أميّة، على الساعة الثالثة زوالا، يوم: 22/ 2010/12م، قرية: "آيث الميزاب"، بلدية: "ذراع القائد".

ثَفْلاَحْثْ»[1] أي: «الأرض أمي العزيزة التي تمدني بكلّ ما أحتاجه، من قمح وشعير وفول وثوم وبصل... الأرض مثل أمك لن تتخلى عنك، لكن للأسف فهذا الجيل يرفض مهنة الفلاحة» من خلال هذا القول، تتجلى لنا الأهمية العظمى التي تحتلها الأرض في المنطقة، إذ شبهها بالأم الحنون المعطاء التي لا يغمض لها جفن من أجل أولادها.

إنّ منتوجاتهم الزراعية مختلفة ومتعدّدة تتمثل في القمح والشعير والفاصولياء والطماطم والخرشوف والبصل والذرة واللّفت وهلمّ جرّا، وهي تشتهر أكثر في زراعة اللفت الأصفر (لَفْثْ أَوْرَاغْ) الذي يشبه اللفت الأبيض العادي لكنّه أكثر منه حجما، وذوقه على ما يبدو أحسن منه.

إنّ هذه المنتوجات المختلفة منها ما يزرع في الحقول الشاسعة البعيدة عن المنازل كالقمح والشعير لأنّها لا تحتاج إلى العناية الشاقة، فهما يعتمدان على مياه الأمطار، ومنها ما يزرع في البستنة أمام المنازل كالخرشوف والطماطم والفلفل والبطيخ واللّفت بنوعيه الأبيض والأصفر والذرة والفراولة وهلمّ جرّا، لأنّها تحتاج إلى عناية فائقة كسقيها ونزع الأعشاب الضارة وجمع التراب حولها ووضع الأسمدة الحيوانية لها باستمرار. وبما أن هذه المنتوجات تزرع أمام المنازل، فإن المرأة في أغلب الأحيان هي التي تتولى هذه المهمة.

وتعتمد منتوجات أهالي منطقة "خراطة" كأغلب منتوجات الجزائريين على موارد المياه الطبيعية من أمطار وأنهار وأودية وسدود فمنتوجات حقولهم وأشجارهم وبساتينهم... متوقفة على ما تعطيه السماء من أمطار، فإذا أكرمت السماء الأرض، لم تبخل هذه الأخيرة بمنتوجاتها أمّا إذا شحت الأمطار كانت الأرض أكثر شحا وبخلا، فمنتوجاتهم سنوية تعتمد على الطبيعة كلّ الاعتماد.

ولعلّ توفر المنطقة على أراضي شاسعة للرعي ولاسيّما المناطق الريفية، قد سهل مهمة تربية المواشي والأبقار، فمعظم الأهالي يعتمدون على ما تدر عليهم مواشيهم من أموال وقد يتراوح عدد الماشية عند بعض الأسر إلى ما يربو عن مئة رأس وخمسين بقرة... وهذا ما نجده في منطقة "أزغار" و"ثاقليعث" وفي بعض القرى الواقعة في الطريق الرابط بين "وافرة"

---

[1]– المخبر: سي منصور: 65 سنة، أمي، فلاح، على الساعة العاشرة والنصف صباحا، يوم: 2011/01/15م، قرية: "أجيون"، بلدية: "ذراع القائد".

(خراطة) و"وادي البارد" (سطيف) وفي إحدى ضواحي "أجيون". فمعظم سكان هذه القرى يعتمدون على حليبها ولحومها ويبيعون للمناطق المجاورة، ولعلّ الشيء الملاحظ أنّه مع مرور الوقت بدأت المواشي والأبقار في النقصان لأسباب عدة منها رفض شباب اليوم اتخاذ الرعي حرفة وانتشار التعليم والتكنولوجيا، فمعظمهم متعلمون يمارسون مهنا مختلفة مرتبطة بتكوينهم.

وتحتل اليوم تربية الدواجن مكانة بارزة في المنطقة ولعلّ مرد ذلك هو سهولة تربيتها وهي لا تتطلب وقتا طويلا لتربيّتها، وقد يصل عددها لمن يتخذها مهنة إلى خمس مئة دجاجة أو أكثر.

وللشجارة مكانة خاصة في المنطقة وهي مختلفة ومتنوعة تتمثل في أشجار الزيتون واللّوز والتفاح والعنب والجوز والتين والرومان،... والشيء الملفت للانتباه أن أصحاب المنطقة يتعاونون فيما بينهم، فهم يساعدون بعضهم البعض في الفلاحة وجني الزيتون وترميم الطرقات وإصلاحها،... كما أنّهم يتبادلون الغلال والمنتوجات لهذا استطاعوا أن يحققوا نوعا ما الاكتفاء الذاتي، ومن ثم بيع فائض منتوجاتهم كاللفت الأصفر واللوز والتفاح إلى المدن المجاورة كسطيف وبجاية، أما الألبان ومنتجاتها المختلفة فيبيعونها إلى تجار المنطقة الذين هم بدورهم يبيعونها إلى المناطق والمدن المجاورة. وقد خصص في المنطقة يوما للسوق لبيع منتوجاتهم الفائضة وهو يوم الأربعاء إذ فيه يجتمع جميع سكان المنطقة والوافدون من بعض المناطق المجاورة كسطيف ووادي البارد وبوقاعة وبجاية، وهم بدورهم يذهبون إلى أسواق أخرى كأسواق سطيف وبجاية وهذا ما جعلهم متفتحين نوعا ما على الآخر.

كما نجد أن معظم النساء يعتمدن على صناعة الفخار والخزف، حيث يحضرن المواد الطبيعية الخام من الخلاء ويصنعن منها أشكالا جميلة كالصحون والخابيات إلى غير ذلك، كما أنّهن يصنعن الزرابي والحياك وزركشتهما بأبهى الألوان... أمّا الصناعة فقليلة مقارنة بالفلاحة والرعي حيث نجد أن هناك مصانع تقليدية صغيرة واحد لصنع الأقمشة الشتوية في منطقة "رحامين" وآخر لصنع الجلود في منطقة خراطة (المركز) متوقف النشاط حاليا، ومصنع آخر للنسيج قريب من منطقة "مرواحة".

تعتبر الأسرة الخلية الرئيسية في تكوين المجتمع، فصلاح المجتمع وفساده مرتبطان بها أشد ارتباط. ومعظم سكان منطقة خراطة امتداد للأجداد وللعائلات القديمة التي عاشت في

المنطقة منذ القدم، أمّا بعض العائلات فقد وفدت من مناطق أخرى ولاسيّما المناطق القريبة منها مثل: بجاية وسطيف وبوقاعة... ومعظم الوافدين يتكلمون العربية الدارجة.

تشكل الأسرة في القديم بيتا كبيرا، تتكون من الجد والجدة وجميع الأبناء والأحفاد، ذات إقامة أبوية. و يعد الجد المسؤول الأول عن البيت الكبير ولاسيّما أعمال خارج البيت من فلاحة ورعي وشجارة... وهو من يوزع الأعمال على أولاده إذ يعطي لكلّ واحد منهم عملا ما، فهذا يرعى وذاك يهتم بالبستنة وذاك بالشجارة. وقد كانوا مطيعين له إذ لا يستطيع أحدهم رفع صوته أو حتى رمشة عينه على أبيه، يقول الجدّ سي منصور متأسفا «إِيهْ، پـْگـْرِي أُزْمِرْنَانِي دْرْيَانْغْ أَذْعِينْنْ ثِيطْنْسْنْ فْلاَنْغْ، أَمـْگـْ إِسْنْنَى أَنْكْنْ، أُوثْرَى أَنِصْطْرْ رْبِّ پـْرْكْ ثْـلْـجِيلْ نْتْورَى»[1] أي: «آه، في قديم الزمان لا يستطيع أبناءنا أن يرفعوا عيونهم إلينا، كلّ ما نقوله يطبقونه حرفيا أمّا الآن فليسترنا الربّ من هذا الجيل» أمّا الجد الأكبر فغالبا ما يكون وليّا أسطوريا تتسج حوله الكثير من الأعمال الميثية الخارقة.

بعد الجد تأتي الجدة التي تكون مسؤولة عن الأعمال المنزلية الداخلية من تربية للأولاد وغسل وطبخ وحياكة... وهي التي توزع الأعمال على زوجات أبنائها وأحيانا تخرج لمساعدة زوجها في الأعمال الخارجية كالبستنة وجلب الحطب من البراري والماء من الترعة، أما إذا كانت مسنّة فإنّها غالبا ما تكون كالأميرة في العرش تقوم بإصدار الأوامر فقط.

والشيء الملاحظ في الميدان أن الابن الأكبر ينوب أباه في بعض الأعمال إذا كان والده غائبا عن المنزل أو طريح الفراش. أمّا الأطفال الذين سعفهم الحظ فهم في المدارس والمساجد يدرسون ويحفظون القرآن الكريم، أمّا من لم يسعفه الحظ فهو في البراري مع الأغنام وجلب الحطب، إنّهم يعملون جميعا منذ الصباح حتى المغرب لا يعرفون معنى الراحة أبدا، ولا يهدأ لهم بال إلا بعد إنهاء جميع الأشغال، إنّهم كالنحل في الخليّة يشكلون وحدة سكنية متماسكة.

بعد أن قام البيت الكبير بأدوار مهمة في البناء الاجتماعي في قديم الزمان، أصبح اليوم يقل تدريجيا، فدور الأب أصبح اليوم يتقلص، ومعظم الأبناء المتزوجين أصبحوا يفضلون العيش وحدهم بعد زواجهم، ولاسيّما إذا كان عدد الإخوة كبيرا تفاديا للمشاكل التي كانت تسود البيت الكبير كشجار الأطفال الذي يؤدي إلى شجار النساء، وهذا بدوره يؤدي إلى تدخل الرجال، ومن

[1]– المخبر: الفلاح سي منصور: السابق الذكر.

ثم سيادة الفوضى والاضطراب بين أفراد البيت الكبير، أمّا إذا كان للأم ولد واحد فحسب فلا يغادر البيت بل يبقى يعيش مع والديه، لأنّه ليس لهما سواه، وقد يحدث وأن يغادر البيت إذا وقع ضحية لزوجته كما يقولون. أمّا البنات فغالبا ما يغادرن أهلهن بعد زواجهن، وينتقلن للعيش مع أهل الزوج، وإذا حدث وأن بقيت مع والديها أثناء الزواج فذلك يعود إمّا لكونّها البنت الوحيدة في العائلة أو لثراء والديها، ولكنّها سرعان ما تعود مع زوجها إلى أهل الزوج إذا توفي والديها وهو الشيء الملحوظ في الميدان.

أمّا شؤون المجتمع فقد كانت تديرها في معظم الأحيان جماعة من الأفراد العقلاء وتسمى في المنطقة "تْـجِـمَاعْثْ نْتَدَارْثْ"، أي: "جماعة القرية" وهم يجتمعون كلّما دعت الحاجة إلى مناقشة بعض الأمور، كإصلاح الطرق وإيصال الماء إلى البيوت أو بناء المسجد في القرية أو مدرسة وهلمّ جرّا، ومن عصى أوامر هذه الجماعة سيكون عرضة لمختلف المشاكل ويهدد بعدم الاستفادة من الأعمال المنجزة، إلا إذا كان فقيرا محتاجا أو سقيما طريح الفراش.

وللذكر مكانة مهمة بارزة في المجتمع منذ ولادته، إذ يحظى بالعناية والرعاية التامة منذ الصغر، فهو مصدر الفخر وبوساطته تستطيع الأم فرض كيّانها على العائلة، وهو المسؤول عن البيت عند غياب الأب، وهو المطلوب في الحروب لحماية الوطن، فهو وريث العائلة، لهذا نجد أن معظم النساء يُقِمن احتفالا بهيجا أثناء ولادة الذكر، تقول الرّاوية بهيجة معوش: «تْمْنِيغْ أَدِيفْكْ رْبِّ إِلْخَالاَثْ أَرَّاشْ، إِلْشْتَى يِّيوْنْ نُوقْشِيشْ، أَلْخَاطَرْ نْتَى أَلْذَافَنْ أَسْمَّى أَذْقْـعـمْرْنْ، وَثَافْنْتْ سُيُثْمَاسْ أَسْمَّى أَثْحَوَاجِـنْتْ، ثَاقْشِيشْثْ مَثْسْعَى قْـمَاسْ أُتِحْقْرَانِي أُرْقْـازِيسْ»[1]، أي: «أتمنى أن يرزق الله النساء الذكور حتى وإن كان ذكرا واحدا، لأنّهم سيجدونه أثناء الكبر، وستجده أخواته أثناء الحاجة إليه، فالبنت إذا كان لديها أخ لن تتعرض للضرب من قِبل زوجها» وهذا يعني إن الذكر مهم في الأسرة، لهذا نجد أن الكثير من الأمهات قد طلقن لعدم إنجابهن الذكور.

أما الفتاة فتأتي في المرتبة الثانية، لأنّها لن تبقى في العائلة وهي تحتاج إلى جهد كبير لرعايتها وتربية شاقة للحفاظ عليها بسبب شرفها، وترى معظم الأسر أن مهمة البنت هي القيام بالأعمال المنزلية من غسل وطهي وتربية الأبناء، وأن تكون مطيعة لجنس الذكر "الجد والأب والأخ والزوج"، وهناك من يرى أنّها مستهلكة فحسب عكس الذكر الذي يساهم في اقتصاد

---

[1]– المخبرة: بهيجة معوش: السابقة الذكر.

البيت، وهي مقلقة للأسرة ولاسيّما للوالدين فلن يرتاحو حتى يزوجانها، فكأنّها كابوس مخيف يهدد المجتمع إلى غير ذلك.

رغم هذه النظرة الدونية للمرأة في المجتمع، فقد عثرنا أثناء البحث الميداني من يفضل الأنثى على الذكر، تقول المخبرة علجية: «ثِيقْشِشِينْ نْتُورَى، والله أَلْخِيرْ نْوَرَّاشْ، طْحْطَرَامْنْتْ لْوَالْدِينْ، قْرَانْتْ، خَدْمَنْتْ أَيْنْ إِصْلْحْنْ، أُولاَنْتْ ســگـشَامْنْتْدْ أَمْصْرُوفْ خِيرْ نْوَرَاشْ، أَرَّاشْ نْتُورَى مَتْشِي أَمــپــگــرِي»[1] أي: «بنات اليوم، والله خير من الذكور، يحترمن الوالدين ويدرسن، فهن يفعلن كلّ ما فيه صلاح وخير، و يوجد منهن من يساهمن في اقتصاد ومصروف البيت أحسن من الرجال، فرجال اليوم ليسوا كرجال القديم».

رغم الصورة السيئة المنسوبة إلى المرأة إلى أن هذه النظرة بدأت تتقلص تدريجيا نتيجة التوعية التي تبثها مختلف وسائل الاتصال، فرسالة الأمومة من أعظم الرسائل وأنبلها على أديم الأرض، تقوم بصقل الأذهان وتثقيفها أكثر مما تقوم عليه المعاهد والجامعات، فهي تكدّ في تربية أبنائها بوحي من غريزتها الفطرية، فهي أعظم رمز للتضحية والفداء. فالنساء إذن يؤدين دورا مهما في المجتمع، ويساهمن مساهمة كبيرة في الحفاظ على التراث الشعبي ونقله عبر الأجيال.

---

[1]- المخبرة: علجة يعيش: 60 سنة، مربيّة، السنة الثانية محو الأميّة، على الساعة الرابعة زوالا، يوم: 2010/12/21م، قرية: "آيث الميزاب"، بلدية: "ذراع القائد".

2 ــ الأساطير Les Mythes

أ/ **لغة:** الأساطير كلمة مشتقة من «(السَطْرُ): الصَّف من الشيء كالكتاب والشجر وغيره ج أَسْطُرٌ وسُطُورٌ وأَسْطَارٌ جج أَسَاطِيرٌ والخط والكتابة واستَطَرَهُ كتبه والأسَاطير الأحاديث لا نظام لها جمع إِسْطَارٍ واسْطِيرٍ بكسرهما... وسَطَّرَ تَسْطِيرًا أَلَّفَ وعلينا أتانا بالأساطير والمُسَيْطِر الرقيب...»[1].

وورد في لسان العرب «سَطَرَ: السَّطْرُ والسَّطر: الصف من الكتاب... والأساطير: الأباطيل. والأساطير: أحاديث لا نظام لها واحدتُها اسطارٍ واسطَارةٍ، بالكسر، وأُسْطِيرٌ وأُسْطِيرَةٌ وأُسْطُورٌ وأُسْطُورَة، بالضم. وقال قوم: أساطير جمع أَسْطَارٍ، وأسطارٌ جمع سَطَرٍ... وسَطَّرَهَا ألفها. وسَطَّرَ علينا: أتانا بالأساطير. اللَيث: يقال سطر فلان علينا يسطر إذا جاء بأحاديث تشبه الباطل. يقال: سطر فلان على فلان إذا زخرف له الأقاويل ونمقها، وتلك الأقاويل الأساطير والسُّطُر»[2]، استنادا إلى ما سبق نقول، إنّ المعاجم العربية تتفق على أنّ الأساطير ما هي إلا أباطيل وأحاديث كاذبة.

أما القرآن الكريم الذي كان مصدرا مهما للغويين فقد استعمل مصطلح (أساطير) بصيغة الجمع. ولم يرد هذا المصطلح لوحده وإنّما ورد مضافا إلى (الأولين) فأصبح (أساطير الأولين) وقد ورد تسع مرات في القرآن الكريم*، يقول تعالى في محكم التنزيل: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ يَّسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمُ أَكِنَّةً أَنْ يَّفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِم وَقْرًا وَإِنْ يَّرَوْا كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾[3]، وهي مرتبطة بالتصورات الاعتقادية الدينية وجاءت على لسان الكافرين لدعوة الحقّ، إذ كانوا يرون أن ما أنزله الله على الرسول (ص) ما هو إلا "أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ" لأنّهم عجزوا عن ردّ الحجّة بالحجّة.

---

[1]– مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزوبادي: القاموس المحيط، د. ط، ج2، دار الجيل، بيروت، لبنان، د. ت، ص49.

[2]– أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور: لسان العرب، ط1، مج04، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1990، ص363 ــ 364.

*– ينظر السور التّاليّة في القرآن الكريم: سورة الأنعام، الآية 25 وسورة الأنفال، الآية31 وسورة النحل، الآية 24 وسورة المؤمنون، الآية 83 وسورة الفرقان، الآية 05 وسورة النمل، الآية 68 وسورة الأحقاف، الآية 17 وسورة القلم الآية 15 وسورة المطفّفين، الآية 13.

[3]– سورة الأنعام، الآية 25.

ب/ اصطلاحا: تعدّدت تعريفات الأساطير بتعدد الباحثين، إذ يحاول كلّ واحد منهم تعريفها حسب الحقل الذي يشتغل فيه، مما جعل من الصعب إعطاء تعريف شامل كاف، وقد كتب سانت أوغسطين في « اعترافات» عندما سُئل عن معنى الأسطورة ما يلي: «إنني أعرف جيّدا ما هي بشرط ألا يسألني أحد عنها، ولكن إذا ما سُئلت، وأردت الجواب، فسوف يعتريني التلكؤ»[1] ويعني هذا الكلام، إنّه من الصعب الوصول إلى تعريف دقيق للأسطورة يرضي جميع الباحثين.

إنّ الأسطورة «في اليونانية Mythos... وهي في الانجليزية Myth ميث... وعلى ذلك فإن المعنى في اللّغتين هو الشيء المنطوق... فمعنى الأسطورة إذا هي الكلام المنطوق، أو القول ولكن أي قول؟ يذهب الدارسون إلى أنه القول المصاحب للعبادة والطقوس الدينية... فهي إثبات للجانب الكلامي من الحركة في العبادة قبل أن تصبح هي نفسها حكاية حول هذه الطقوس أو منبثقة من هذه الطقوس»[2] ويعني هذا القول، إن الأساطير هي الجانب القولي المصاحب لطقوس الأفعال، يقول راتفين: إن «الأسطورة Mythos عند الإغريق كانت تعني، أول ما تعني شيئا يلفظ من الفم Mouth ، فهي إذا «المنطوق المتعلق بطقس يمثل، وما يعمل»»[3] فالأساطير إذن كانت في بداية الأمر مرتبطة بالطقوس.

أما كلمة ميثولوجيا Mythologie فهي كلمة مركبة «من مقطعين: "ميثوس + لوغوس" = ميثولوجيا. ميثوس تعني ما يتنافى والعقل ولوغوس تعني العقل، والميثولوجيا تعنى بدراسة وتفسير الأساطير. كما تدل لفظة ميثولوجيا كذلك على مجموعة الأساطير الخاصة بشعب ما مثل: الميثولوجيا الفنيقية، الميثولوجيا المصرية، الميثولوجيا الإغريقية.»[4]. فالميثولوجيا إذن مصطلح «يطلق عادة على مجموع أساطير هذا الشعب، أو ذاك، أو على دراسة الأساطير»[5] فهي إذن العلم الذي يدرس الأساطير.

---

[1]– ك. ك راتفين: الأسطورة، تر: جعفر صادق الخليلي، ط1، منشورات عويدات، بيروت، باريس، 1981، ص09.

[2]– فاروق خورشيد: أديب الأسطورة عند العرب، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، الظاهر، القاهرة، 2004، ص06.

[3]– ك. ك راتفين: م. س، ص64.

[4]– حسن نعمة: ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة، د. ط، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1994، ص26.

[5]– م. ف ألبيديل: سحر الأساطير، دراسة في الأسطورة – التاريخ – الحياة، تر: حسان ميخائيل اسحق، ط2، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، دمشق، سورية، 2008، ص22.

والأساطير عند اليونان، هي الأساطير التي «تروي أفعال الآلهة، أو مغامرة الأسلاف البطولية»[1] وهذا يعني، إن الأساطير عند اليونان هي تلك التي تتحدث عما قامت به الآلهة العظمى في الزمن الأول، أي أن شخصياتها هي الآلهة والأبطال. ويرى أندري يولس (André Jolles) أن الأساطير تتموقع في «اللاوقعي ولا يمكن التساؤل إن كانت صادقة أم لا؟»[2].

إن غموض مصطلح الأسطورة وضبابيتها جعلت دارس الميثولوجية ميرسيا ايلياد (Mircea Eliade) يقر بصعوبة إيجاد تعريف يقبله جميع العلماء، وهذا ما أدى به إلى التساؤل التّالي: «هل يمكن إيجاد تعريف واحد جامع يشمل جميع أنماط الأساطير ووظائفها في كلّ المجتمعات القديمة والتقليدية؟»[3]. ولكن رغم التعاريف المختلفة للأسطورة وغموضها إلا أن الدارسين اتفقوا على الطابع الاعتقادي والإيماني لها، وكلّهم اتفقوا أنّها نتاج الزمن الغابر «فالأسطورة حكاية تروي عن الأزمنة التي كانت قبل بدء البدايات كلّها، وعن الأحداث التي مضى على حدوثها زمن غير معروف، وعن الآلهة والأبطال، وظهور السماء والأرض والبشر والوحوش، والنباتات والطيور، والحياة والموت»[4] أي، إن الأساطير هي تلك التي تحكي ما وقع في الزمان الأول ولكنّها «لا تروي أصل العالم والحيوان والنبات والإنسان فحسب وإنّما تروي أيضا جميع الأحداث البدئية»[5] وهذا يعني، إن الأساطير تخبرنا عن كلّ ما وقع في الزمن البدئي، فالأساطير إذن «تتعلق دائما بأحداث مضت: «قبل خلق العالم» أو «إبان العصور الأولى» وفي كل حال «منذ زمن طويل». لكن القيمة الجّوانيّة التي تُعزى للأسطورة إنّما تنشأ عن أن هذه الأحداث التي يفترض بها أن تكون قد حدثت في لحظة معينة من الزمان تشكل في الوقت نفسه بنية دائمة. وهذه البنية تتعلق بالماضي وبالحاضر وبالمستقبل في آن معا»[6] أي، إن أحداث الأساطير غير متوقفة على زمن واحد، بل هي مرتبطة بجميع الأزمنة .

1- أحمد ديب شعبو: في نقد الفكر الأسطوري والرمزي ــ أساطير ورموز وفولكلور في الفكر الإنساني ــ ط1، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، 2006، ص 15.

2 - André Jolles: Formes simples, traduit de L'allemand par: Antoine Marie Buguet, Édition de seuil, paris, France, 1972, p 08 .

3 - Mircea Eliade: Aspects du Mythe, Édition Gallimard, paris , France, 1963, p16.

4- م. ف ألبيديل: سحر الأساطير، ص22 .

5 – Mircea Eliade: Op. Cit, P 23 .

6- كلود ليفي ستروس: الإناسة البنيانيّة (الأنثروبولوجيا البنيوية)، تر: حسن قبيسي، ط1، ج1، المركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، 1995، ص229.

أما ميرسيا ايلياد فقد أضاف إلى الأسطورة صفة القدّاسة، فهو يرى أنّها: «قصة مقدّسة تروي حدثا وقع في الزمن البدئي، الزمن الأسطوري، وبعبارة أخرى، تروي لنا كيف جاءت حقيقة ما إلى الوجود بفضل كائنات عليا، لا فرق إن كانت هذه الحقائق كليّة كالكون أو جزئية كالجزيرة أو نوعا من النبات...»[1]، فالأساطير قصص مقدّسة في نظر أصحابها، فهم يؤمنون بها لأنّها ««كالتاريخ المقدّس» فهي إذن «تاريخ حقيقي» لأنّها ترجع دائما إلى «الحقائق»»[2].

والأسطورة هي «حكاية إله أو بطل خارق، تحاول أن تفسر بمنطق الإنسان الأول وبخياله ظواهر الحياة في عالم موحش، يثير دائما السؤال من أجل المعرفة ويقترح الجواب»[3] فشخصيات الأساطير آلهة أو أبطال خارقين، وهي «غالبا ما تكون كائنات غيبية، أو آباء أولين أو حيوانات طوطمية تفعل فعلها في الزمن الأولاني»[4]، وهي عند ميرسيا ايلياد «كائنات عليا خارقة نعرفها بما فعلته في الأزمنة المشهورة «زمن البدء»»[5] ويعني هذا، إن شخصيات الأساطير لا تتمثل فقط في الآلهة وإنّما تشمل أيضا الأبطال الخارقين «وقد اتخذت الأساطير شكلها بالتشخيص، أي جعل المظاهر الطبيعية أو الأشياء الجامدة أو الصفات والمجردات، تتخذ شكلا بشريا، فتضفى عليها السمات البشرية. هناك عامل آخر مشابه وهو الإنساني، فيعزى الشكل الإنساني والصفات والمفاهيم إلى إله، أو حيوان، أو نبات، أو شيء آخر. وعن طريق التأليه ارتفع الناس والتشخيصات التي شخصوها إلى مرتبة إله»[6] أي، إن الشخصيات ترتفع إلى مرتبة الآلهة من خلال تأليه النّاس لها «إذ كانت الأسطورة تقوم على ذكرى شخص أو حياة امرأة، ثم إن الشعوب ألهت ذلك الشخص وتلك المرأة، خوفا منهما أو تمجيدا لهما ولدى الفيلسوفين «بلوطين(Plotin)» و«بورفير(Porphyre)»، أنّ الآلهة كانت أمورا «تشخيصية» سواء أكانت مستقاة من القوى الطبيعية ومن عناصرها كالهواء والماء والشمس والرعد وغير

---

[1] - Mircea Eliade: Aspects du Mythe, P16 – 17.

[2] - Ibid, p 17.

[3]– أحمد كمال زكي: الأساطير، دراسة حضارية مقارنة، ط2، دار العودة للنشر، بيروت، لبنان، 1979، ص59.

[4]– جاك لومبار: مدخل إلى الاثنولوجيا، تر: حسن قبيسي، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، 1997، ص 294.

[5] - Mircea Eliade: Op. Cit, p 17.

[6]– ماكس شابيرو وورودا هندريكس: معجم الأساطير، تر: حنا عبود، ط3، دار علاء الدين للنشر والتوزيع، دمشق، سورية، 2008، ص 09 ــ 10.

ذلك»[1] ويُفهم من هذا القول، إن الآلهة كانت كائنات بشرية أُلهت ومُجدت نتيجة أعمالها الخارقة، فمجتمع الآلهة لا يختلف عن مجتمع البشر، إذ كلاهما يعرفان الخير والشّر.

وجاء في قاموس الأساطير الجزائرية أن الأسطورة هي «القصة التي تروى في شكل واقعي أو خيالي يصدقه الرّاوي أو لا يصدقه من أجل التأسيس لعقيدة أو عادة أو طقس أو كلّها معا. أو من أجل تبرير ضروب من السلوك والقيم وتفسير أصول الشعوب والجماعات والمؤسسات أو الظواهر الاجتماعية والطبيعية تفسيرا لا ينتمي إلى التفسير التاريخي أو العلمي كما نفهمه اليوم على أن تكون متواجدة في منطقة أو أكثر من مناطق القطر الجزائري»[2]. لا يخفى ما في هذا التعريف – حسب رأيّنا – من مبالغة ومن افتقار إلى الدقّة والتوضيح بقوله: «تروى بشكل واقعي أو خيالي يصدقه الراوي أو لا يصدقه». إنّ المتأمل في هذا القول يجد أنّه يضم شكلين أدبيين شعبيين هما: الأساطير والحكايات، فهو تعريف جامع للنوعين معا فكيف للقارئ أن يميز بينهما؟ وأنّى له أن يعرف بأنّه تعريف للأسطورة لا للحكايّة؟ إنّ وقوعهم في هذا الخلط هو الذي جعلهم يجمعون أثناء عملهم الميداني الأساطير والحكايات معا على الرغم من أن عنوان الكتاب هو: "قاموس الأساطير الجزائرية" وليس قاموس الأساطير والحكايات الجزائرية، وعليه فإنّنا نرى أن ذلك القول يمكن تقسيمه لإزالة اللّبس عنه كالتّالي:

واقعي ←——— الصدق ⇐═══ الأساطير

خيالي ←——— عدم الصدق ⇐═══ الحكايات

وعليه، فإنّه يمكن توضيح ذلك القول كالتالي: "تروى في شكل واقعي يصدقه الرّاوي" وهو الشيء الذي لاحظناه في الأساطير المحليّة أثناء جمع المادة الخام من الميدان.

استنادا إلى ما سبق، ونتيجة البحث الميداني الحيّ الذي عايشناه في مجتمع الدّراسة استطعنا الوصول إلى التعريف التّالي للأسطورة: هي قصة مقدّسة حقيقية يؤمن الرّواة بصدق أحداثها، إذ يرون بأنّها وقائع معظمها حدث في الزمن الغابر، وهي تقوم بتفسير وتعليل الظواهر المحيطة بالإنسان كالظواهر الطبيعية والاجتماعية وتبرير بعض الممارسات الشعائرية الطقسية.

---

[1]– زكي المحاسني: أساطير ملهمة، ص09.

[2]–عبد الرحمن بوزيدة وجمال معتوك وآخرون: قاموس الأساطير الجزائرية، د. ط، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر، 2005، ص14.

3 ــ الطقوس Les Rituels

إن «لفظة طقس "Rite" مشتقة من الكلمة اللاتينية "Ritus" وتعني العبادات والاحتفالات الدينية أو العادات والتقاليد والأعراف، وهذه المعاني المختلفة تتواجد داخل اللّهجات المتداولة المألوفة»[1] فالطقوس إذن تشمل كلّ الشعائر والاحتفالات الدينية ومختلف العادات والتقاليد المتعارف عليها.

إن مصطلح الطقس لا يختص بحقل معرفي واحد، فهو يشمل تقريبا كلّ الحقول المعرفية الإنسانية، ولهذا نجد أنّه من الصعب تحديد مفهومه، فهو متداول عند الاثنولوجيين وعلماء الاجتماع وعلماء النفس الاجتماعي وعلماء التحليل النفسي...[2] وقد جاء في قاموس الأنثروبولوجيا، إن الطقوس هي: «فعاليات، وأعمال تقليدية، لها في الأغلب، علاقة بالدين والسحر، يحدد العرف أسبابها، وأغراضها، والطقوس دائما مشتقة من حياة الشعب الذي يمارسها. ويعتقد البدائيون أن أداءها يرضي الآلهة والقوى فوق الطبيعية، والمعبودات، وعدمه يسبب غضبهم ويجلب نقمتهم. وتجري في الطقس فعاليات مختلفة، كالرقص، وتقريب القرابين ونحر الأضاحي، وأداء الصلوات، وترديد التراتيل»[3] وهذا يعني، إن الطقوس هي مجموعة من الأفعال يمارسها المجتمع قصد إرضاء القوى العليا.

ويقول لوك بنوى (Luc Benoist) عن الطقوس أنّها «حركات بسيطة أصبحت تصرفات ترتيبية تتألف من أناشيد وموسيقى وكلمات، تبرز مواقف طبيعية كانت في أوّل الأمر تصدر غريزيا في مناسبات مشابهة تستجيب لنفس الضرورات، إنّها حركات بدئية نقوم بها كلّ يوم ترافق أساليبنا في الحياة»[4] أي، إن الطقوس قد صدرت من قِبل الإنسان فطريا في بادئ الأمر وهي تتكون من الأفعال والكلمات والتعاويذ السحرية. فالطقس «لم يكن يتألف من الأفعال وحدها. لقد كانت الأفعال تترافق مع الكلمات المحكية، مع التراتيل، ومع التعاويذ التي كانت

---

[1] –Jean Maisonneuve: Les Rituels,1er édition, Universitaires de France, Paris, France, 1988, P 03.

[2] –Voir: Ibid, P 06.

[3] – شاكر مصطفى سليم: قاموس الأنثروبولوجيا، إنجليزي – عربي، ط1، جامعة الكويت، 1981، ص 824.

[4] – Luc Benoist: Signes, Symboles et Mythes, Dixième Édition, Universitaires de France, Paris, France, 2009, p 92.

فعاليتها السحرية جزءا جوهريا من الطقس»[1]، فالطقوس إذن تتكون من الأفعال والكلمات والتعاويذ السحرية، فهي تستعمل «في التصرفات السحرية والدينية، وفي بقية أنواع التصرفات التي تقرها العادات والتقاليد الاجتماعية السائدة في المجتمع»[2]، ويُفهم من هذا القول، إن الطقس يشمل كلّ ما يصدر عن المجتمع من تصرفات سحرية ودينية، فالطقوس «تمثل مجموعة من الممارسات المتعلقة بالمعتقدات السحرية أو الدينية وعادة ما يكون ذلك تحت وقع احتفالات ضخمة... وقد لفتت هذه الممارسات انتباه الدارسين الفرنسيين مثل: «كلود لفي ستروس ... » والدارسين الانجليزيين مثل: «جيمس فريزر...»[3].

والطقوس عند «علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية هي مجموعة حركات سلوكية متكررة يتفق عليها أبناء المجتمع وتكون على أنواع وأشكال مختلفة تتناسب والغاية التي دفعت الفاعل الاجتماعي أو الجماعي للقيام بها»[4] وهذا يعني، إن الطقوس عند الأنثروبولوجيين الاجتماعيين هي الحركات المتكررة التي يتفق عليها أفراد المجتمع، وقد ذكر فراس السوّاح ثلاثة أنواع من الطقوس، وهي[5]:

أ ــ الطقوس السحرية؛

ب ــ الطقوس الدينية الروتينية؛

ج ــ الطقوس الدورية الكبرى.

وما يهمنا من هذه الأنواع الثلاثة، هو الطقوس الدورية الكبرى لأنّها أكثر ارتباطا بالأساطير «فاستعادة زمن الأصل يقتضي بالنتيجة التكرار الطقوسي للعمل الخلاق للآلهة

---

[1]- صموئيل هنري هووك: منعطف المخيلة البشرية، بحث في الأساطير، تر: صبحي حديدي، ط3، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سورية، 2004، ص9 ــ 10.

[2]- دينكن ميتشل: معجم علم الاجتماع، تر: إحسان محمد الحسن، ط2، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1986، ص176.

[3] - Jean Maisonneuve: Les Rituels, p 06 – 07.

[4]- دينكن ميتشل: م. س، ص176.

[5]- فراس السوّاح: الأسطورة والمعنى – دراسات في الميثولوجيا والديانات المشرقية – ط1، دار علاء الدين للنشر، دمشق، سورية، 1997، ص130.

وإعادة التحيّين الدوري للأعمال الخالقة المنجزة من قبل الكائنات الإلهية في الزمن الأول تشكل التقويم المقدس»[1].

وقد قسم الكزاندر كراب الطقوس أيضا إلى ثلاثة أقسام هي[2]:

1 ــ الطقوس المتصلة بأيام وفصول معلومة من السنة الشمسية؛

2 ــ الطقوس التي تراعى في مناسبات محددة كالميلاد والزواج والوفاة؛

3 ــ طقوس خاصة بدفع الضرر والاحتراس.

ما يلاحظ على هذا التقسيم، إن الطقوس المتصلة بأيّام وفصول معلومة من السنة الشمسية هي نفسها الطقوس الدورية الكبرى، إذ كلاهما يتعلقان بالطقوس الفصلية السنوية المقدّسة.

وقد نمارس نحن اليوم «طقسا كان مقدّسا من قبل، فأصبح الآن دنيويا، رمز أصبح مجرد ممارسة لكنّه غالبا ما يكون خطرا على سلامتنا، أو بكلّ بساطة على سمعتنا إذا لم نمارسه»[3] ويعني هذا القول، إن الطقوس التي نمارسها في أيّامنا هذه أصبحت طقوسا دنيوية بعدما كانت طقوسا مقدّسة، فالطقوس لم تعد كما كانت من قبل، إذ بدأت في الانحسار «فقدت قوتها، الطقوس التي عاشت في الماضي كانت تبني حقيقة داخلية، أما الآن فقد تحولت إلى مجرد شكل. وهذا يصح في الطقوس الاجتماعية»[4] ولكنّها رغم ذلك فهي تؤثر في سمعة أفراد المجتمع إذا لم يمارسوها.

استنادا إلى ما سبق نقول، صحيح إن الطقوس في وقتنا الرّاهن بدأت في الانكماش والانحسار نتيجة طغيان العصرنة، لكنّها لا تزال عند بعض الفئة من الطقوس المقدّسة وهذا ما لاحظناه في الميدان، إذ صادفنا أن بعض الرواة المسنين يرفضون تغيّير أي جزء من

---

[1]- ميرسيا ايلياد: المقدّس والمدنّس، تر: عبد الهادي عبّاس، ط1، دار دمشق للطباعة والنشر والتوزيع، 1988، ص67.

[2]- الكزاندر هجرتي كراب: علم الفولكلور، ص417.

[3] - Luc Benoist: Signes, Symboles et Mythes, p 93.

[4]- جوزيف كامبل: قوة الأسطورة، تر: حسن صَقَر وميساء صقَر، ط1، دار الكلمة، دمشق، سورية، 1999، ص25 ــ 26.

الطقوس مهما كان بسيطا، ولا غرو في ذلك فحتى في بعض الدول الأسيوية مثل الصين القديمة «كان تعديل أي طقس مهما بلغ من بساطة يعتبر جريمة إذ يعاقب بشدة»[1] فالطقوس إذن لا تزال مقدّسة عند حامليها الحقيقيين.

4 ـ الاثنولوجية (النياسة): Ethnologie

تعتبر المناهج أحد الوسائل المهمة في البحث العلمي لا يمكن الاستغناء عنها، فأوّل ما يفكر فيه الباحث هو المنهج الذي سيتبعه لمعالجة موضوعه. إذ لا يمكن للباحث خوض غمار البحث دون التسلح بأحد المناهج التي يراها مناسبة لموضوعه من أجل الوصول إلى النتائج المتوخاة من البحث. والمنهج «هو مجموعة من الإجراءات والطرق الدقيقة المتبناة من أجل الوصول إلى نتيجة»[2].

وبما أن بحثنا عبارة عن دراسة ميدانية، فإنّنا اخترنا المنهج الايثنولوجي (النياسي) كأداة نستعين بها أثناء عملية التحليل. لكن قبل الحديث عن هذا المنهج نوّد أن نقف ولو قليلا عند المنهج الايثنوغرافي (الناسوتي)، لأن الحديث عن المنهج الاثنولوجي (النياسي) الذي هو مرحلة ثانية من البحث، يقتضي منا الحديث أوّلا عن المرحلة الأولى من البحث.

إن الايثنوغرافيا (الناسوت) «هو الجزء الوصفي من النياسة (Ethnos) قوم، ناس و Graphein : وَصَفَ) وهو يتخذّ في كثير من الأحيان صيغة الأدروسة (المونوغرافيا) التي تتناول جماعة مجتمعية معيّنة، أو مؤسسة تضمّ عدة جماعات (تقنيات، زواج، عبادة دينية...»[3] والناسوتي كما يقول كلود لفي ستروس «يتجاوب مع المراحل الأولى من البحث: المعاينة والوصف والعمل الميداني. والأدروسة التي تدور حول مجموعة محصورة النطاق بما يكفي لجعل الباحث قادرا على تجميع القسم الأعظم من معلوماته بناء على خبرته الشخصية، إنّها تشكل نمط الدراسة الناسوتية بالذات. ولا حاجة بنا إلا أن نضيف أن الناسوت يشتمل أيضا على المناهج والتقنيات المتصلة بالعمل الميداني من حيث تصفيف الظاهرات الثقافية المخصوصة

---

[1] - Luc Benoist: Signes, Symboles et Mythes, p 94.

[2]– موريس أنجرس: منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، تدريبات عملية، تر: بوزيد صحراوي وآخرون، ط2، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1980، ص36.

[3]– جاك لومبار: مدخل إلى الاثنولوجيا، ص12.

ووصفها وتحليلها»[1] ويُفهم من هذا الكلام، إن الدّراسة (الايثنوغرافية) الناسوتية هي المرحلة الأوّلى من البحث الميداني تسبق كلّ المرّاحل الأخرى، وفيها يقوم الباحث بوصف الظاهرة المدروسة.

ويرى دينكن ميتشل أن «الايثنوغرافي هو الدراسة الوصفية لطريقة وأسلوب الحياة لشعب من الشعوب أو مجتمع من المجتمعات. واصطلاح الاثنوغرافية في بريطانيا يعني البحوث الوصفية والتحليلية التي قام بها علماء الأنثروبولوجيا البريطانيون حول الشعوب والأقوام البدائية التي درسوها دراسة ميدانية»[2] أي، إن الاثنوغرافية هي الدّراسة الوصفية لحياة المجتمع «أي ملاحظة وتسجيل المادة الثقافية من الميدان، وهي تعني أيضا وصف أوجه النشاط الثقافي كما تبدو من خلال دراسة الوثائق التاريخية. ويعتقد «دياس» Dias أن مصطلح اثنوغرافيا قد ظهر في عام 1807 على يد «كامبل» Gample ليعني «وصف الشعوب»، وهذا هو المعنى العام للكلمة حتى في أيامنا هذه»[3] .

بعد هذا العرض الموجز لمصطلح الاثنوغرافيا (الناسوت)، سنتحدث عن مصطلح الاثنولوجيا (النياسة) الذي هو مرحلة ثانية من البحث.

إنّ «مصطلح إثنولوجي Ethnology، يتكون من شقين، الأولى Ethos ومعناها الشعوب، وهي كلمة يونانية قديمة، والشق الثاني كلمة Logy ومعناها علم، فالمصطلح معناه علم دراسة الشعوب»[4]. وقد أشتهر هذا المصطلح لأوّل مرة في سنة 1839 على يد إدوارد W. F. M. Edwards عندما أسس «الجمعية الاثنولوجيا الباريسية»، ثم تبعتها «الجمعية الاثنولوجيا الأمريكية» في سنة 1842، وفي لندن ظهرت «الجمعية الاثنولوجيا» فيها سنة 1843[5]. وإذا كانت الاثنوغرافيا (الناسوت) تهتم بالدّراسة الوصفية، فإنّ الاثنولوجيا (النياسة) تهتم بالتحليل والتفسير، فهي تقوم بتحليل المادة الوصفية الاثنوغرافية. ولقد عرفها هوبل

---

[1]- كلود ليفي ستروس: الإناسة البنيانيّة، ج1، ص375.

[2]- دينكن ميتشل: معجم علم الاجتماع، ص91.

[3]- ايكه هولتكرانس: قاموس مصطلحات الاثنولوجيا والفلكلور، ص15.

[4]- محمد حسن غامري: مقدمة في الأنثروبولوجيا العامة «علم الإنسان»، د. ط، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، د. ت، ص25.

[5]- ينظر: ايكه هولتكرانس: م. س، ص19.

Hobel بأنّها: «ذلك القسم من الأنثروبولوجيا المختص بتحليل المادة الثقافية وتفسيرها تفسيرا منهجيا»[1] ويعني هذا القول، إن الاثنولوجيا تقوم بتحليل وتفسير الظواهر الثقافية المتعدّدة.

ويرى كلود ليفي ستروس أن النياسة «تشكل بالنسبة للإناسة خطوة أولى على طريق الجمع والتوليف، وهي دون أن تستبعد المعاينة المباشرة تنحو نحو استخلاص نتائج واسعة النطاق بما يكفي»[2] ويعني هذا القول، إن الاثنولوجيا (النياسة) تسعى إلى تحقيق نتائج أوسع وهي «تبحث في ديناميكيات الثقافة، من حيث نمو وتغير الثقافات المختلفة، وكيف تتعامل هذه الثقافات مع الثقافات الأخرى بالإضافة إلى اهتمام علماء الاثنولوجيا بالتفاعل الذي يحدث بين المعتقدات المختلفة والممارسات داخل الثقافة وتأثير هذه المعتقدات والممارسات على الشخصيات الفردية»[3]، فالاثنولوجيا حسب هذا القول تبحث في مدى تطور الثقافات وتغيّرها.

وتهتم الاثنولوجيا أيضا إلى جانب تفسير وتحليل الظواهر الثقافية المختلفة وتغيّرها بالمقارنة أيضا، إذ يرى دياس Dias، إن الاثنولوجيا «تمثل الجانب العام المقارن والتفسيري من علم الإنسان»[4].

يستنتج من كلّ هذا، إن المنهج الايثنولوجي (النياسي) يقوم بعملية تفسير وتحليل المادة الاثنوغرافيا (الناسوتية) وملاحظة مدى تغيّرها مع مقارنتها بالظواهر الثقافية الأخرى وهذا ما سنحاول القيام به في بحثنا هذا، فبعد أن نصف المادة العلمية التي سنجمعها من الميدان سنقوم بتحليلها وتفسيرها وملاحظة التغيّرات التي طرأت عليها، مع مقارنتها أحيانا بظواهر ثقافية أخرى محليّة وعالمية كلّما دعت الحاجة إلى ذلك.

وما نريد التنويه إليه، إن اختيارنا للمنهج الاثنولوجي (النياسي) كأداة استراتيجية في التحليل، لا يعني أنّنا لا نستعين بالمنهج الأنتروبولوجي (الإناسي)* كلّما اقتضى الأمر ذلك

---

[1]– ايكه هولتكرانس: قاموس مصطلحات الاثنولوجيا والفلكلور، ص 18.

[2]– كلود ليفي ستروس: الإناسة البنيانيّة، ج1، ص375.

[3]– محمد حسن غامري: مقدمة في الأنثروبولوجيا العامة، ص26.

[4]– ايكه هولتكرانس: م. س ، ص18.

*- الأنثروبولوجيا (الإناسة): هي علم دراسة الإنسان، وهي المرحلة الأخيرة «من الجمع والتوليف تستند إلى النتائج التي توصّل إليها الناسوت والنياسة ترمي الإناسة إلى الإحاطة بمعرفة الإنسان معرفة إجمالية تشتمل على موضوعها بكل اتساعه التاريخي والجغرافي، وتتطلع إلى تكوين معرفة قابلة للتطبيق على التطور البشري بأسره، ولنقل منذ الأنسيّين الأوائل حتى الأعراق الحديثة... » كلود ليفي ستروس: م، س، ص376.

باعتبار أن المناهج الثلاثة: الاثنوغرافي (الناسوتي) والاثنولوجي (النياسي) والأنتروبولوجي (الإناسي) مناهج مترابطة متكاملة، وهذا ما أكدّه كلود ليفي ستروس إذ يقول في هذا الشأن إن: «الناسوت والنياسة والإناسة لا تشكل ثلاثة فروع معرفية مختلفة ولا ثلاثة تصورات مختلفة لنفس الدراسات، وإنّما تشكل في الواقع، ثلاثة مراحل أو ثلاثة أحايين من بحث أو حد بعينه. أما تفضيل واحدة من هذه الألفاظ الثلاثة فلا يعبّر إلا عن ايلاء انتباه مخصوص لنمط معين من أنماط البحث لا يسعه أن يستغني عن النمطين الآخرين على الإطلاق»[1] ويعني هذا القول، إنّ المناهج الثلاثة متكاملة مترابطة تتداخل فيما بينها، لا يمكن لأيّ منهج الاستغناء عن الآخر.

وما نريد الإشارة إليه، هو أننا سنستعمل في بحثنا هذا مصطلح الاثنولوجية بدل مصطلح النياسة، لا لإيماننا بأنّه المصطلح الأنسب، وإنّما لشيوعه أكثر لدى الباحثين والطلبة في الجامعة.

[1]– كلود ليفي ستروس: الإناسة البنيانية، ج1، ص377.

5 ـ التحقيق الاثنوغرافي (الناسوتي)

إن مجتمع البحث المختار للدّراسة، هو منطقة خراطة (بجاية)، بسبب انتمائنا إليها فالباحث «يخضع في اختياره للمنطقة التي سيجري عليها بحثه لانتمائه لذلك المجتمع أو معايشته له معايشة وثيقة كانت كفيلة بأن تخلق مثل هذا الاهتمام والحب لتراث هذا المجتمع (عن طريق العمل في هذا المجتمع مدة طويلة مثلا، أو الاحتكاك به طويلا لأي سبب آخر)»[1]، فالدّراسات الميدانية الجيّدة –حسب رأيّنا– هي تلك التي يقوم بها أبناء المنطقة أوّلا، ثم تأتي تلك الدّراسات التي يقوم بها الأفراد الذين عايشوا مجتمع البحث لفترة طويلة، بعد أن يكتسبوا ثقة أفراده ويكوِّنون علاقات وثيقة معهم، ولكي يكون «البحث مشروعا، ينبغي أن يقتصر على منطقة صغيرة ذات حدود واضحة المعالم بحيث لا تمتد المقارنات خارج المنطقة التي أختيرت كموضوع الدراسة»[2] فعندما يختار الباحث مجتمعا واحدا يعرفه، سيكون قادرا على الاتصال بأفراده أكثر من اختياره لمجتمع لا يعرف عنه إلا القليل، أو يجهله تماما، فعندما «يقتصر المرء في دراسته على مجتمع واحد فإنّه يستطيع القيام بعمل ثمين. وقد ثبت بالاختبار أن أفضل الأدروسات تمّت في الأغلب على يد محقّقين عاشوا أو اشتغلوا في منطقة واحدة»[3]، فاختيار منطقة واحدة للبحث إذن يجعل الدّراسة قيّمة. و«التخصص في دراسة عدد صغير من المجتمعات يعرف باسم «تقليد مالينوفسكي» ويتلخص في التخصص في مجتمع واحد أو ثلاثة مجتمعات على الأكثر بحيث يقضي العالم حيّاته كلّها في الكتابة عنهم وتحليل البناء الاجتماعي لكلّ منهم»[4].

ويتطلب جمع المادة العلمية الخام من الباحث أن يقضي «فترة زمنية قد تصل إلى العام يعيش خلالها في مجتمع ما، يلاحظ عادات النّاس وسلوكهم ويتحدث معهم، ومن خلال الملاحظة والمعايشة يقوم بوصف أشكال كثيرة من السلوك المألوف والتفكير للجماعة التي يدرسها»[5].

---

[1] – محمد الجوهري: علم الفولكلور، دراسة في الأنثروبولوجيا الثقافية، ج1، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1975، ص355.

[2] – كلود ليفي ستروس: الإناسة البنيانية، ج1، ص18.

[3] – م. ن، ص24.

[4] – عاطف وصفي: الأنثروبولوجيا الثقافية مع دراسة ميدانية للجالية اللبنانية الإسلامية بمدينة ديربورن الأمريكية، د.ط، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، بيروت، 1971، ص42.

[5] – محمد حسن غامري: مقدمة في الأنثروبولوجيا العامة، ص26.

فالدّراسة الميدانية تتطلب من الباحث الذوبان في مجتمع الدّراسة، أي عليه ألا يترك أيّ شيء يحجبه عن المجتمع، أو يبعده عنه، إذ عليه أن يتقرب منه قدر المستطاع وأن يكسب ثقة أفراده وأن يتعلم لغتهم وعاداتهم وتقاليدهم ويشاركهم في جميع أعمالهم، وجدير بالذكر أن الباحث في الميدان هو الذي يعتمد دائما على نفسه أوّلا، لأنّ الميدان يفاجئ الباحث دائما بأمور لم يضعها في الحسبان.

بعد اختيارنا لمجتمع البحث المتمثل في المجتمع الخراطي البجائي، حاولنا قدر المستطاع جمع المادة العلمية الميدانية، فكيف جمعناها يا ترى، ولاسيّما وأن أغلب رواة المنطقة لا يميزون بين الأساطير والحكايات؟

حاولنا في بداية العمل الميداني الاستماع إلى كلّ ما يرويه الرّاوي من حكايات وأساطير مختلفة، وبعد فترة زمنية اكتشفنا أن بعض الرّواة يميّزون بين النوعين من خلال طريقة سردهم. فالبعض منهم يفتتح روايته الأسطورية كالتّالي: "مَلاَّ تْژْرِيمْ أَتَّمْنَمْ أَدْنْحْكَى، مَلاَّ تْژْرِيمْ أُتَمْنْمَانِي أُدْنْحْكَانِي"، أي: "إذا رأيتم بأنّكم ستصدقون فسنحكي، وإذا رأيتم بأنّكم لن تصدقوا فلن نحكي". ما يلاحظ على هذا الاستهلال أنّه يتعلق بصدق الجمهور لما سيروى لهم أم لا؟ لهذا يردّ عليه الجمهور المستمع مباشرة "أَوَّاهْ أَنَمْنْ، حْكَادْ يــرْكْ" أي: "بلى سنصدق، احكي فقط" فالصدق شرط من شروط الرّاوي، فإذا أجابه المستمعون بأنّهم سيؤمنون بما يروى واصل الرّاوي كلامه وكلّه فرح، أمّا إذا سمع أحدهم يقول بأنّه مجرد خرافات وأوهام وأباطيل، فإنّه يتوقف مباشرة وملامح الغضب بادية على وجهه، فلا يواصل روايته الميثية.

وقد حاولنا في إحدى المرات أثناء جمع المادة من الميدان تكذيب إحدى الرّاويات فكانت ردّة فعلها قويّة إذ قالت: « مِي تْژْرِيضْ أُتَمْنْذْ أُولاَ، إِوَّاشْ إِثْقِيمْذْ ذَيِّي، ذْلْحْرَامْ فْلاَمْ شْتْوَاغْذْ لْحَالَة سبْحَانْ الله ڤـْلـْـچـِـيلْ نْتُورَّى! أَنِصْطْرْ رْبِّ زْكْسْ»[1] أي: «عندما رأيت بأنك لن تصدقي لماذا جلست هنا، حرام عليك أفسدت الجو، سبحان الله على جيل اليوم! فليسترنا الله منه»، وقد حاولنا تهدئتها، فأخبرناها بأنّنا كنا نمزح معها فقط، فلم تصدقنا، وطلبنا منها أن تواصل روايتها الأسطورية، فرفضت رفضا قاطعا قائلة لنا «نْحْكَادْ إِوِيَّي إِڤـْتَمْنْنْ يــرْكْ»، أي: «نروي للذين يؤمنون فقط»، وهذا إن دلّ على شيء، إنّما يدلّ على أن الأساطير مقدّسة صادقة عند حامليها

1– المخبرة: (؟): 75 سنة، مربية، أميّة، على الساعة الثامنة ليلا، يوم: 2011/03/12، قرية: "وافرة"، بلدية: "خراطة".

الحقيقيين، إلى درجة أن البعض منهم يقرأ ملامح الوجه، فبمجرد أن يلقي افتتاحيته المعروفة حتى يعرف ما في باطن قلوب المستمعين، لهذا نجد البعض منهم يتوقف عن الحكي في بعض الأحيان دون أن يسمع المستمعين يقولون بأنّ كلامه مجرد خرافات وأكاذيب أو ما شابه ذلك.

بعد ردّ الجمهور على الرّاوي بأنّهم سيصدقون، يطرح الرّاوي سؤالا عليهم مباشرة حول الظاهرة التي يريد روايتها لهم، فإن كانت الظاهرة مثلا تتعلق بالزلازل، كان السؤال كالتّالي: "أَمـْـكْ إِتْتْزْنْزِيلْ لْقَاعَى؟"، أي: "كيف تزلزل الأرض؟" فيرد عليه الجمهور المتلقي بأنّهم لا يعرفون "أَوَّاهْ، أَمـْـكْ إِتْتْزْنْزِيلْ؟" أي: "لا نعرف، فكيف تزلزل؟"*. من هنا يبدأ الرّاوي مسيرته الروائية الأسطورية والكلّ ينصت السمع، وكلّهم شوق لمعرفة الإجابة. وقد يحدث العكس، أي أن الجمهور المستمع هو الذي يسأل الرّاوي عن بعض الظواهر التي لفتت انتباهه فيجيبه الرّاوي بأسطورة تحمل الجواب في طياتها.

وقد كنا نجمع الأساطير والطقوس المصاحبة لها من مختلف فئات العمر، وقمنا بتحقيقات ميدانية عديدة ابتداء من شهر ديسمبر سنة 2010م إلى غاية أواخر شهر ديسمبر سنة 2011م إذ كلما سنحت لنا الفرصة إلا ونزلنا إلى الميدان للجمع والاستزادة والتحقيق أكثر. وقد كان بعضها معايشة حيّة للمجتمع كطقس استقبال الربيع الذي يمارس دوريا في المجتمع الخراطي والبعض الآخر منها تحت الطلب ولاسيّما الأساطير التي لم تعد تتداول في معظم القرى نتيجة التغيّر الاجتماعي، ولهذا فقد كنا نطلب من الرواة روايتها لنا. عسى وأن نعثر على أسطورة أو طقس يخدم الغرض والهدف الذي سطرناه في البحث.

ولعلّ الشيء الملفت للانتباه أثناء جمع المادة الأسطورية والطقوس المصاحبة لها من أفواه الرّواة، هو أن بعض الأساطير قصيرة قد تروى في سطرين أو ثلاثة أسطر، وهو الشيء نفسه الذي لاحظه رندل كلارك في أساطير المصريين إذ يقول: «وتتألف معظم أساطير المصريين الأولى من وقائع قصيرة يمكن أن تروى في جملتين وهي لا تمثل أحداثا مترابطة طويلة مثل الأساطير التي اكتشفت في حضارات سومر المعاصرة»[1].

---

* - ينظر هذه الافتتاحية في الملحق رقم: (01)، ص 244.

[1] - رندل كلارك: الرمز والأسطورة في مصر القديمة، تر: أحمد صليحة، د. ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1999، ص256.

الفصل الأوّل: الأساطير المحليّة والتغيّر الاجتماعي

المبحث الأوّل: تصنيف الأساطير

1 ـــ مميّزات الأساطير.

2 ـــ علاقة الأساطير بالحكايّة الخرافيّة العجيبة.

3 ـــ أنواع الأساطير.

4 ـــ الأساطير بين الواقع والوظيفة.

الفصل الأوّل: الأساطير المحليّة والتغيّر الاجتماعي

المبحث الأوّل: تصنيف الأساطير

لما فتح الإنسان عينيه، شاهد هذا الكون العظيم ونظامه البديع، فاهتدى بفطرته بأنّه لابد من قوى غيبية عليا وراءها، فأخذ يفسر ويعلل بمنطقه البسيط كيفية وجودها، فأرجع كلّ ما رآه إلى كائنات عليا تقوم بما لا يستطيع القيام به. فعندما كان العقل البشري عاجزا عن إيجاد تفسيرات عقلانية للظواهر الغامضة، استطاعت الأساطير بأنواعها المختلفة تقديم تفسيرات أوّلية لها، بما فيها أساطير منطقة "خراطة" إذ حاولت بدورها حلّ الألغاز العارمة المحيطة بها، وهي لا تزال إلى اليوم تستنبط تفسيرات وتعليلات تتلاءم وواقعها بمختلف أنواعها، فما هي إذن هذه الأنواع؟

قبل الحديث عن هذه الأنواع، نرى أنّه من البديهي تحديد خصائصها أو مميزاتها وعلاقتها بالحكايّة الخرافيّة العجيبة نظرا للتداخل والترابط الموجود بينهما.

1 ــ مميّزات الأساطير

تعدّ الخصائص إحدى السّمات الأسّاس، التي بها يتّم تميّيز الظواهر العلمية المتعدّدة عن بعضها البعض، فبوساطتها مثلا يتم فرز النص الأسطوري عن غيره من المأثورات الشعبيّة الأخرى، من هنا نتساءل: ما الشيء الذي يجعلنا نميّز الأسطورة من بين الرّكام الضخم الذي تركه الأجداد؟

حاول بعض الباحثين المتبحرين في ميدان الميثولوجيا كميرسيا إيلياد ذكر أهم المعايير التي تميّز الأساطير عن غيرها من المأثورات الفولكلورية الأخرى، نظرا للتداخل الموجود بينهما، وقد وصل إلى عدة نقاط نقتبس منها ما يلي[1]:

1 ــ الأسطورة قصة أفعال، قامت بها كائنات عليّا؛

2 ــ هذه القصة حقيقية على الإطلاق (لأنّها تروي الحقيقة) ومقدّسة (لأنّها من فعل الكائنات العليا)؛

[1]- Mircea Eliade: Aspects du Mythe, p 32.

3 ــ تتعلق الأسطورة دائما بخلق (Création) أشياء جديدة، فهي تروي لنا كيف جاء شيء ما إلى الوجود، وكيف وضعت قواعد لتصرف مؤسسة معينة، أو طريقة ما لأداء عمل وهذا الخلق هو الذي يجعل الأساطير نموذجا خلقيا مثاليا لكلّ فعل إنساني يحمل معنى؛

4 ــ إن تعريف الأسطورة هو تعريف لأصل (Origine) الأشياء، وتبعا لذلك نصل إلى السيطرة عليها والتحكم بها حسب إرادتنا... وهذه المعرفة يمكن أن تعاش طقسيا، إمّا برواية الأسطورة في المراسيم الدينية الاحتفالية، أو بإجراء الطقوس التي تعطيها التبرير. (مثل طقس الاستسقاء "أَنْزَارْ" واستقبال "الربيع" «شَوْرْپِــيعْ» في منطقة الدّراسة).

كما حاول أيضا الباحث فراس السوّاح أن يذكر لنا بعض الخصائص منها [1]:

1 ــ الأسطورة من حيث الشّكل، هي أسطورة قصة بالمعنى السّردي للكلمة ــ حبكة وعقدة وشخصيات ــ تتداول في المناسبات الطقسية؛

2 ــ الأسطورة مجهولة المؤلف، فهي نتاج الخيال الجماعي لا الخيال الفردي، فهي لا تنال أسطوريتها إلا إذا اعتقدت فيها الجماعة؛

3 ــ تتسّم مواضيع الأساطير بالجديّة والشمولية مثل: التكوين والأصول والموت والعالم الآخر... وهي تعالج مسائلها عن طريق الرموز والعواطف والخيال اللاّمحدود، عكس الفلسفة التي تلجأ إلى العقل؛

4 ــ تجري أحداث الأسطورة في زمن مقدّس، ورغم ذلك فإن مضامينها أكثر صدقا وحقيقة بالنسبة للمؤمن بها من المضامين التاريخية؛

5 ــ تعمل الأسطورة على توضيح معتقدات الدين، وتدخل في صلب طقوسه وتتحول إلى حكايّة دينية شبيهة بالأسطورة إذا انهار نظامها الديني؛

6 ــ تتمتع الأسطورة بقدّسية وبسلطة عظيمة على عقول النّاس، فهم يؤمنون بها مثلما نؤمن نحن اليوم بالعلم؛

---

[1]– فراس السوّاح: الأسطورة والمعنى، ص12 ــ 13 ــ 14.

تتطابق هذه الخصّائص المذكورة نوعا ما مع أساطير مجتمع البحث. ويمكن لنا أن نضيف إلى هذه الخصائص ما لاحظناه في الميدان أثناء جمع المادة الخام من أفواه حامليها الحقيقيين:

1 ــ تقوم الأساطير بتفسير وتعليل إحدى الظواهر المحيط بالإنسان، فهي إذن تحاول إيجاد تبريرات مختلفة للظواهر التي تؤرقه؛

2ــ تُفتتح أغلب الأساطير في المنطقة بسؤال، وتُختتم بإجابة عنه أي: سؤال ←—— سرد ←—— جواب، وقد يتخلّله مغزى وعبر، لأنّه «عندما يتبدى الكون بشكله أمام الإنسان عن طريق السؤال والجواب، فإنّ شكلا ما سيظهر، وهذا الشّكل نسميه أسطورة»[1].

---

[1] –André Jolles: Formes simples, p 81.

2 ـ علاقة الأساطير بالحكايّة الخرافيّة العجيبة

تعتبر الحكايات الخرافيّة العجيبة من الحكايات الأكثر شبها بالأساطير، وهذا ما جعل الكثير من الباحثين لا يميزون بين النوعين «وكان من نتيجة هذا التصور أن خلط الباحثون بين الأسطورة والخرافة، ومالوا إلى الاعتقاد بأن الآلهة التي تظهر في الأساطير عادة تتحوّل في الحكايات الخرافية إلى مجموعة من الكيانات الأرضية الخارقة. منها على سبيل المثال الغول والجن والسعلاة»[1] وهذا يعني، إن الآلهة التي تظهر في الأساطير قد تتحوّل في الحكايّة الخرافيّة إلى كائنات خيالية خارقة كالسعلاة والجن وهلمّ جرّا.

إنّ التمييز بين الأساطير والحكايات الخرافيّة في غاية الصعوبة، فالحدود «بين الخرافات والأسطورة ليست دائما على ما نشتهي من الوضوح. وقد يشبه بعض الخرافات الأساطير في الشّكل والمضمون إلى درجة تثير الالتباس والحيرة»[2] أي أنّنا قد نصادف بعض الحكايات الخرافيّة التي تشبه الأساطير من حيث الشّكل والمضمون، فالموضوعات تتشابه في جميع الأشكال الفولكلورية، ذلك أنّ «الحكاية الشعبية والخرافية وأسطورة الآلهة وحكاية البطولة تتألف في عمومها من نفس الموضوعات. ومن ثم فإن الفرق بين الأنواع المختلفة للرواية الشعبية لا يتمثل في الموضوع ذاته، فلا يحق لنا أن نتحدث عن موضوعات الحكاية الشعبية وموضوعات الحكاية الخرافية وهكذا»[3] ويعني هذا القول، إن اعتماد معيار الموضوعات كأساس للتميّيز بين النوعين غير ممكن، لتشابه الموضوعات في الأشكال التعبيريّة الشعبيّة.

ويرى ايكه هولتكرانس أنّ التميّيز بين النوعين يتم بوساطة التاريخ، فالأسطورة تشير «إلى شيء ممكن تاريخيا وإن كان مستبعدا، في حين أنّ الخرافة – أو الخرافة الروائية– تشير إلى شيء مستحيل وإن اعتقد البعض بصحته وجواز حدوثه. ويمثل هذا التمييز وجهة نظر الأنثروبولوجيا والاجتماعية»[4] ويعني هذا الكلام، إن الأسطورة أقرب إلى التاريخ، فهي تحتوي على بعض الحقائق التاريخية، عكس الحكايّة الخرافيّة التى تروّي حوادث بعيدة عنها بل مستحيلة. و«قد يقال كذلك أن الحكاية الخرافية هي الأقدم وأنّها انتقلت فيما بعد إلى شخوص

---

[1]– أحمد كمال زكي: الأساطير دراسة حضارية مقارنة، ص62.

[2]– فراس السوّاح: الأسطورة والمعنى، ص15.

[3]– فون ديرلاين: الحكاية الخرافية، ص139.

[4]– ايكه هولتكرانس: قاموس مصطلحات الاثنولوجيا والفولكلور، ص 42.

إلهية أو نصف إلهية، وبذلك أصبحت أسطورة آلهة على أن العكس كذلك يمكن أن يطرأ على الذهن، ويمثّل هذا الرأي بعينه «الأخوان جرم» فأسطورة الآلهة في رأيّهما هي الأصل، ومع فقدان العقيدة خلعت أسطورة الآلهة عنها مضمونها الديني وصارت حكاية خرافية»[1] أي، إنّ معيار الأقدميّة لا يمكن اعتماده أيضا، إذ هناك اختلاف بين العلماء في أيّهما أقدم من الآخر ذلك «أنّ الأساطير والحكايات تتوجد، في أيّامنا هذه، جنبا إلى جنب: وبالتّالي فلا يمكن اعتبار أحد النوعين بمثابة الرّاسب المتبقّي من الآخر... فالعلاقة بينهما ليست علاقة السابق باللّاحق، أو علاقة البدائي بالمتفرع عنه، بل هي على الأرجح علاقة تكامليّة»[2] أي، لا يمكن الحكم بأسبقية الأسطورة على الحكايات ولا على العكس، ولاسيّما أنّهما تتواجدان معا داخل المجتمع في وقتنا الرّاهن.

وقد نظر كلود لفي ستروس إلى الأساطير من خلال التّضاد، يقول في هذا الشأن: «أنّ الحكايات مبنّية على تضادّات أضعف من تلك التي نجدها في الأساطير: فهي ليست تضادّات كونيّة أو ما ورائية أو طبيعية، كما هي الحال في الأساطير، بل يغلب عليها الطابع المحلي أو المجتمعي أو الأخلاقي»[3]. ويفهم من هذا القول، إنّ تضادّات الأساطير أقوى من تضادّات الحكايات، وهي مختلفة عنها، فهي تضادّات كونية عكس تضادّات الحكايات التي هي تضادات محليّة. لكن ألا يمكن أن تكون التضادّات متشابهة بين النوعين؟ يستدرك كلود لفي ستروس ما قاله سابقا، فيقول: «فالحكايات ما هي إلا أساطير مصغّرة توجد فيها المتضادّات نفسها وقد جرى نقلّها إلى صعيد مبسطّ»[4]، فاعتماد عنصر التضاد إذن غير كاف للتميّيز بين النوعين.

وميّز فراس السوّاح بين الأساطير والخرافات انطلاقا من معيار القدّاسة، يقول في هذا الصدد: «الأسطورة هي حكاية مقدسة يؤمن أهل الثقافة التي أنتجتها بصدق روايتها إيمانا لا يتزعزع... أما الخرافة، فإن راويها ومستمعيها على حد سواء يعرفان منذ البداية إنّها تقص أحداثا لا تلزم أحدا بتصديقها أو الإيمان برسالتها»[5] أي، إن الأساطير مقدّسة عند أهلها، عكس

---

[1]– فون ديرلاين: الحكاية الخرافية، ص153.

[2]– كلود ليفي ستروس: الإناسة البنيانّية (الأنثروبولوجيا البنيوية)، تر: حسن قبيسي، د. ط، ج2، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، 1990، ص120.

[3]– م. ن، ص118.

[4]– م. ن، ص 120.

[5]– فراس السوّاح: الأسطورة والمعنى، ص 15 ــ 16.

الحكايّة الخرافيّة التي «تتميز عن الأسطورة بأنّها ليست محل اعتقاد من أي كان، لا من الذي يقصها ويرويها ولا من الذي ينصت إليها»[1]. فالأساطير يُعتقد بحوادثها، عكس الحكايّة الخرافيّة فالرّاوي والمستمع لا يعتقدان بحوادثها، والشيء نفسه لاحظناه عند بعض الرواة في مجتمع البحث. أي يمكن التمييّز بينهما على النحو التّالي:

الأساطير ←**وجود** القدّاسة والاعتقاد

الحكايّة الخرافيّة← **زوال** القدّاسة والاعتقاد

لكن الشيء الملفت للانتباه هو أن صفة القدّاسة غير دائمة أيضا تتغيّر بتغيّر المجتمع كما أن «صلة القربى التي تربط بين الأسطورة والخرافة، تخلق بينهما حالة تبادل. فقد يلتقط الكهنة، في فترات ضعف المؤسسة الدينية وانهيار المعتقدات الراسخة، حكايّة خرافيّة ويحمّلونها مضامين دينية ويضفون عليها طابع القداسة. وبالمقابل فقد تؤدي تغييرات عميقة في بنية المعتقدات الدينية إلى زوال القداسة عن أسطورة ما وهبوطها إلى مستوى الخرافة»[2] وهذا يعني إنّ الحكايّة الخرافيّة قد تتحوّل إلى أسطورة إذا ما أضيف إليها الطابع الديني المقدّس، وأن الأساطير قد تتحوّل إلى حكايات خرافيّة إذا زال عنها ذلك العنصر المقدّس، أي:

زوال القدّاسة الدينية من **الأسطورة** ←حكايّة خرافيّة

تحوّل القدّاسة إلى الحكايّة **الخرافيّة**← أسطورة.

يبيّن لنا هذا التوضيح مدى التداخل والترابط الموجود بين الأساطير والحكايات إذ «إن الأسطورة قد تتطور فتنتقل من مجال المقدس إلى مجال الّلامقدّس فتصبح مجرد مثل يضرب أو خرافة أو قصة شعبية أو حتى مجرد قالب لغوي ينطوي على قصة»[3] كما «أنّ الباحث في الأسطوريات يكاد يلاحظ أنّ القصص نفسها والشخصيات نفسها والبواعث نفسها تتوجد في

---

[1]– محمّد عجينة: موسوعة أساطير العرب عن الجاهليّة ودلالاتها، ط1، ج1، دار الفارابي، العربية محمد علي حامي للنشر والتوزيع، بيروت، تونس، 1994، ص19.

[2]– فراس السوّاح: الأسطورة والمعنى، ص16.

[3]– محمّد عجينة: موسوعة أساطير العرب عن الجاهليّة ودلالاتها، ط1، ج2، دار الفارابي، العربية محمد علي حامي للنشر والتوزيع، بيروت، تونس، 1994، ص211.

أساطير قوم من الأقوام وفي حكاياتهم على السواء، سواء تبّدل شكلها أو ظل واحدا»[1] ويعني هذا القول، إن اعتماد الشخصيات في التصنيف غير دقيق، فالشخصيات الموجودة في الأساطير قد نجدها نفسها في الحكايات.

ويرى كلود لفي ستروس في هذه القضية الشائكة، أنّه لا جدوى من فصل الأساطير عن الحكايات، يقول في هذا المضمار «إذ ليس ثمة من داع جدّي لفصل الحكايات عن الأساطير رغم أنّ هناك عددا كبيرا من المجتمعات التي تلحظ فرقا ذاتيا بين هذين النوعين... فمن الملاحظ أنّ بعض القصص التي تتّخذ طابع الحكايات في مجتمع معين، تعتبر أساطير في مجتمع آخر والعكس بالعكس»[2] أي رغم أنّ بعض المجتمعات ترى فرقا بين هذين النوعين إلا أنّه من الصعب الفصل بينهما، فما أُعتبر أسطورة عند مجتمع ما قد يُعتبر حكاية عند مجتمع آخر والعكس صحيح.

والملاحظة ذاتها نجدها عند ميرسيا إيلياد، إذ يرى أنّه غالبا ما تكون الأساطير مختلطة بالحكايات، فما أُعتبر أسطورة في قبيلة ما، ما هو إلا حكايّة في القبيلة المجاورة لها، فإذا كانت الآلهة لم تعد تظهر في الحكايات بطريقة صريحة مباشرة، فإنّها لا تزال تظهر فيها بطريقة ضمنية تلميحية تحتفظ بوظائفها[3].

ولعلّ الشيء الملفت للانتباه أثناء مقابلة بعض الرواة في المنطقة هو أنّ الأسطورة والحكايّة لا تتبادلان المواقع باختلاف المجتمع فحسب، بل يمتد هذا الاختلاف والاختلاط ليمس الرّاوي نفسه، فأحيانا يسرد قصة لها طابع حكائيّ خرافيّ، وأحيانا أخرى وفي نفس الزمن والمكان يصبغها بالطابع الأسطوري أو العكس، نتيجة نسيانه لبعض التفاصيل الرئيسية في الرواية الأولى وتذكرها أثناء إعادة روايتها من جديد، أي نتيجة إعادة السرد بما يحمله من إضافات وتعديلات وتغيّرات، وهذا ما لاحظناه في الميدان عند إحدى الرّاويات إذ بعد إنهائها من رواية الحكاية طلبنا منها إعادة سردها في السيّاق نفسه وفي الزمان ذاته سردتها لنا مُقنّعة بالطابع الأسطوري، بحجة أنّها نسيت بعض التفاصيل في الرواية الأولى. أضف إلى ذلك أن للسن والجنس دورا مهما في قضية التداخل بين الأساطير والحكايات، فما أُعتبر أسطورة عند

[1]– كلود لفي ستروس: الإناسة البنيانيّة، ج2، ص118.

[2]– م. ن، ص. ن.

[3] - Voir: Mircea Eliade: Aspects du mythe, p 244 -245 .

الكبار هو مجرد خرافة عند الصغار، وما هو أسطورة عند النساء هو خرافة عند الرجال والعكس صحيح، ناهيك عن دخول السيّاق والمقام. من هنا تتأتى صعوبة الفصل بين الأسطورة والحكايّة.

ويليق بنا في هذا المقام، أن نقف ولو قليلا عند أساطير مجتمع الدّراسة، وكيفية تميّز رواتها بين النوعين، فهل يميّز رواة المنطقة بين الأساطير والحكايات؟

الشيء الذي لفت انتباهنا أثناء جمع مدونة البحث من رواة المنطقة، هو أن بعض الرواة يميزون بين الشكلين الشعبيين ضمنيا لا شعوريا، فإذا ما طرحت عليهم سؤالا مباشرا عن كيفية تمييزهم بين النوعين كانت إجابتهم طبعا بأنّهم لا يعرفون. لكن إذا دققنا النظر في رواياتهم أثناء عملية السرد، فإنّنا نفهم من كلامهم التلميحي الضمني بأنّهم يميزون نوعا ما بين الأساطير والحكايات، وما الافتتاحية التي يبدأ بها بعض الرواة المسنين إلا خير دليل على ذلك. فالأسطورة في نظرهم حقيقية عكس الحكايّة الخرافيّة الشعبيّة، كما أن الأساطير- في نظرنا- تحاول إيجاد تفسيرات وتبريرات للظواهر المحيطة، والأهم من ذلك أنّها تبحث في أصول الأشياء عكس الحكايات الخرافية الشعبيّة.

وإذا كان بعض الرواة في المنطقة يميزون بين النوعين تمييزا ضمنيا، فإن البعض الآخر منهم لا يميزون بينهما، فهم ينظرون إلى الموروثين بالمعنى نفسه.

فالتمييز إذن بين النوعين في غاية الصعوبة ينطلق من أسس كثيرة - كما رأينا- كمراعاة السيّاق والثقافة المنتجة والمقام والشكل والمضمون والصدق والشخصيات والسن والجنس وهلم جرّا.

يتبيّن لنا من كلّ هذا مدى التداخل والترابط الموجود بين الأساطير والحكايات، ويرجع ذلك إلى أن المأثورات الثقافية الشعبيّة شفويّة موجودة في أذهان الرواة من الصعب الوصول إليها والتحكم فيها بالدّقة، ومن ثم صعوبة إعطاء المعايير الدقيقة التي تميّز الأساطير عن الحكايات. فالمصادر التي يتعامل معها الباحث في الفلكلور الشعبي هي أوّلا وقبل كلّ شيء مصادر بيئية طبيعية شفويّة تختلف من مجتمع لآخر بل من راوٍ لآخر.

3 ـ أنواع الأساطير

من الصعب تصنيف الأساطير لتداخل الوظائف والموضوعات وتكرارها داخل كلّ نوع وقد حاول بعض الباحثين تصنيف الأساطير إلى أنواع عديدة، ولا بأس بنا في هذا المقام أن نذكر ما وقع بين أيدينا من التصنيفات التي قام بها الباحثون الغربيون، وأنماط الأساطير عند العرب، لنذكر بعدها أنواع الأساطير المحليّة.

اختلفت المعايير المعتمدة في تصنيف الأساطير باختلاف الباحثين، فمنهم من اعتمد على الوظائف، ومنهم من اعتمد على الموضوعات... فنجد مثلا أنّ صموئيل هنري هووك قد اعتمد في تصنيفه للأساطير على الوظائف، وقد قسمها إلى خمسة أنماط وهي: أسطورة الطقس وأسطورة الأصل وأسطورة العبادة وأسطورة الصيت وأسطورة البعث[1]. ما يلفت النظر في هذا التصنيف هو أنّ وظيفة العبادة موجودة في الأنواع الأخرى أيضا، فأسطورة الطقوس مثلا كانت تمارس أيضا في المعابد، إذ يقول هو بنفسه: «كانت تلك النشاطات تنفذ وتمارس من قبل هيئات ضخمة من الكهنة في المعابد»[2] فممارسة الطقوس إذن في المعابد من قِبل الكهنة دليل على أنّها تحتوي على وظيفة العبادة، فميزة الأساطير إذن في نظر أصحابها هي الاعتقاد ومن ثم العبادة.

أما مؤرخ الأديان ميرسيا إيلياد، فقد تحدث عن نوعين من الأساطير هما: أساطير اسكاتولوجيا (Eschatologie) وأساطير كوسموغونيا (Cosmogonie)، الأولى تتحدث عن نهاية العالم، أي كيف دُمر العالم وقضى على البشرية كالطوفان والهزات الأرضية والحرائق والثانية تتحدث عن ولادة الكون، أي عن معرفة الأصول وهلم جرّا[3].

والتصنيف ذاته تقريبا نجده في القاموس الفرنسي "لاروس"، إذ صنف الأساطير إلى ثلاثة أنواع هي[4]:

1ـ أساطير تيوجونيا (Théogonie): وهي التي تحكي عن أصل المعبودات (الإله)؛

---

[1]- ينظر: صموئيل هنري هووك: منعطف المخيلة البشرية، ص09 ـ 14.

[2]- م. ن، ص09.

[3] -Voir: Mircea Eliade: Aspects du mythe, p 74 - 99.

[4]– Larousse: Le Grand Larousse illustre, dictionnaire Encyclopédique, Volume 01, 2005, p 1683.

2ـ أساطير كوسموغونيا (Cosmogonie): وهي التي تروي عن ولادة الكون؛

3ـ أساطير اسكاتولوجيا (Eschatologie): وهي التي تكشف وتشرح مصير الإنسان بعد الموت.

ويشبه هذا التصنيف أيضا تصنيف م. ف ألبيديل الذي صنف الأساطير أيضا إلى ثلاثة أنواع هي[1]:

1ـ الأساطير الكوسموغونية: (أساطير نشوء العالم) وقد أطلق عليها اسم الأساطير الشمسية؛

2ـ الأساطير الايسخاتولوجية: (الأخرويّة، أساطير نهاية الكون)؛

3ـ أساطير التقويم السّنوي: (هي الأساطير التي تكون في الوسط بين أساطير النشوء وأساطير النهاية، وهي تعدّ بمثابة تجديد دوري منتظم للطبيعة).

أما فيما يتعلق بمحاولات العرب في تصنيف هذا النوع الأدبي الشعبي، فنجد محاولات مصطفى علي الجوزو، إذ صنف الأساطير العربية إلى تسعة أنواع وهي: أساطير نشوئية وكونية وأساطير أخروية وأساطير لاهوتية وأساطير النبوة والكهانة وأساطير خلقية وأساطير حربية وأساطير الحبّ وأساطير الغناء وأساطير الأولياء[2]، و لعلّ الشّيء الملفت للانتباه في هذا التصنيف، إنّ الأساطير الخلقية التي قال عنها بأنّها «تصور صراع الخير والشّر وتصف كثيرا من العادات»[3] موجودة في الأنواع الأخرى التي ذكرها كأساطير الحرب مثلا، فالحرب صراع بين الخير والشّر، بين الظالم والمظلوم، كما أنّ الأساطير اللاّهوتية تقوم بوصف العادات الوثنية. فالأساطير الخلقية إذن ليست هي فقط من يقوم بوصف العادات، كما أنّنا نرى أنّ أساطير الحّب والغناء يمكن إدراجهما ضمن نمط واحد.

---

[1]- ينظر: م. ف. ألبيديل: سحر الأساطير، ص 26.

[2]- ينظر: مصطفى علي الجوزو: من الأساطير العربية والخرافات، ط2، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1980، ص54.

[3]- م. ن، ص. ن.

وقسم أحمد كمال زكي الأساطير إلى أنواع أيضا وهي: الأسطورة الطقوسية والأسطورة التعليليّة والأسطورة الرمزيّة والأسطورة التاريخسطورة[1]، وهو يرى أنّ هذه الأنواع دائمة التداخل، لهذا أعاد تقسيمها على أساس نوع الحكايّة، وليس على أساس طبيعة الأسطورة منها: حكايّات الشعائر والطقوس وحكايّات التاريخ الأسطوري والحكايات الرمزية وحكايّة الآلهة الكبرى والحكايّات الخرافية Fables[2]. ما يلاحظ على هذا التصنيف، إنّ فيه نوعا من المزج بين الحكايات والأساطير، إذ يُفهم من كلامه هذا أنّ الأساطير هي الحكايات نفسها.

أما قسم الدّراسات والبحوث في جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية، فقد صنفوا الأساطير حسب الوظائف إلى أربعة أنواع وهي: الأساطير التعليمية والأساطير الوعظية والأساطير العلمية وأساطير الأبطال[3]. ولعلّ الشيء الذي نلحظه في هذا التصنيف الذي يعتمد أساسا على الوظيفة، أنّه تصنيف غير دقيق، فالأساطير التعليمية والأساطير الوعظية يمكن – حسب رأيّنا– إدراجهما ضمن نمط واحد، ذلك أنّ الفرق بين التعليم والوعظ ليس فرقا جوهريا، فأسطورة "آرخني وباللاس"[4] التي صنفوها ضمن الأساطير الوعظية، هي أسطورة تعليمية أيضا، فهي تعلم الإنسان التواضع وعدم التكبر على الخالق، وعلى من هو أعلى وأكبر منّا، كما أن أسطورة "جلجامش" التي صُنفت ضمن أساطير الأبطال، أليست هي أسطورة تعليمية وعظية، تعلم معنى الصداقة – صداقة جلجامش مع أنجيدو– وتبيّن للإنسان ما له وما عليه؟ وهم أنفسهم قد صنفوها مرة ضمن الأساطير الوعظية، ومرة أخرى ضمن أساطير الأبطال[5]، فلماذا هذا التناقض في التصنيف؟

يتبيّن لنا إذن أنّ اعتماد الوظيفة في التصنيف كمعيار أساسٍ غير كاف، لتداخل الوظائف فيما بينها وإمكان تصنيف الأسطورة الواحدة في عدة وظائف.

أما نبيلة إبراهيم فقد صنفت أساطير الآداب الأخرى لا أساطير العرب، تقول في هذا الشأن: «لما كان من الصعب أن نقدم نماذج للأسطورة من الأدب العربي، حيث إنّ ما وصل

---

[1]– ينظر: أحمد كمال زكي: الأساطير دراسة حضارية مقارنة، ص46.

[2]– م. ن، ص52.

[3]– ينظر: قسم الدراسات والبحوث في جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية: الأسطورة توثيق حضاري، ط1، دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سورية، 2009، ص 50 ــ 82.

[4]– ينظر: م. ن، ص 65 ــ 66.

[5]– ينظر: م. ن، ص 62 ــ 78.

إلينا من هذا الأدب هو في معظمه أجزاء من أساطير وليس أساطير مكتملة... فلا مفر إذن من تقدّيم هذه النماذج من الآداب الأخرى»[1] إذ كان الأولى بها أن تصنف أساطير العرب حتى وإن لم يصلنا منها إلا أجزاء – كما تقول– كما أنّه قد وُجدت أساطير كثيرة لدى المصريين القدامى إذ كان بإمكانها القيام بتصنيفها. وقد صنفت الأساطير إلى خمسة أنواع وهي: الأسطورة الكونية (الطقوسية) والأسطورة التعليلية والأسطورة الحضارية والأسطورة الرمزية وأسطورة البطل المؤله[2]. والشيء الملاحظ أنّها تستخدم مصطلح ملحمة أو أسطورة في الوقت ذاته، ففي حديثها مثلا عن أسطورة البطل المؤله "جلجامش" تشير في كثير من الأحيان إلى مصطلح "الملحمة"[3].

بعد هذا العرض الموجز لأنماط الأساطير، سنحاول تصنيف المدونة التي جمعناها من مجتمع الدّراسة، ولا يمكن لنا أن نحيط بجميع أنواع الأساطير، فهو عمل صعب المنال يتطلب عملا جماعيا يقوم بمسح التراث الجزائري الأسطوري من جميع المناطق، ورغم ذلك فقد حاولنا جمع أكبر عدد ممكن من الأساطير في مجتمع البحث، وحاولنا تصنيفها معتمدين على الميدان أوّلا، ثم على الموضوعات الغالبة فيها، مع الاستعانة ببعض التصنيفات الأخرى.

أ/ أساطير الخلق (الكون)

يسمي ميرسيا ايلياد أساطير ولادة الكون (نشأة الكون) بالأساطير الكوسموغونية – كما رأيّنا ذلك سابقا– وهي النموذج المثالي لكلّ "خلق" (Création) والنموذج المثالي لكلّ "فعل" (Faire)، لأنّه عمل إلهي مقدّس في بنيته[4]. أي إنّ هذا النوع من الأساطير يعدّ من الأساطير النموذجية المثالية، لأنّها تقوم بتكرار الأفعال التي قامت بها الآلهة في الزمن الأوّل، وهو يرى أنّ «أساطير الأصول (Les Mythes D'origine) امتداد واستكمال لأساطير الكوسموغونية ((Le mythe Cosmogonique)»[5]. ويُفهم من هذا الكلام، إنّ أساطير الأصول لا تختلف عن أساطير ولادة الكون.

[1]– نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ط3، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، د. ت، ص23.

[2]– ينظر: م. ن، ص 23 ـ 28 ـ 29 ـ 38 ـ 40.

[3] – ينظر: م. ن، ص 40.

[4] - Voir: Mircea Eliade: Aspects du Mythe, p 45-48

[5] - Ibid, 36.

ويحاول هذا النوع من الأساطير «توضيح بدء الحياة وما مرت به من مراحل حتى اكتملت في النبات والإنسان والحيوان»[1] أي، إنّ هذا النوع من الأساطير يتحدث عن بدء الكون عن الإنسان والحيوان والنبات، وقد وصلتنا من العرب أساطير كثيرة تتحدث عن خلق الكون منها ما قاله النويري أنّ الأرض «كانت على ماء، والماء على صخرة، والصخرة على سنام ثور، والثور على كمكم، والكمكم على ظهر حوت، والحوت على الماء، والماء على الريح والريح على حجاب ظلمة، والظلمة على الثرّى، وإلى الثرّى انقطع علم المخلوقين... وزعم آخرون أنّ تحت الأرض السابعة صخرة، وتحت الصخرة الحوت، وتحت الحوت الماء، وتحت الماء الظلمة، وتحت الظلمة الهواء، وتحت الهواء الثرّى»[2].

وتسمى أساطير الخلق (الكون) في منطقة الدّراسة عند بعض الرّواة المسنين بـ: "ثِحْكَايِّينْ نْدُونِيثْ، أَمـْـگْ ثـْـپـْـنِّـى أَمـْـگْ ثْخْلْقْ" أي:" أساطير الكون، كيفية بنائه وخلقه". فهذا النمط من الأساطير إذن حسب التحقيق الميداني يتناول نشأة الكون وخلقه وأصول الأشياء. وبوساطة تلك التسميّة التي عثرنا عليها محليا، استطعنا جمع بعض النماذج منها: أسطورة كيف نشأة الكون؟ تقول هذه الأسطورة، إنّ الكون لم ينشأ دفعة واحدة وإنّما نشأ تدريجيا، بدءا بقدرة الله ←ثم على الهواء ←العلم ←الغلم ←الظلمة ←الصخرة ← الثور ← ثم عودة إلى قدرة الله. كما عثرنا أيضا على أسطورة تتحدث عن كيفية خلق الإنسان واختلاف لون بشرته وملخصها، إنّ الإنسان خلق من التراب وبالدّقة من الصلصال، واختلاف لون بشرته يعود إلى لون التراب، أي إلى لون الصلصال الذي خُلق منه الإنسان. أما عن أساطير الأصول فقد عثرنا على أسطورة تكشف عن أصل النباتات الصالحة للأكل، فتقول إنّ أصلّها من الجنة أحضرها طائر الجنة للإنسان الأول*.

فأساطير الخلق إذن تخبرنا عن «كيفية خلق الكون والإنسان والحيوان وكافة المخلوقات والمعالم الأرضية من أنهار وجبال»[3].

---

[1]– طلال حرب: أوّلية النص: نظرات في النقد والقصة والأسطورة والأدب الشعبي، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1999، ص 94.

[2]– شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، د. ط، السفر الأول، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، مصر، د. ت، ص 199.

*– ينظر هذه الأساطير كاملة في الملحق رقم: (01)، ص 260 ــ 234 ــ 236.

[3]– شوقي عبد الحكيم: موسوعة الفولكلور والأساطير العربية، مكتبة مدبولي، مطبعة أطلس، القاهرة، د. ت، ص48.

ب / أساطير الطقوس

تعني الطقوس «كلّ أنواع الاحتفالات التي تستدعي معتقدات تكون خارج الإطار التجريبي... فالطقس يميل أساسا، من خلال تكرار واستدامة القواعد التي تثبته، إلى تكريس ديمومة الحدث الاجتماعي أو الأسطوري الذي أوجده»[1] يتبيّن لنا من خلال هذا التعريف، إنّ للطقس علاقة بالأساطير، فهو يحاول تكريس الحدث الاجتماعي الأسطوري الذي أوجده أوّل مرة، فكأن الطقوس بهذا المعنى قد انبثقت من الأساطير، لأنها تقام من أجل استعادة الزمن الميثولوجي «فاستعادة زمن الأصل يقتضي بالنتيجة، التكرار الطقوسي للعمل الخلاق للآلهة وإعادة التحيّين الدوري للأعمال الخالقة المنجزة من قبل الكائنات الإلهية في الزمن الأول تشكل التقويم المقدس»[2] ويعني هذا القول، إنّ الطقوس تمارس لاستعادة زمن الأصل، أي إحياء الأعمال الخارقة التي قامت بها الآلهة في الزمن الأول «فكلّ عيد ديني، وكلّ وقت طقوسي يتكون من إعادة تحيين حادث مقدّس حاصل في ماض أسطوري « في البدء » والمساهمة دينيا في عيد تقتضي الخروج من الفترة الزمنية «العادية» لإعادة إدخال الزمن الأسطوري المعاد التحيين بالعيد ذاته. إنّ الزمن المقدس هو ممكن الاستعادة إذا إلى ما لا نهاية ويمكن تكراره إلى ما لا نهاية»[3] أي، إنّ الطقوس تسترجع الزمن المقدّس الميثولوجي الذي وقع في زمن البدء فالطقس «يلغي الزمن الدنيوي الكورنولوجي (Chronologique) ويسترد الزمن المقدّس الأسطوري. بالطقس يعود الإنسان القديم معاصرا للمآثر التي فعلتها الآلهة في زمن البدء (In illo tempore)»[4]، ويُفهم من هذا القول، إنّ الطقوس تلغي الأزمنة الدنيوية المدنّسة وتحاول استرجاع الأزمنة الميثولوجية المقدّسة.

فالطقوس بهذا المعنى تحاول استرجاع الأزمنة المقدّسة التي وقعت فيها أفعال الآلهة «وهكذا يعيش الإنسان المتدين في نوعين من الزمن، حيث أنّ أكثرهما أهمية وهو الزمن المقدس، يمثّل تحت المظهر المتناقض لزمن دنيوي، قابل للانعكاس وقابل للإعادة، ولنوع من

---

[1]– نور الدين طوالبي: الدين والطقوس والتغيرات، تر: وجيه البعيني، ط1، منشورات عويدات، ديوان المطبوعات الجزائرية، بيروت، باريس، 1988، ص34.

[2]– ميرسيا ايلياد: المقدّس والمدنّس، ص67.

[3]– م. ن، ص57.

[4]- Mircea Eliade: Aspects du Mythe , p 175.

حاضر أزلي أسطوري يحتفل به دوريا بواسطة الطقوس»[1] فالطقس بهذا المعنى، يعطي للأمكنة القدّاسة ويعيد ذكرى الأعمال الميثولوجية الخارقة، لكن ألا يمكن أن يكون العكس، أي أن الأساطير هي التي تعيد تحيين الطقوس؟

يقول فراس السوّاح «في مطلع القرن العشرين نشأت نظرية الأصل الطقسي للأسطورة. وترى هذه النظرية أنّ الأسطورة هي ناتج عن نواتج الطقس الأسبق عليها في تاريخ الدين. فالطقوس المؤسسة منذ زمن مغرق في القدم، تفقد بمرور الأيّام معناها وغاياتها وتتحول إلى إجراءات غامضة لا يعرف ممارسوها والقيّمون عليها مدلولاتها ومضامينها. وهنا تأتي الأسطورة لكي توضح أصل الطقس ومعناه، وتقدم تبريرا مقنعا لتلك الإجراءات التي تتناقلها الأجيال»[2] ويعني هذا القول، إنّ الطقوس القديمة قد فقدت قوّتها وغاياتها بمرور الزمن فأصبحت طقوسا غامضة لا يعرف هدفها ومعناها، من هنا جاءت الأساطير لإزالة الإبهام الذي أحيط بها، فبدأت توضح معانيه الغامضة وتبررها. فهذه النظرية إذن، ترى أنّ الطقوس هي الأسبق إلى الوجود من الأساطير، ومن ثم فهي الأقدم منها «فالأساطير تأتي لتفسير تلك الطقوس والشعائر تفسيرا تمثيليا بالحركة والنغمة والكلمة، ثم يمضي الوقت تنسى الطقوس والشعائر وتبقى أجزاء من الأساطير المرتبطة بها»[3] فهناك إذن اختلاف بين أيّهما أسبق، ومن الصعب الحسم في هذه القضية، إذ يرى البعض أن «في كلّ أسطورة من الأساطير انعكاسا إيديولوجيا لطقس من الطقوس من شأنه أن يوفر أساسا ومستندا لهذا الطقس، بينما كان بعضهم الآخر يعكس الآية فيعالج الطقس الواحد بوصفه ضربا من ضروب تجسيد الأسطورة على شاكلة لوحات معينة من الأفعال»[4].

استنادا إلى ما سبق نقول، «لا نستطيع إدعاء أسبقية للأسطورة على الطقس، ولا لهذا على تلك. لأنّ كلاهما ناتج عن مواقف وأفكار دينية مبدئية تتشكل لدى الإنسان من إحساسه بوجود عالم ما ورائي،... وهو يعبر عن هذا الإحساس بطريقتين، الأولى سلوكية تتبدى بالطقس

---

[1]– ميرسيا ايلياد: المقدّس والمدنّس، ص 58.

[2]– فراس السوّاح: الأسطورة والمعنى، ص145.

[3]– محمود ذهني: الأدب الشعبي العربي، مفهومه ومضمونه، د. ط، دار الاتحاد العربي للطباعة، القاهرة، مصر، 1972، ص74.

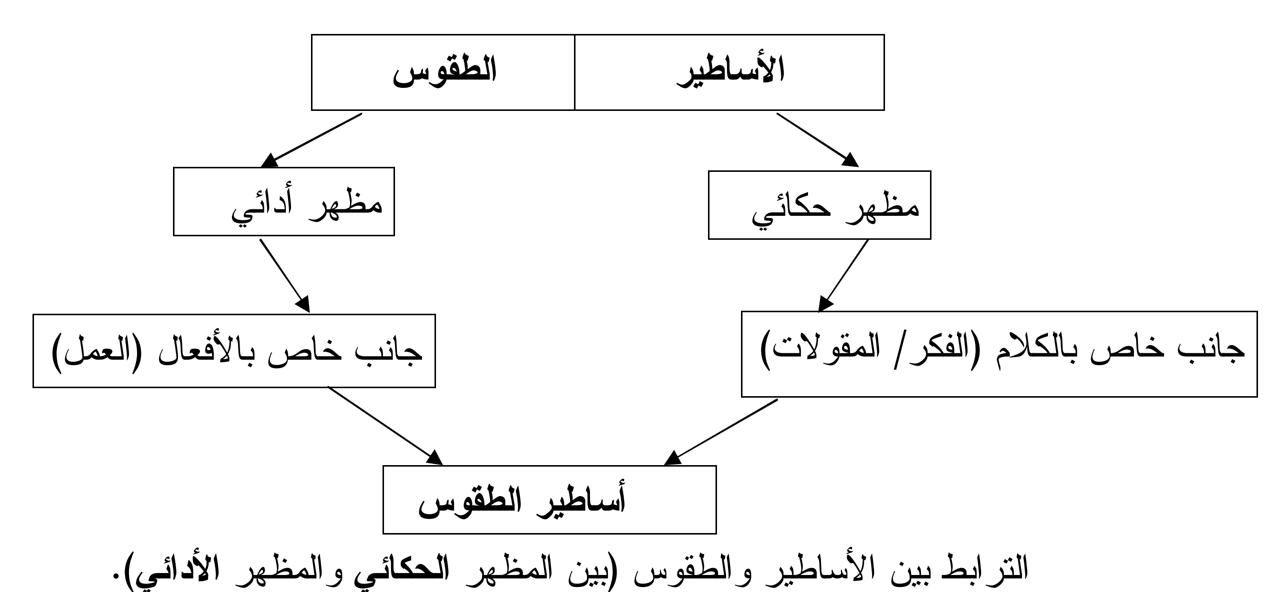
[4]– كلود ليفي ستروس: الإناسة البنيانية، ج1، ص253.

والثانية ذهنية تتبدى بالأسطورة»[1] أي، إنّ كلاهما مترابطان متكاملان فالأسطورة «تشكل مع طقوسها المصاحبة وحدة لا تنفصم عراها، وأنّ الكفّ عن ممارسة الطقوس يعرّي الأسطورة من عنفوانها وقوتها الأصليين، ويرتد بها سريعا إلى شكل من أشكال الفن الأدبي»[2] ويعني هذا إنّ الأساطير تفقد قوتها بفقدان الطقوس المرافقة لها، لأنّ «هناك تجاوبا مرتبا بين الطقس والأسطورة، أو أن هناك بتعبير آخر تماثلا بينهما: فكائنا ما كان الطرف الذي يعزى إليه دور الأصيل أو دور الدخيل، فإنّ الأسطورة والطقس ينتج أحدهما عن الآخر، الواحد على صعيد العمل، والأخرى على صعيد المقولات»[3]. فالموقف المعتدل إذن هو القول، إن «الأساطير والطقوس تتبادل المواقع، حيث تقف الأسطورة على المستوى الفكري، وتقف الطقوس على المستوى العملي»[4]. ويمكن لنا أن نلخص الآراء السابقة كالتّالي: إنّ للأساطير والطقوس مظهران مترابطان ببعضهما البعض، وهما:

الأساطير← مظهر **حكائي**← جانب خاص **بالكلام** (الفكر، المقولات).

الطقوس← مظهر **أدائي**← جانب خاص **بالأفعال** (العمل).

ويمكن توضيح كلّ هذا من خلال الشكل التّالي:



الترابط بين الأساطير والطقوس (بين المظهر **الحكائي** والمظهر **الأدائي**).

1- فراس السوّاح: الأسطورة والمعنى، ص146.

2- جوزيف كامبل: الأساطير والأحلام والدين، تر: نذير جزماتي، ط1، دار الكلمة للنشر والتوزيع، دمشق، سورية، 2001، ص49.

3- كلود لفي ستروس: الإناسة البنيانية، ج1، ص 253.

4- ك. ك راتفين: الأسطورة، ص65.

فأساطير الطقوس إذن ليست مجرد أقوال تصاحب الأداء، وإنّما تستوجب ممارسة الفعل. مثل: طقس الاستسقاء "أَنْزَارْ" وطقس استقبال الربيع "شَوْرْپِــِيعْ" في مجتمع البحث*.

ويرى فراس السوّاح إنّ الطقوس الدوريّة الكبرى «ترتبط بأساطير الخصب، الّتي يجري تكرار أحداثها... وذلك بهدف الإيحاء للطبيعة النباتية بالانبعاث بعد انقضاء الشتاء، ودفع دورة الفصول التي لا غنى عنها للحياة الزراعية... وفي أيّام الخصب الربيعية يساهم المحتفلون في العملية الإعجازية لانبعاث الطبيعة ودفع دورة الفصول»[1] أي، إنّ للطقوس الدوريّة صلة بالأساطير، ولاسيّما أساطير الخصب الربيعية، وقد عثرنا على نماذج لهذا النوع من الأساطير الطقسية أثناء الجمع الميداني الحيّ في مجتمع الدّراسة كطقسي: "أَنْزَارْ" والربيع "شَوْرْپِــِيعْ" وهذا ما سنتعرض إليه بنوع من التفصيل في الجانب التطبيقي من هذا البحث.

وما نريد التنويه إليه، هو إنّ الأساطير والطقوس يمكن لكلّ « منهما أن يقوم في معزل عن الآخر، حيث نجد طقوسا تمارس دون مرجعية ميثولوجية، وأساطير يجري تداولها دون طقس مرافق من أي نوع. وهذا لا يمنع بالطبع نشوء بعض الأساطير عن طقوس معينة ونشوء نوع من الطقوس عن أساطير معينة»[2] وهذا يعني ، أنّه يمكن لنا أن نجد طقوسا تمارس دون خلفية ميثولوجية لها، كما يمكن أيضا أن نعثر على أساطير متداولة في المجتمع دون طقوسها. وهذا ما وجدناه في مجتمع البحث إذ لم نعثر إلا على طقسين أسطوريين "أَنْزَارْ" والربيع "شَوْرْپِــِيعْ"، في حين أنّ بقية الأساطير لم نعثر على طقوسها. وهذا يعني «أنّه قد يستمر الطقس، أو الممارسة، بفضل روح المحافظة الغريزية في الإنسان بينما ينسى السبب أو الغرض الأصلي لهذا الطقس أو تلك الممارسة، وكثيرا ما يخترع سبب جديد، وتبرر هذه الممارسة»[3] أي، إنّه قد تستمر فعالية الطقوس حتى وإن نُسي سبب وجودها إذ غالبا ما يخترع سببا جديدا لتعليل سبب ممارسته، شأن طقس الربيع الذي يحتفل به دوريا في مجتمع الدراسة دون أن يعرف أغلبهم سبب وجوده، والأمر ذاته نجده كذلك في طقس الاستسقاء "أَنْزَارْ" المحلي.

* – ينظر: الفصل الثاني (المبحث الأول والمبحث الثاني) من هذا البحث.

1– فراس السوّاح: الأسطورة والمعنى، ص142 ــ 143.

2– م. ن، ص 146.

3– الكزاندر هجرتي كراب: علم الفولكلور، ص416.

ج / أساطير التعليل والتفسير

يحاول هذا النمط من الأساطير تبرير وتفسير كلّ ما يحيط بالإنسان، فالإنسان القديم «بقي أسير خوفه وضعفه عاجزا إزاء الطبيعة، كان هدف أسطورته بالتّالي هو أن تضبط أولا ثم تفسر القوى الطبيعية التي تهدد بسحقه على الدوام»[1] وقد سمينا هذا النمط بأساطير التعليل والتفسير، لأن كلّ تعليل هو تفسير بحد ذاته، يقول محمد عجينة: «ومن الأساطير التعليلية سائر الأساطير التفسيرية المجيبة عن تنوع ما في العالم من الكائنات»[2] أي، إنّ الأساطير التفسيرية هي الأساطير التعليلية نفسها.

وعرفت نبيلة إبراهيم هذا النوع من الميثولوجية كالتّالي: «هي تلك التي يحاول الإنساني البدائي عن طريقها أن يعلل ظاهرة تسترعي نظره ولكنّه لا يجد لها تفسيرا مباشرا ومن ثم فهو يخلق حكاية أسطورية تشرح سر وجود هذه الظاهرة»[3] أي، إنّ الأساطير التعليلية تحاول تفسير الظواهر التي لفتت انتباه الإنسان إليها تفسيرا ميثيا بعد عجزها عن إيجاد تفسير علمي مباشر لها، فهدف الأساطير هو تفسير القوى الطبيعية الغامضة، وليس هذا فحسب حيث «تقوم أساطير أخرى بتفسير التقاليد والعادات الاجتماعية والممارسات الدينية وأسرار الحياة والموت»[4].

وتسمى الأساطير التعليلية بالأساطير الاثيولوجية (Etiologie) «فقد أصبح بديهيا منذ زمن طويل، أنّ ما يدعى بالأساطير الاثيولوجية Etiologie، أي الأساطير المفسرة لنشوء أو أسباب ظاهرة ما ليست إلا أحد أنواع الأساطير»[5]. وقد كانت مرحلة التعليل «بداية العلم قبل الفلسفة، وشارك السحر في المهمة قبل أن يرتبط بالدين بحيث كانت الشعائر الدينية والسحرية تمارس في وقت واحد»[6] ويُفهم من هذا القول، إنّ مرحلة التعليل كانت المرحلة الأولى على سطح الأرض وقد ظهرت إلى الوجود قبل ظهور الفلسفة والعلم «وهكذا، فإن بعض الأساطير قد اضطلعت بهذه الوظيفة التعليلية المنطقية بمقولات الفكر الأسطوري ومهيآته Modalités

---

1- جوزيف كامبل: الأساطير والأحلام والدين، ص 55.

2- محمد عجينة: موسوعة أساطير العرب عن الجاهليّة ودلالاتها، ج2، ص 176.

3- نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص18.

4- ماكس شابيرو ورودا هندريكس: معجم الأساطير، ص 07.

5- نزار عيون السود: "نظريات الأسطورة"، مجلة عالم الفكر، العدد الأوّل والثاني، المجلد الرابع والعشرون، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، دولة الكويت، يوليو/ سبتمبر ــ أكتوبر/ ديسمبر، 1995، ص221.

6- أحمد كمال زكي: الأساطير دراسة حضارية مقارنة، ص49.

فكانت مرحلة فجة على درب التعليل والمعرفة سبقت المعرفة العلمية ومتى حصلت تقلص مجال الأسطوري إلاّ أنّه لم يمح»[1] أي، إن مرحلة التعليل قد سبقت مرحلة ظهور العلم، وكلّما انتشرت هذه المرحلة الأخيرة أكثر تقلصت الأساطير إلا أنّه لم يقض عليها كليّا فهي لا تزال باقية تقاوم جلّ التغيّرات، ولاسيّما هذا النوع من الأساطير لاحتوائها على عنصري الإقناع والتفسير. كما أنّنا نجد أنّ «بعض الأساطير تقيم علاقات سببيّة بين أحداث وقعت في بداية الخليقة وبين صورة المجتمع الحاضر وما فيه من المراتب»[2].

أما عن أساطير التعليل والتفسير محليّا، فهي تلك الأساطير التي تحاول إزالة الغموض عن الظواهر المختلفة المحيطة بالمجتمع من خلال التفسير والتعليل. ويمثل هذا النوع من الأساطير أغلب أساطير مجتمع البحث، ويعود سبب ذلك ربّما إلى أنّ أساطير التعليل أكثر مقاومة للعصرنة، فالعولمة لا تقضي على الأساطير نهائيا ولاسيّما تلك التي تحاول إيجاد تبريرات وتفسيرات للظواهر المختلفة، أي تلك الأساطير التي تطرح السؤال: لماذا؟ وتحاول إيجاد الجواب بطريقتها الخاصة.

وفضلنا تسمية هذا النمط من الأساطير بعد المعايشة الميدانية الحيّة بأساطير التفسير والتعليل، لأنّ معظم أساطير المنطقة تبدأ بطرح سؤال تعليلي عن الظاهرة المراد روايتها فالرّاوي أثناء السرد يطرح السؤال التّالي: "إِوَّاشْ... أَمــْگْ" أي "لماذا... كيف" مثل: أسطورة الصراع الأبدي بين الحماة والكنّة*. تبدأ هذه الأسطورة بطرح السؤال التّالي من قبل الرّاوي: إِوَّاشْ زْعْمَّى ثَمْغَارْثْ تْسْلِيثْ دِمَّى تْنَاغْنْتْ؟ أي: لماذا الحماة والكنّة في صراع دائم؟ إنّ من يدقق النظر في هذا العنوان، سيفهم أنّ ما سيأتي بعد هذا العنوان مباشرة سيكون تعليلا وتفسيرا لسبب وجود ذلك الصراع، فهذه الأسطورة تحاول تبرير تلك الظاهرة المنتشرة في العالم والجزائر عموما، وفي المنطقة خصوصا منذ القدم إلى اليوم. وما قيل عن هذه الأسطورة يقال أيضا عن أسطورة الوجود الأبدي للعقرب تحت الحجر، وأسطورة البرق والرعد، وأسطورة

---

[1]– محمد عجينة: موسوعة أساطير العرب عن الجاهليّة ودلالاتها، ج2، ص 222.

[2]– م. ن، ص 177.

*– ينظر الأسطورة كاملة في الملحق رقم: (01)، ص 252 ــ 253.

قابيل وهابيل، وأسطورة موت النحلة بعد اللسع وهلمّ جرّا* فهذه أساطير تفسيرية تعليلية حاولت تفسير وتبرير وجود تلك الظواهر.

ولعلّ الشيء الذي نريد أن نلفت النظر إليه، هو إنّ المستمعين يطرحون أيضا الأسئلة حول بعض الظواهر التي تكون قد لفتت أنظارهم إليها، كما أنّ بعض الأساطير التفسيرية التعليلية في المنطقة لا تبدأ بطرح السؤال: "لماذا... كيف..." وإنّما تدخل مباشرة في صلب الموضوع الأسطوري التعليلي مثل: أسطورة النّعجة والعنزة، وأسطورة وجه القمر الإنساني وأسطورة الغراب الأسود وهلمّ جرّا**.

د / أساطير المسخ

ورد في لسان العرب أنّ المسخ جاء من مادة «مسخ: المسخ: تحويل صورة إلى صورة أقبح منها... مسخه الله قردا يمسخه وهو مسْخٌ ومَسيخٌ، وكذلك المشوّه الخلق... ومسيخ: فعيل بمعنى مفعول من المسخ وهو قلب الخلقة من شيء إلى شيء»[1] فالمسخ بهذا المعنى هو تحويل شيء إلى شيء أقبح منه. وقد ورد لفظ المسخ في القرآن الكريم، يقول تعالى:﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُم عَلَى مَكَانَتِهِم فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلاَ يَرْجِعُونَ﴾[2]. فالمسخ إذن «يرمز إلى القدرة الإرهابية على تحويل الإنسان من وضع أعلى إلى وضع أدنى (وضع حيواني)»[3] ويعني هذا القول، إنّ المسخ هبوط من الرقي إلى الانحطاط. فالمسخ إذن «هو تحول من الحالة الأعلى إلى الحالة الأدنى»[4].

ويعتبر العرب أنّ ««المسخ والتناسخ » هما «العقاب والثواب»، فالمسخ وهو عقاب يعني عندهم انتقال الروح إلى أجساد البهائم المسخرة للأعمال الشاقة أو المعدة للذبح أو

*- ينظر مضامين هذه الأساطير في الملحق رقم: (01)، ص 271 ـ237 ـ 258 ـ 266.

**- ينظر مضامين هذه الأساطير في الملحق رقم: (01)، ص 268 ـ 269 ـ 257.

1- أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور: لسان العرب، ط3، مج03، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1994، ص 55.

2- سورة يس، الآية 67.

3- خليل أحمد خليل: مضمون الأسطورة في الفكر العربي، ط3، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1986، ص94.

4- أوفيد: مسخ الكائنات – ميتامورفوزس Métamorphoses – نقله إلى العربية وقدم له: ثروت عكاشة، ط4، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1997، ص52.

المرتبطة بالأوساخ، أي أنّه يعني التحوّل إلى حالة أدنى. وأما التناسخ، وهو ثواب، فيعني التحول إلى أعلى»[1] ويعني هذا القول، إنّ العرب قد ميّزت بين المسخ والتناسخ، فالأول هو تحوّل إلى حالة أدنى، لأنّه عبارة عن عقاب، أما الثاني فهو عبارة عن ثواب لأنّه تحوّل إلى حالة أعلى.

وميّز خليل أحمد خليل بين التحوّل والمسخ، يقول: «ويختلف التحوّل عن المسخ بأنّه لا يتضمن الانتقال الحصري من مرتبة عليا إلى مرتبة دنيا، فهو قد يكون تحولا ارتقائيا أو تحولا انحطاطيا أو تحولا محايّدا. والتحول يشمل الأشياء والبشر على السواء. بينما ينحصر المسخ في تحويل البشر إلى حيوانات أو أشياء»[2]. ويمكن توضيح هذا القول كالتّالي:

التحوّل ←—— **الارتقاء أو الانحطاط** ←—— يشمل الأشياء والبشر

المسخ ←——**الانحطاط** ←—— تحوّل البشر إلى حيوانات أو أشياء.

وقد كثر المسخ في الأساطير العشتروتية، فنجد أنّ جلجامش قد رفض مبادلة الحبّ لعشتروت، لأنّها سبق وأن نكلت بعشاقها الستّة، فتموز لا يزال يبكي سوء طالعه، أما العشيق الثاني فهو الراعي الذي تحول إلى طائر مكسور الجناحين، وقد مسخ عشيقها الثالث أسدا، أما حبيبها الرابع فقد مسخ حصانا، أما العشيق الخامس فقد مسخ ذئبا، أما عشيقها البستاني السادس فقد تحوّل إلى طائر جارح[3]. ما يلاحظ على هذا المسخ، أنّه مسخ من حالة أعلى إلى حالة أدنى أي هبوط من الدرجة العليا إلى الدرجة الأدنى.

ونجد في الأساطير اليونانية أنّ أمّ أدونيس "ميرها" قد مسخت شجرة بعد حبلها من والدها "سينيراس"، كما حوّلت الرّبة "أثينا" الفتاة "أراخني" إلى عنكبوت عقابا على إهانتها لها ونجد أنّ "سسيلا" (Scylla) ابنة "فورسيس" قد تحوّلت إلى وحش مخيف غيرة وحسدا، وفي الأساطير المصرية نجد أنّ "نوت" قد حوّلت نفسها إلى بقرة ونقلت الإله "رع" إلى السموات على ظهرها...[4].

---

[1]– خليل أحمد خليل: مضمون الأسطورة في الفكر العربي، ص22.

[2]– م. ن، ص94.

[3]– ينظر: شوقي عبد الحكيم: موسوعة الفولكلور والأساطير العربية، ص360.

[4]– ينظر: ماكس شابيرو ورودا هندريكس: معجم الأساطير، ص 26 ــ 42 ــ 229 ــ221 .

وعند العرب نجد أنّ "إساف ونائلة" قد مسخا حجرين، يقول ابن إسحاق: «وقد كان إساف ونائلة رجلا وامرأة من جُرْهم –هو إساف من بغي، ونائلة بنت ديك– فوقع إساف على نائلة في الكعبة، فمسخهما الله حجرين»[1].

وتسمى أساطير المسخ في مجتمع البحث بـ: "ثِحْكَايِّينْ نْوْيَّ إِقْـسـْخْطْ رْبِّي" أي "أساطير الذين مسخهم الله"، وقد جمعنا البعض من هذه الأساطير، وهي عبارة عن مسخ من الحالة الأعلى إلى الحالة الأدنّى، من الإنسان إلى الحيوان. ومن هذه الأساطير نجد أسطورة العروس القرد التي مُسخت قردا بسبب تنظيف براز ابنها بالفطائر الرقيقة (ثِيغْرِفِينْ)، ولنفس السبب مسخ القائد الثري لقلقا نتيجة وضوئه باللّبن عبرة لمن يعتبر، وللعين الحاسدة قدرة خارقة أيضا في المسخ، إذ استطاعت مسخ امرأة جميلة إلى حمامة بيضاء*.

ما يلاحظ على هذا المسخ الوارد في الأساطير المحليّة، أنّه مسخ من الرقي إلى الانحطاط، هبوط من الدرجة الأعلى إلى الدرجة الأدنّى، من الإنسان العاقل إلى الحيوان غير العاقل. فهو عقاب إلهي نتيجة أعمالهم السيئة الرذيلة، ومسخ الإنسان حيوانا نتيجة غضب الله عليه، وارد في القرآن الكريم، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾[2] ويقول في سورة أخرى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللهِ مَنْ لَّعَنَهُ اللهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾[3].

هـ / أساطير الصالحين (الأولياء)

يعدّ الأولياء من الرجال الصالحين المتصوفين، تركوا ملذات الدنيا الزائلة وساروا في طريق الهدى، طريق خدمة الدّين والبشرية جمعاء، فتراهم في حياتهم الدنيوية لا همّ لهم سوى خدمة الدّين وتثقيف النّاس وعمل الخيرات وتجنب المنكرات. لكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا: كيف يرتقي الإنسان العادي إلى درجة الوليّ ويصبح أنموذجا أسطوريا؟.

---

[1]– ابن هشام: السّيرة النّبويّة، تقديم: عمر عبد السلام تدمري، د. ط، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 2006، ص52 .

*– ينظر: هذه الأساطير في الملحق رقم: (01)، ص 254 ــ 259 ــ 263.

[2]– سورة البقرة، الآية 65.

[3]– سورة المائدة، الآية 60.

ترى نبيلة إبراهيم أنّ تحقق الولاية للوليّ تتم بوساطة طريقتين هما[1]:

ــ أولّهما عمل الخير الذي يتسم في أغلب الأحيان بالبطولة؛

ــ وثانهما أن تتحقق له المعجزة بالإضافة إلى عمله الخير، ومعنى هذا أن خيره لا يرجع إليه هو نفسه فحسب، وإنّما لابد وأن تسهم السماء في ذلك كذلك. وليس من الضروري أن تتحقق المعجزة تحققا فعليا وإنّما تلعب ثقة الشعب وتصوره في ذلك دورا فعالا.

فالإنسان بهذا المعنى يرتقي إلى درجة الأولياء بعمل الخير العظيم وبتحقيق الكرامة على يديه سواء تحققت تحققا فعليا أو لم تتحقق نتيجة ثقة الشعب به.

وقال جوزيف كامبل عندما سُئل عن: ماذا يحدث عندما يصبح النّاس أنفسهم أساطير؟ كما يلي: «عندما يصبح شخص ما أنموذجا لحياة أناس آخرين فإنّه يرتفع إلى الحالة التي يتأسطر فيها»[2]. ويُفهم من هذا القول، إنّ الإنسان يصبح شخصيّة أسطوريّة عندما يكون أنموذجا لنّاس آخرين يقتدون به نتيجة كثرة أعماله الخيرية العظيمة. فالإنسان الذي يعيش حياة شعبية خاصة محبا للخير، مكرها للشر، سرعان ما يلفت أنظار الآخرين فينسبون إليه الخوارق والمعجزات التي قد تتحقق تحققا فعليا أو بناء على تصوّراته[3].

ويرى محمد عجينة أنّه قد «يغدو الإنسان وأعماله محورا للأسطورة عندما يتحول في المقول أو المكتوب من السرد القصصي إلى كائن أسطوري أو شبه أسطوري، إما لاتسامه ببعض السمات الخارجة عن مجرى العادة والمألوف من حيث صورته الجسمانية أو من جهة ما قد ينسب إليه من قدرة على إتيان بعض الأعمال البطولية المتعلقة بأصل بعض المؤسسات الإنسانية»[4] ويعني هذا القول، إنّ الإنسان يصبح شخصية ميثية، إمّا بشكله الخارجي غير المألوف كضخامة جسمه مثلا، وإمّا بأعماله البطوليّة الخارقة. وقد «أُنتجت صوفية الأولياء في العصور العربية المتأخرة، ولا تزال بقاياها تنتج في أيامنا كميات من الأساطير تحظى بمستهلكين كثر في مجتمع عربي لم تستطع طبقاته الثورية بعد أن تقهر عجزها الذاتي

---

[1]– نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص 70.

[2]– جوزيف كامبل: قوة الأسطورة، ص 37.

[3]– نبيلة إبراهيم: م. س، ص. ن.

[4]– محمّد عجينة: موسوعة أساطير العرب عن الجاهليّة ودلالاتها، ج2، ص87 .

و« معجزات » الطبقات الحاكمة»[1]. فالإنسان إذن يُعد «من الشخصيات الأسطورية عند العرب وهو غالبا ما يتميّز في الأساطير بالضخامة الهائلة والقدرات العجيبة»[2] أي، إنّ الشخصيات الإنسانية عند العرب قد ترقى إلى مرتبة الميثولوجية، وغالبا ما تتسم بالضخامة الهائلة والقدرات العجيبة الخارقة.

إنّ الشخصيات التي تتسم بكلّ تلك الصفات العجيبة، تكون أقرب إلى الآلهة «فسلوك الآلهة حسب الأساطير مماثلا تقريبا لسلوك النّاس: لقد عرفوا حالات الضعف البشري نفسها وتقلب الأمزجة والمواقف، وما إلى ذلك، ومنهم من كان طيبا ونبيلا، ولكن كان بينهم أيضا السافل والجلاد»[3]. فأساطير الأولياء ترفع الأبطال الخارقين إلى مصاف الكائنات فوق بشرية فهم يقومون بأعمال مثيرة ماهرة تشبه أعمال الآلهة، فالأبطال «الذين يأتون بعد الآلهة في المرتبة يتسمون بصفات فوق – بشرية، وكثير منهم ينحدر من أصل نصف إلهي»[4]. لهذا نجد أنّ تأثيرهم في «الأوساط الشعبية عميقا وبعيدا وواسعا جدا... وأصبحت الأساطير التي نسجت حولهم وحول مقابرهم تنال رواجا لم تنله بعد قصة شعبية أخرى لأنّها أساطير ذات صبغة دينية وعقائدية تكتنفها خرافات عديدة تثير في النفوس مخافة الإله وتدعو إلى زيادة الإيمان به»[5].

ويسمى هذا النوع من الأساطير في منطقة "خراطة" بـ: "ثِحْكَايِّينْ نْصَالِحِينْ" أي "أساطير الصالحين" وهم يعتبرونهم أولياء الله، لهذا نجدهم يحاطون بهالة سحريّة عقائدية عظيمة تشع بالقدّاسة، وهم يمتازون بأعمالهم العظيمة غير المألوفة. ونجد أنّ البعض منهم يمثلون الجد الأكبر في القرية التي أقاموا فيها، فلكلّ قرية إلا ولها وليّ أو أكثر، وهذه قائمة لبعض الأولياء المتواجدين في مختلف قرى منطقة "خراطة":

اسم الولي	مكان تواجده
ــ سيدي مبارگ	ــ أجيون
ــ سيدي منصور	ــ أجيون

[1]– خليل أحمد خليل: مضمون الأسطورة في الفكر العربي، ص105 ــ 106.

[2]– مصطفى علي الجوزو: من الأساطير العربية والخرافات، ص 28.

[3]– م. ف ألبيديل: سحر الأساطير، ص 235.

[4]– ماكس شابيرو وروداً هندريكس: معجم الأساطير، ص09.

[5]– روزلين ليلى قريش: القصة الشعبية الجزائرية ذات الأصل العربي، د. ط، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية، الجزائر، 1980، ص 46.

ــ سيدي سعيد	ــ ذراع القائد ورحامين
ــ سيدي عابد	ــ في إحدى ضواحي منطقة ثاقليعث
ــ سيدي بوعلي	ــ أزغار
ــ سيدي بوجري	ــ أزغار
ــ سيدي عبد الرحمان	ــ بني مرعي

والأولياء في المنطقة مقدّسون محترمون عند المسنين، وقد وصل الأمر عند البعض منهم إلى عبادتهم، وهو ما يسمى بـ: "عبادة الأجداد"، وهي من الآثار القديمة الباقية في المجتمع الخرّاطي عند البعض، والذي يكاد يندثر، فهم يرون أنّهم «يستطيعون إلحاق الأذى بأعضاء البدنة ويستطيعون أيضا مساعدتهم، أي أنّهم يتمتعون بخصائص الآلهة ولذلك يعتقدون في ضرورة عبادتهم وفي اعتبارهم في مرتبة الآلهة، بل إنّ بعض القبائل يعتبرونهم آلهة، وترتبط تلك المعتقدات بمجموعة من الطقوس»[1] أي، إنّ الأولياء يتمتعون بخصائص الآلهة إذ يستطيعون فعل الخير والشر معا.

ونجد أنّ أغلب الأولياء في مجتمع الدّراسة مدفونون فوق قمم الجبال، لأنّه المكان المفضل لديهم أثناء حياتهم الدنيوية، مثل الوليّ الأسطوري "سيدي منصور"*، الذي دفن في المكان الذي كان يعبد فيه الله، لهذا أصبح بعض النّاس يزورونهم كلّما ضاقت بهم هموم الدنيا. وتعتبر الأمكنة التي دُفن فيها الأولياء من الأمكنة المقدّسة، فالنّاس ينتقلون من مكان دنيوي (البيوت) إلى مكان طقوسي مقدّس (مقر الأولياء)، فهم يمارسون طقوسا عديدة حول أضرحتهم كشعل الشموع إجباريا لكلّ من دخله، والطواف حول الضريح سبع مرات متتالية والخشوع لهم وتجنب الغيبة والمنكرات وهلمّ جرّا، وهناك من يقدم القرابين إليهم كذبح الثيران والخرفان. حتى أنّ البعض منهم يحلفون بهم "أَحَقْ سِيذِي مَنْصُورْ، أَحَقْ سِيذِي عَبْدْ الرَّحْمَانْ..." أي "بحق سيدي منصور، بحق سيدي عبد الرحمان..." ويرمز هذا كلّه إلى حُرمة المكان المقدّس التي لا يجب أن تدّنس، لهذا يتجنبون أثناء زيارتهم كلّ ما يدّنس المكان ويمارسون كلّ الأعمال الخيرية للتقرب إليهم أكثر لكسب رضاهم وودّهم.

---

[1]– عاطفي وصفي: الأنثروبولوجيا الثقافية، ص131.

*– ينظر: الأسطورة كاملة في الملحق رقم: (01)، ص 249 ــ 250.

ويذكر أهل المنطقة الأولياء بكلّ خشوع وقدّاسة، فتجدهم عندما يذكرونهم يقولون: "أَهْنْدِحِينْ رْبِّ فْلاَنْغْ سلْخِيرْ نْشَاء الله" أي "ليحنّهم الله علينا بالخير إنشاء الله"، وأعمال الولي الخيرية لا تتوقف بعد وفاته بل «تمتد إلى ما بعد موته، إذ قد تتم المعجزات عند قبره وفي المكان الذي كان يعيش فيه، بل وعن طريق الأشياء التي كان يستخدمها والتي تصبح فيما بعد رقية تكسب مقدرته الخاصة»[1]. لهذا نجد أنّ أغلب النّاس في مجتمع الدّراسة يؤمنون بشفاء الأولياء للمرضى فالولي "سيدي منصور" مثلا يشفي المرضى ويرزق العاقر، بل إنّه يُرجع المسافر إلى ذويه.

و يقوم الأولياء – في بعض معتقدات الناس– بأعمال مثيرة خيالية فالولي "سيدي مبارگْ"* يقوم بأداء مناسك الحج وهو جالس في سجّادته داخل المسجد. فالأولياء في نظرهم مصدر للخير والعطاء، لهذا نجد أن الزائرين يستخدمون كلّ ما يحيط بهم، فهم يمسحون وجوههم بالقماش المتدلي عليهم، وهناك من يمسح وجهه بقبر الولي لاعتقادهم ببركته. والشيء الذي لفت انتباهنا أثناء زيارة أحد الأولياء هو أنّ البعض من النّاس يشكون همومهم إلى الولي ليرفع عنهم الظلم ويحقق لهم عدالته السماوية ويغدق عليهم النعم والخير الكثير ويرفع عنهم البلاء وهلمّ جرّا.

---

[1]– نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص70.

*– ينظر: الأسطورة كاملة في الملحق رقم: (01)، ص 246.

4 ـ الأساطير بين الواقع والوظيفة

لم يتساءل الإنسان القديم عن واقعية الأساطير، لأنّها كانت بالنسبة إليه حقيقة واقعية لا نقاش فيها، فهم آمنوا «بالأسطورة ولم يدرسوها، ولم يروا فيها اختلافا، أو وهما، أو غباءً. كانت الأساطير بالنسبة للقدماء واقعا حقيقيا لا يدانيه أيّ واقع آخر، وفيه سارت حياتهم كلّها... لقد آمنوا بصحة الأسطورة إيمانا مطلقا لا تحده حدود، وكلّ ما روت عنه الأساطير كان بالنسبة إليهم حقيقة كاملة مطلقة»[1] ويعني هذا القول، إنّ القدماء لم يبحثوا عن واقعية الأساطير لأنّهم كانوا يرون بأنّها حقيقة واقعية. لكن هل هذه النظرة نفسها بالنسبة للإنسان المعاصر؟

إن الإنسان المعاصر بعد أن دخله الشك في الميثولوجية، وبعد أن تطور العلم من جميع الجوانب، بدأ يبحث عن مدى صلة الأساطير الخيالية بالواقع، هل تعكس حقا واقع مجتمعه؟ أم أنّها مجرد خيال لا صلة لها بالواقع؟.

رغم ما للأساطير من خيال خارق إلاّ أنّها تعكس الواقع في بعض جوانبه، وهذا ما لاحظناه في الأساطير المحليّة التي لها بعض الصلّة بالواقع المعيش في المنطقة، إذ نجد أن بعض الأساطير قد تناولت قضية حساسة في المجتمع، وهي النظرة الدونية للمرأة، فأغلب الأساطير التي جمعناها من الميدان تنسب للمرأة كلّ الأفعال السيئة الرذيلة، فهي ساحرة تتقن فنون السحر، وقد وصل بها الأمر إلى قتل قرة عينيها من أجل السحر، وهي التي تغضب الربّ إذ تمارس أفعالا محرمة لا يستطيع أي شخص أن يأتي بمثلها، ولاسيّما أنّها منبع الحنان. فهي شريرة لا تملك ضميرا وقد وصل انحطاط أخلاقها إلى أن تطلب من الزوج ذبح ابنه، وهي العقرب إذ يطلق عليها المجتمع اسم "تَغُرْظَمْتْ" عندما تكون سليطة اللسان وتقابل الخير بالشر. وهي مصدر الصراع منذ بدء الخليقة بين الشقيقين قابيل وهابيل وهلمّ جرّا*.

ولكن رغم هذه النظرة الدونية والصورة السيئة عن المرأة، إلا أنّنا نجد إلى جانبها – أحيانا – صورا ذات نظرة عليا للمرأة وهذا ما تكشف عنه بعض الأساطير الحيّة، فهي التي تعمر القرية بالبنون والماشيّة، وهي التي تنقذ القرية من الجفاف بقبولها الزواج من الملك

1– م. ف ألبيديل: سحر الأساطير، ص19.

*– ينظر: هذه الأساطير في الملحق رقم: (01)، ص 265 ـ 239 ـ 271 ـ 258.

"أنزار" إلى غير ذلك*. فالأساطير تكشف بهذا المعنى عن رسالة الأمومة التي هي من أعظم الرسائل وأنبلها على أديم الأرض، فهي رمز للتضحية والفداء.

تعبّر أغلب الأساطير إذن، عن الواقع المعيش في المنطقة، سواء كان ذلك بطريقة صريحة مباشرة أم بطريقة ضمنية تلميحية فأسطورة "المرأة في القمر" مثلا تعبر عن المعتقد السائد في المنطقة وهو السحر، فهي تحاول أن تلفت الأنظار إلى خطورة السحر وجزاء فاعلها. وتحمل أغلب الأساطير بين ثناياها الصراع القائم بين الخير والشر، وإنّ الشر مصيره الفشل دائما لتغلب قوى الخير عليه، وإذا حدث وإن انتصر الشر فإنّ انتصاره مؤقت سرعان ما يمسخ صاحبه، أو يعاقب حسب العمل المرتكب مثل: أسطورة "الوجود الأبدي للعقرب تحت الحجر" بسبب خداعها للعصفور الذي أحسن إليها. والشيء الملفت للانتباه، هو أن بعض الأساطير تعبر عن الواقع الاقتصادي السائد في المنطقة، فأسطورة "النعجة والعنزة" قد جمعناها في إحدى ضواحي منطقة "أجيون" وهي منطقة تعج بالأغنام والأبقار**.

وقولنا بأن للأساطير علاقة بالواقع لا يعني أنّها ليست زائفة، أي أنّها «صحيحة وزائفة معا وهذا هو سر بقائها واستمرارها فكل أسطورة هي بمنزلة تمثيل جزئي للواقع، وكل منها يتضمن بعض الخبرة والحكمة، وكل منها يطرح نفسه كحقيقة دالة على ذاتها لذلك الفرد الذي يؤسس نمط حياته على الطبيعة في تطابقها مع ذلك الجزء من الواقع»[1] فسر بقاء الأساطير إذن يعود إلى كونها صحيحة وزائفة في الآن نفسه.

وبما أنّ للأساطير علاقة بالواقع المعيش في المنطقة، فهذا يعني أنّ لها وظيفة*** داخل المجتمع، وبما أنّها موجودة متداولة فهذا دليل على أنّها تؤدي وظيفة ما، ذلك أنّ «الغرض من

---

*– ينظر: هذه الأساطير في الملحق رقم: (01)، ص 262 ـــ 256 .

**– ينظر: هذه الأساطير في الملحق رقم: (01)، ص 265 ـــ 271 ـــ 268 .

[1]– ميشيل تومبسون وريتشارد إليس وآخرون: "نظرية الثقافة"، تر: علي سعيد الصاوي، إشراف: أحمد مشاري العدواني، مجلة عالم المعرفة، يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، كتب ثقافية شهرية، الكويت، يوليو، 1997، ص 63.

***– ومن النظريات التي اهتمت بدراسة التراث الشعبي نجد النظرية الوظيفية «وهي دراسة الظواهر الثقافية المختلفة من خلال الوظائف التي تؤديها، ويرى مالينوفسكي أن الوظيفة هي ما تفعله الثقافة للبشرية في جميع مراحل تطورها». ينظر: ايكه هولتكرانس: قاموس مصطلحات الاثنولوجيا والفلكلور، ص 370 ـــ 371.

الأسطورة ليس روايّة حدث بل تسجيل قول له مغزى»[1]. وهو الشيء الملاحظ في الأساطير المحليّة، إذ نجد أنّ بعض الرواة يحاولون في أساطيرهم توصيل هدفهم إلى المستمعين بطريقة ضمنية، لأخذ العبر و تجنب الأخطاء والأغلاط، فغلطة واحدة قد يندم عليها المرء طوال حياته بل قد تمسخه إلى كائن آخر كمسخ القائد الثّري إلى لقلق بسبب وضوئه باللّبن*.

وتحمل الأساطير بين ثناياها الوعظ والإرشاد، فهي تحذر الإنسان من معصيّة الله وتجعله يدرك العقاب الذي سيناله إذا تجاوز حدوده، فهي «تحاول تأصيل علاقة سليمة بين الإنسان وبين الربّ، وتحذّر من مغبة عصيانه أو التمرّد عليه أو منازعته في دوره ومقامه وقدراته...»[2] فالشخص الذي لم يحفظ الأمانة في أساطير مجتمع البحث يمسخ غرابا لأنّه عصى أوامر المعبود (الله)، فالأسطورة هنا تكون بمثابة درس وعبرة لمن يعتبر، فهي تحمل وظيفة دينية تعليمية، فأي خطأ صغير سيتحمل صاحبه عقابه.

وتدعو الأساطير إلى التوحيد واحترام القيّم التي نصت عليها المعتقدات، فهي قصص الأولين تسرد لغايات عديدة منها أخذ العبر والسَير والاهتداء على منوالهم، فهي شعلة تنير الدرب للتائه، وتمتن علاقة الإنسان بالخالق، إنّها تزيد المرء يقينا وبصيرة على قدرة الله وتساعد على ترسيخ المعتقدات وغرس الفضائل في أذهان أفراد المجتمع.

وللأساطير وظيفة نفسيّة، إذ تجعل الرّاوي مرتاحا نفسيا، سواء من خلال إجاباته للأسئلة التي تؤرقه، أو من خلال التحرّر من الضغوطات المكبوتة، إذ الشيء الذي لاحظناه في الميدان هو أنّ الرّاوي الذي يجيب عن السؤال المطروح عليه حول ظاهرة ما يشعر بالرّاحة النفسيّة والاطمئنان، فهم يشعرون بتفسيراتهم المختلفة كأنّهم يسيطرون على واقعهم. كما أنّ بعض الأساطير تعلم الأفراد الامتثال للأنماط السلوكية المتواجدة في المجتمع، ذلك «أنّ الوظيفة الرئيسية للأسطورة هي الكشف عن سلوك مثالية لجميع الطقوس وجميع النشاطات الإنسانية التي تحمل معنى»[3].

---

[1]– رندل كلارك: الرمز والأسطورة في مصر القديمة، ص260 .

*– ينظر: الأسطورة كاملة في الملحق رقم: (01)، ص259.

[2]– قسم الدراسات والبحوث في جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية: الأسطورة توثيق حضاري، ص60.

[3] - Mircea Eliade: Aspects du Mythe, p 19 .

كما أنّ أساطير الأولياء تطلب من الجمهور المتلقي – بطريقة ضمنية– الاحتذاء حذوهم فهم أنّاس بلغوا ذروة في الأخلاق وفعل الخيرات، فمناقبهم العالية تجعل العاقل النبيه يقتدي بهم ويسير على منوالهم، فوظيفة «الأسطورة لأبناء المجتمع هي تسجيل وعرض النظام الأخلاقي الذي بواسطته يمكن تنظيم وتشريع المواقف والأحداث الاجتماعية»[1] ويعني هذا الكلام، إن الأساطير تساعد على ترسيخ النظم الاجتماعية والأخلاقية، إذ يمكن للجدة أو الأم أن تسرد أسطورة لأبنائها تعبر في طياتها عن الصفات التي تريد غرسها في نفوسهم، بحيث تبيّن لهم المساوئ وجزاء الغدر وفاعل الشر... وما ينبغي الابتعاد عنه بطريقة ضمنية تلميحية، لأنّ الأساطير توسع الآفاق وتنير العقول وتقوي المخيلة إذا ما قطف منها ما لذّ وطاب.

فالأساطير إذن قد «أدّت أكثر من دور، فقد كانت في صورها المحليّة حكايات يقصد بها التربية والتثقيف... ومنذ عرفت الأسطورة الإشارة إلى معان معينة عن طريق الرمز باسم البطل أو الإله أو الشخصيات الأسطورية المختلفة اكتسبت هالة فنية معبرة وطاقة روحية تهدف إلى تغيير القيم المتراكمة في المجتمع»[2] فالأساطير إذن تربي وتثقف، وتحاول تغيّير القيّم لتتوافق مع المجتمع.

وخلاصة المبحث هو أنّ الأساطير – في مجتمع البحث– لا تزال حيّة تتنفس، وهي على أنماط عديدة، يصعب تصنيفها لتداخل تلك الأنماط فيما بينها واختلاف الرواة في تسمياتها ونظرتهم إليها، وإمكان إدراج الأسطورة الواحدة في عدة أنماط لتداخل الموضوعات والوظائف فيما بينها. ويبقى ذلك التصنيف مجرد محاولة تتعلق بأساطير مجتمع البحث، وهذه الأساطير ليست بعيدة كلّ البعد عن الواقع المعيش في المنطقة رغم الخيال الوارد فيها، فهي عبارة عن وعاء ملأه أهالي المنطقة بواقعهم وبخيالهم في آن واحد.

---

[1]– دينكن ميتشل: معجم علم الاجتماع، ص148.

[2]– أوفيد: مسخ الكائنات، ص09 ــ 10.

المبحث الثاني: الأساطير بين الأصالة والتغيّر الاجتماعي

1 ــ الأساطير بين الرّواة المسنين والناشئين.

2 ــ التغيّر الاجتماعي: أنواعه وعوامله.

3 ــ أساطير وطقوس الاستسقاء واستقبال الربيع بين الأصالة والتغيّر الاجتماعي.

4 ــ أساطير وطقوس الاستسقاء واستقبال الربيع عند الفئة المتعلمة في المدرسة الجزائرية: تحليل الاستبانة الموّجهة لتلاميذ السنة الثانية متوسط .

المبحث الثاني: الأساطير بين الأصالة والتغيّر الاجتماعي

إنّ التغيّر ظاهرة اجتماعية إنسانية، فهو حقيقة عالمية لا يخلوا منها أي مجتمع إنساني فالتغيّر راسخ رسوخ قدم الإنسان في أرض التاريخ، فالبشرية جمعاء لم تصل إلى ما هي عليه اليوم من رخاء وازدهار دفعة واحدة، وإنّما مرت بمراحل مختلفة، ارتقت فيها من الالتقاط والجني إلى الصيد واستئناس الحيوان، فالرعي والزراعة، ثم الصناعة والعلوم المختلفة... ويشمل التغير كلّ ما يحيط بالإنسان، إذ كلّما تغيّرت وسائل الحياة إلا وتغيّرت رؤية الناس للظواهر الاجتماعية والثقافية المحيطة بهم، فنظرة الإنسان اليوم مثلا إلى الأساطير والطقوس تختلف نوعا ما عن نظرة الإنسان إليها قديما، ونظرة المتعلمين إليها تختلف عن نظرة الإنسان غير المتعلم اليوم... ومن هنا نتساءل: أين تتبدى ملامح هذا التغيّير في الأساطير والطقوس؟ وما هي نظرة المتعلمين إليها؟

1 ــ الأساطير بين الرّواة المسنين والناشئين

أدرجنا هذا العنصر في البحث لأنّنا لم نعتمد على الرواة المسنين فحسب، بل حتى على الرواة الصغار الناشئين بهدف تتبع الأسطورة عند مختلف فئات العمر، لأنّه «يتحتم على الجامع ألا يكتفي براو واحد أو برواة عديدين مسنين على أساس أن هؤلاء هم حملة التراث الأصليين بل ينبغي عليه أن يتتبع عملية الرواية تماما كما يتتبع الحياة الشعبية ويرصد كلّ جوانبها، ولا يتأتى ذلك إلا عن طريق مراقبة الجامع لعملية الرواية في أعمار مختلفة. مبتدأ من المسن حامل التراث الأصلي حتى يصل إلى الصبي الذي تستهويه عملية الرواية فيأخذ في تحصيلها. آملا في ذلك أن يصبح راويا متمكنا يأخذ مكانته بين الرواة المعروفين»[1] أي، على الباحث ألا يكتفي بروايات المسنين فحسب، بل عليه أيضا أن يلفت أنظاره إلى الفئة الناشئة المتعلمة، ليعرف طريقة السرد عندهم، لأنّهم قد ينوبون الرواة المسنين في المستقبل.

يؤدي العمر دورا مهما في عملية السرد الأسطوري، إذ الشيء الذي عايشناه ولاحظناه أثناء جمع المادة الخام من مجتمع الدّراسة، هو أنّه كلّما كان الرّاوي مسنّا كان الإيمان بالأساطير أقوى، وكلما انخفض سن الرّاوي انخفضت درجة الإيمان، باستثناء بعض الرواة

[1]– نبيلة إبراهيم: الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق، ط1، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، مصر، 1994، ص 280.

الصغار الذين يؤمنون بالأساطير إذ نجدهم يقولون: «ثْنَايْدْ إِمَّى، ذْصَحْحْ ثْطْرَّى پـْـگـْـرِي»[1] أي: «قالت لي أمي، إنّها حقيقية وقعت في قديم الزمان».

يؤمن معظم الرواة المسنين بالأساطير – كما سبق وأن رأينا ذلك– فهم يرون بأنّها وقائع حدثت في الأزمنة الغابرة أين كان كلّ شيء يتكلم، وهي تمتاز عندهم بالجديّة فلا يروونها في أي مقام، فهم يولون أهمية كبيرة للسيّاق والمقام، وهم يضعون بعض الشروط قبل البدء في السرد فأسطورة "وجه القمر الإنساني"*، نجد أن الرّاوية قد وضعت شرطا لروايتها وهو خارج المنزل، حين يكون القمر بدرا كاملا. وأغلبهم لا يسرد الأساطير لأي شخص كان بل للمؤمن بها فقط، فهم ينظرون إليها نظرة تقدّيس واحترام.

أما السرد الأسطوري عند الرواة الصغار فيختلف نوعا ما عن السرد الأسطوري عند الكبار، فدرجة إيمانهم تتراوح ما بين المتوسط والضعيف، ولعلّ ذلك يعود إلى تأثير التغيّر الاجتماعي التكنولوجي عليهم لأنّهم أكثر انفتاحا على الجديد من الرواة المسنين، لهذا نجدهم لا يؤمنون بها كالكبار.

والشيء الملاحظ في الميدان، أنهم يستحضرونها أثناء الحاجة إليها كالتباهي بها أمام أقرانهم، أو أثناء أداء واجباتهم المدرسيّة إذا استدع الأمر ذلك. ولعلّ الشيء الملفت للانتباه أكثر هو أنّ معظم رواياتهم الأسطورية مأخوذة من الكتب المدرسية ووسائل الاتصال الحديثة كالتلفاز** وقلمّا عثرنا على أساطير متداولة عندهم غير موجودة في الكتب المدرسيّة ووسائل الاتصال... وهذا دليل على تأثير التعليم والعولمة على الفئة المثقفة الناشئة.

ولكن رغم تأثير وسائل الاتصال الحديثة إلا أنّنا نجد أنّ بعض الناشئين ينصتون السمع جيّدا إلى الشيوخ الرواة ويحفظون عنهم رواياتهم، فهم يحاولون الإقتداء والسير على منوالهم وينسبون أساطيرهم إلى أصحابها وحامليها الحقيقيين سواء كانت الجدّة أو الأم، خوفا منهم بعدم أداء الأمانة أو نسيان بعض التفاصيل منها. لهذا نجدهم أثناء نسيان بعض أجزائها يتوقفون قليلا ويستغفرون الله ويقولون: "لا نتذكر، لنسأل الجدّة أو الأم" وبعدها يواصلون روايّاتهم الأسطورية بكلّ شغف. فالرّاوي الناشئ يحفظ التراكيب من الرواة المسنين ويقوم بتحويرها حسب رغباته

---

[1]– ينظر: أسطورة "خوف ابن آوى من الكلب" في الملحق رقم: (01)، ص 242.

*– ينظر: الأسطورة كاملة في الملحق رقم: (01)، ص 269 .

**– ينظر: تحليل الاستبانة من هذا المبحث، ص 105 ــ 106.

فهو يعمل على «استيعاب الصيغ والموضوعات المتوارثة ثم حريته في التعبير بعد ذلك في إطار هذه الصيغ والموضوعات»[1].

يتبيّن مما تقدم أنّ السرد الأسطوري يختلف نوعا ما بين الرّواة المسنين والناشئين المتعلمين، ذلك أنّ صياغة المسنّ غير المتعلم تختلف عن صياغة المتعلم الصغير السن، ولكن هذه الظاهرة الملحوظة لا يمكن تعميمها على كلّ الرواة، إذ صادفنا في حالات نادرة أنّ بعض الرّواة الصغار الناشئين أكثر إيمانا بالأساطير من الرواة المسنين المتعلمين تعليما متوسطا.

[1]– نبيلة إبراهيم: الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق، ص300.

2 ـــ التغيّر الاجتماعي: أنواعه وعوامله

من الأمور البديهية أنّ المجتمع يتغيّر مهما كانت ضوابطه صارمة، فالتغيّر من طبيعة المجتمع الذي لا يستطيع الثبات على حالة واحدة، فهو يسعى إلى التغيّير في جميع المجالات وإلى الاستطلاع ومعرفة كلّ ما يطرأ على الساحة العالمية من جديد. والتغيّر في بعض الأحيان لا يؤدي إلى قطع الصلّة كليّا بما كان سائدا من قبل، فوجود الصناعة مثلا في المجتمع لا يعني غياب الزراعة واندثار استئناس الحيوان والصيد، وتطور وسائل الاتصال لا يؤدي إلى غياب المأثورات الفولكلورية المتداولة في الأوساط الشعبيّة بما فيها الأساطير والطقوس.

إنَّ التغيّر مظهر من مظاهر الحياة، وقد آمنت النظرية التطورية بأن المجتمعات لا تبقى على حالة واحدة، إذ «كثيرا ما آلت النظرية التطورية إلى اعتقاد معيّن هو الاعتقاد بوجود مسيرة خطّية واحدة للمجتمعات عبر الزمن، وبأن كلّ مجتمع لابد له من الانتقال من مرحلة إلى أخرى »[1].

ويؤمن القرآن الكريم بأنّ التغيّر سمة أصيلة في المجتمع البشري، يقول تعالى في محكم التنزيل: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[2]

قبل أن نلج إلى معرفة التغيّير الذي يكون قد طرأ على النوع الأسطوري، نوّد أن نقف وقفة إجمالية عند مصطلح "التغيّر" لنتعرف على مدلوله اللّغوي والاصطلاحي وأهم أنواعه وعوامله:

أوّلا / تعريف التغير الاجتماعي

أ/ لغة: ورد في لسان العرب أن «تَغَيَّرَ الشيء عن حاله: تحوّل. وغيّره: حوّله وبدّ له كأنّه جعله غير ما كان... والغَيْر: الاسم من التغيّر... وغيّر عليه الأمر: حوّله. وتغايرتِ الأشياء. اختلفت. والمغيّر: الذي يغيّر بعيره أداته ليخفف عنه ويريحه... وغير الدهر: أحواله

[1]– جاك لومبار: مدخل إلى الاثنولوجيا، ص 66.

[2]– سورة الرعد، الآية 11.

المتغيّرة... والغِيَرُ: الاسم من قولك غَيَّرْت الشيء فتغيَّر... »[1]. فالتغيّر إذن في المعجم العربي يعني التحوّل والتبدل والانتقال من حالة إلى حالة أخرى.

ب/ اصطلاحا: يشير التغيّر الاجتماعي عموما إلى التحولات التي تطرأ على بناء المجتمع في جميع أنواع العلاقات الاجتماعية والثقافية، فيُحدث تغييرا في الوظائف والأدوار والقيّم والمعتقدات وهلمّ جرّا، وقد يكون هذا التغيّر كليا أو جزئيا، فالتغيّر من طبيعة البشر فالمجتمع يأخذ من الجيل السابق جوانب ثقافية واجتماعية ويضيف إليها ما يراه يتماشى وواقعه المعيش ومتطلباته المستجدة.

وقد ورد في المعجم الفلسفي أن «التغيّر هو كون الشيء بحال لم يكن له قبل ذلك، أو هو انتقال الشيء من حالة إلى حالة أخرى»[2] أي، إن التغيّر هو تحوّل من حالة إلى أخرى لم يكن عليها، و«(يعني التغير الاجتماعي) بعامة، التبدلات الهامة في العلائق، والنظم، والقيم والمعايير، والعادات الاجتماعية الثابتة نسبيا، والتي تكون البناء الاجتماعي، نتيجة عوامل حضارية، واقتصادية، وسياسية، يتفاعل بعضها مع بعض»[3] ويعني هذا القول، إنّ التغيّر يشمل مختلف النظم و القيّم والعادات والمعتقدات إلى غير ذلك.

ويرى علماء الاجتماع أن التغيّر الاجتماعي «حالة طبيعية من الحالات التي يمر بها المجتمع. ويذكر العالم ولبرت مور أهم الصفات التغيّرية التي يشهدها المجتمع المعاصر فيدرجها كالآتي»[4]:

1 ــ التغيّر السريع الذي يحدث في المجتمع أو الحضارة يكون إما مستمرا أو متقطعا؛

2 ــ تكون التغيّرات بشكل سلسلة متتابعة من الأحداث تتبعها فترات هادئة يعم فيها البناء والتعمير ويكون لنتائجها صدى على العالم كلّه؛

---

[1]– أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور: لسان العرب، ط3، مج5، دار صادر، بيروت، لبنان، 1994، ص 40 ــ 41.

[2]– جميل صليبا: المعجم الفلسفي بالألفاظ العربيّة والفرنسيّة والانجليزيّة واللاتينيّة، د. ط، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982، ص311.

[3]– شاكر مصطفى سليم: قاموس الأنثروبولوجيا، ص894.

[4]– دينكن ميتشل: معجم علم الاجتماع، ص191 ــ 192.

3 ـــ أن نسبة التغيّر في الوقت الحاضر هي أعلى من نسبة التغيّر في الزمن السابق؛

4 ـــ يكون التغيّر سريعا في مجالات التكنولوجيا المادية وفي السياسات الاجتماعية؛

5 ـــ يؤثر التغيّر الطبيعي على خبرات الأفراد وعلى النواحي الوظيفية للمجتمعات المعاصرة وذلك لتعرض جميع أجزاء المجتمع لعمليات التغيّر.

فالتغيّر إذن يمس جميع الجوانب، ويكون أسرع أكثر في وسائل التكنولوجيا الحديثة وهو يؤثر على خبرات الأفراد. فالناس يغيّرون «أنماط حياتهم كلّما تدخلت أحداث متتالية (أي مفاجآت) بطريقة تحول دون تلاقي نموذج العلاقات المفضل مع التوقعات التي ولدها»[1] أي، إنّ الناس يسعون إلى التغيّير كلّما ظهرت أحداث جديدة.

وهناك من أطلق على مصطلح "التغيّر" مصطلح "ديناميات التغيّر"، وديناميات «مفردها دينامي Dynamie تعني المتحرك أو غير الثابت، بل وتعني أيضا المتفاعل وبذلك تكون أقرب إلى الواقع الفعلي لعناصر المأثورات الشعبية الأدبية في مرونتها وحيويتها وتفاعلها مع الظروف المحيطة بإنتاجها وتداولها واستمراريتها»[2].

فعملية التغير إذن «هي عملية دائمة بالفعل في فنون الأدب الشعبي، ولها آلياتها ووسائلها في إحداث التغيير من الداخل، فضلا عن استجابتها للتغيير من الخارج عبر التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية بما يتوافق مع أذواق مبدعيها ومتلقيها. وبالطبع تتفاوت سرعة التغير في الفنون الأدبية الشعبية من زمن إلى آخر ومن فترة إلى أخرى تبعا لطبيعة التحولات التي تجري في المجتمع»[3]. فسرعة التغيّر إذن تختلف باختلاف الزمن، إذ كلّما تقدم الزمن إلا وكان هناك تغيّير من جميع الجوانب.

---

[1]– ميشيل تومبسون وريتشارد إليس وآخرون: نظرية الثقافة، ص129.

[2]– ابراهيم عبد الحافظ: الفنون الأدبية الشعبية – دراسات في ديناميات التغيّر– ط1، مطبعة العمرانية للأوفست، القاهرة، مصر، 2004، ص41.

[3]– م. ن ، ص. ن.

ثانيا/ أنواعه وعوامله

جاء في المعجم الفلسفي أن هناك نوعين من التغيّر «فإذا تغير الشيء في ذاته دفعة واحدة كان تغيره دفعيا، وإذا تغير في الكم، أو في الكيف، أو في الآين، شيئا فشيئا، كان تغيره تدريجيا»[1] فالتغيّر إذن نوعان، تغيّر دفعي فجائي وتغيّر تدريجي « تغير مقصود وتغير غير مقصود، والتغير غير المقصود – التغير الطبيعي– يحدث تلقائيا أما التغير المقصود فهذا الذي نحاول إيجاده في الظروف الراهنة، ويمكن أن نطلق عليه التغير الاجتماعي للدلالة على أنّه عملية تغيير تحدث عن طريق التخطيط من أجل تغيير الوضع الراهن»[2] يتبدى لنا من خلال هذا القول، إنّ التغيّر الذي طرأ على التراث الشعبي عموما، وعلى الأساطير خصوصا، هو تغيّر تلقائي طبيعي حدث نتيجة العولمة دون تخطيط مسبق.

و«يميل علم الاجتماع الحديث، من خلال صوره العلمية، إلى الإقلاع عن الفكرة القائلة بوجود سبب مهيمن للتغيّر الاجتماعي، أي أنّه يعترف بتعدّد وكثرة أنماط التغيّر: أنماط داخلية أنماط خارجية، وأنماط مختلطة»[3] فالتغيّر إذن ينتج عن أسباب عديدة فهو«(1) كلي الحدوث وداخلي، و(2) ضروري للاستقرار، و(3) ليس أحادي الخط والاتجاه»[4] أي، إنّ التغيّر على أنماط عديدة وهو ضروري للاستقرار «لأنّه من دون التغير لا يتحقق الاستقرار، لأن كل منهما، تماما كعلاقة الكرة بالأرض التي تتحرك عليها، جزء من الآخر»[5].

وعوامل التغيّر كثيرة ومتعددة فإضافة إلى «تأثير المؤسسات الحكومية ووسائل الاتصال الجماهيرية الحديثة في تغير الفنون الأدبية الشعبيّة، فإنّ هناك عوامل مجتمعية أخرى تتمثل في التعليم والهجرة وانتشار الكهرباء في الريف والسفر إلى الخارج وغيرها من العوامل والتي تتحرك أثرها في المؤدين الشعبيين وفي الجمهور المتلقي لهذه المأثورات»[6]. وليس هذا فحسب

---

[1]– جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ص311.

[2]– سيف الإسلام علي مطر: التغيّر الاجتماعي – دراسة تحليلية من منظور التربية الإسلامية – ط2، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورية، 1988، ص10 ــ 11.

[3]– خليل أحمد خليل: المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع، ط1، دار الحداثة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1984، ص 74.

[4]– ميشيل تومبسون وريتشارد إليس وآخرون: نظرية الثقافة، ص141 ــ 142.

[5]– م. ن، ص 71.

[6]– إبراهيم عبد الحافظ: الفنون الأدبية الشعبية – دراسات في ديناميات التغيّر– ص 17.

«فالاختراعات تعدّ من أهم عوامل التغير، فالمجتمعات الإنسانية تتغير إذا ظهرت اكتشافات أو حدثت مخترعات، ويعتبر العامل التقني أحد العوامل التي تستحث التغيير في الجانب المادي من ثقافة المجتمع إذ بتغير المخترعات والآلات ونمط استعمالها تتغير مظاهر المجتمع من عادات وتقاليد»[1] يتبيّن لنا من خلال هذا القول، إنّ وسائل التغيّير تؤثر كثيرا في ثقافة المجتمع، إذ كلّما تغيرت وسائل الحياة التكنولوجية إلا وتغيّرت معها مظاهر المجتمع من جميع الجوانب. وقد اتخذ «البعض من بعض العوامل الاجتماعية أسبابا محددة للتغير: مثل نمو التجارة الدولية (مونسكيو)، والتنظيم الاقتصادي للمجتمعات (ماركس)، والتطور العلمي والتقني (كونت)، أو الدين (فوستيل دي كولانج)»[2] ويعني هذا الكلام، إنّ أسباب التغيّر كثيرة ومتعددّة منها: تطور العلوم المختلفة وتأثير الأديان.

ومن عوامل التغيّر أيضا أنّ غير المتعلمين أصبحوا اليوم ينظرون إلى المتعلمين على أنّهم أعلى مرتبة منهم، ومن ثم فقد سمحوا لأنفسهم بالتعليم على أيديهم، أي الإنصات والانصياع لما يقال لهم من قِبل هذه الفئة المتعلمة. فالشيء الذي لفت انتباهنا أثناء جمع المادة الخام من مجتمع الدّراسة ولاسيّما في المقابلة الجماعية التي تضم غير المتعلمين والمتعلمين على حد سواء، هو أنّ بعض الرواة المسنين غير المتعلمين يخطئون رواياتهم الأسطورية ويأخذون برواية المتعلمين بحجة أنّ المتعلمين أكثر منهم علما، وأنّ أساطيرهم قد تعلموها من أجدادهم غير المتعلمين أيضا. ومما لا شك فيه أنّ هذه النظرة لم تكن موجودة قديما لندرة التعليم وكثرة الأميّة، ولكن بانتشار التعليم في الآونة الأخيرة، وبتطبيق الجزائر فكرة "**محو الأميّة**" وتعميمها في جميع المدن والقرى الجزائرية، بما فيها قرى منطقة خراطة، أصبح أغلبهم متعلمين يقرأون ويكتبون، فأزيحت عنهم صفة الأميّة التي صاحبتهم سنين طويلة. وبتعلمهم تغيّرت وجهة نظرهم إلى التراث الشعبي بعض الشيء، وتقلص مخزونهم الأسطوري الذي كان مفخرة لهم. فالتعليم جعلهم يقارنون بين الحالة التي كانوا فيها أميين والحالة التي أصبحوا فيها متعلمين مثقفين، تقول إحدى المخبرات المتعلمات في مدرسة محو الأمية: «قـبْـپـْـلْ مَذْقْرِيغْ قْـمَحْوْ الأميّة، تُوغْ تَمْنْغْ سْكُولْشْ، أَيْنْ ادْنَانْ إِتْـپـْـگـْـرِي مْرَّى، أُثْرَى مِقْرِيغْ لاَنْتْ لْحْوَايـْـچْ تَمْنْغِيهْنْتْ، لاَنْتْ أُهُو

---

[1]– سيف الإسلام علي مطر: التغير الاجتماعي، ص16.

[2]– خليل أحمد خليل: المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع، ص74.

مَتَشِي كِفْكِيفْ»[1] أي: «كنت قبل أن أتعلم في مدرسة محو الأميّة، أصدق كلّ شيء، كلّ ما قاله أجدادنا القدامى، لكن الآن عندما تعلمت فإن بعض الأشياء أصدقها وبعضها الآخر لا، فالتعليم والأميّة يختلفان».

يتبيّن لنا بكلّ وضوح وجلاء، إنّ التعليم قد غير بعض الشيء من وجهة نظر الرواة إلى مخزونهم التراثي الشعبي. ويمكن لنا أن نقسم آراء الرواة ورؤيتهم الخاصة للأساطير على ضوء انتشار التعليم بعد المعايشة الميدانية الحيّة إلى رأيّين:

ـ منهم من كان شديد الحفاظ على الموروث الأدبي الشعبي بما فيه الأساطير والطقوس ورأوا بأنّ أي تغيّير فيها هو خيانة لأمانة الأجداد، لأنّها هي التي تحمي المجتمع اليوم من سلبيات التكنولوجية ومختلف مغرياتها، وتحاول ترسيخ قيّم عليا في نفوس أبنائها، ولاسيّما وأنّ الشباب اليوم ينساقون وراء كلّ ما هو جديد دون النظر إلى النتائج التي سوف تترتب عنه. لذلك يرون بأنّ عليهم الحفاظ على الأساطير والطقوس كما ورثوها عن أسلافهم دون أي تحوير لها أو تغيّير، أو أي حذف ولو كان جزءا صغيرا منها.

ـ وفي مقابل هذه الفئة، نجد فئة أخرى كانت موافقة على التعديل والتغيّير الذي شهدته المأثورات الفلكلورية في المنطقة عموما، والأساطير والطقوس خصوصا، مع عدم المبالغة، إذ يرون بأنّه يجب إحياء الأساطير والطقوس التي تساير العولمة، وليس تلك التي حدثت في الأزمنة الأولى التي لم يعد لها أيّة علاقة مع العصر، فهم يرون بأن فئة شباب اليوم بأمس الحاجة إلى الأساطير التي تواكب العصر وتعالج مشكلاته، وليس تلك التي تتحدث عن مشاكل وأمور لم يعد لها وجود، لهذا كانوا موافقين على تعديل بعض الأساطير والطقوس لتتماشى مع تعاليم الدين خصوصا، والعصرنة عموما. تقول إحدى الرّاويات في هذا الشأن: «لْيزْمْ أُدْنْحْكَانِي أَيْنْ اطْرَانْ يـْـگـْـرِي ذْدْقـْـدْ، أَلَخَاطْرْ لْحَيَاةْ نـْـيـْـگـْـرِي تُورَى مَتَشِي كِفْكِيفْ، دْرْيَ نْتُورَى تْحْوِيسْنْ أَدَفْنْ ڤـْـتْحْكَايِينْ أَيْنْ إِلاَنْ ڤـْـلْحَيَاتْنْسْنْ»[2] أي: « يجب ألا نروي أثناء السرد كلّ ما وقع في قديم الزمان بالدقة، لأن الحياة في قديم الزمان تختلف عن حياتنا الآن، فأطفال اليوم يبحثون

---

[1]– المخبرة: زوينة. ع: 55 سنة، مربيّة، السنة الثالثة محو الأمية، على الساعة الثانية زوالا، يوم: 04/06/ 2011، قرية: "جرمونة"، بلدية: "خراطة".

[2]– الرّاوية نفسها.

في الحكايات ما يربطهم بحياتهم» فالرّاوية بهذا المعنى تريد ربط الأساطير القديمة بالواقع المعيش في المنطقة لمواكبة التغيّر.

ويعدّ عامل التدين الإسلامي من أكثر العوامل تأثيرا في مجتمع البحث، إذ نجد مثلا أنّ رّاوية أسطورة "البرق والرعد" قد رفضت في بداية الأمر سرد ما في جعبتها من أساطير وبعد إصرار وإلحاح غيّرت وجهة نظرها. وكانت قبل أن تبدأ في الحكي تصلي وتستغفر الله ثلاث مرات وتختم روايتها بقولها: «أَنِسَامْحْ رَبِّي، أَيْنْ إِدْنَّى»[1] أي: «فليسامحنا الله، على ما قلناه» وتصلي ركعتين أخيرتين لله. وهناك من يقول «أَنِسَامْحْ رَبِّي، أَيْنْ نَسْلَّي إِدْنَّى»[2] أي: «فليسامحنا الله هذا ما سمعناه، هذا ما قلناه». فهم يبعدون عن أنفسهم عقاب لله إن كانت الأسطورة كاذبة لأنّها ليست من تأليفهم، وإنّما سمعوها من أجدادهم، وهم لم يقولوا إلا ما سمعوا.

انطلاقا مما سبق يتبيّن لنا، إن للدين الإسلامي « أثر كبير في توجيه الإنسان وتهيئة طاقاته لمواجهة تغيرات الحياة والتقدم نحو المثل العليا والكمالي الخلقي وبما يزود به الأفراد من معتقدات يكون لها أكبر الأثر في تغيير أفكارهم وحثهم على التغيير بما يقدمه من نظام تربوي يغير الأفراد فتتغير بهم المجتمعات»[3] وربّما لهذا السبب نجد أنّ أغلبهم يتهربون من سرد الأساطير ولا يريدون خوض الحديث فيها بتاتا.

---

[1]- المخبرة: لعمرية بن عياش: 78 سنة، مربيّة، أميّة، على الساعة الثامنة والنصف ليلا، يوم: 2011/01/20، قرية: لبرزاخ"، بلدية: "ذراع القائد". ينظر: أسطورة "البرق والرعد" في الملحق رقم: (01)، ص 237.

[2]- المخبرة: رشيدة نوالي: 44 سنة، مربيّة، أميّة، على الساعة الثامنة والنصف ليلا، يوم: 13/ 12/ 2010م، قرية: "رحامين"، بلدية: "ذراع القائد". ينظر: أسطورة "الصراع الأبدي بين الحماة والكنة" (الرواية الثانية) في الملحق رقم: (01)، ص 253.

[3]- سيف الإسلام علي مطر: التغيّر الاجتماعي، ص20.

3 ـــ أساطير وطقوس الاستسقاء واستقبال الربيع بين الأصالة والتغيّر الاجتماعي

قبل الحديث عن التغيّر الذي طرأ على أساطير الطقوس، نوّد ذكر الأساطير قديما حسب أقوال بعض الرواة، والتغيّر الذي شهدته في الآونة الأخيرة.

أ / الأساطير بين الأصالة والتغيّر الاجتماعي

يقولون إنّ الأساطير قديما كانت تحاط بهالة من التقدّيس والاحترام وكان المستمعون يلتفون حول الرّاوية العارفة لأسرار الكون، فينصتون السمع ويدققون النظر فلا تسمع منهم لا صوتا ولا همسا، فكأنّهم في أداء صلاة مقدّسة لا يُسمع منها إلا صوت الإمام وكانوا «حْكَانِتِيدْ إِيـْڨـْعـْمُرَى پـْرْكْ، ڨـْلُوْڨْتِيسْ، أُتـْشـْثـْگـَيْنَّانِي فْلاَسْ، ژْرْنِطِيدْ ذْصْحْ ثْطْرَى پـْگـْرِي طْحْطَرَامْنْ وِينْ إِڨـْحْكَانْ، لاَنْ وْيَّ إِسِتْسْمَانْ وِينْ إِڨـْسْنْنْ دُونِيثْ، نِيغْ وِينْ إِڨـْسْنْنْ لـْعـْچـْپْ نْدُونِيثْ»[1] أي: «يروونها لكبار السن فقط، وفي ظروفها الخاصة، ولم يكن الشك يتسرب إلى قلوبهم، فهم يرون بأنّها حقيقية وقعت في قديم الزمان، وقد كان الرّاوي عندهم محترما مبجلا عند الجميع، ويطلقون عليه اسم العارف لأسرار الكون أو العارف لعجائب الدنيا» وكانوا يوكلون إليه جميع أمورهم لثقتهم به. وقد كان المستمعون عند إنهاء الرّاوي من سرد روايته يطرحون أسئلة حول الأشياء الغامضة التي لم يفهموها من أجل فهم كنه الأساطير. أما الطقوس المرافقة لها كطقسي "أَنْزَارْ" و"الربيع" (شَوْرْپـِيعْ) فمبجلان يمارسان في أغلب أنحاء المنطقة، فكلّ من قال مثلا "ربيع" (شَوْرْپـِيعْ) كأنّه قال عيدا، فهم ينتظرون حلوله بفارغ الصبر.

أما في وقتنا التكنولوجي الرّاهن، فقد أصبح معظم المستمعين يفضلون التلفزة والإعلام الآلي وهلم جرّا على الرّواة، مما أدى إلى تراجع قدّاسة الأساطير وعدم فهم لبّها ومضمونها إذ لم يستطيعوا العثور على إجابة مقنعة لأسئلتهم التي تتولد يوما بعد يوم، لاستبدالهم الرّاوي بوسائل العصرنة ولاسيّما عند الفئة المتعلمة. كما أنّ الأساطير أصبحت اليوم تروى للكبار

---

[1]– المخبرة: (؟): 71 سنة، مربيّة، أميّة، على الساعة العاشرة والنصف صباحا، يوم: 2011/07/20، قرية: "أزغار"، بلدية: "ذراع القائد".

والصغار معا دون استثناء، وتقلصت نظرتهم إلى الرّواة إذ نجد أنّ البعض منهم يحتقرونهم ويصفونهم بأنّهم متخلفين يعيشون في عالم الأوهام اللامحدود.

ولعلّ الشيء الملفت للانتباه، إنّ الاستهلال والاختتام في أساطير مجتمع البحث يكاد يندثر، فأغلب الرّواة اليوم يبدأون الأسطورة مباشرة دون أي استهلال، وينهونها دون ذكر الاختتام، وغياب الاستهلال والاختتام ينقص من قدّاسة الأساطير وقيمتها، وهو مؤشر يهدد زوالها، أو تحوّلها إلى حكايّة خرافيّة عجيبة.

وإذا كانت أساطير الأولياء قديما تحظى بالقدّاسة والاحترام عند أغلب الناس، فإنّها اليوم لم تعد مقدّسة إلا عند بعض المسنين، أمّا الطقوس التي كانت تصاحبها فلم تعد تمارس عند أغلب المناطق، وهذا راجع إلى تعليم الكبار في مدارس "محو الأميّة"، فأكثرهم لم يعد يؤمن بتلك الطقوس فالعلم كما يقولون قد أزاح عنهم الستار الذي كان يحجبهم عن الحقيقة، وفيما يتعلق بعبادة الأولياء والأجداد فقد اندثرت ولا نجد صداها إلا عند بعض المسنين غير المتعلمين في الأرياف النائية.

ولكن رغم أنّ الإنسان المعاصر «لا يستطيع أن يهضم كثيرا هذه التفسيرات... التي جاءته من أسلافه القدامى ولا أن يرتاح كثيرا لأساطيرهم الغريبة إلاّ أنّه اصطدم أيضا ببعض ظواهر طبيعية وبيولوجية وفلكية وصناعية حديثة، ولجهله بطبيعتها، بدأ يفسرها تفسيرات هي أقرب للأساطير القديمة منها إلى التفسيرات العلمية الحديثة»[1] فإنسان الحضارة العلمية لا يزال يحتفظ بأساطيره ورموزه، كلّ ما في الأمر أنّها قد اتخذت نغمة جديدة، فهي لم تبق حبيسة التقليد والتكرار القديم، وإنّما حاولت أن تواكب وتزاحم هذه العولمة المدهشة لتثبت جدارتها ومدى أهميتها في كلّ عصر وزمان، فهي بهذا المعنى تحاول أن ترقى بنفسها إلى مرتبة السمو بل إلى مرتبة الخلود، فالشيء الذي لا يتغيّر يكون ضيّق المجال وسرعان ما يؤول إلى الاضمحلال ومن ثم التلاشي والاندثار.

---

[1]– عبد المحسن صالح: "الإنسان الحائر بين العلم والخرافة"، مجلة عالم المعرفة، يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، كتب ثقافية شهرية، الكويت، مارس (آذار)، 1979، ص 07.

ب / طقس الاستسقاء (أَنْزَارْ) بين الأصالة والتغيّر الاجتماعي

رغم قدم طقس الاستسقاء "أَنْزَارْ"* إلا أنّه لا يزال يمارس في بعض قرى مجتمع البحث، كلّما دعت الحاجة إلى ذلك، فهو من الطقوس الحيّة التي تواكب العصرنة، لا من الطقوس الميّتة التي تندثر بمجرد إنهاء زمن وجودها، لكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا: هل ممارسته في وقتنا الرّاهن هي نفس الممارسة التي كان يحظى بها في قديم الزمان؟ أو بصيغة أخرى: هل طرأت على طقس الاستسقاء "أَنْزَارْ" في وقتنا الرّاهن بعض التعديلات؟

تغيّر طقس الاستسقاء "أَنْزَارْ" بعض الشيء على ما كان عليه في قديم الزمان فأسطورة "عروس ملك المطر"** شبه مندثرة، لم نعثر عليها في مجتمع البحث إلا بشق الأنفس عند رّاوية واحدة فقط، وقد تأسفت إلى ما آل إليه تراث الأجداد نتيجة النسيان وعدم اهتمام جيل اليوم بتراثه الأصيل، تقول: «قـْـپـْـگـْـرِي قـْـپـْـلْ مَنْخْذْمْ أَنْزَارْ، نْحْكَادْ إِدْرْيَّ قـْـپـْـلْ ثَحْكَايْثِيسْ، أُمْبْعْدْ أَدْرُوحْنْ أَذْطلـْـپـْـنْ أَغْبَارْ، أُثْرَى سْهَانْتْ»[1] أي: «في قديم الزمان قبل أن نمارس طقس أنزار نسرد للأطفال أسطورته أوّلا، وبعدها يذهبون لطلب المطر، أمّا الآن فقد نسوا هذه الأسطورة». ولم يبق منها إلاّ هذا الطقس الذي يحاول استعادة الزمن الأسطوري الأوّل.

وقد كانوا في قديم الزمان قبل ممارسة طقس الاستسقاء "أَنْزَارْ" يقومون أوّلا بعمل جماعي تضامني وهو (لوزيعة)*** الذي يهدف إلى تماسك أفراد المجتمع، أمّا الآن فلم يعد يمارس هذا العمل الجماعي أثناء أداء تلك الطقوس، إذ لم يعد له أي اهتمام. أضف إلى ذلك أنّ بعض الأفراد اليوم لا ينتقون المكان المناسب لممارسة الطقس، فأصبحوا يمارسونه في أي مكان. أمّا المغرفة في وقتنا الحالي فلم تعد تزيّن بالحلي، بل أصبحت مجرد مغرفة فوقها حجاب وهي لم تعد تغمس داخل الماء إذ اكتفوا برشها فقط.

---

*– ينظر: الفصل الثاني، المبحث الأوّل عن كيفية ممارسة طقس (أَنْزَارْ) في منطقة خراطة، ص 143 ــ 146.

**– ينظر الأسطورة كاملة في الملحق رقم: (01)، ص 256.

1– أخبرتني بهذه المعلومة الرّاوية: د. ب، 75 سنة، مربية، أمية، على الساعة الثامنة والنصف ليلا، يوم: 02/ 05/ 2011م، قرية: "ثاقليعث"، بلدية: "ذراع القائد".

***– عمل جماعي يتمثّل في شراء خرفان أو ثيران كثيرة حسب عدد سكان المجتمع، فيذبحونهم ويقسمون لحومهم بالتساوي، يهدف إلى الوحدة والتضامن بين أفراد المجتمع، ويمارس هذا العمل أيضا في قديم الزمان في شهر رمضان المقدّس لكي يحصل جميع النّاس على اللّحم.

ولعلّ الشيء الملفت للانتباه، هو أنّ طقس "أَنْزَارْ" قد اندثر نهائيا في المدينة المركز فإذا ما سألت أهلها عن ممارسته كانت إجاباتهم بالسلب* والتعجب من ذلك الاسم، فأصبح مجهولا عندهم بعدما كان يحظى بأهمية خاصة، وحتى في الأريّاف أصبح يتقلص تدريجيا نتيجة دخول العصرنة إلى كلّ البيوت، وقد تقلصت معه درجة الإيمان ولاسيّما عند المتعلمين إذ لا يؤمنون به كما كانوا يؤمنون به في قديم الزمان.

ما يمكن لنا قوله في طقس "أَنْزَارْ" اليوم، هو أنّ ممارسته أصبحت عند أغلب النّاس مجرد ممارسة سطحية شكلية تأثرا ببعض الأفكار الإسلامية، تخلوا من مظاهر الإيمان ومن ثم خلوها من صفة القدّاسة التي صاحبته سنين طويلة، وهو على حافة الزوال، إذ أغلب القرى لم تعد تمارسه. ورغم ذلك نجد أنّه لا يزال مقدّسا عند المسنين الحاملين الحقيقيين للتراث الشعبي.

ج / طقس استقبال الربيع (شَوَرْپِــيعْ) بين الأصالة والتغيّر الاجتماعي

تغيّر طقس استقبال الربيع (شَوَرْپِــيعْ)** في بعض الجوانب اليوم، على ما كان عليه في قديم الزمان، تقول الرّاوية لعمرية وكلّها أسف إلى ما وصل إليه طقس الربيع اليوم: «إِيهْ، نُوكْنِي پـْـگـْـرِي أَذْرْقـِـيسْ تِمْغَارِينْ إِهْدِدْكْسْنْ، نُوهْنْتِيثْ إِقـْسْنْنْ، نْخْدْمِيثْ قـْـخَامْ نُقْرْمُوذْ كُولْشِي قـْـشُوطْنْ، إِقْنُوشْنْ نْتَلاَغْثْ، ثْرْنِي نـْـتـْـنـْـچـْـمَاغْ مْرَّى، وِينْ إِقـْـخْدْمْنْ قـْـلـْـپـْـعـْـذْ لِيزْمْ أَدِوْلَّى، أُثْرْنِي نْهَارْ نْشَوَرْپِــيعْ ذْلْعُطْلَة، أَرَّاشْ أُذْقْرَنَانِي، نْخْدْمِيثْ أُكْلْ قـْـبِّيُونْ نْنْهَارْ، ثُرَّى كُلْحْدْ مُوق إِثِخْدْمْ أَلَخَاطْرْ دْرْيَّ قْرَانْ، أُوْيَّ إِقـْـپـْـعـْـذْنْ أُدْتوْلْنَانِي. أُثِيرْطُونِينْ نْرْقْمِيهْنْتْ نْرْسْمْ زْقـْـسْنْتْ ثَقُوگـْـثْ ثَصْطَى أَيُّورْ، لْحْمْدُ لله مَا زَالْ وْيَّ إِهْنْتِخْدْمْنْ أَنْكْنْ غَاسْ ذْرُوسْ، أُمَّى تِمْلاَلِينْ نْرْقْمِيهْنْتْ سُسْلُوا أَپـْـرْگـَـانْ، وَانْخْذْمْ ثـِـيچـْـوَاچْ، ثْرْنِي تْلْتْيَّامْ نُوكْنِي نْخْدْمِيثْ، نْهَارْ أَمْزْوَارْ أَدْنْكْسْ أَذْرْقـِـيسْ وَانْلْسْ لْقْشْ أَقْدِيمْ، أَزْكِوْنْ أَنْلْسْ كُولْشِي ذَچـْـذِيذْ وَنْرُوحْ إِلْخْلَى وَنْتْشْ شَوَرْپِــيعْ، أُسْلْدَزْكِيوْنْ أَنـْـگـْـلْ نْتْغْنَى فـُـپـْـنْدِيرْ نـْـتـْـژْ غْرِيثْ وَانْتْشْ ثِيغْرِفِينْ»[1]، أي: «آه، نحن في قديم الزمان العجائز هن من يتولين نزع نبتة أَذْرْقـِـيسْ، فهن من يعرفن كيفية نزعها وقد كنا نمارس طقوسه في بيت عتيق من القرمود، كلّ شيء ينضج من الحطب، والأواني مصنوعة من الصلصال، كما كنا نجتمع كلّنا، فمن كان يعمل في مكان بعيد فعليه الرجوع في

*- ينظر: هذا المبحث (تحليل الاستبانة)، ص 119 ــ 120.

**- ينظر: الفصل الثاني، المبحث الثاني عن كيفية ممارسة طقس الربيع في منطقة خراطة، ص 177 ــ 183.

[1]- المخبرة: لعمرية بن عياش: السابقة الذكر، على الساعة الثانية زوالا، يوم: 2011/03/04م.

الطقس الربيعي أضف إلى ذلك أنّه كان يوم عطلة، فالأطفال لا يدرسون، وقد كنا نمارسه كلّنا في يوم واحد، لكن للأسف فاليوم لا يمارس في يوم واحد، لأن الأطفال يدرسون، والغائبون عن المنزل لا يرجعون. أمّا الفطيرة فقد كنّا نزيّنها، إذ نرسم عليها الشمس والشجرة والقمر، والحمد لله لا يزال البعض يرسمها كما كنا نرسمها نحن في قديم الزمان حتى وإن كان ذلك نادرا، أمّا البيض فقد كنا نزركشه بالرماد الأسود ونضع عددا زوجيا، وقد كان الطقس يستمر لثلاثة أيّام على التّوالي ففي اليوم الأوّل ننزع نبتة أَذْرْڤـِيسْ ونرتدي الملابس القديمة، وفي اليوم الثاني نلبس الملابس الجديدة ونذهب إلى البراري ونأكل أكلة الربيع، وفي اليوم الثالث والأخير نظلّ نغني ونضرب على البندير ونزغرد ونأكل الفطائر الرقيقة».

يتبدى لنا من خلال هذا القول، إنّ هناك بعض الائتلاف في طقس استقبال الربيع بين القديم والمعاصرة، حيث نجد أن بعض أفراد المجتمع الحالي في المنطقة لا يزالون يستخدمون في اليوم الأول بعض الأواني التقليدية، ويلبسون الملابس القديمة، حتى أن بعض الأسر ولاسيّما الساكنين في الأرياف يحبّذون استعمال الأواني المصنوعة من الصلصال، ومن لا يملكها يستعمل ما يملكه في المنزل من أوان شرط أن تكون قديمة. والشيء الملفت للنظر أن هناك من يخفي هذه الأواني التقليدية بعد انتهاء الطقس مباشرة ولا يخرجها إلا عند انبعاث الربيع مجددا خوفا من انكسارها أو ضياعها.

ونجد في وقتنا الحالي أن أغلب العائلات لا تمارس الطقس الربيعي إلاّ يوم الجمعة لأنّه يوم عطلة، حتى يتسنى لجميع أفراد العائلة المشاركة في هذا الطقس الأسطوري البهيج.

احتفظت فطيرة الربيع (أَغْرُومْ نْشَوْرْپِـيعْ) أو(ثِيرْطُونِينْ) بزركشتها التقليدية عند بعض أسر الريف وهي في طريق الاندثار، إذ لم نعثر عليها إلا بعد زيارتنا لمختلف قرى منطقة "خراطة" عند أربع أسر فقط، ولكن رغم ذلك فالدوائر لا تزال ترسم على الفطيرة مع طلائها بمحّ البيض أمّا فيما يتعلق بالفطائر الرقيقة فإنّها لا تزال تحضّر إلى اليوم، وإن اختلف يوم تحضيرها وأكلها عند بعض الأسر، مع الاحتفاظ بالأعداد الزوجية للبيوض عند أغلب الأسر.

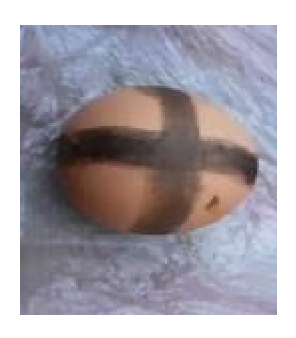
أمّا الاختلافات فتتمثل في صاحب نزع النبتة (أَذْرْڤـِيسْ)، ففي القديم العجائز هن من يتولين أمر نزعها من الخلاء، في حين نجد اليوم أن الذكور هم من ينزعونها، وتنزعها الإناث عند غياب الذكر أو اشتغاله بأعمال أخرى هذا من جهة، ومن جهة ثانية أنّ الطقس في القديم

كان يستمر لثلاثة أيّام على التّوالي، وجميع الأواني تقليدية دون استثناء، وهي مصنوعة من الصلصال.

أمّا البيض الخاص بالطقس فقد كان قديما يرسم عند بعض أسر الريف بخط أسود من الرماد في وسط البيضة، وخط آخر يرسم من أعلى البيضة إلى أسفلها [1]، مشكلة دائرة كروية الشكل مقسمة إلى جزأين في الوسط عند النظر إليها من الأعلى (شكل رقم 01) وشكل بيضوي مقسم إلى أربعة أجزاء عند النظر إليها مسطحة (شكل رقم 02) :



شكل رقم (01)





شكل رقم (02)

وما نريد التنويه إليه هو أن رسم البيض بهذا الشكل، يستعمل أيضا في البيض المعد لخروج الصيصان بالطريقة التقليدية، إذ تأخذ الأم البيض وترسمه بذلك الشكل، أو برسم نقاط سوداء صغيرة الحجم على البيض... فعندما تنتهي مدّة احتضان الدجاجة لبيضها – وهي مدّة واحد وعشرين يوما– تخرج الصيصان إلى الحياة وهي مزركشة كما زركشت البيضة التي خرج منها، لهذا نجد أن سكان المنطقة يعتقدون أن الدجاج المعدّ بهذه الطريقة يكون مزركشا بمختلف الألوان عكس الدجاج المعد بالطريقة الحديثة الذي يكون لونه إما أبيضا كلّه أو أحمرا.

يمكن لنا تلخيص كلّ ما قلناه عن أوجه الائتلاف والاختلاف في الجدول التّالي:

طقس استقبال الربيع قديما	طقس استقبال الربيع حديثا
العجائز هن من يتولين نزع نبتة أَذْرْقِـيسْ (Adergis)	ينزعها الأطفال – الذكور والإناث معا –

[1]– استقيت هذه المعلومة من الرّاوية: صليحـة بن حدة: السابقة الذكـر، على الساعة العاشرة صباحا، يوم: 2011/03/04م.

البيت قديم	البيت حديث
الاحتفال بالربيع كان يوم عطلة	لم يعد يوم عطلة، لهذا يُفضل ممارسة طقوسه يوم الجمعة الذي هو يوم عطلة للجميع
يمارسه أغلب الناس في يوم واحد	لم يعد يمارس في يوم واحد، المهم هو أن يمارسه الجميع في شهر مارس. ويفضل أغلبهم ممارسته في أوّل شهر مارس.
استمرار الاحتفال بالطقس لثلاثة أيّام عند أغلب الأسر	استمرار الاحتفال بالطقس ليومين، وعند أغلب الأسر ليوم واحد فقط
جلّ الأسر تزيّن الفطيرة الربيعية بالشمس والشجرة والقمر	نادرا ما نجد هذا الرسم في الأرياف النائية واندثاره تماما في المدينة المركز وفي بعض المناطق الأخرى كمنطقة "أزغار" و"لبرزاح" و"لوافرة" و"آيث مرعي"...
تلوين الشجرة التي ترسم على فطيرة الربيع بالنباتات الخضراء الصالحة للأكل	تلوين الشجرة بالصبغة الخضراء الحديثة
رسم البيض بخطوط	عدم رسم البيض
جميع الأواني المستعملة في الطقس تقليدية مصنوعة من الصلصال	معظم الأواني حديثة
خروج جميع الأسر إلى البراري أثناء أداء الطقس بدون استثناء (الأطفال والنساء وبعض الرجال) ولاسيما في منطقة "أجيون"	قلة خروج الأسر إلى البراري
رسم علامة (+) على الناصية والوجنتين عند العجائز	نادرا ما ترسم هذه العلامة في الأرياف النائية عند العجائز، وزوال استعمالها تماما في المدن، وفي بعض الأرياف.

انطلاقا من هذا التوضيح، يمكن لنا أن نقول، إنّ بعض الاختلافات ما هي إلا نتيجة الأصالة والعصرنة، أي نتيجة تغيّر الزمن، ففي القديم مثلا كان جميع النّاس يعيشون في بيوت قديمة وكانت جميع الأواني تقليدية، كما أنّهم لم يكونوا يملكون غازا إذ كانوا ينضجون مأكولاتهم على نار مشتعلة من الحطب، ومعظمهم غير متعلمين عكس اليوم نتيجة تطور الوسائل في جميع الميادين ورغم ذلك نجد أنّ بعض الأسر الحديثة النشأة تريد استعمال آواني الصلصال، لكنّها تتأسف على عدم امتلاكها ولاسيّما الساكنة في المدينة.

أمّا في ما يتعلق باجتماع النساء كلّهن في الخلاء مع الأطفال، أو لوحدهن في قديم الزمان، فربّما يعود ذلك إلى الأمن والاستقرار الذي كان يعيشه الإنسان في القديم، فالنساء كنّ يخرجن وحدهن دون خوف، إذ كنّ يجمعن الحطب في الغابات ويجلبن معهن بعض النباتات الصالحة للأكل، والنباتات الطبية للتداوي بها...كما قد يعود ذلك إلى ندرة وسائل الاتصال الحديثة كالتلفاز، ومن ثم قضاء وقت فراغهن في الخلاء. عكس اليوم نتيجة تطور وسائل العصرنة في جميع الميادين.

ورغم ذلك، فالشيء الذي يبقى ظاهرا للعيان هو أن معتقدات الأجداد وطقوسهم الأسطورية أصبحت مهدّدة بالزوال نتيجة طغيان العولمة وسير الإنسان وراءها، إذ الشيء الملاحظ في طقس استقبال الربيع (شَوْرْپِــيعْ) أنّه بدأ يتقلص تدريجيا، ولاسيّما وأن معظمهم لم يعد يزين الكسرة الربيعية بالشمس والشجرة والقمر، ولعلّ الشيء الملفت للانتباه أكثر في عصرنا هذا أن أغلبهم لا يتذكر تلك الأشكال والرسوم بتاتا، فهم لا يستطيعون تذكر التفاصيل الدقيقة المهمة في الطقس.

4 ـ أساطير وطقوس الاستسقاء واستقبال الربيع عند الفئة المتعلمة في المدرسة الجزائرية: تحليل الاستبانة الموّجهة لتلاميذ السنة الثانية متوسط

إن الاستبانة ضرورية ومهمة لفهم الظواهر الميدانية الحيّة، فهي تؤكد عناصر البحث النظرية بالتطبيقات الموجودة واقعيا في الميدان. وبما أنّنا نتعامل مع الرواة لفهم الموروث الأسطوري المتداول في منطقة "خراطة" عند مختلف فئات العمر، فمن المؤكد بأنّه سيمس تلك الفئة المتعلمة في المدارس. وعليه فقد ارتأينا معرفة وجهة نظر التلاميذ لهذا النوع الفلكلوري في واقعنا المعاصر، عصر التكنولوجية والعولمة من خلال الاستبانة. فما هي وجهة نظرهم إلى الأساطير وطقوس الاستسقاء واستقبال الربيع؟

أ / انتقاء عينة البحث

اخترنا كعينة لدّراسة الأساطير عند الفئة المتعلمة، تلاميذ السنة الثانية متوسّط، وقد انتقينا منهم عينة من الريف ممثلة في متوسطة "الإخوة بومعزة" المتواجدة في منطقة "أجيون"، وعينة أخرى من المدينة المركز ممثلة في متوسطة "08 ماي 1945 ". وسبب اختيارنا لتلاميذ السنة الثّانية متوسّط هو كون الأساطير من النصوص المبرمجة لهم في كتاب اللغة العربية، إذ برمجت لهم ثلاثة أساطير على النحو التّالي: "عودة أوذيسيوس" و"من الأساطير العربيّة" و"أسطورة من مشرق الشمس"[1]. فمن البديهي أنّهم سيجيبون عن الأسئلة بالدّقة لأنّهم يتذكرون كلّ التفاصيل، عكس السنوات الأخرى أو الثانويات نتيجة النسيان الذي يمكن أن يكون قد اعترى ذاكرتهم، ومن ثم نسيان بعض أجزائها، أو نسيانها كلّيا. أما سبب اختيارنا عينة من الريف وأخرى من المدينة، هو معرفة قيمة الأساطير والطقوس من كلاّ الطرفين، حتى لا تكون الدّراسات ضربا من التخمينات الذاتية.

وقد قمنا أوّلا بزيارة ميدان المتوسطتين، للتأكد من أن التلاميذ قد درسوا حقا تلك الأساطير المبرمجة في الكتاب المدرسي، أم أنّها مجرد أساطير وضعت لثراء برنامج النصوص وتنوعه. فقمنا بحوار مع بعض أساتذة اللغة العربية، ومع أغلب التلاميذ فوجدنا النتيجة ايجابية

---

[1]– ينظر: ب. بن تريدي ور. آيت عبد السلام: اللغة العربيّة للسنة الثّانية من التعليم المتوسّط، إشراف: بدر الدين بن تريدي، مراجعة وتنقيح: ساعد العلوي، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، الجزائر، 2009 ـ 2010، ص 38 ـ 39 ـ 45 ـ 46.

إذ درسوها وحلّلوها من جميع جوانبها. بعد ذلك أخذنا موافقة من مدير متوسطة 08 ماي 1945م ومع الأمين العام لمتوسطة الإخوة بومعزة – نيابة عن المدير– بالسماح لنا بإجراء البحث على بعض التلاميذ، وحددنا معهما موعد توزيع الاستبانة، وزودانا بالمعلومات التّاليّة حول المتوسطتين:[1]

اسم المتوسطة / المعلومات	متوسطة الريف: الإخوة بومعزة "أجيون"	متوسطة المدينة: 08 ماي 1945م "خراطة المركز"
1ــ فتح المؤسسة	1988	1986
2ــ المساحة الإجمالية	573.67 م ^{2}	768 م ^{2}
3ــ عدد الذكور في المؤسسة ككلّ	274	386
4ــ عدد الإناث في المؤسسة ككلّ	270	382
5ــ عدد الذكور والإناث (السنة الثّانية متوسط)	122	138
6ــ عدد القاعات	18	16
7ــ عدد المخابر	02	02
8ــ عدد الورشات	00	02
9ــ عدد المخازن	01	02
10ــ عدد الساحات	01	02
11ــ عدد المكتبات	01	01
12ــ قدرة الاستيعاب	630	700
13ــ عدد المناصب المفتوحة	32	39

[1]– مقابلة مع: ــ صالحوي: الأمين العام لمتوسطة الإخوة بومعزة بأجيون، على الساعة التاسعة صباحا، يوم: 05/ 05/ 2011م.

ــ مرزوق عبد الحميد: مدير متوسطة 08 ماي 1945م بخراطة المركز، على الساعة الحادي عشرة، يوم: 05/ 05/ 2011م.

يتبيّن لنا من خلال هذا الجدول، إنّ الإمكانات متاحة أكثر للمتوسطة المتواجدة في المدينة "08 ماي 1945" سواء من حيث المساحة، أو عدد الورشات، أو عدد المخازن، أو عدد الساحات، باستثناء عدد القاعات إذ كان العدد الأكبر للمتوسطة المتواجدة في الريف "الإخوة بومعزة".

ب/ أسئلة الاستبانة وتوزيع العينة

بعد اختيارنا لعينة الدّراسة، قمنا بصياغة أسئلة الاستبانة*، وهي تتكون من خمسة محاور، تحتوي على الأسئلة المغلقة والمفتوحة معا.

المحور الأول عبارة عن بيانات شخصية هدفها التعرف على المستجوَب كالجنس والسن ومكان الإقامة. أمّا **المحور الثاني** فيتمثل في بيانات حول الأساطير المرويّة في المنزل، لمعرفة نوعية الأساطير المرويّة لهم في البيوت، ويتكون من سبعة أسئلة. ويتمثّل **المحور الثالث** في بيانات حول الأساطير المدروسة في المدرسة (التعليم) لمعرفة الأساطير الموجودة في الكتاب المدرسي وقيمتها عند الفئة المتعلمة، ويتكون هذا المحور من ستة أسئلة. بعد ذلك قمنا بصياغة **محور رابع** يجمع بين المحور الثاني والمحور الثالث، عنوانه: بيانات حول الأساطير المرويّة في المنزل والمدروسة في المدرسة، بهدف معرفة الأفضل بالنسبة للتلاميذ، ووجهة نظرهم للأساطير ككلّ، ويتكون من ثلاثة أسئلة. أمّا **المحور الخامس** والأخير فقد فضلنا أن تكون الأسئلة حول طقسي: "أَنْزَارْ" و"الربيع" (شَوْرْپِـيعْ)، لاختيارنا لأساطير الطقوس أنموذجا في التحليل، ويتكون من ثمانية أسئلة، ثلاثة أسئلة حول طقس الاستسقاء "أَنْزَارْ" وخمسة أسئلة حول طقس استقبال "الربيع" (شَوْرْپِـيعْ).

بعد أن أنهينا صياغة الاستبانة قمنا بتجريبها على عدد من التلاميذ لنفس السنة لمعرفة إن كانت مناسبة لمستواهم الدّراسي، وهل هي سهلة بسيطة يفهمها الجميع؟ أم أنّها مستعصية للفهم عند البعض الآخر؟ فوجدنا أنّ البعض منهم لم يفهم كلمة (تُروى) فقمنا بوضع مرادف لها بين قوسين (تُحكى) تسهيلا لهم. بعد كلّ هذا قمنا بتوزيعها على العينة المختارة.

---

* – جاءت الاستبانة نتيجة ثمرة العمل الميداني، فبعد التحقيق الاثنوغرافي الحيّ والاستماع إلى أساطير الرواة الناشئين تأكد لنا ضرورة وضع الاستبانة لمعرفة مدى تأثير المدرسة ووسائل الاتصال الحديثة عليهم، ومن ثم رؤيتهم الخاصة إليها. ولاسيّما وأن أغلب أساطير الرواة الناشئين مأخوذة من الكتب المدرسية. فصياغة الاستبانة إذن جاءت نتيجة ملاحظة مختلف الروايات الأسطورية التي يرويها الرواة الناشئين المتعلمين.

بلغ عدد تلاميذ السنة الثانية متوسط في كلاّ المتوسطتين 260 تلميذا، ومن هذا العدد الكلي أخذنا 120 تلميذا، أي بلغت النسبة 46.15% وهي عينة تقارب نصف التلاميذ، وقد كان توزيع العينة والنسب متساويا في كلاّ المتوسطتين، وهذا الجدول توضيح لذلك:

المتوسطة	الإخوة بومعزة (متوسطة الريف أجيون)	08 ماي 1945م (متوسطة خراطة المركز)
عدد التلاميذ	60	60
النسبة المئوية	%50	%50
المجموع العام للتلاميذ	120	
النسبة المئوية	%100	

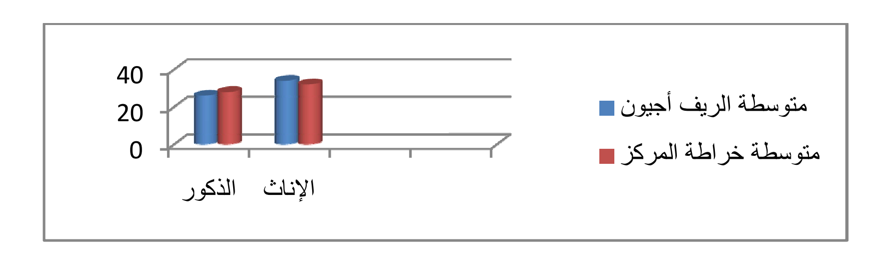
وقد تم استرجاع جميع الاستبانات الموّزعة، وسلكنا في تحليلها طريق الأمانة العلمية دون إحداث أي تصرف فيها. وبعد تسجيل إجاباتهم وإحصائها قمنا بتحليلها متبعين الطريقة الإحصائية المعروفة: عدد الإجابات X 100 ÷ عدد العينة.

ج / تحليل الاستبانة

أوّلا: بيانات شخصية: تتمثل الأسئلة التي وردت في هذا العنصر في: الجنس والسن ومكان الإقامة.

1 ــ الجنس: تبيّن لنا بعد إحصاء عدد الذكور والإناث، أنّ عدد الإناث أكبر من عدد الذكور وهذا ما يوضحه الجدول التّالي:

المتوسطة	الإخوة بومعزة (متوسطة الريف أجيون)		08 ماي 1945م (متوسطة خراطة المركز)	
الجنس	الذكور	الإناث	الذكور	الإناث
عدد الإجابات	26	34	28	32
النسبة (%)	%43.33	%56.66	%46.66	%53.33

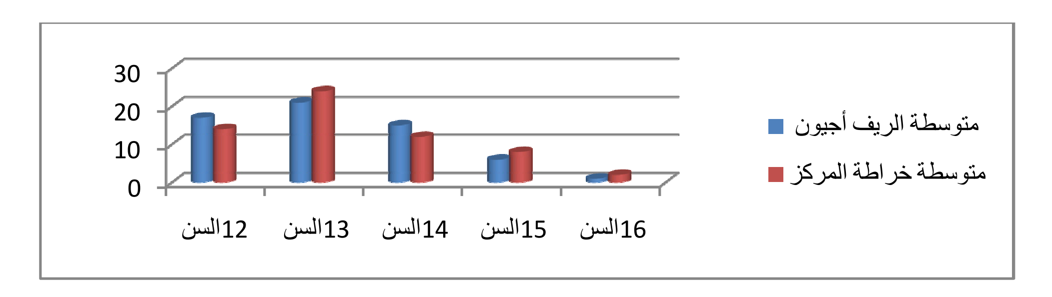


أعمدة بيانية رقم (01): تحدّد نوع الجنس.

تبيّن هذه النتائج أنّ عدد الإناث يفوق عدد الذكور في كلاّ المتوسطتين والفرق بينهما ليس كبيرا.

2 ـ **السّن:** بعد إحصاء عمر التلاميذ استطعنا الوصول إلى النتائج التّاليّة:

المتوسطة	الإخوة بومعزة (متوسطة الريف أجيون)					08 ماي 1945م (متوسطة خراطة المركز)				
السن	12	13	14	15	16	12	13	14	15	16
عدد الإجابات	17	21	15	06	01	14	24	12	08	02
النسبة(%)	%28.33	%35	%25	%10	%01.66	%23.33	%40	%20	%13.33	%03.33



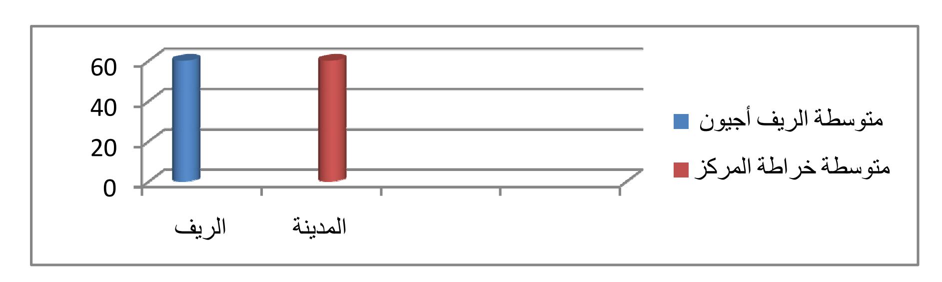
أعمدة بيانية رقم (02): تمثل تحديد السن.

ما يلاحظ على هذا الجدول، إنّ العمر في السنة الثانية متوسط يبدأ من السن 12 إلى السن 16، وقد احتل السن 13 النسبة الكبرى في كلاّ المتوسطتين، ففي متوسطة "الإخوة بومعزة" بلغت النسبة 35.00%، أمّا في متوسطة" 08 ماي 1945"، فقد بلغت النسبة 40.00%. أمّا عن أصغر النسب فقد كان للسن16، إذ بلغت النسبة 01.66% في متوسطة الريف و03.33% في متوسطة خراطة المركز، وهو سن يفوق بكثير سن السنة الثانية متوسط

وهم يمثلون التلاميذ الراسبين. فالنتيجة إذن هي أنّ أغلب تلاميذ المتوسطتين ناجحون متفوقون غير راسبين.

3 ــ مكان الإقامة: إنّ مكان إقامة تلاميذ عينة البحث هو الريف والمدينة على حدّ سواء، والنتائج مبيّنة في الجدول التّالي:

المتوسطة	الإخوة بومعزة (متوسطة الريف أجيون)		08 ماي 1945م (متوسطة خراطة المركز)	
الاقتراحات	الريف	المدينة	الريف	المدينة
عدد الإجابات	60	/	/	60
النسبة (%)	%100	/	/	%100



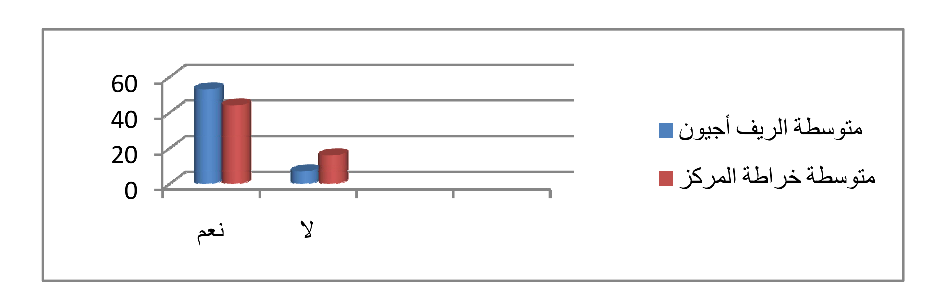
أعمدة بيانية رقم (03): تبيّن مكان إجراء البحث.

توضح النتائج المدونة أعلاه، أنّ عدد عينة الريف هو نفسه عدد عينة المدينة، فتوزيع الاستبانة كان بالتساوي بين تلاميذ المدينة وتلاميذ الريف.

ثانيا: بيانات حول الأساطير المرويّة في المنزل: أوردنا في هذا المحور مجموعة من الأسئلة المتعلقة بالأساطير المرويّة في البيوت لمعرفة موقف التلاميذ من تلك الأساطير. ويشتمل هذا المحور على الأسئلة التاليّة:

1 ــ هل تحبّ سماع الأساطير: طرحنا هذا السؤال لمعرفة مدى إقبال التلاميذ على الأساطير المرويّة لهم في المنازل، فهل يحبّون سماع الأساطير في هذا العصر أم أنّهم ينفرون منها؟

المتوسّطة	الإخوة بومعزة (متوسطة الريف أجيون)		08 ماي 1945م (متوسطة خراطة المركز)	
الاقتراحات	نعم	لا	نعم	لا
عدد الإجابات	53	07	44	16
النسبة (%)	%88.33	%11.66	%73.33	%26.66

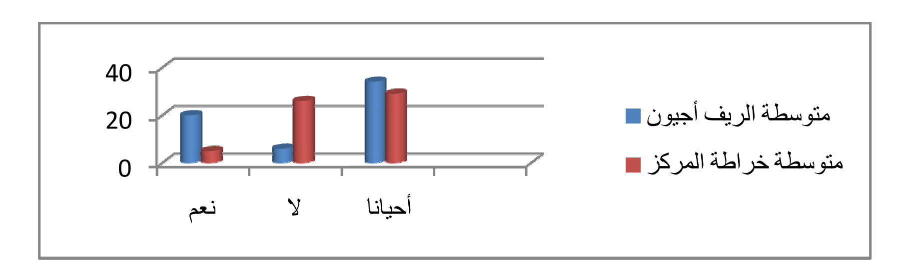


أعمدة بيانية رقم (04): تبيّن مدى حبّ التلاميذ سماع الأساطير.

يظهر لنا جليّا من خلال النتائج المدونة أعلاه، إنّ أغلب التلاميذ يحبّون سماع الأساطير المرويّة في البيوت، إذ وصل عدد الإجابات في متوسطة "الإخوة بومعزة" إلى 53 إجابة والنسبة كانت 88.33%، في حين وصلت في متوسطة "08 ماي 1945" إلى 44 إجابة وبلغة الأرقام كانت النسبة 73.33%. فتلاميذ الأرياف إذن أكثر شغفا وحبّا للأساطير من تلاميذ المدينة. إذ وصلت نسبة الذين لا يحبّون سماع الأساطير في متوسطة خراطة المركز إلى 26.66%، في حين كانت في متوسطة الريف 11.66%. ولكي لا نترك السبب غامضا، أتبعنا هذا السؤال بـ : لمّاذا؟ وهو سؤال موجّه للذين لا يحبّون سماع الأساطير. قدم هؤلاء التلاميذ تعليلات تصب كلّها في قالب واحد، وهو أنّهم لم يتعوّدوا على سماع الأساطير لأنّه لا يوجد من يرويها لهم في البيوت، وهناك من رفض تضييع وقته في الاستماع إلى الرّاوي، وفضل سماعها من الحاسوب ويمثل هذا الرأيّ تلاميذ المدينة.

2 ـ هل تُروى (تُحكى) لك أسطورة قبل النوم؟: أدرجنا هذا السؤال في الإستبانة لمعرفة إن كان الرّواة في البيوت لا يزالون يروّون الأساطير لأبنائهم وأحفادهم، أم أنّهم تخلوا عنها. وهذا ما سيتضح في الجدول التّالي:

المتوسطة	الإخوة بومعزة (متوسطة الريف أجيون)			08 ماي 1945م (متوسطة خراطة المركز)		
الاقتراحات	نعم	لا	أحيانا	نعم	لا	أحيانا
عدد الإجابات	20	06	34	05	26	29
النسبة (%)	%33.33	%10.00	%56.66	%08.33	%43.33	%48.33

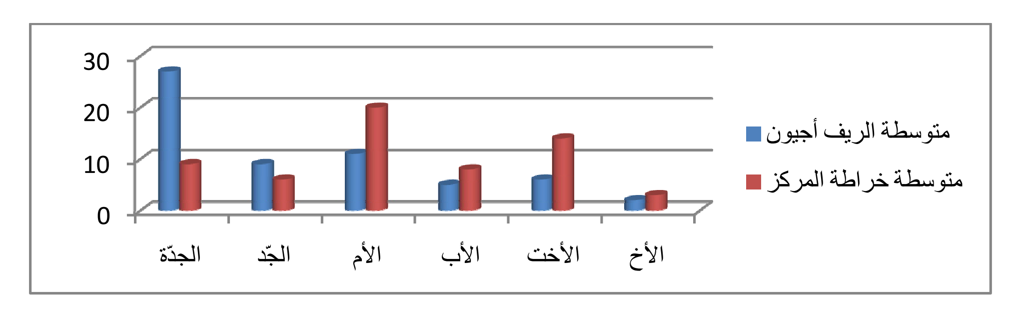


أعمدة بيانية رقم (05): توضح مدّى رواية الأساطير للتلاميذ في البيوت.

نلاحظ من خلال الإجابات التي أوردها التلاميذ، إنّ الأساطير تروى لهم بين الحين والآخر في كلاّ المتوسطتين، إذ وصل العدد إلى 34 تلميذا في متوسطة الريف أي بنسبة 56.66%، أمّا في متوسطة المدينة فقد كان عددهم 29 تلميذا، أي بنسبة 48.33% وهي نسب معتبرة. ولعلّ الشيء الملفت للانتباه أكثر في هذا الجدول هو أنّ نسبة 43.33% من تلاميذ المدينة لا تروّى لهم الأساطير بتاتا، وربّما يعود ذلك إلى طبيعة نظام الأسرة من جهة كغياب الرّاوي المسّن كالجدّة مثلا، ومن جهة ثانية لكونهم أبناء المدينة حيث توفر وسائل التكنولوجية أكثر من أبناء الريف الذي وصل عددهم إلى 06 إجابات فقط أي بنسبة 10.00% فمعظمهم تروى لهم الأساطير إذ وصلت النسبة إلى 33.33%، في حين انحدرت النسبة للذين تروى لهم الأساطير في المدينة إلى 08.33%.

3 ــ من بين الرّواة الآتي ذكرهم، من يروي لك الأساطير بكثرة؟ (رتبهم من 01 إلى 06 حسب الأهمية): يقتضي منا طبيعة الموضوع الذي نتناولّه، الحديث عن الرواة بوصفهم مصدر المادة الخام في الميدان، ومن أجل معرفة الرّاوي الذي يحتل الصدارة أكبر، أوردنا مجموعة من الرّواة الجنسين معا (الذكر والأنثى) في قائمة الاقتراحات وهم: الجدّة والأم والأخت والجدّ والأب والأخ، لترتيبهم حسب الأهمية، وبعد إحصاء جميع الآراء وصلنا إلى ما يلّي:

المتوسطة	الإخوة بومعزة (متوسطة الريف أجيون)		08 ماي 1945م (متوسطة خراطة المركز)	
الاقتراحات	عدد الإجابات	النسبة (%)	عدد الإجابات	النسبة (%)
الجدّة	27	%45.00	09	%15.00
الجدّ	09	%15.00	06	%10.00
الأم	11	%18.33	20	%33.33
الأب	05	%08.33	08	%13.33
الأخت	06	%10.00	14	%23.33
الأخ	02	%03.33	03	%05.00

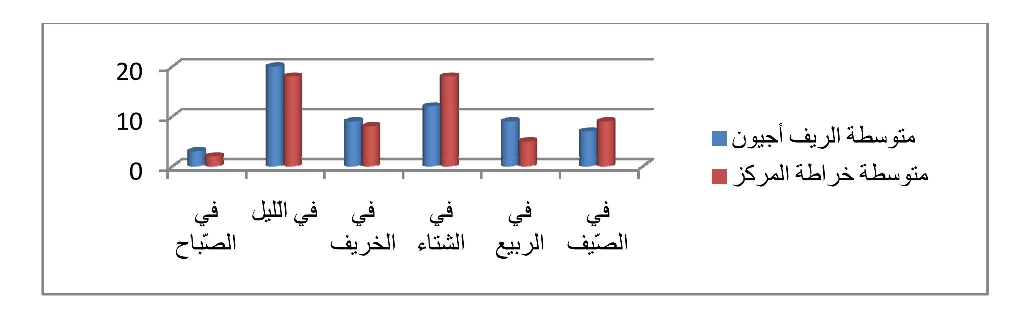


أعمدة بيانية رقم (06): تمثّل تحديد الرّواة.

توحي الحصيلة التي بين أيدينا إلى أنّ الاقتراح الذي حاز على المرتبة الأولى في متوسطة الريف هي الرّاوية الجدّة، إذ وصل عدد الإجابات إلى 27 إجابة والنسبة 45.00%. ثم تأتي بعد ذلك في المرتبة الثانية الرّاوية الأم، وقد كان عدد الإجابات 11 إجابة وبلغت النسبة 18.33%. ليأتي في المرتبة الثالثة الرّاوي الجدّ بنسبة 15.00%، والنسب الأخرى للآراء الباقية. أمّا في متوسطة المدينة 08 ماي 1945م فقد احتلت الرّاوية الأم المرتبة الأولى، إذ بلغ عدد الإجابات 20 إجابة وبلغة الأرقام كانت النسبة 33.33%. أمّا المرتبة الثانية فقد كانت من نصيب الأخت إذ وصل عدد الإجابات إلى 14 إجابة والنسبة 23.33%، بعد ذلك تأتي الرّاوية الجدّة في المرتبة الثالثة بنسبة 15.00%، والنسب الباقية للآراء الأخرى. فمصدر الأساطير الطاغي أكثر إذن هو الجنس الأنثوي المرتب على النحو التّالي: الجدّة ثم الأم ثم الأخت.

4 ـ متى تروى لك الأساطير؟: أدرجنا هذا السؤال لغرض توضيح الزمن المناسب لسرد الأساطير، وأوردنا فيه مجموعة من الاقتراحات، وقد أسفرت لنا عملية الإحصاء على هذه النتائج:

المتوسطة	الإخوة بومعزة متوسطة الريف أجيون		08 ماي 1945م متوسطة خراطة المركز	
الاقتراحات	عدد الإجابات	النسبة (%)	عدد الإجابات	النسبة (%)
في الصّباح	03	%05.00	02	%03.33
في اللّيل	20	%33.33	18	%30.00
في الخريف	09	%15.00	08	%13.33
في الشتاء	12	%20.00	18	%30.00
في الربيع	09	%15.00	05	%08.33
في الصّيف	07	%11.66	09	%15.00



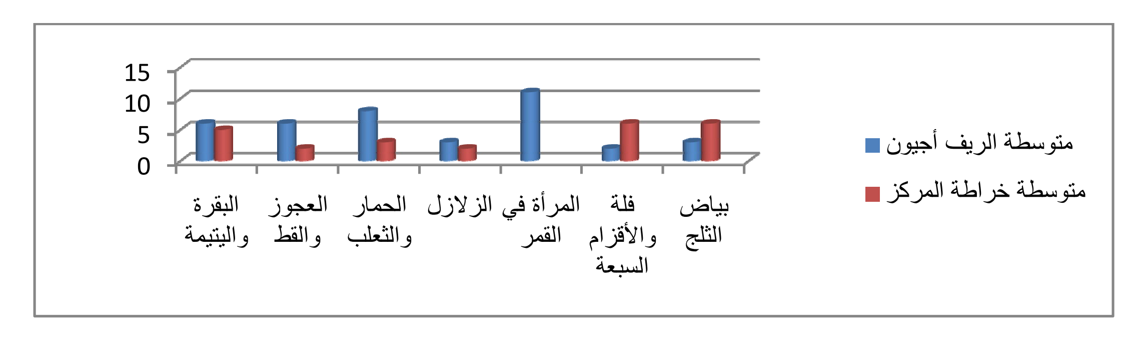
أعمدة بيانية رقم (07): تبيّن زمن سرد المأثور الأسطوري.

يتضح لنا من خلال هذه النتائج أنّ الوقت المناسب لرواية الأساطير هو اللّيل وفصل الشتاء، إذ وصلت النسبة في متوسطة "الإخوة بومعزة" إلى 33.33% للقائلين برواية الأساطير في اللّيل، أمّا عدد التلاميذ الذين يرون بأنّ الأساطير تروى في الشتاء للمتوسطة نفسها فقد وصل إلى 12 إجابة، وبلغة الأرقام قدرت النسبة 20.00%. أمّا فصلي الخريف والربيع فقد حازا على نفس النسبة وهي: 15.00%. أمّا في متوسطة "08 ماي 1945" فقد كانت النسبة متساوية للقائلين بسرد الأساطير في اللّيل وفصل الشتاء وهي: 30.00% لكليهما، بعد ذلك يأتي فصل الصّيف بنسبة 15.00%، وربّما يعود سبب تفضيلهم لفصل الصيف على فصل الخريف الذي قدرت فيه النسبة 13.33%، وعلى فصل الربيع الذي بلغت فيه النسبة 08.33%، هو

أنّهم في عطلة صيفية ترفيهية. فالوقت المناسب لسرد الأساطير إذن هو اللّيل وفصل الشتاء ثم يأتي فصل الخريف وفصل الربيع في الريف، وفصل الصّيف في المدينة. ويرى ميرسيا إيلياد أنّ الأساطير تروى في «الزمان المقدّس، وعموما تروى في الخريف أو الشتاء، وفي اللّيل فقط»[1].

5 ـــ ما هي الأساطير التي تروى لك؟: يهدف هذا السؤال إلى الكشف عن نوعية الأساطير التي تُروى للتلاميذ، لهذا طلبنا منهم ذكر عناوينها فقط، وقد كانت إجاباتهم مختلفة ومتعددة تصبّ كلّها في قالب الحكايات إلا أسطورتين. وقد قمنا بإحصاء الإجابات المتشابهة في كلاّ المتوسطتين فكانت النتائج كالتّالي:

المتوسطة	الإخوة بومعزة (متوسطة الريف أجيون)		08 ماي 1945م (متوسطة خراطة المركز)	
ما يُروّى للتلاميذ	عدد الإجابات	النسبة (%)	عدد الإجابات	النسبة (%)
البقرة و اليتيمة	06	%10.00	05	%08.33
العجوز و القط	06	%10.00	02	%03.33
الحمار و الثعلب	08	%13.33	03	%05.00
الزلازل	03	%05.00	02	%03.33
المرأة في القمر	11	%18.33	/	/
فلة و الأقزام السبعة	02	%03.33	06	%10.00
بياض الثلج	03	%05.00	06	%10.00



أعمدة بيانية رقم (08): تمثل أهم الأساطير المرويّة للتلاميذ في البيوت.

---

[1] –Mircea Eliade: Aspects du Mythe, p 22.

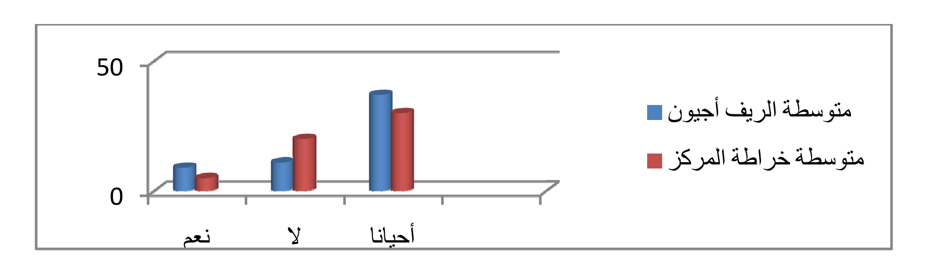
إنّ عدد الإجابات المتشابهة التي وصلتنا قليلة، نتيجة الخلط بين الأساطير والحكايات وعدم التميّيز بينهما، إذ لم تصلنا ضمن كلّ الإجابات إلا أسطورتين وهما: أسطورة "الزلازل" بنسبة مئوية قليلة جدا قدرت بـ: 05.00%، وأسطورة "المرأة في القمر" بنسبة 18.33%، هذا في متوسطة الريف، أمّا في متوسطة المدينة فلم تصلنا إلا أسطورة "الزلازل" بنسبة مئوية قدرت بـ: 03.33%، وهي نسب ضعيفة توحي إلى طغيان الحكايات على الأساطير.

فالتلاميذ إذن في كلاّ المتوسطتين لا يميزون بين الجنسين ولا عجب في ذلك فحتى أساتذتهم لا يميزون بينهما، إذ يعتبرون مصطلح (الأساطير) مرادف لمصطلح (الحكايات) وهذا ما لاحظناه عند زيارة ميدان المتوسطتين، ونظرا لصعوبة التميّيز بينهما فقد طلب البعض منهم توضيح الفرق الموجود بينهما. فكيف إذن للتلاميذ وهم في ذلك المستوى والعمر أن يميزوا بين النوعين؟

والشيء الملفت أيضا للانتباه في الجدول، هو ورود بعض الحكايات التي شاهدوها في التلفاز كحكاية فلة والأقزام السبعة وبياض الثلج، وكانت النسب الكبرى من إجابات تلاميذ المدينة إذ وصلت النسبة إلى 10.00% في كلاّ الحكايتين. أمّا النسب الأخرى المتبقية فقد كانت إجاباتهم مختلفة، وقد وصل عددهم في متوسطة أجيون إلى21 تلميذا، والنسبة كانت 35.00% أما في متوسطة خراطة المركز فقد وصل عددهم إلى 36 تلميذا والنسبة قدرت بـ: 60.00% وتتدرج إجاباتهم كلّها داخل نمط الحكايات كحكايات البنات السبعة والكلب والغراب ولونجة بنت الغولة والثعلب والقنفذ والضفدع والضفدعة وهلمّ جرّا. وهناك من جعل بعض الشخصيات الرئيسية الواردة في الرسوم المتحركة شخصيات أسطورية كشخصية سوبيرمان.

6 ــ هل تؤمن بالأساطير المرويّة لك؟: من البديهي أنّ درجة الإيمان بالأساطير تختلف من شخص لآخر، فهناك من يؤمن بحوادثها، وهناك من لا يؤمن بها بتاتا. وإذا كان أغلب الرّواة المسنين يؤمنون بها، فهل هذا الإيمان نجده نفسه عند الفئة الناشئة من التلاميذ؟ لنتفحص قليلا الجدول ونرى ذلك:

المتوسطة	الإخوة بومعزة (متوسطة الريف أجيون)		08 ماي 1945م (متوسطة خراطة المركز)	
الاقتراحات	عدد الإجابات	النسبة (%)	عدد الإجابات	النسبة (%)
نعم	09	%15.00	05	%08.33
لا	11	%18.33	20	%33.33
أحيانا	37	%61.66	30	%50.00

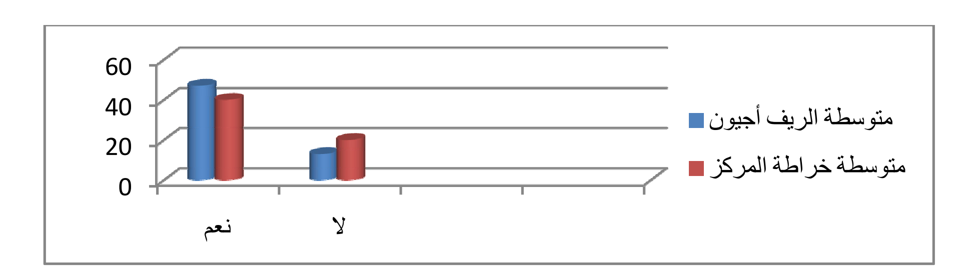


أعمدة بيانية رقم (09): تبيّن درجة الإيمان بالأساطير المرويّة.

كما هو ملاحظ، فإنّ أغلب التلاميذ يؤمنون بالأساطير المرويّة لهم بين الفينة والأخرى، إذ أنّ النسبة قد وصلت في متوسطة "أجيون" إلى 61.66%، وبلغت في متوسطة "خراطة المركز" 50.00%، وقد كان تعليلهم لذلك أنّ البعض من أحداث الأساطير حقيقية والبعض الآخر منها خرافي وهمي. وفي مقابل هذه الفئة نجد فئة أخرى من التلاميذ لا يؤمنون بتاتا بالأساطير، وقد بلغت النسبة 18.33% في متوسطة الريف، و33.33% في متوسطة المدينة وسبب عدم إيمانهم بالأساطير كما يقولون هو أنّ أحداثها لا يتقبلها العقل، فهي تعج بالأحداث الخيالية العجيبة، ومن ثم فمن المستحيل أن تكون حقيقية واقعية. أمّا نسبة الآراء التي تؤمن بالأساطير فهي نسب قليلة، قدرت في متوسطة "الإخوة بومعزة" بـ: 15.00%، وانحدرت في متوسطة "08 ماي 1945" إلى: 08.33%، والتعليل الذي قدمته هذه الفئة هو عكس التعليل السابق ذلك أنّ الأساطير حقيقية، وقعت في قديم الزمان، وهم يرون أنّها قد وصلت إلينا عن طريق المؤلفين القدامى، وهناك من قال أنّه يؤمن بها لأنّ الرّواة صادقون لا يكذبون. أمّا النسب المتبقية فلم تفصح عن آرائها وهي: 05.00% في متوسطة الريف، و08.33% في متوسطة المدينة.

7 ــ هل تتمنى بأن تكون راويّا يعرف الأساطير ويحكيها للمستمعين مثل الجدّة أو الأم؟: أثناء الزيارة الاستطلاعية لميدان المؤسستين وجدنا أنّ بعض التلاميذ يتمنون بأن يكونوا رواة محترفين في سرد الأساطير، لهذا وضعنا هذا السؤال للحصول على نسبة هؤلاء التلاميذ:

المتوسطة	الإخوة بومعزة (متوسطة الريف)		08 ماي 1945م (متوسطة خراطة المركز)	
الاقتراحات	عدد الإجابات	النسبة (%)	عدد الإجابات	النسبة (%)
نعم	47	%78.33	40	%66.66
لا	13	%21.66	20	%33.33



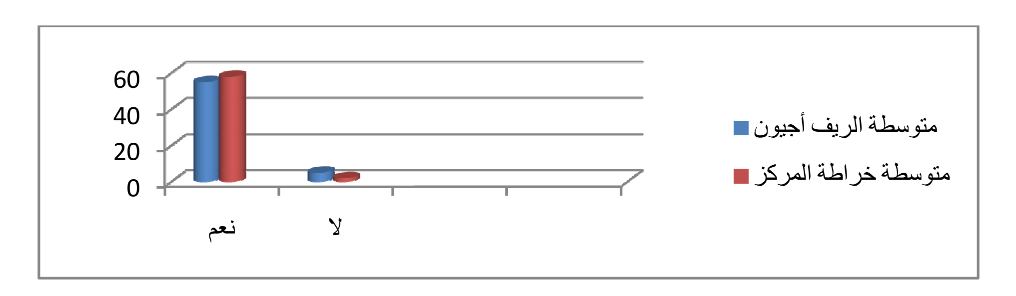
أعمدة بيانية رقم (10): تبيّن رغبة التلاميذ بأن يكونوا رواة في المستقبل.

تُظهر هذه النسب أنّ أغلب التلاميذ يتمنون بأن يكونوا من العارفين للرواية الأسطورية فالنسب فاقت ما كنا نتصوره، إذ وصلت في متوسطة "الإخوة بومعزة" إلى:78.33% وهي نسبة كبيرة إذا ما قورنت بنسبة الذين لا يتمنون ذلك والمقدرة بـ: 21.66%، وحتى تلاميذ المدينة فقد كان أغلبهم يرجون ذلك إذ وصل عدد الإجابات إلى 40 إجابة، وبلغة الأرقام كانت النسبة 66.66%، فيما كانت نسبة الذين لا يتمنون ذلك 33.33%. ويعود سبب كثرة تلاميذ الريف الراغبين بأن يكونوا رواة في المستقبل مقارنة مع تلاميذ المدينة إلى كونهم لا يزالون يجتمعون في هذا العصر مع الرواة وهذا ما سمح لهم بالتعامل المباشر معهم. وهذا ما أدى إلى الانبهار من رواياتهم الأسطورية ومن ثم رغبتهم بالاقتداء بهم والسير على منوالهم.

ثالثا ــ بيانات حول الأساطير المدروسة في المدرسة (التعليم): أردنا في هذا المحور من الاستبانة معرفة الأساطير الموجودة في المدرسة الجزائرية، فهل هي حقا موجودة في الكتب المدرسية أم لا؟ وإذا كانت موجودة، فما رأيّ التلاميذ منها؟ وللتعرف على كلّ هذا أوردنا مجموعة من الأسئلة كالتّالي:

1 ــ هل تحبّ دراسة الأساطير؟: قبل الحديث عن الأساطير الموجودة في الكتب المدرسية نرى أنّه من الضروري معرفة آراء التلاميذ أوّلا حول دراستها، فهل يحبّون دراستها أم ينفرون منها؟ هذا ما ستوضحه النتائج المدوّنة أدناه:

المتوسطة	الإخوة بومعزة (متوسطة الريف أجيون)		08 ماي 1945م (متوسطة خراطة المركز)	
الاقتراحات	عدد الإجابات	النسبة (%)	عدد الإجابات	النسبة (%)
نعم	55	%91.66	58	%96.66
لا	05	%08.33	02	%03.33



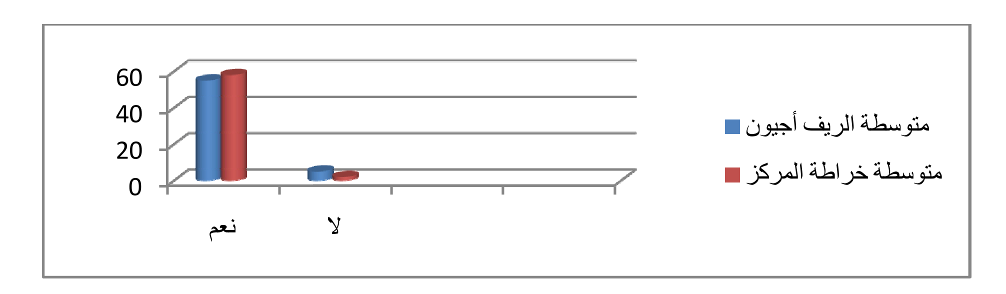
أعمدة بيانية رقم (11): تمثل رغبة التلاميذ في دراسة الأساطير.

تدل النتائج المدونة في هذا الجدول دلالة واضحة على أنّ التلاميذ يحبّون دراسة الأساطير في المدارس، إذ وصل عدد الإجابات في متوسطة "خراطة المركز" إلى 58 إجابة وقدرت النسبة المئوية بـ: %96.66. أمّا في متوسطة الريف "أجيون" فقد وصل عدد الإجابات إلى 55 إجابة والنسبة قدرت بـ: %91.66. وهما نسبتان متقاربتان تدلان على قيمة الأساطير المدرسية لدى التلاميذ، ومن ثم إقبالهم عليها، أمّا نسبة الذين أجابوا بالنفي فضئيلة جدّا تتراوح ما بين %08.33 في متوسطة الريف، و%03.33 في متوسطة المدينة.

ولكي لا نترك السبب مبهما أتبعنا هذا السؤال بتعليل لتوضيح سبب نفور البعض من التلاميذ من الأساطير، وقد كانت تعليلاتهم أنّ الأساطير تجعلهم يتصورون أنفسهم كائنات غريبة تخيفهم وتبعدهم عن الواقع وهناك من عبر عن رأيّه الخاص وفضل مشاهدتها في التلفاز عوض دراستها في المدرسة وهلم جرّا.

2 ــ هل درست بعض الأساطير أثناء مسيرتك الدراسية؟: يهدف هذا السؤال إلى معرفة مدى دراسة الأساطير في المدارس ، فهل تُدَرس في المدرسة الجزائرية أم لا ؟ إنّ هذا الجدول يبيّن ذلك:

المتوسطة	الإخوة بومعزة (متوسطة الريف أجيون)		08 ماي 1945م (متوسطة خراطة المركز)	
الاقتراحات	عدد الإجابات	النسبة (%)	عدد الإجابات	النسبة (%)
نعم	55	%91.66	58	%96.66
لا	05	%08.33	02	%03.33



أعمدة بيانية رقم (12): تؤكد وجود الأساطير في الكتاب المدرسي.

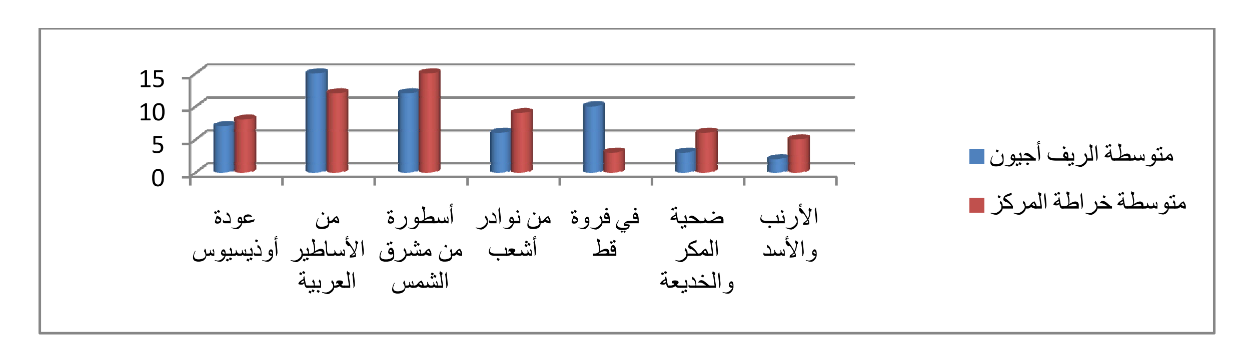
تؤكد النتائج التي أفرزتها لنا الإجابات، أنّ الأساطير مدروسة في التعليم المتوسط، وهذا يعني وجودها في الكتاب المدرسي، وقد وصل عدد الإجابات في متوسطة "الإخوة بومعزة" إلى 55 إجابة، وبالأرقام بلغت النسبة 91.66%، أمّا في متوسطة "08 ماي 1945م" فقد بلغ عدد الإجابات 58 إجابة والنسبة 96.66% وهي نسب كبيرة تقر بدراسة الأساطير في المدارس. والنسب الباقية للآراء الأخرى التي أجابت بعدم دراسة الأساطير .

ولمعرفة الأساطير المدروسة أتبعنا هذا السؤال، بسؤال فرعي آخر وهو:

ــ إذا كانت الإجابة بـ: (نعم) فما هي؟: يعد هذا الطرح - كما قلنا - مكملا للطرح السابق وهو سؤال موّجه للفئة التي أقرت بدراسة الأساطير من أجل معرفتها، وقد جاءت إجابات التلاميذ في كلاّ المتوسطتين مختلفة، فمنهم من أجاب بتلك الأساطير الموجودة في الكتاب المدرسي والمتمثلة: في "عودة أوذيسيوس" و"من الأساطير العربية" وأخيرا "أسطورة من مشرق الشمس". ومنهم من أجاب بتلك الحكايات الموجودة في الكتاب نفسه، وهي: "من نوادر أشعب"

و"في فروة قط" و"ضحية المكر والخديعة" و"الأرنب والأسد"[1]، وبعد إحصاء جميع آرائهم وصلنا إلى ما يلّي:

المتوسطة	الإخوة بومعزة (متوسطة الريف أجيون)		08 ماي 1945م (متوسطة خراطة المركز)	
الأساطير	عدد الإجابات	النسبة (%)	عدد الإجابات	النسبة (%)
عودة أوذيسيوس	07	%11.66	08	%13.33
من الأساطير العربية	15	%25.00	12	%20.00
أسطورة من مشرق الشمس	12	%20.00	15	%25.00
من نوادر أشعب	06	%10.00	09	%15.00
في فروة قط	10	%16.66	03	%05.00
ضحية المكر والخديعة	03	%05.00	06	%10.00
الأرنب والأسد	02	%03.33	05	%08.33



أعمدة بيانية رقم (13): تمثل الأساطير المدروسة في المدرسة الجزائرية.

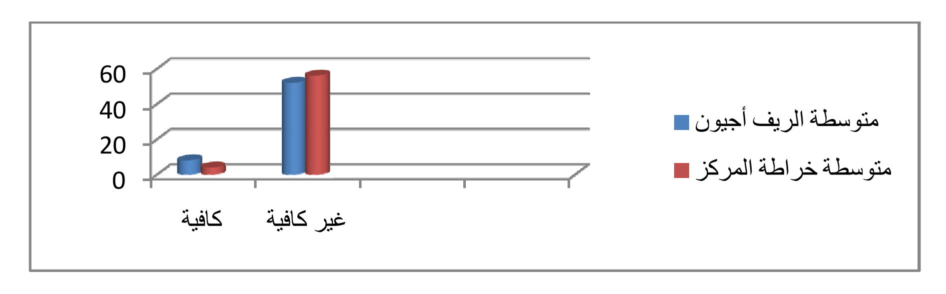
أوّل ما يلفت النظر في هذه النتائج هو المزج بين الأساطير والحكايات في كلاّ المتوسطتين، وقد احتلت الصدارة في متوسطة الريف أسطورة "من الأساطير العربية"، إذ وصل عدد الإجابات إلى 15 إجابة بنسبة مئوية 25.00%، ثم تأتي بعد ذلك "أسطورة من مشرق الشمس" بنسبة 20.00%، والشيء نفسه نجده في متوسطة 08 ماي1945م، إلا أنّ نسبة 25.00% كانت من نصيب "أسطورة من مشرق الشمس" ونسبة 20.00% كانت من حظ "من

[1]– ينظر: ب. بن تريدي ور. آيت عبد السلام: اللغة العربية للسنة الثانية من التعليم المتوسط، ص18 – 38 ـ 39 ـ 45 ـ 46 ـ 144 ـ 256 ـ 260.

الأساطير العربية". ويعود سبب اختيار التلاميذ لهاتين الأسطورتين إلى كون العنوان واضحا ليس فيه غموض، إذ يحتويان على لفظة (أسطورة) صراحة، عكس أسطورة "عودة أوذيسيوس" إذ لم يهتد بعض التلاميذ إلى كونها أسطورة لعدم ورود كلمة (أسطورة) في العنوان، لهذا ارتفعت نسبة حكاية "في فروة قط" إلى 16.66% في متوسطة الريف، وحكاية "من نوادر أشعب" إلى 15.00% في متوسطة المدينة، وهما نسبتان أكبر من نسبة أسطورة "عودة أوذيسيوس" إذ لم تصل النسبة فيها إلاّ 11.66% في متوسطة "الإخوة بومعزة" و13.33% في متوسطة "08 ماي1945". ثم تأتي الحكايات الأخرى بنسب مختلفة. وتبقى 05 إجابات أعرضت عن الإجابة أي بنسبة 08.33% في متوسطة الريف، وإجابتان في متوسطة المدينة والنسبة 03.33% وهي نسب الذين قالوا بعدم دراسة الأساطير في المدرسة.

3 ـــ الأساطير المذكورة في الكتاب المدرسي – حسب رأيّك – كافية، أم أنّها غير كافية؟: لم نطرح هذا السؤال من غير هدف، فهو نابع من واقع عايشناه مع التلاميذ، إذ وجدنا أنّ البعض منهم يشتكي من قلة الأساطير المذكورة في الكتاب المدرسي، ولاسيّما وأنّها غير مبرمجة في كتب السنوات الأخرى. من هذا المنطلق كان طرح هذا السؤال، وقد أفرزت لنا عملية الإحصاء على هذه النتائج:

المتوسطة	الإخوة بومعزة (متوسطة الريف أجيون)		08 ماي1945م (متوسطة خراطة المركز)	
الاقتراحات	عدد الإجابات	النسبة (%)	عدد الإجابات	النسبة (%)
كافية	08	%13.33	04	%06.66
غير كافية	52	%86.66	56	%93.33

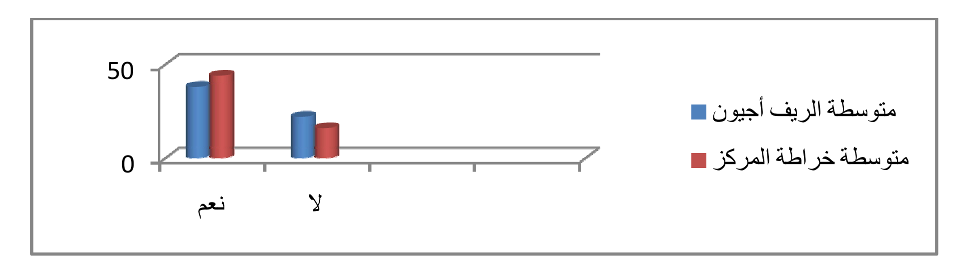


أعمدة بيانية رقم (14): توضح عدم كفاية الأساطير المدروسة.

تؤكد هذه النتائج ما قلناه، فالشيء الملاحظ في الجدول والأعمدة البيانية أنّ أغلب التلاميذ في كلاّ المتوسطتين يرَون بأنّ عدد الأساطير قليل غير كاف، إذ وصل عدد الإجابات في متوسطة الريف إلى 52 إجابة والنسبة المئوية 86.66%، وفي متوسطة المدينة بلغت النسبة 93.33%. أمّا نسبة التلاميذ الذين أجابوا بكفاية الأساطير المذكورة في الكتاب المدرسي فقليلة جدا، وهي: 13.33% في متوسطة "الإخوة بومعزة" و06.66% في متوسطة "08 ماي1945م" فالتلاميذ إذن لم يقتنعوا بعدد الأساطير الموجودة في الكتاب المدرسي.

4 ــ هل درست في القسم كلّ الأساطير المذكورة في الكتاب المدرسي؟: بما أنّ أغلب التلاميذ أجابوا بعدم كفاية الأساطير الموجودة في الكتاب المدرسي، أردنا تقصي سبب ذلك، فهل يعود ذلك إلى عدم دراستها كلّها داخل القسم؟ أم أنّهم درسوها ولم يُشبعوا خيالهم منها؟

المتوسطة	الإخوة بومعزة (متوسطة الريف أجيون)		08 ماي1945م (متوسطة خراطة المركز)	
الاقتراحات	عدد الإجابات	النسبة (%)	عدد الإجابات	النسبة (%)
نعم	38	%63.33	44	%73.33
لا	22	%36.66	16	%26.66

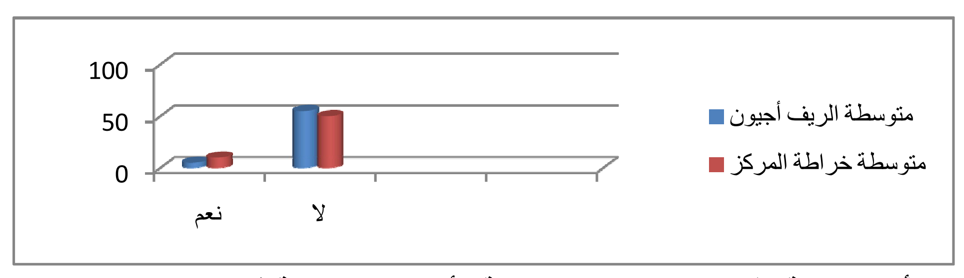


أعمدة بيانية رقم(15): تؤكد بأنّ جميع الأساطير مدروسة.

تذهب أغلب الآراء إلى أنّ الأساطير قد دُرست جميعا في القسم، وقد بلغت نسبة الآراء في متوسطة "الإخوة بومعزة" 63.33%، وفي "متوسطة 08 ماي 1945م" فقد وصلت إلى 73.33%، فالأساطير إذن درست جميعا ولم تكن كافية لإشباع خيالهم. وتبقى نسبة 26.66% في متوسطة خراطة المركز للآراء القائلة بعدم دراسة الأساطير جميعا. والتعليل كان بالقول أنّ البرنامج طويل والوقت قصير غير كاف لإتمام البرنامج ودراسة جميع الأساطير.

5 ــ من بين الأساطير المدروسة، هل درست أسطورة جزائرية؟: إنّ معرفة التراث الجزائري مهم، بل هو ضروري في هذا العصر، لهذا السبب أدرجنا هذا السؤال في الاستبانة محاولة منا في تقصي الأساطير الجزائرية في الكتاب المدرسي، فهل خُصص للأساطير الجزائرية مكان في الكتاب المدرسي؟ إنّ هذا الجدول يبيّن ذلك:

المتوسطة	الإخوة بومعزة (متوسطة الريف أجيون)		08 ماي1945م (متوسطة خراطة المركز)	
الاقتراحات	عدد الإجابات	النسب (%)	عدد الإجابات	النسب (%)
نعم	05	%08.33	10	%16.66
لا	55	%91.66	50	%83.33

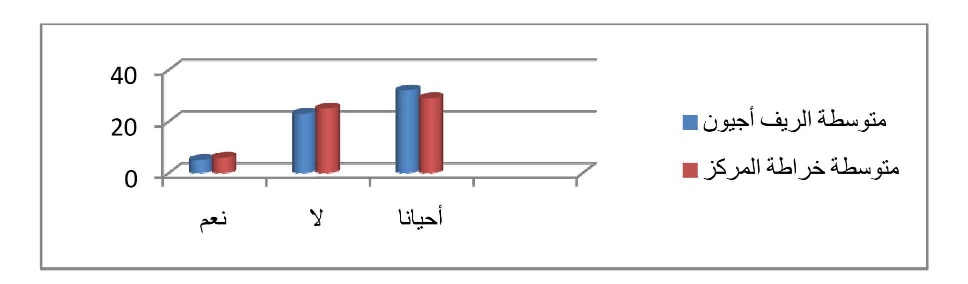


أعمدة بيانية رقم (16): تؤكد عدم برمجة الأساطير الجزائرية في الكتاب المدرسي.

إنّ النسب التي حصلنا عليها والتي تجاوزت أكثر بكثير من نصف آراء التلاميذ، تؤكد أنّ الأساطير الجزائرية غير موجودة في الكتاب المدرسي، إذ قدرت في متوسطة "الإخوة بومعزة" بـ: 91.66%، وقدرت في متوسطة "08 ماي1945م" بـ: 83.33%. أمّا بقية النسب وهي قليلة جدّا فقد أجابت بوجود الأساطير الجزائرية في الكتاب المدرسي وقد قدرت في متوسطة الريف بـ: 08.33% وفي متوسطة المدينة بـ: 16.66%. ولإزالة الإبهام والتأكد من وجود الأساطير الجزائرية في الكتاب المدرسي أو غيابها، قمنا بتفحص الكتاب المدرسي، فوجدنا حقا غيابا كليا لأساطير الجزائر. فلماذا هذا الغياب الكلّي؟ أليس التلميذ الجزائري بحاجة إلى معرفة أساطير بلاده أوّلا؟

6 ــ هل تؤمن بالأساطير المدروسة في المدرسة؟: بما أنّ أغلب التلاميذ يؤمنون أحيانا بالأساطير المرويّة لهم في البيوت – كما سبق وأن رأينا ذلك – فهل يؤمنون بالأساطير المدروسة أحيانا أيضا؟ هذا ما ستبيّنه إجابات التلاميذ:

المتوسطة	الإخوة بومعزة (متوسطة الريف أجيون)		08 ماي1945 (متوسطة خراطة المركز)	
الاقتراحات	عدد الإجابات	النسب (%)	عدد الإجابات	النسب (%)
نعم	05	%08.33	06	%10.00
لا	23	%38.33	25	%41.66
أحيانا	32	%53.33	29	%48.33



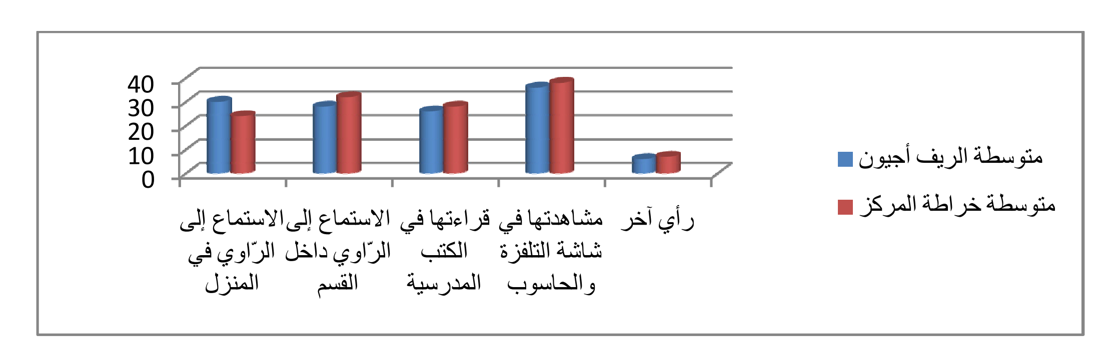
أعمدة بيانية رقم (17): تبيّن مدى إيمان التلاميذ بالأساطير المدروسة.

توضّح النسب المدونة في الجدول أعلاه، إنّ التلاميذ يؤمنون أحيانا بالأساطير المدروسة أيضا كما يؤمنون بالأساطير المرويّة لهم في المنازل، وقد بلغت النسبة لدى تلاميذ الريف %53.33 وقدرت لدى تلاميذ المدينة بـ: %48.33، وكان تعليلهم أنّ البعض من حوادثها حقيقي واقعي. أمّا نسبة الذين لا يؤمنون بها فقد وصلت في الريف إلى%38.33 و في المدينة إلى %41.66 وهي نسب قريبة من نسب آراء القائلين بالإيمان بها أحيانا، ومن التعليلات التي أوردوها أنّ الأساطير محرفة قام بعض النّاس بتغيّيرها بل وتزويرها أحيانا، وهناك من قال أنّهم لا يعيشون تلك الأحداث المرويّة في حياتهم اليوميّة لكونها من نسيج الخيال. وتبقى في الأخير نسبة الذين أجابوا بالإيجاب وهم الذين يؤمنون بالأساطير المدروسة، وتقدر بـ: %08.33 في متوسطة "الإخوة بومعزة" و%10.00 في متوسطة "08 ماي1945م". وقد كان تعليلهم بأنّها حقيقية وقعت في الزمن الغابر.

رابعا ــ بيانات حول الأساطير المرويّة في المنزل والمدروسة في المدرسة: حاولنا في هذا المحور الجمع بين الأساطير المرويّة في البيوت والمدروسة في المدارس، ويتضمن الأسئلة التّاليّة:

1 ــ ما هو الأفضل بالنسبة لك؟: أوردنا في هذا السؤال مجموعة من الاقتراحات بهدف كشف الأفضلية بالنسبة للتلاميذ، كأن يستمعوا إلى الرّاوي في المنزل وهو يروي الأساطير، أو الاستماع إلى الرّاوي داخل القسم، أو قراءتها في الكتب المدرسية، أو مشاهدتها في وسائل الاتصال العصرية. كما أنّنا فتحنا لهم المجال لإعطاء آراء أخرى واختيار أكثر من إجابة واحدة، فاختاروا كلّهم إجابتين فأكثر. وقد أفرزت لنا عملية الإحصاء على النتائج التاليّة:

المتوسطة	الإخوة بومعزة (متوسطة الريف أجيون)		08 ماي1945م (متوسطة خراطة المركز)	
الاقتراحات	عدد الإجابات	النسبة (%)	عدد الإجابات	النسبة (%)
الاستماع إلى الرّاوي في المنزل	30	%50.00	24	%40.00
الاستماع إلى الرّاوي داخل القسم	28	%46.66	32	%53.33
قراءتها في الكتب المدرسية	26	%43.33	28	%46.66
مشاهدتها في شاشة التلفزة والحاسوب	36	%60.00	38	%63.33
رأي آخر	06	%10.00	07	%11.66



أعمدة بيانية رقم (18): تكشف عن آراء التلاميذ في كيفية الاستماع إلى الأساطير.

الشيء الملفت للانتباه في الجدول والأعمدة البيانية، هو أنّ وسائل التكنولوجيا قد طغت على الفئة الناشئة، فنسبة الذين يريدون مشاهدة الأساطير في التلفزة والحاسوب قد وصلت إلى 63.33% في متوسطة المدينة، وحتى تلاميذ الريف فقد فضلوا مشاهدتها في تلك الوسائل، إذ بلغت النسبة المئوية 60.00%. ولعلّ سبب تفضيل تلاميذ المؤسستين لهذا الاقتراح يعود إلى

كون تلك الوسائل تجعلهم يتصورون الأحداث أكثر، لأنّها تحتوي على كلّ وسائل الإقناع من صوت وصورة وهلمّ جرّا. بعد ذلك نجد أنّ تلاميذ الريف يفضلون الاستماع إلى الرّاوي في المنزل وهو يسرد لهم الأساطير إذ وصلت النسبة إلى 50.00% لأنّهم تعوَّدوا على ذلك، أمّا تلاميذ المدينة فقد فضلوا بعد مشاهدتها في وسائل الاتصال الحديثة الاستماع إلى الرّاوي داخل القسم وهو يحكي لهم الأساطير وقد قدرت نسبتهم بـ: 53.33%. ويأتي هذا الاقتراح في المرتبة الثالثة في متوسطة الريف إذ وصل عدد الإجابات إلى 28 إجابة والنسبة 46.66%. وهي النسبة نفسها للقائلين بحبّ دراستها في الكتب المدرسية في متوسطة المدينة. أمّا في متوسطة الريف فقد كان هذا الاقتراح في المرتبة الرابعة إذ وصل عدد المجيبين إلى 26 تلميذا والنسبة كانت 43.33%. أمّا في متوسطة المدينة فقد كانت المرتبة الرابعة للاقتراح القائل بسماع الأساطير من الرّاوي في المنزل إذ قدرت النسبة بـ: 40.00%.

وهناك من التلاميذ من قدم آراء أخرى وقد بلغت نسبتهم في متوسطة "الإخوة بومعزة" 10.00%، وفي متوسطة "08 ماي1945م" بـ: 11.66% ومن بين الآراء التي قدّموها تفضيلهم مشاهدتها على خشبة المسرح، والاستماع إلى الرّاوي في المذياع أو الرّاديو وقراءتها مع الزملاء أثناء فترة الاستراحة، وهناك من فضل قراءتها لوحده، وهناك من تصوّر نفسه رّاويا محترفا إذ يرى أن الأفضل بالنسبة إليه، هو أن يروي لأحد وهو ينصت السمع إلى روايته الأسطورية وهلمّ جرّا.

2 ــ ما هو رأيّك الشخصي حول الأساطير؟: يهدف هذا السؤال إلى الوصول إلى الرأي العام للتلاميذ حول الأساطير، فهل هي مجرد خيال بالنسبة إليهم؟ أم أنّها حقيقية واقعية؟ أم أنّها تتراوح ما بين الخيال والواقع؟ لنتأمل قليلا الحصيلة التي وصلتنا ونرى ذلك:

المتوسطة	الإخوة بومعزة (متوسطة الريف أجيون)		08 ماي1945م (متوسطة خراطة المركز)	
الاقتراحات	عدد الإجابات	النسبة (%)	عدد الإجابات	النسبة (%)
خيالية	09	%15.00	20	%33.33
حقيقية واقعية	16	%26.66	08	%13.33
بين الخيال والواقع	35	%58.33	26	%43.33

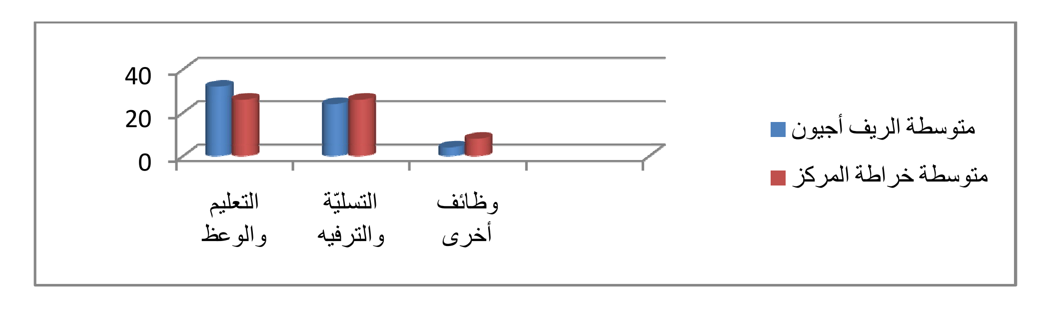


أعمدة بيانية رقم (18): تبيّن واقع الأساطير وخيالها.

نلاحظ من خلال الإجابات التي أوردها التلاميذ، أنّهم يرون أنّ الأساطير تتراوح ما بين الخيال والواقع، وقد بلغ عدد الإجابات في متوسطة "الإخوة بومعزة" 35 إجابة، والنسبة قدرت بـ: 58.33% وهي نسبة حازت على أكثر من نصف الآراء، أما في متوسط "08 ماي1945م" فقد بلغت النسبة 43.33%، في حين كانت نسبة الإجابات التي قالت بأنّ الأساطير مجرد خيال 33.33% في متوسطة خراطة المركز وهي نسبة أكبر من نسبة تلاميذ الريف القائلين بأن الأساطير خيالية إذ قدرت بـ: 15.00%. ويبقى الاقتراح الذي يرى بأنّ الأساطير حقيقية واقعية قد حصل على نسبة 26.66% في متوسطة الريف و13.33% في متوسطة المدينة. أمّا النسبة التي لم تفصح عن آرائها في هذا السؤال فقد قدرت بـ: 10.00% في متوسطة المدينة. فتلاميذ الأرياف إذن أكثر إيمانا بالأساطير من تلاميذ المدن، لأنّهم لا يزالون يلتفون حول الرّاوي عكس تلاميذ المدينة.

3 ـــ ما وظيفة الأساطير حسب رأيك؟: وضعنا هذا السؤال من أجل توضيح وظيفة الأساطير عند الفئة الناشئة المتعلمة، فهل يحبّون الأساطير لأنّها تسليهم وتلهيهم؟ أم حبّهم لها نابع من كونها مصدرا للتعليم والنصح؟ أم لها وظائف أخرى؟ هذا ما ستبيّنه إجابات التلاميذ:

المتوسطة	الإخوة بومعزة (متوسطة الريف أجيون)		08 ماي 1945م (متوسطة خراطة المركز)	
الاقتراحات	عدد الإجابات	النسبة (%)	عدد الإجابات	النسبة (%)
التعليم والوعظ	32	%53.33	26	%43.33
التسليّة والترفيه	24	%40.00	26	%43.33
وظائف أخرى	04	%06.66	08	%13.33



أعمدة بيانية رقم (19): تمثل وظائف الأساطير عند المتعلمين.

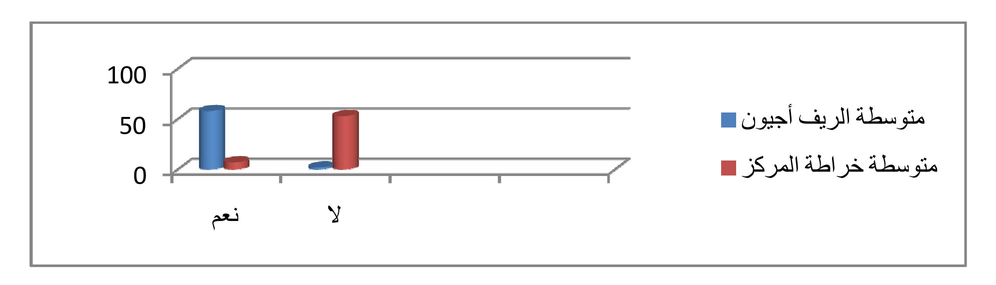
أوّل ما يلفت الانتباه في الجدول والأعمدة البيانية، هو إنّ النسب كانت متساوية في متوسطة المدينة "08 ماي1945م" بين الذين يرون بأنّ الأساطير تعليم ووعظ، والذين يرون عكس ذلك أي أنّها تهدف إلى التسليّة والترفيه، وقدرت النسبة بـ: 43.33% في كلاّ الاقتراحين. أمّا تلاميذ الريف فيرون أنّ غاية الأساطير هي التعليم والوعظ، فالعدد أكثر بقليل من نصف الآراء أي 32 إجابة، وبلغة النسب نجد 53.33%. وتبقى نسبة 40.00% للتلاميذ القائلين بأنّ وظيفة الأساطير تكمن في التسلية والترفيه، وهناك بعض التلاميذ الذين انفردوا بتلك الوظائف وقدموا وظائف أخرى، وقد قدرت هذه النسبة في متوسطة الريف بـ: 06.66% وفي متوسطة المدينة بـ: 13.33%، والوظائف التي ذكروها لا تخرج عن نطاق الرأيّين السابقين كالتثقيف وتوسيع الخيال واستخلاص العبر وتقديم النصائح والإرشادات وتوفير الراحة النفسيّة وإبعاد الهموم والمشاكل التي تحيط بالإنسان وهلمّ جرّا.

خامسا ــ طقوس الاستسقاء "أَنْزَارْ" واستقبال "الربيع" (شَوْرْپِــيعْ): سنتحدث في هذا المقام عن أهم طقوس الأساطير الموجودة في مجتمع البحث كطقس الاستسقاء "أَنْزَارْ" وطقس استقبال "الربيع" (شَوْرْپِــيعْ) عند تلاميذ الأرياف والمدن، لاختيارنا لأساطير الطقوس أنموذجا في التحليل.

أ ــ طقس الاستسقاء "أَنْزَارْ": ويشتمل على الأسئلة التاليّة:

1 ــ هل تمارس طقس "أَنْزَارْ": بما أنّ التلاميذ في منطقة الدّراسة هم الذين يمارسون طقس "أَنْزَارْ"، فهل ما زالوا يمارسونه في هذا الزمن؟ أم أنّ ممارسته قد اندثرت؟ إنّ الإجابة متضمنة في هذا الجدول:

المتوسطة	الإخوة بومعزة (متوسطة الريف أجيون)		08 ماي1945م (متوسطة خراطة المركز)	
الاقتراحات	عدد الإجابات	النسبة (%)	عدد الإجابات	النسبة (%)
نعم	58	%96.66	07	%11.66
لا	02	%03.33	53	%88.33



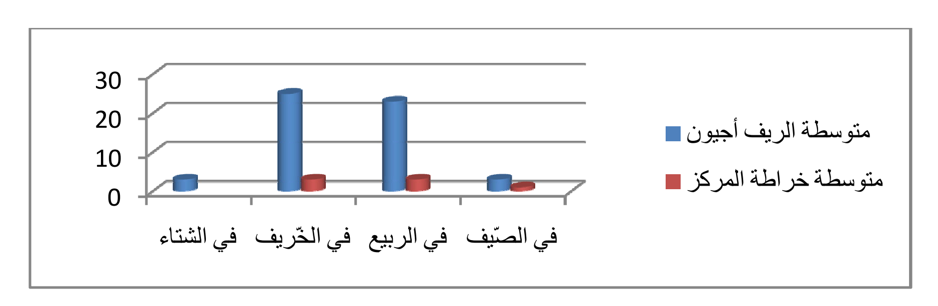
أعمدة بيانية رقم (20): تبين مدّى ممارسة طقس الاستسقاء "أَنْزَار".

الشيء الملفت للانتباه في الجدول أعلاه، هو الاختلاف الكبير الموجود في إجابات تلاميذ الريف وتلاميذ المدينة، إذ حاز الاقتراح الأوّل المتعلق بممارسة طقس "أَنْزَار" في الريف على 58 إجابة والنسبة بلغت 96.66%، وقد انحدرت هذه النسبة في المدينة إلى 07 إجابات والنسبة المئوية هي: 11.66%. فتلاميذ المدينة إذن قد تخلوا عن ممارسة هذا الطقس والدليل على ذلك أنّ 53 تلميذا قد أجابوا بالنفي، وبلغة الأرقام وصلت نسبتهم إلى: 88.33%، على غرار تلاميذ الأريّاف الذين حافظوا على هذا الطقس القديم.

ولما سألنا الفئة القليلة – التي تعدّ بالأصابع – القائلة بممارسة طقس الاستسقاء "أَنْزَار" في المدينة وجدنا أنّهم حديثو الهجرة، إذ كانوا يسكنون في الأرياف. وهو العدد نفسه الذين أجابوا عن بقية أسئلة طقس "أَنْزَار" لأنّ البقية لا يعرفونه. ولمعرفة الوقت المناسب لممارسة هذا الطقس الاستسقائي عند الذين يمارسونه، أتبعنا هذا السؤال الثانوي بسؤال فرعي آخر وهو:

ـــ إذا كانت الإجابة بـ: (نعم) فمتى تمارسه؟: اقترحنا لهم الفصول الأربعة، فكانت إجاباتهم كالتّالي:

المتوسطة	الإخوة بومعزة (متوسطة الريف أجيون)		08 ماي1945م (متوسطة خراطة المركز)	
الاقتراحات	عدد الإجابات	النسبة (%)	عدد الإجابات	النسبة (%)
في الشّتاء	03	%05.00	/	/
في الخريف	25	%41.66	03	%05.00
في الربيع	23	%38.33	03	%05.00
في الصّيف	03	%05.00	01	%01.66

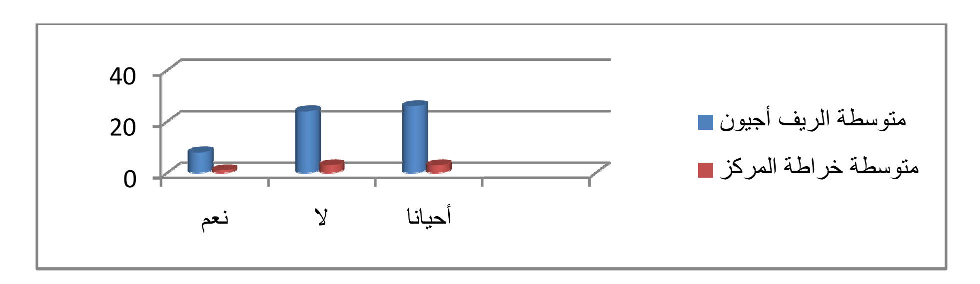


أعمدة بيانية رقم (21): تمثل تحديد زمن ممارسة طقس "أَنْزَار".

يبدو من خلال الإجابات التي قدمها التلاميذ أنّ الوقت المناسب لممارسة طقس "أَنْزَار" في الريف، هو فصل الخريف إذ قدرت فيه النسبة المئوية بـ: 41.66%، ثم يأتي بعد ذلك فصل الربيع بنسبة 38.33%، أمّا فصلي الشتاء والصيف فقد حصلا على نفس النسبة وهي 05.00%. أمّا النسبة الباقية وهي 10.00% فهي نسبة عدد التلاميذ الذين لم يقدموا آراءهم. وفيما يتعلق بإجابات تلاميذ المدينة فلا نجد إلاّ 07 إجابات وهي عدد التلاميذ القائلين بممارسة طقس "أَنْزَار"، لأنّ البقية - كما رأينا سابقا - يجهلونه، وقد توزعت إجاباتهم بالتساوي بين فصلي الخريف والربيع وكانت النسبة 05.00% لكليهما، وتبقى في الأخير إجابة واحدة بنسبة 01.66% ترى أنّه يمارس في فصل الصّيف. فالوقت الملائم إذن لممارسة طقس الاستسقاء "أَنْزَار" هو فصل الخريف وفصل الربيع، وهما من الفصول التي يجب أن تنزل فيهما الأمطار لغرض الحرث والزرع والنمو.

2 ـ هل تؤمن بنزول المطر عند ممارسة طقس "أَنْزَار"؟: سنحاول من خلال هذا السؤال إظهار درجة إيمان التلاميذ بنزول الغيث عند ممارسة طقس "أَنْزَار"، فهل يؤمنون بذلك أم أنّه أصبح مجرد ممارسة سطحية تخلو من الإيمان؟ إنّ الجدول التّالي يوضح ذلك:

08 ماي1945م (متوسطة خراطة المركز)		الإخوة بومعزة (متوسطة الريف أجيون)		المتوسطة
النسبة (%)	عدد الإجابات	النسبة (%)	عدد الإجابات	الاقتراحات
%01.66	01	%13.33	08	نعم
%05.00	03	%40.00	24	لا
%05.00	03	%43.33	26	أحيانا



أعمدة بيانية رقم (22): تبيّن درجة إيمان التلاميذ بنزول الغيث عند ممارسة طقس "أَنْزَار".

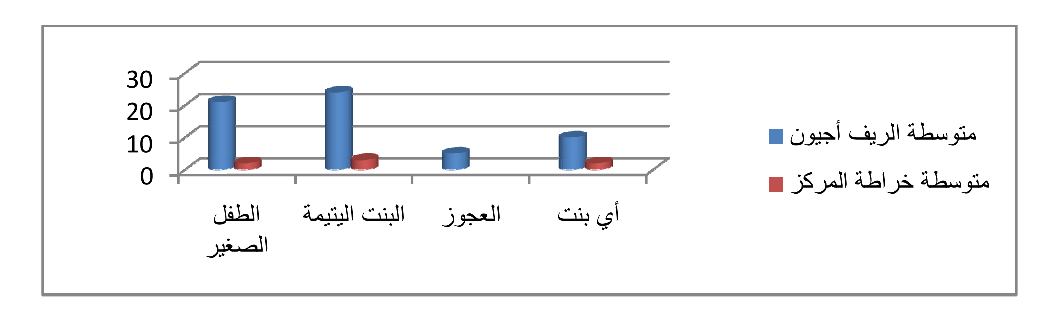
إنّ المتأمل هنا يرى أنّ تلاميذ متوسطة "الإخوة بومعزة" يؤمنون أحيانا بنزول المطر عند ممارسة طقس "أَنْزَار"، إذ إنّ 43.33% من التلاميذ يؤكدون ذلك، وهذه النسبة ليست بعيدة عن نسبة الذين لا يؤمنون بنزوله إذ قدرت بـ: 40.00%، أمّا الذين يؤمنون بنزول الغيث فنجد 08 إجابات والنسبة كانت 13.33%، أمّا النسبة الأخرى المتبقية والمقدرة بنسبة مئوية 03.33% فقد فضلت أن تتحفظ لذلك. أمّا تلاميذ المدينة فقد تساوى عدد الذين يؤمنون أحيانا بهطول المطر والذين لا يؤمنون بنزوله، إذ قدرت بـ: 05.00%، وإجابة واحدة فقط من الذين يؤمنون بنزول المطر عند ممارسة الطقس. ويبقى 53 تلميذا لم يقدموا جوابا لعدم معرفتهم الطقس. أمّا عن التعليلات التي قدمها التلاميذ الذين لا يؤمنون أحيانا بنزول المطر والذين لا يؤمنون به أبدا فإنّها تتعلق كلّها بالعامل الديني منها أنّ المطر ينزل بمشيئة الله، فهو من الأمور الغيبية التي لا يعلمها إلاّ الله وقد استشهد بعضهم بالآية الكريمة: ﴿إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾[1]. وهناك من قال أنّها عادة قديمة كان الأجداد غير المتعلمين يمارسونها، ومن ثم فهي لا تصلح في هذا العصر لأنّها مجرد خرافات وهمية وهلمّ جرّا.

---

[1]– سورة لقمان، الآية 34.

3 ـــ من يحمل المغرفة (أَغْنْجَا) عند ممارسة طقس "أَنْزَارْ"؟: يختلف حامل المغرفة من قرية إلى أخرى، إذ هناك من يرى أنّه من الواجب أن تحمله بنت يتيمة، وهناك من يرى أنّ المغرفة يجب أن تكون في يد طفل صغير... وبعد إحصاء الآراء استطعنا الوصول إلى هذه النتّائج:

المتوسطة	الإخوة بومعزة (متوسطة الريف أجيون)		08 ماي1945م (متوسطة خراطة المركز)	
الاقتراحات	عدد الإجابات	النسبة (%)	عدد الإجابات	النسبة (%)
الطفل الصغير	21	%35.00	02	%03.33
البنت اليتيمة	24	%40.00	03	%05.00
العجوز	05	%08.33	/	/
أي بنت	10	%16.66	02	% 03.33



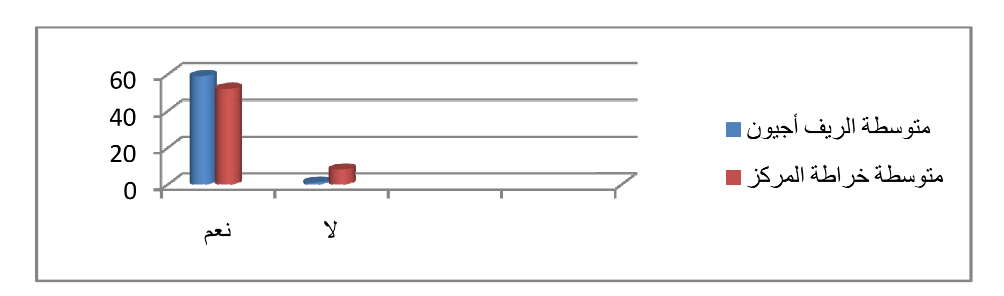
أعمدة بيانية رقم (23): تمثل حامل المغرفة (أَغْنْجَا).

أجاب أغلب تلاميذ الريف بالقول، إنّ حامل المغرفة هي البنت اليتيمة إذ وصلت النسبة إلى: 40.00%، بعد ذلك يأتي الطفل في المرتبة الثانية، إذ بلغت النسبة 35.00%، أمّا عدد الإجابات التي تقول أنّ حامل المغرفة هو أي بنت فهي 10 إجابات وأدق من ذلك فقد وصلت النسبة إلى: 16.66%، لتأتي في الأخير نسبة الذين يقولون أنّ حامل المغرفة هي العجوز إذ قدرت النسبة بـ: 08.33%. أمّا إجابات تلاميذ المدينة فترى أنّ حامل المغرفة هي البنت اليتيمة وقد وصلت هذه النسبة إلى: 05.00%، بعد ذلك يأتي الطفل والبنت اليتيمة بنفس النسبة والمقدرة بـ: 03.33%، ويبقى دائما 53 رأيّا دون جواب لعدم معرفتهم الطقس الأسطوري نتيجة التمدن.

ب ــ طقس استقبال الربيع (شَوْرْپِــيعْ): ويتضمن الأسئلة التاليّة:

1 ــ هل تمارس طقس استقبال الربيع (شَوْرْپِــيعْ)؟: إذا كان طقس "أَنْزَار" مجهولا في المدينة، فهل ينطبق هذا على طقس استقبال الربيع (شَوْرْپِــيعْ)؟ لنتأمل الإجابات التي وصلتنا ونرى ذلك:

المتوسطة	الإخوة بومعزة (متوسطة الريف أجيون)		08 ماي1945م (متوسطة خراطة المركز)	
الاقتراحات	عدد الإجابات	النسبة (%)	عدد الإجابات	النسبة (%)
نعم	59	%98.33	52	%86.66
لا	01	%01.66	08	%13.33



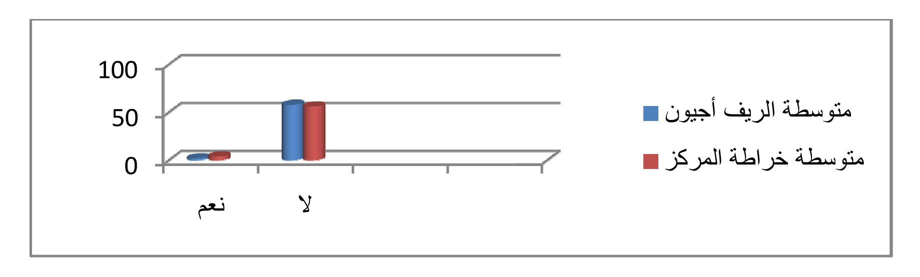
أعمدة بيانية رقم (24): تبيّن ممارسة الطقس الأسطوري الربيع (شَوْرْپِــيعْ).

يبيّن لنا الجدول ما لطقس الربيع (شَوْرْپِــيعْ) من قيمة عظيمة لدى التلاميذ، فعدد الإجابات قد وصل في متوسطة الريف إلى 59 إجابة وقدرت النسبة المئوية بـ: 98.33% وهي نسبة كبيرة تفصح عن بقاء طقس الربيع (شَوْرْپِــيعْ) ومقاومته لإعصار التغيّر في المدينة. وحتى تلاميذ المدينة الذين جهلوا كليّا طقس "أَنْزَار"، فإنّ طقس الربيع (شَوْرْپِــيعْ) كان على عكس ذلك تماما، إذ أن أغلبهم يمارسونه، وقد فاقت النسبة النصف بكثير إذ وصلت إلى 86.66% فرغم أنّهم يعيشون في وسط تغيب فيها الحقول الخضراء إلاّ أنّهم لا يزالون يحافظون عليه، إذ لم يصل عدد القائلين بعدم ممارسته إلا 08 تلاميذ والنسبة كانت 13.33%. وقد كان تعليل الفئة القائلة بممارسته أنّه من المعتقدات الثمينة التي تركها الأجداد ولا يمكن التخلي عنه وهناك من قال أنّه يبهج النفس ويملأ الكون حبورا إلى غير ذلك، وبالتّالي فنفسهم تأبى التخلي عنه، أمّا تعليل الفئة التي أجابت بعدم ممارسته فقد كان بسبب غياب الحقول ولاسيّما وأنّه المكان المفضل لدى التلاميذ، ومنهم من أرجع ذلك إلى عدم العثور على بيض

الدجاج المعد بالطريقة التقليدية، ولاسيّما وأنّ جداتهم ترفض إقامة الطقس الربيعي (شَوْرْبِـيع) إلا بتلك البيوض.

2 ـ هل ترضى بأن يحتفل أهلك بالربيع (شَوْرْبِـيع) وأنت غائب عن المنزل، متواجد في المدرسة مثلا؟: تحتفل الأسر في المنطقة بالربيع (شَوْرْبِـيع) وأبناؤها في المدارس، فبمجرد أن يأكلوا أكلة الربيع في الصباح الباكر على الريق يذهبون مباشرة إلى المدارس، ويضيِّعون متعة الربيع، ولاسيّما وأنّ الأكثرية منهم يخرجون إلى البراري والحقول الشاسعة، فهل هم راضون بهذا الاحتفال الذي يقام دوريا، وهم في المدارس؟ هذا ما ستقرره إجابات التلاميذ:

المتوسطة	الإخوة بومعزة (متوسطة الريف أجيون)		08 ماي1945م (متوسطة خراطة المركز)	
الاقتراحات	عدد الإجابات	النسبة (%)	عدد الإجابات	النسبة (%)
نعم	02	%03.33	04	%06.66
لا	58	%96.66	56	%93.33



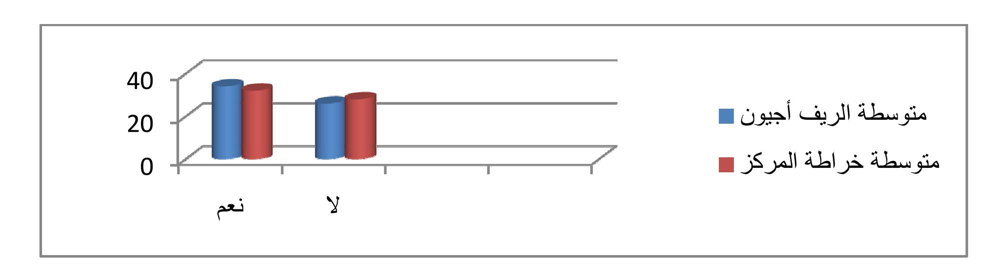
أعمدة بيانية رقم (25): تعبر عن رفض التلاميذ بإقامة الطقس وهم في المدارس.

تتفق أغلب الآراء في الريف والمدينة على حد سواء بعدم الرّضى من إقامة الطقس الذي يقام دوريا وهم في المدارس. وهناك من أظهر غضبه عندما سألناه مثل هذا السؤال أثناء تجريب الاستبانة قائلين لنا: لماذا تحتفل العائلات في المنازل والحقول، ونحن متواجدون في المدارس؟ فالنسب المسجلة كانت ضد ممارسة هذا الطقس وهم في المدارس، إذ بلغ عدد الإجابات في متوسطة "الإخوة بومعزة" 58 إجابة، والنسبة قدرت بـ: 96.66%، وهي النسبة نفسها تقريبا نجدها في متوسطة "08 ماي1945م" إذ وصلت إلى: 93.33%، فالنسبتان كبيرتان تعبران عن رفض التلاميذ باحتفال الأهل والأقارب بالربيع (شَوْرْبِـيع) وهم غائبون عن

المنازل. ولم يصل عدد قبول التلاميذ بممارسة الطقس الذي يقام وهم في المدارس إلا إجابتين في متوسطة الريف، والتي قدرت بنسبة مئوية 03.33% و أربعة إجابات في المدينة أي بنسبة 06.66%. وقد كان تعليل الفئة الرافضة بممارسة الطقس وهم في المدارس غائبون عن المنازل، بالقول أنّهم يريدون مشاركة العائلة في الاحتفال، فكيف لا يحتفلون معهم وقد انتظروا حلول الربيع بفارغ الصبر؟ وهناك من قال أنّه من العادات والتقاليد، فكيف لا يحتفلون به؟ كما أنّهم يريدون حسب أقوالهم تعلم أسرار الطقس لأنّهم إن كانوا في المدرسة لن يتمكنوا من تعليمها، وقد قال البعض من تلاميذ المدينة بأنّ الربيع فرصة تسمح لهم بالذهاب إلى الأرياف أين توجد الطبيعة الخلابة والمروج الخضراء وهلمّ جرّا.

3 ـــ هل تتعلم كيفية تزيّن كسرة الربيع "أَغْرُومْ نْشَوَرْپِـــيعْ" أو"ثِيرْطُونِينْ"؟: بعد معايشة طقس الربيع الذي يمارس في مجتمع البحث، رأيّنا أنّ الأغلبية الساحقة من الفتيات يتعلمن صنع الكسرة الربيعية، فأردنا تقدير هذه النسبة، فكانت النتائج كالتّالي:

المتوسطة	الإخوة بومعزة (متوسطة الريف أجيون)		08 ماي1945م (متوسطة خراطة المركز)	
الاقتراحات	عدد الإجابات	النسبة (%)	عدد الإجابات	النسبة (%)
نعم	34	%56.66	32	%53.33
لا	26	%43.33	28	%46.66



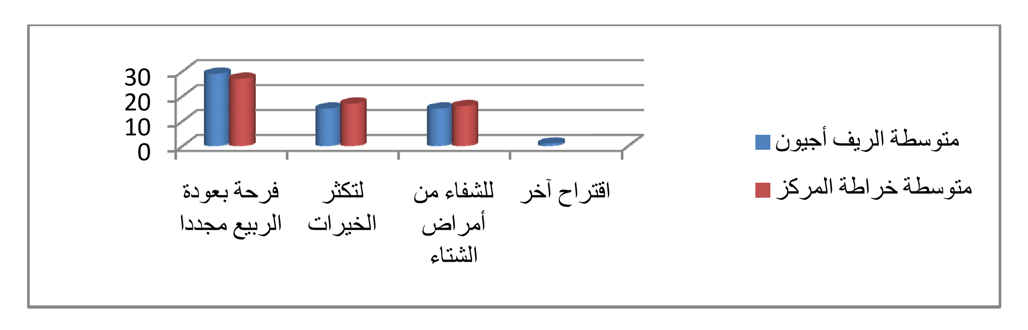
أعمدة بيانية رقم (26): تمثل تعليم الفتيات صنع فطيرة الربيع "أَغْرُومْ نْشَوَرْپِـــيعْ" أو"(ثِيرْطُونِينْ).

توضح النتائج المدونة أعلاه، إنّ أغلبية تلاميذ الريف يتعلمون صنع فطيرة الربيع "أَغْرُومْ نْشَوَرْپِـــيعْ"، إذ نجد أنّ 34 رأيّا يقرون بذلك، أي بنسبة مئوية قدرت بـ: 56.66%. أمّا

عدد الذين لا يتعلمون صنعها فقد كانت من إجابات الذكور* والذين وصل عددهم في الريف إلى 26 إجابة والنسبة 43.33%. أما تلاميذ المدينة فقد وصل عدد الذين يريدون صنع الفطيرة إلى 32 إجابة والنسبة بلغت 53.33% أما عدد الذين لا يريدون تعلمها فقد وصل إلى 28 إجابة والنسبة هي 46.66% وهي نسبة عدد الذكور، وقد كان تعليلهم لذلك أنّ مثل هذه الأعمال من اختصاص النساء. أمّا التعليل الوارد إلينا من قبل القائلين بتعليم صنع الكسرة وتزيّينها وهن الإناث بأنّ تعلمها إجباري لأنّهن سيصبحن ربّات البيوت مستقبلا، ومن واجبهن صنعها أثناء القيام بمراسيم الطقس، كما أنّها من معتقدات أجداد المنطقة ينبغي الحفاظ عليها وهلمّ جرّا.

4 ــ لماذا تحتفل بطقس الربيع (شَوْرْپِــيع)؟: تعددت الآراء حول الغرض الأساس من الاحتفال بالربيع، فمنهم من يرى أنّ الاحتفال به هو فرحة بقدومه وعودته مجددا إلى الحياة بعد أن غاب عن الأنظار مدّة طويلة، ومنهم من يرى أنّ الاحتفال به يؤدي إلى كثرة الخيرات ويشفي من الأمراض التي صاحبت الإنسان مدة الشتاء بالكامل، وهذه النتائج توضح ذلك:

المتوسطة	الإخوة بومعزة (متوسطة الريف أجيون)		08 ماي1945م (متوسطة خراطة المركز)	
الاقتراحات	عدد الإجابات	النسبة (%)	عدد الإجابات	النسبة (%)
فرحة بعودة الربيع مجددا	29	%48.33	27	%45.00
لتكثر الخيرات	15	%25.00	17	%28.33
للشفاء من أمراض الشتاء	15	%25.00	16	%26.66
اقتراح آخر	01	%01.66	/	/



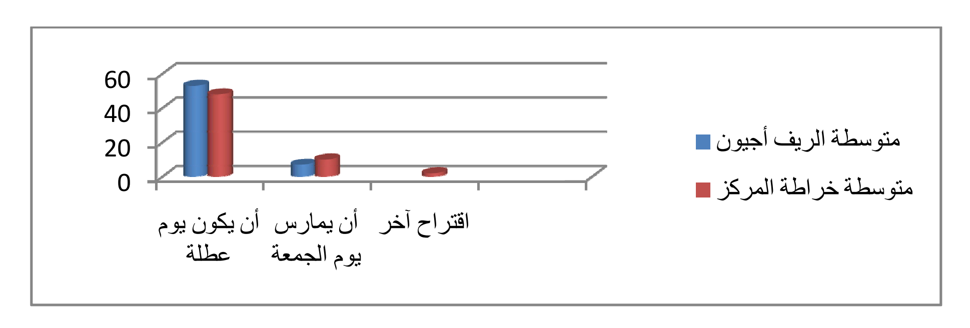
أعمدة بيانية رقم (27): توضح غرض ممارسة طقس استقبال الربيع (شَوْرْپِــيع).

*- ينظر: عدد الذكور والإناث في هذا المبحث، ص 98 ــ 99.

نلاحظ من خلال هذه الإجابات، إنّ غرض الاحتفال بالربيع حسب التلاميذ هو فرحة بعودة الربيع مجدّدا إلى الحياة، وقد قدرت النسبة المئوية بـ: 48.33% في متوسطة الريف "أجيون"، و45.00% في متوسطة "خراطة المركز"، ولا عجب في ذلك فالتلاميذ لا يزالون صغار السن يفرحون بعودة فصل اللّهو والمرح إلى الحياة. لتأتي بعد ذلك النسبة متساوية لدى تلاميذ الريف في الاقتراحين القائلين أنّ هدف الاحتفال به هو الشفاء من أمراض الشتاء وزيادة الخيرات، إذ قدرت النسبة في كلّيهما بـ: 25.00%، أمّا في متوسطة المدينة فتأتي في الدرجة الثانية نسبة القائلين بزيادة الخيرات إذ بلغت 28.33% وهي نسبة متقاربة مع نسبة الذين يرون أنّ الاحتفال به هو التخلص من أمراض الشتاء والمقدّرة بـ: 26.66%. وتبقى إجابة واحدة في متوسطة "الإخوة بومعزة" والتي قدّرت بـ: 01.66% اقترحت رأيّا آخر وهو أنّ غرض الاحتفال بالربيع هو شكر الله على النعم التي أنعمها على بني البشر.

5 ــ بما أنّ طقس الربيع "شَوْرْپِــيعْ" ليس يوم عطلة، فماذا تقترح؟: بما أنّ أغلب التلاميذ قد أفصحوا عن رفضهم التام بالاحتفال الذي يقام في جميع أنحاء المنطقة وهم في المدارس كما رأينا ذلك، فقد اقترحنا وضع هذا السؤال للكشف عن اقتراحاتهم المختلفة حول اليوم المناسب لممارسة الطقس الربيعي المقدّس، وهذه هي النتائج التي قدموها:

المتوسطة	الإخوة بومعزة (متوسطة الريف أجيون)		08 ماي 1945م (متوسطة خراطة المركز)	
الاقتراحات	عدد الإجابات	النسبة (%)	عدد الإجابات	النسبة (%)
أن يكون يوم عطلة	53	%88.33	48	%80.00
أن يمارس يوم الجمعة	07	%11.66	10	%16.66
اقتراح آخر	/	/	02	%03.33



أعمدة بيانية رقم (28): تمثل اقتراحات التلاميذ باليوم المناسب لممارسة طقس الربيع (شَوْرْپِـيع).

تدل النتائج التي أفرزتها لنا الإجابات أنّ التلاميذ يريدون أن يكون يوم الاحتفال بطقس الربيع (شَوْرْپِـيع) يوم عطلة، وقد حاز هذا الاقتراح على نسبة عالية، سواء في متوسطة الريف أو في متوسطة المدينة، إذ وصل عددهم في متوسطة الريف إلى 53 تلميذا وبلغة الأرقام كانت النسبة 88.33%، أمّا في متوسطة المدينة فقد بلغ عددهم 48 تلميذا وبلغة أدق كانت النسبة 80.00% فهذه النسب إذن كبيرة تجاوزت نصف الآراء بكثير، تدل على رغبة التلاميذ بأن يكون يوم الاحتفال بالطقس الأسطوري المبجل يوم عطلة لا يوم دراسة، أين يتسنى لهم المشاركة في جميع تفاصيل الطقس. أمّا النسبة الباقية فهي للفئة التي فضلت أن يمارس يوم الجمعة، والعدد كان 07 إجابات، والنسبة هي: 11.66% و10 إجابات في متوسطة المدينة، وبلغة النسب نجد 16.66% وهناك تلميذان تجاوزا هذه الاقتراحات وقدما رأيّا آخر وهو أن يمارس الطقس يوم السبت أو يوم الأحد وقدرت النسبة بـ:03.33.

بعد البحث والتنقيب، وبعد تحليل الاستبانة الموّجهة للفئة الناشئة في التعليم المتوسط، قادنا البحث إلى استخلاص النتائج التاليّة:

ـ إنّ للعولمة تأثيرا ملحوظا على التراث الشعبي المتداول لدى الفئة الناشئة المتعلمة، إذ نجد أنّ أغلب التلاميذ بعد أن كانوا في قديم الزمان لا يجيدون لذة أكبر من الإنصات إلى الرّاوي وهو يسرد أخبار الزمان، أصبحوا اليوم يفضلون مشاهدة مثل هذه الأخبار والأساطير في الوسائل التكنولوجيا الحديثة كالتلفزة والحاسوب وهلمّ جرّا.

ـ إن درجة الإيمان بالأساطير قد انخفضت، بل تكاد تزول عند تلاميذ المدينة، فهم يرون بأنّها مجرد أباطيل لا أساس لها من الصحة، وعلى الرغم من ذلك نجد أنّ أغلبهم يتمنون بأن يكونوا رواة محترفين في سرد المأثورات الشعبية عموما، والميثولوجيا خصوصا.

ـ إنّ التداخل الموجود بين الحكايات والأساطير قد جعل التلاميذ لا يميّزون بينهما فكلّ حكايّة في نظرهم هي أسطورة، والعكس صحيح. وقد امتد هذا التداخل والخلط بين الشكلين ليشمل أساتذة اللغة العربية، فهم يشرحون مصطلح "أسطورة" للتلاميذ كمرادف لمصطلح "الحكاية". لكن رغم التداخل الموجود بينهما فلا يجب الخلط إلى تلك الدرجة، فعلى الأقل أن لا يجعلوا مصطلح "أسطورة "مرادفا لمصطلح "الحكايّة".

ـ إنّ الأساطير المذكورة في الكتاب المدرسي غير كافية –حسب إجابات التلاميذ– والشيء الملفت للانتباه أكثر هو غياب الأساطير الجزائرية في الكتاب المدرسي، إذ لم تذكر ولو أسطورة جزائرية واحدة ضمن الأساطير المذكورة لتعريف التلميذ الجزائري بتراثه الأصيل فمن غير المعقول أن يدرس التلميذ الجزائري تراث الشعوب الأخرى وهو جاهل لتراثه الفلكلوري الغني.

الفصل الثاني: مقاربة اثنولوجية لأساطير الطقوس
- طقوس الاستسقاء واستقبال الربيع -

المبحث الأوّل: طقس الاستسقاء (أَنْزَارْ)

1 ــ الإنسان والماء والأساطير.

2 ــ الماء في منطقة خراطة (بجاية).

3 ــ طقس الاستسقاء "أَنْزَارْ" في منطقة خراطة (بجاية).

4 ــ الخلفيات الأسطورية لطقس الاستسقاء "أَنْزَارْ".

5 ــ الرموز الاثنولوجية لطقس الاستسقاء "أَنْزَارْ".

الفصل الثاني: مقاربة اثنولوجية لأساطير الطقوس – طقوس الاستسقاء واستقبال الربيع –

المبحث الأوّل: طقس الاستسقاء (أَنْزَارْ)

يعتبر الماء مادة الحياة، فهو الأساس في الكون لا يمكن الاستغناء عنه. فحياة الإنسان والحيوان والنبات متوقفة عليه ومرتبطة به أشد ارتباط، إذ لا يمكن لها أن تحيا إذا لم تهطل الأمطار وتفيض الأودية، فهو الذي يحيّي النبات بعد موته، ويمنح للكائنات الحيّة القوة على الاستمرار والبقاء فهو منبع الحياة وسرها لا يمكن الاستغناء عنه. ونظرا لأهميته في الحياة، فقد خصصت الأمم المتحدة يوم 22 مارس من كلّ سنة يوما عالميا للمياه.

أثار الماء اهتمام الإنسان منذ القدم نظرا لقيمته وأهميته في الحياة حيث كانوا يبذلون ما في وسعهم من أجل الحصول عليه، وقد اعتبروا أنّ نزول الأمطار من القوى الغيبية العليا لهذا كانوا يسترضونها بمختلف القربان لتغيثهم، وفي مجتمع البحث نجد أنّهم يحاولون استرضاء ملك المطر "أَنْزَارْ" من خلال إحياء الزمن الأول بوساطة الطقس. فكيف يمارس هذا الطقس في مجتمع البحث ؟ وما هي رموزه الاثنولوجية؟

1 ــ الإنسان والماء والأساطير

يعدّ الماء أحد الظواهر الطبيعية التي أثارت دهشة الإنسان منذ وجوده على سطح الأرض وقد اهتدى بفطرته أنّ وراء هذه الظاهرة قوى غيبية خفية تتحكم فيها، لهذا حاول استرضاءها من خلال ممارسة مختلف الطقوس لدرء غضبها عنه. فأسباب «سقوط المطر والرعد والبرق وتغير الفصول، وأوجه القمر... كلّها أشياء استثارت ولا شك دهشة هؤلاء الفلاسفة الأولين»[1].

ارتبطت حياة الإنسان في العصر الجاهلي أشد ارتباط بمياه الأمطار، ولاسيّما وأنّ منطقة شبه الجزيرة العربية شبه جافة، فالجزء الأكبر منها عبارة عن صحاري قاحلة جرداء كمنطقة الحجاز ونجد وتهامة، لهذا لم يكونوا مستقرين، حيث كانوا يتنقلون من مكان إلى آخر بحثا عن الماء والكلأ فهم يصارعون الفيافي القفار من أجل البقاء على قيد الحياة. فجزيرة العرب «تعد

---

[1]– سير جيمس فريزر: الغصن الذّهبي، ص247 ــ 248.

في جملة الأرضين التي تقل فيها الأنهار والبحيرات، وفي جملة البلاد التي يتغلب عليها الجفاف، ويقل فيها سقوط الأمطار، ولذلك أصبحت أكثر بقاعها صحراويّة قليلة السكان»[1] لهذا كانوا إذا لم ينزل المطر «تقدموا بأنواع الشعائر لاستنزاله، ولا يمتنع أن ننسب إليهم أنّهم جعلوا آلهة للمطر استجدوها إذا أمسكت السماء وأجدبت الأرض وربما كان ذلك الإله هو ما سمي بقوس قزح...»[2] وقد كانوا يركزون على علاقة الأرض بالسماء والكواكب من خلال المطر «ومثال ذلك كوكب الثريا الذي عظمه العرب لكثرة نوئه أو مطره، وأيضا تعظيم العرب لكلّ ما له صلة بالمطر، فإذا هطل المطر كانوا يقولون مطرنا بنوء هذا النجم الطالع، وإذا لم يهطل المطر كانوا يقولون: خوى نجم كذا، وكانوا يعتبرون نوء الدبران شؤما عليهم لقلة مطره أو لانعدامه»[3] وليس هذا فحسب، بل أقاموا حول المياه والآبار آلهتهم التي كانوا يعبدونها، يقول ابن اسحاق: «وكانت قريش قد اتخذت صنما على بئر في جوف الكعبة، يقال له هبل. واتخذوا إسافا ونائلة على موضع زمزم ينحرون عندهما»[4] و «يقال أنّ شبه الجزيرة العربية أخذوا هبل عن عرب شبه جزيرة سيناء، وأول من استقدمه إلى مكة هو عمر بن لحي الجرهمي وقد نصبه على بئر «الأخسف» في بطن الكعبة. وأمر النّاس بعبادته»[5] فإقامة آلهتهم حول الآبار والعيون يشير إلى فضائلها الكثيرة من جهة، ومن جهة أخرى تشير إلى علاقتها بالخصب والرزق، لهذا كانوا يعتقدون أنّ انحباس المطر «عندهم غضبا من الآلهة ينزل بهم، ولهذا كان الجاهليون يتضرعون إلى آلهتهم ويتقربون إليها، أن تنزل عليهم الغيث»[6].

وهناك من العرب من أطلق كلمة الاستسقاء على النّار وتسمى (نار الاستسقاء) «وتعني إشعال مواد نباتية سريعة الاحتراق وتعليقها بأذناب البقر بعد أن يصعدوا بها إلى جبل وعر ويلاحقونها بضجيج من الأدعية والتضرع لكي يهطل المطر»[7] وقد برعت العرب في ترتيب

---

[1]– جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط2، ج1، ساعدت جامعة بغداد على نشره، 1993، ص157 ـ 158.

[2]– سميح دغيم: أديان ومعتقدات العرب قبل الإسلام، ط1، دار الفكر اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1995، ص168.

[3]– خليل أحمد خليل: مضمون الأسطورة في الفكر العربي، ص41.

[4]– ابن هشام: السيرة النبوية، ص52.

[5]– شوقي عبد الحكيم: الفولكلور والأساطير العربية، ط2، دار ابن خلدون، بيروت، لبنان، 1983، ص33.

[6]– جواد علي: م. س، ص162.

[7]– خليل أحمد خليل: م. س، ص. ن.

أسماء المطر نتيجة اهتمامهم الشديد به، فيقولون: «أوّله رشٌ وطَشٌ، ثم طَلٌ ورَذَاذٌ، ثم نَضْحٌ ونَضْخٌ، وهو قطر بين قطرين، ثم هَطْلٌ وتَهْتَانٌ، ثم وَابِلٌ وجَوْدٌ»[1].

وقد كان المصريون يحتفلون بنهر النيل «يتم خلاله إلقاء تمثال عذراء (عروس النيل) في المياه ضمانا لوفاء النيل بالتزامه بالتدفق والفيضان كلّ عام. وقد كان هذا التمثال بديلا عن عذراء حقيقية كانت تلقى في النيل جريا على عادة المصريين القدماء في التضحية بالآدميين نظرا للأرواح والإلهة التي تسكن في قاعه»[2] فتقديم القرابين البشرية من أجل استنزال المطر كان من الظواهر المنتشرة في قديم الزمان، فإلى جانب تقديم عذراء شابة لنهر النيل ليفيض نجد أنّ الملك داود في القديم قد قام بشنق سبعة أبناء شاؤول في موسم حصاد الشعير بسبب قحط دام ثلاث سنوات، وقد بقوا معلقين هناك إلى غاية قدوم الخريف. أين قامت أم اثنين منهما بإنزال عظامهم ودفنها في ضريح أجدادهم. وإعدامهم لم يكن مجرد عقاب حلّ بهم، بل كان رقية وطقسا سحريا يقام بعظامهم من أجل استنزال المطر[3].

وقبل بعثة الرسول (ص) استسقى موسى عليه السلام لقومه، فطلب الغيث من الله سبحانه وتعالى، ففجر له الماء، يقول تعالى: ﴿وَإِذِ اِسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اِضْرِبْ بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اِثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾[4]. فالماء مادة الحياة، وهو النعمة الكبرى والمنة العظمى التي أنعمها الله على بني البشر، يقول في محكم التنزيل: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾[5] وهو سبب اخضرار الأرض وخصوبتها يقول تعالى: ﴿وَهُوَ الذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾[6].

---

[1]– شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب ، ص74.

[2]– ثناء أنس الوجود: رمز الماء في الأدب الجاهلي، د. ط، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2000، ص27 ـــ 28.

[3]– ينظر: جيمس فريزر: أدونيس أو تموز، دراسة في الأساطير والأديان الشرقية القديمة، تر: جبرا إبراهيم جبرا، ط3، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 1982، ص 30.

[4]– سورة البقرة، الآية 60.

[5]– سورة الأنبياء، الآية 30.

[6]– سورة الأنعام، الآية 99.

والمطر ليس وسيلة للرزق فحسب، بل وسيلة للعقاب أيضا يقول تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾[1]. وقد كان الرسول (ص) يستسقي قومه أثناء القحط يقول ابن هشام: «وحدثني من أثق به، قال: أقحط أهل المدينة، فأتوا رسول الله (ص)، فشكوا ذلك إليه، فصعد رسول الله (ص) المنبر فاستسقى، فما لبث أن جاء من المطر ما أتاه أهل الضواحي يشكون منه الغرق، فقال رسول الله (ص): «اللّهم حوالينا ولا علينا»، فانجاب السحاب عن المدينة فصار حواليها كالإكليل، فقال رسول الله (ص): لو أدرك أبو طالب هذا لسره»[2].

وإذا كان التطهير في الإسلام يتم بوساطة الماء، يقول عز وجل: ﴿إِذْ يُغْشِيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُم رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾[3] فإنّه «عند السومريين (ومن ثم عند البابليين والأشوريين) يجري بعدة طرق هي إحراق البخور وسكب السوائل كالماء والزيت والحرق والدفن والاغتسال والأضاحي»[4] ويعني هذا القول، إن التطهير عند السومرين لا يتم بالماء والاغتسال فقط وإنّما يتم أيضا بوساطة إحراق البخور والزيت والدفن وهلمّ جرّا. ويرى ميرسيا ايلياد أنّه يمكن مقارنة الطوفان بالتعميد عند المسيحيين يقول في هذا الشأن: «فالطوفان كان إذا صورة أتى التعميد لإكمالها...، وكما أنّ نوحا واجه بحر الموت الذي هلكت فيه البشرية المذنبة وغطست فيه، فإنّ المعمد الجديد ينزل في حوض التعميد لمواجهة تنين البحر في معركة عليا ويخرج منه منتصرا»[5]، فالماء بهذا المعنى يكون رمزا للتجديد والولادة. لهذا صنف فيليب سيرنج رمزية الماء إلى ثلاث مجموعات رئيسية هي: الماء مصدر الحياة والماء وسيلة تطهير والماء رمز الإحياء، التجديد[6] ويُفهم من هذا القول، إنّ الماء رمز الحياة والتطهير والتجديد، و«الماء في آسيا هو شكل جوهري مهم في ظهور أصل الحياة

---

[1]– سورة الأعراف، الآية 84.

[2]– ابن هشام: السيرة النبوية، ص155.

[3]– سورة الأنفال، الآية 11.

[4]– خزعل الماجدي: متون سامر، التاريخ، الميثولوجيا، اللاهوت، الطقوس، الكتاب الأول، الأهلية للنشر والتوزيع، المملكة الأردنية الهاشمية، عمان، الأردن، د. ت، ص315.

[5]– ميرسيا ايلياد: المقدّس والمدنّس، ص100.

[6]– ينظر: فيليب سيرنج: الرموز في الفن – الأديان – الحياة، تر: عبد الهادي عباس، ط1، دار دمشق، 1992، ص350.

فهو عنصر تجديد الجسم والروح، ورمز الخصب والنقاء والحكمة والنعمة والفضيلة... فماء الحياة يقدم نفسه بوصفه رمزا للكون ذلك لأنّه ينقي ويشفي ويجدّد، إنّه يقدم للأبدية»[1].

وإذا كان هناك نبات الخلود، فإن هناك أيضا ماء الحياة، وقد بحث عنها ذو القرنين، يقول ابن كثير في هذا الشأن: «أن ذا القرنين كان له صاحب من الملائكة يقال له رناقيل فسأله ذو القرنين هل تعلم في الأرض عينا يقال لها عين الحياة فذكر له صفة مكانها فذهب ذو القرنين في طلبها، وجعل الخضر في مقدمته فانتهى الخضر إليها في وادي في أرض الظلمات فشرب منها، ولم يهتد ذو القرنين إليها»[2]، وإلى جانب «ماء الحياة، توجد أمواه الموت، وفي قصص الطوفان، على سبيل المثال، التي تنتمي إلى كلّ الثقافات تقريبا،... يمكن للماء أن يبقى أداة إلهية، إلا أنّها تبدو عندئذ أداة عقاب تصيب المذنب وتبقي على العادل أحيانا (نوح)»[3] أي، مثلما يمنح الماء الحياة، كذلك فإنّه يميتها. ففي بعض الأحيان يمكن أن يكون الماء قاتلا فهيجانه رمز للمصائب والكوارث العظيمة[4]. فالماء إذا يحمل تفسيرين مختلفين متقابلين هما: الحياة والموت.

وإذا كانت الأساطير تختلف عن بعضها البعض في بعض أجزائها، فإنّها فيما يخص ولادة الكون فقد اتفقت جميعا بأنّه قد ولد من الماء، فالماء أوّل المخلوقات، فهو العنصر الأول في خلق الكون، حيث «لم يكن ثمة شيء في البدء، لا الشمس ولا القمر، ولا الكواكب، كانت المياه تملأ المكان الّلامحدود كلّه، وكانت هذه قد ظهرت من الخراب الكوني الأول، الذي استقر ساكنا دون حركة وخرجت المياه من ظلامه قبل المخلوقات الأخرى كلّها، وولدت المياه النار»[5] ويعني هذا الكلام، إنّ الماء كان موجودا يعم الكون قبل خلق جميع المخلوقات، وفي القرآن الكريم إشارة إلى ذلك، يقول تعالى في محكم التنزيل: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾[6].

---

[1]- Jean Chevalier, Alain Gheerbrant: Dictionnaire des symboles, Mythes, Rêves, Coutumes, Gestes, Formes, Figures, Couleurs, Nombres, Édition: Robert Laffont / Jupiter, Paris, France, 1982, P 374.

[2]– أبي الفداء اسماعيل بن كثير: البداية والنهاية، تحقيق ودقق أصوله وعلق حواشيه: مكتب تحقيق التراث، د. ط، ج2، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د. ت، ص127.

[3]– فليب سيرنج: الرموز في الفن – الأديان – الحياة، ص359.

[4]- Voir: Jean Chevalier, Alain Gheerbrant: Op. Cit, P 378.

[5]– م. ف ألبيديل: سحر الأساطير، ص 96.

[6]– سورة هود، الآية 07 .

أمّا الأساطير الهندية القديمة فتقول: «« طبعا كان الماء هذا كلّه في البدء». فالماء هو الجوف، هو المهد، هو العنصر الأنثوي، بل لقد ساوو المياه مع زوجات الإله... وغدت هذه المياه عنصر بناء الكون ومستنده»[1]، والشيء نفسه نجده في الأساطير اليابانية، حيث نجد: «أنّ الزوج الإلهي الأول ايدزاناغي وايدزانامي هما من خلق الأرض، أي الأرخبيل الياباني. وكانت تتلاطم تحت قبة السماء التي يقيم فيها الآلهة، أمواج البيئة المائية...»[2]. أما الميثولوجيا السكندينافية فترى أنّ السماء قد خلقت من جمجمة العملاق "إيمير" الذي خلق من أنهار ايليواغار السامّة، وهذه الأخيرة بدورها قد تشكلت من الندى الثلجي. أمّا فيما يتعلق بالميثولوجيا الصينية فنجد أنّ الأمطار قد تشكلت من عرق بان – غو العملاق الذي أعطى كلّ حيّ بداية[3] .

وتروي الأسطورة الكونية (Le Mythe Cosmogonique) البولينيزية (Polynésien) أنّه «لم يكن موجودا في البدء إلا المياه والظلمات، يقوم إيو (Io) الإله الأعلى بفصل المياه بقوة فكره وكلامه، فيخلق السماء والأرض. قال: «لينفصل الماء ولتتكون السماء والأرض»[4]، وفي سفر التكوين نجد «أنّ المياه وجدت قبل الأرض كما يعبر عن ذلك سفر التكوين «كانت الظلمات تغطي سطح القمر وروح الله كانت ترفرف على المياه»[5]. أمّا في الأساطير البابلية فنجد أسطورة الخلق "اينوما إليش" فقد «كانت تعم المياه الأولى، والمحيط البدئي، تنين العماء والهيولى الأصلية لدى البابليين، كانت منذ الأزل مع زوجها « أبسو» المياه العذبة البدئية بدعة وطمأنينة يمزجان أمواجهما معا»[6]. وقد «رمز المصريون لظهور الروح العظيمة للحياة من المياه بزهرة اللوتس المائية التي تنشأ ثم تتفتح»[7]. فالأساطير إذن تتفق كلّها على ولادة الكون من الماء.

---

[1]– م. ف ألبيديل: سحر الأساطير، ص 100.

[2]– م. ن، ص. ن.

[3]– ينظر: م. ن، ص101 ــ 102.

[4]– Mircea Eliade: Aspects du Mythe, p 46 .

[5]– ميرسيا ايلياد: المقدّس والمدّنس، ص98.

[6]– فراس السوّاح: مغامرة العقل الأولى – دراسة في الأسطورة – ط1، دار الكلمة للنشر، بيروت، لبنان، 1980، ص304.

[7]– رندل كلارك: الرمز والأسطورة في مصر القديمة، ص236 .

وقد كثرت أسماء آلهة المطر والمياه في الأساطير، فلإله بعل (Baal) يمثل إله المياه على شكل أمطار، إذ يرسل البروق والرعود والصواعق لإظهار قوته، ويوزع الأمطار الخيّرة في فصلها لإخصاب الأرض، واسمه أيضا «حدد». ومن خلال هذا الاسم استطاع أن يدخل مجمع الآلهة البابلية...[1] ويعد إيل (El) «الربّ الرئيسي في البانثيون الفنيقي. إله الأنهار والينابيع وما ينجم عنها من خصب. والمكان الذي يسكنه هو منابع الأنهار»[2]. وعند البابليين نجد أنّ الإلهة عشتار هي رمز الماء، يقول فراس السوّاح: «هي المياه البدئية الأولى التي تحرك المطلق في أعماقها من حالة السكون إلى دينامية الخلق. وعلى المستوى الطبيعي، هي مصدر المياه التي تتفجر ينابيعها وتجري أنهارا تملأ البحيرات العذبة والبحار والمحيطات المالحة... وهي مياه الأمطار العلوية ومياه الأعماق الباطنية التي تتفجر أنهارا وعيونا»[3]. وفي مصر نجد أنّ الإله حابي (Hapi) ربّ نهر النيل، وقد عبدوه باعتباره حامي الفيضان والأمطار التي تعطي الحياة للمحاصيل الزراعية، وقد كانوا يقدمون له القرابين البشرية التي عوضوها فيما بعد بالتماثيل إلا حين دخول الإسلام، وقد كانوا يسمونه (يارعو) أي (البحر العظيم)، وذلك لأن (يار) باللغة المصرية القديمة يعني (نهر)، و(عو) تعني العظيم[4].

كما كثر الحديث في الأساطير أيضا عن ماء الحياة، الذي يعيد الحياة إلى الأموات، حيث نجد أنّ الإلهة عشتاروت قد مضخت نفسها بماء الحياة وعادت إلى الأرض العليا مع حبيبها تموز، كما غطست الحورية "ثيطس" ابنها "أخيل" في نهر ستيكس لتجعله خالدا لا يموت، ولكنّها أثناء غمسه في الماء أمسكته من عقبة وهي نقطة ضعفه، إذ وجه إليه "باريس" سهما فأصاب نقطة ضعفه فقتله، لأن تلك النقطة لم يصلها ماء الحياة[5]. فالماء إذن في الأساطير مسكن الآلهة الأولى التي قامت بخلق السماء والأرض، لهذا أصبح معظمها ربّ الأنّهار والمياه وكلّ ما له صلة بالأمطار كالرعد والبرق والسحاب وهلمّ جرّا.

---

[1]– ينظر: ـ صموئيل هنري هووك: منعطف المخيلة البشرية، ص94.

ـ فراس السوّاح: مغامرة العقل الأولى، ص301.

[2]– ماكس شابيرو ورودا هندريكس: معجم الأساطير، ص90.

[3]– فراس السوّاح: لغز عشتار، ص 147 ـ 148 ـ 174.

[4] – ينظر: ـ ماكس شابيرو ورودا هندريكس: م. س، ص114.

ـ محمد جمال الدين الفندي: النّيل، د. ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1993، ص13.

[5]– ينظر: ـ جيمس فريزر: أدونيس أو تموز، ص204.

ـ ماكس شابيرو ورودا هندريكس: معجم الأساطير، ص24.

2 ــ الماء في منطقة خراطة (بجاية)

نظرا لقيمة الماء وأهميته في الحياة، نجد أنّ مجتمع البحث يمارس طقوسا عديدة من أجل استنزاله من السماء، مثل طقس الاستسقاء "أَنْزَارْ"، وليس هذا فحسب بل إقامة المنافسات السحرية إن استدعى الأمر ذلك، والتي من شأنها زيادة مياه الأودية مثل «المنافسة السحرية التي قام بها في قديم الزمان الساحران (سي لعياشي) من قرية "أزغار" و(سي بلقاسم) من قرية "آيث عمرون" حول من يجف وادي "آيث عباس" أوّلا المتواجد في منطقة "أجيون"، ومن يرجعه إلى حالته الطبيعية ثانيا، وقد استطاعا كلّ منهما أن يجعله جافا لا يحتوي ولو على قطرة ماء ولكن الساحر (سي لعياشي) لم يستطع أن يعيده إلى حالته الطبيعية الأولى، عكس الساحر (سي بلقاسم) حيث تمكن بقوة سحره من إرجاعه، بل أصبح أكثر فيضانا يسقي جميع الحقول والبساتين، ويروي ظمأ الماشية والأبقار...»[1].

للماء قوة سحرية عظيمة في المجتمع الخراطي، فهو مثلا رمز لمسح الخطايا والذنوب المرتكبة، حيث يعتقدون أنّ نزول الأمطار أثناء الجنائز، إنّما هو بكاء الطبيعة وتجهمها على الميّت وحسرة على فقدانه، وينزل منهمرا أكثر إذا كان الميّت وحيدا، يتيما لا يوجد من يرثيه ويذكر مناقبه الحسنة. تقول إحدى الرّاويات عائدة بذكرياتها إلى الوراء: «أَسْمِّي ثْمُوثْ ثَمْرْعِيوْثْ يُوثَادْ أَغْبَارْ بْزَافْ، أَمَــلــَيــْحَالْ إِحْزَنْ فْلاَّسْ ثْغَطَّاسْ، يُوثَادْ أَمِثْرْوَّى لْقَاعَة، مِيمْ ذَگــْرَى يُوثَادْ، Jamais أَنْسْهِيغْ نْهَارْذِينْ أَمَمُوثْغْ»[2] أي:«عندما توفيت ثمرعيوث* نزل المطر بغزارة فكأنّه حزن عليها وتأسف على موتها، نزل حتى ارتوت الأرض، وحتى البَرَد قد نزل لن أنسى ذلك اليوم حتى ممّاتي».

من خلال هذا القول، تتبدى لنا أهمية حالة الجو أثناء الجنائز «فيظن أن المطر نبوءة على أنّ الجثة مباركة، وهناك قصة ايسلندية من العصور الوسطى تقول لنا إن جناز رجل طيب لازمته العاصفة، لكنّه كوفئ بالراحة والسعادة على حين لقيت زوجته الشريرة مصيرا مناقضا

---

[1]– استقيت هذه المعلومات من الرّاوية: صليحة بن حدة: السابقة الذكر، يوم: 2011/03/24م، على الساعة الثامنة والنصف ليلا.

[2]– المخبرة نفسها.

*– سميت بذلك الاسم نسبة إلى القرية التي كانت تعيش فيها، وهي قرية: آيث مرعي (بني مرعي).

لهذا في الحياة الثانية، برغم أن يوم جنازتها كان مشرق الشمس صحوا»[1] ويعني هذا القول، إنّ نزول المطر أثناء الجنازة دليل على أنّ صاحبها سيكافئ بجنة النعيم.

ويعتقد أهل منطقة خراطة أنّ ندرة الأمطار وغزارتها بيد الله تعالى، فهو وسيلة للانتقام ومحاسبة للنفس، فإذا غضب الرحمان من أفعال البشر إمّا أن يسلط عليهم عقابا بالقحط والجفاف أو عقابا بالفيضانات، يقول تعالى: «وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ»[2]. لهذا نجد أنّ ألسنة معظم الأهالي أثناء الجفاف والفيضان تردّد: «إِقْقْعْ رْبِّ سْبْحَانُو ڤـْلـْـعـْپــَاذِيسْ، نْتَى إِخْلْقِهْنِيدْ فَشُو أَذْخَمْنْ أَيْنْ إِسْنْدِنَّى، بْصَحْ أُذْسَلْنَانِّى، لُوكَانْ فْهْمْنْ لُوكَانْ عْلْمْنْ بْلِي لْجَفَافَيِّ أَيْنْ ذَقْقَاعْ إِقْـفْقْعْ فْلاَسْنْ»[3] أي: «غضب الله سبحانه وتعالى من عباده، خلقهم ليفعلوا ما أمرهم به لكنّهم لا يسمعون، لو كانوا يفقهون لعلموا أنّ الجفاف والفيضان من غضب الله». فعندما «لا تتكون السحب التي هي سبب سقوط المطر فإنّ هذا يدل على أن العلاقة التي تربط الإنسان بالله هي علاقة غير قوية بسبب معصية الإنسان لأوامر الله أو لسبب آخر. لهذا يقوم الإنسان أو المجتمع الكبير بتقديم الضحايا إلى الله سبحانه وتعالى وذلك لتقوية العلاقات معه»[4].

ويتنافس بعض النّاس في المنطقة صباح يوم العيد على من يذهب إلى ينبوع الماء أوّلا ويملأ فمه وبعض القارورات بالماء، ورغم بعد المسافة بين الترعة وبعض البيوت إلى أنّ هناك من يستطيع الحفاظ على الماء الموجود في فمه إلى غاية وصوله إلى المنزل، وعندما يصل يقوم مباشرة برش ذلك الماء على عتبة البيت. أمّا ماء القارورات فيقوم برشه على الزوايا الأربعة في المنزل، وفي عقولهم أنّ من احتفظ بالماء في فمه إلى غاية وصوله سيكون الأثرى في القرية وسينجح في الدارين (الدنيا والآخرة).

وقوة الماء لا تتوقف عند هذا الحدّ فحسب، بل له القدرة أيضا على شفاء الأمراض، فمن ألقى رأسه لأوائل مطر الخريف وأواخر مطر الشتاء سيشفى من آلام الرأس كما يعتقدون. ويذهب معظم الأهالي لزيارة الحمامات الطبيعية ولاسيّما الحمام الذي يسمى باللهجة المحلية

[1]– الكزاندر هجرتى كراب: علم الفولكلور، ص353.

[2]– سورة الشعراء، الآية 173.

[3]– المخبرة: زوينة. ع: السابقة الذكر، على الساعة الثانية زوالا.

[4]– دينكن ميتشل: معجم علم الاجتماع، ص178.

(حمام نبوقَــاعــَة)*، اعتقادا منهم بقدرة ماء الطبيعة على شفاء الأمراض التي تصيب الجسد وهو من المعتقدات القديمة إذ «عرف الأقدمون مزايا الشفاء التي تحويها المياه المعدنية والعيون الحارة»[1] وتردّد أهل المنطقة على الينابيع الحارة والحمامات الساخنة فربّما هي من بقايا المعبودات القديمة للينابيع في المنطقة. وعبادة الينابيع كانت من المعبودات المنتشرة في الإغريق، إذ كانوا ينسبونها إلى هرقل[2].

وتؤمن الجماهير الشعبيّة في خراطة بقوة ماء زمزم، إذ يعتبرونه علاج الله الموّجه للبشرية بطريقة ضمنية، فمن شرب منه قطرة سيشفى من أمراضه، ومن أحضره من بيت الله وأهدّى القليل منه، فكأنّه أحيا نفسا، كما أنّهم يؤمنون بقوة الماء المرقي بالآيات القرآنية فهم يشربونه كلّما أحسوا بالأوجاع. وهناك من يضع حبات اللّوز في الماء قبل غرسها اعتقادا منهم بسحر الماء العجيب العظيم الفائدة، حيث سينمو ما زرعوه بسرعة فائقة ويعطي حبات ضخمة.

أضف إلى ذلك أنّ نزول الأمطار في عقلية بعض النّاس في المنطقة ما هو إلا نقاء للأرض ونظافة وتطهيرا لها من مختلف النجاسات. فالماء في نظرهم «يطهر جسد الإنسان وروحه من كلّ ما يلحق بهما من أقذار ودنس، مما قد يعلق بالجسد والروح إما لاتصاله بأجساد الموتى أو الدم، أو غير ذلك من الأشياء التي تصفها الشرائع البدائية بأنّها دنس، مثل الميلاد والحيض والمرض بصفة عامة، حيث يزول الدنس عن طريق الاستحمام...»[3] فالطهارة التي تتم بالماء هي الحصن المنيع ضد الكثير من الأوبئة الفتاكة.

ويعد ماء المطر من المياه المفضلة عند بعض أهالي مجتمع الدّراسة، إذ يعتقدون أنّه يساعد الفتيات العذراوات على الزواج، فالسحرة يجمعونه في فصل الشتاء ويدخرونه أثناء الحاجة إليه من أجل السحر. وهناك من يبحث في الخلاء عن ماء المطر المتجمع في قعر الأحجار فيجمعونه من سبعة أماكن مختلفة ويستحمون به للتخلص من أعراض السحر، وهناك أيضا من يملأ سبع قارورات من عيون مختلفة ويستحم به. ويعتقد أهل منطقة "جرمونة" أنّ ماء

---

*- بوقَــاعــَة: منطقة تابعة إداريا لولاية سطيف، تبعد عن منطقة خراطة بحوالي 40 كلم².

[1]- جيمس فريزر: أدونيس أو تموز، ص 146.

[2]- ينظر: م. ن، ص149.

[3]- ثناء أنس الوجود: رمز الماء في الأدب الجاهلي، ص281.

المطر يساعد على نمو الشعر ويجعله لامعا مسترسلا. وهناك من يقوم برش الماء على عتبة البيت قبل دخول العروسين إلى بيتهما الجديد.

ويغسل بعض أهالي المنطقة رأس الذبيحة المعدة للعيد ورجليها بالماء قبل ذبحها، تطهيرا ونظافة لها كما يقولون، وهذا المعتقد شبيه بما هو سائد عند اليونان، حيث كانوا «يقودون الذبيحة إلى المذبح وقد تكون هذه شاة، أو معزاة، أو ثورا، أو خنزيرا، فينضحونها ماء ويرمون عليها الحبوب ثم يصعقونها بضربة هراوة قوية وينحرونها بسرعة»[1]. ونجد أنّ بعض الفتيات غير المتزوجات يستغلن أيّام الجنازة، فيستحمن قبل حمل الميّت من البيت إلى القبر، وبعدها يقمن برش ذلك الماء إلى اتجاه القِبلة، وهناك من يلجأ بعد صهر الحديد إلى وضعه في الماء ليعطي شكلا معينا ومن خلال ذلك الشكل يلجأ الساحر إلى معرفة الغيب ومن ثم قراءة المستقبل وهلمّ جرّا. وهناك من يقول للشخص الآثم الكثير الذنوب العبارة المجازية التاليّة: "رُوحْ أَتْسِيرْذْذْ إِمَــنـِـيگْ سوْمَانْ، ثـْـپـْـذِيذْ لْحَيَاةْ ثــَچـْـذِيتْ" أي: "اذهب وطهر نفسك بالماء، وابدأ حياتك من جديد" فالماء بهذا المعنى مُطهر للإنسان، به يبدأ حياته من جديد، فكأنّه يمنح له ولادة جديدة «فلكون الماء قوة حميمة، يستطيع أن يطهر الكائن الحميم، ويستطيع أن يمنح النفس الآثمة من جديد بياض الثلج»[2] ويعني هذا القول، إنّ الغسل بالماء هو تجديد للفرد وهذا يحيلنا إلى فكرة التعميد، يقول لوك بنوا (Luc Benoist) «والروح المقدس هو ينبوع المياه والتغطيس هو التجدد، والعماد هو ولادة جديدة... وتلعب الآبار والينابيع في الثورات دورا رئيسيا في المكان المقدّس حيث تم فيه اللقاءات السماوية، وتتحقق فيه الاتصالات والعهود»[3].

---

[1]– م. ف ألبيديل: سحر الأساطير، ص234.

[2]– غاستون باشلار: الماء والأحلام، دراسة عن الخيال والمادّة، تر: علي نجيب إبراهيم، تقديم: أدونيس، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، 2007، ص210.

[3] - Luc Benoist: Signes, Symboles et Mythes, p 61.

3 ــ طقس الاستسقاء "أَنْزَارْ" في منطقة خراطة (بجاية)

يعد طقس "أَنْزَارْ" من أقدم طقوس الاستسقاء، معروف في جميع أنحاء شمال إفريقيا ويمارس حين تشح السماء بأمطارها، فترفض سقي الأرض، فيكون كلّ من فيها مهددا بالتلف والزوال. وهي عادة قديمة لدى الأمازيغ، ولا تزال حيّة تتنفس في بعض المناطق سواء الناطقة بالأمازيغية أو العربية العامية.

قبل أن نذكر كيفية ممارسة طقس (أَنْزَارْ)، في مجتمع البحث، نوّد أن نقف ولو قليلا عند كلمة (أَنْزَارْ):

إنّ كلمة "أَنْزَارْ" هي كلمة أمازيغية تعني عموما ملك المطر، وهو حسب المعتقدات المتحكم في نزول الأمطار. وكلمة (مطر) تسمى باللّهجة المحليّة في منطقة خراطة "أَغْبَارْ" وهي كلمة على نفس وزن "أَنْزَارْ"، ويقابلها "أَقْـفُورْ" و"لـقْـرَّى" و"لْهْوَى" في منطقتي بجاية وتيزي وزو. أمّا كلمة "أَنْزَارْ" فإنّها لا تستعمل ولا تتداول في الحياة اليومية إلا أثناء أداء طقس الاستسقاء، وبالدّقة في النشيد الفولكلوري المصاحب لطقس "ثِيسْلِيثْ وْنْزَارْ" ، لكن ما المقصود بهما؟

أثناء جمع المادة الميدانية عثرنا على رواية واحدة عند رّاوية واحدة تتحدث عن ملك المطر وعروسه الجميلة، وليس إله المطر وهذا هو ملخصها*:

يوجد ملك طائري في قديم الزمان يملك خاتما سحريا به يحقق أمانيه، وفي أحد الأيّام مرّ من الوّادي، فرأى فتاة جميلة تستحم فيه، فانبهر لجمالها الخلاق فطلبها للزواج فرفضت، فغضب منها غضبا شديدا، فأدار خاتمه السحري فجف الوّادي كليّا، فأصبحت قريتها مهددة بالجفاف. وعندما علم أناس القرية سبب جفافه توسلوا إليها بقبول ملك المطر زوجا لها، وبعد إصرار قبلت الفتاة الزواج منه، وبزواجها منه عاد الوّادي إلى سابق عهده.

لهذا نجد أن مخيلة أهل المنطقة إذا عمّ الجفاف وبخلت السماء بأمطارها، ورفضت سقي البشر والبهائم والأرض، تبدأ بنسج معتقدات مختلفة ومتعدّدة حول الجفاف الذي حلّ عليهم، وهم يحاولون تفسيره تفسيرا عقائديا دينيا، إذ يعتقدون بأنّه عقاب مباشر من الله سبحانه وتعالى

*- ينظر: الأسطورة كاملة في الملحق رقم: (01)، ص 256.

أنزله على عباده الظالمين الفاسدين ليعيدهم إلى الطريق الصواب، لهذا يحاولون تجنب غضبه بعمل الخيرات وتجنب المنكرات، واسترضائه بصلاة الاستسقاء، وممارسة مختلف الشعائر الطقسية حيث يعتقدون أنّها تقربهم إلى الله كطقس الاستسقاء "أَنْزَارْ" في مجتمع البحث، فكيف يمارس هذا الطقس في المنطقة؟

تجتمع "ثـَـچـْـمَاعْثْ نْتَدَارْثْ" أي: "جماعة القرية" بعد رؤيتهم القحط والجفاف الذي أنزل عليهم، يتفقون فيما بينهم على ممارسة العمل الجماعي الخيري المتمثل في (لوزيعة). أمّا العجائز والأمهات فيأمرن الأطفال بطلب المطر من المولى عز وجل من خلال ممارسة طقس الاستسقاء "أَنْزَارْ". ويمارس هذا الطقس في الخريف والربيع.

تأخذ العجوز أو الأم مغرفة كبيرة (أَغْنْجَا) فتلبسها ملابس النساء وتزيّنها بالحلي فتجعلها على شكل دمية جميلة تشبه العروس، ويفضل في بعض الأرياف أن يكون ذلك اللّباس باللّونين الأبيض والأسود. وبعد الإنهاء من تزيّينها وتجهيزها تُحمل في بعض القرى كقرية "رحامين" و"آيث الميزاب" من قِبل البنت اليتيمة، وفي بعض القرى تُعطى لطفل صغير من أطفال التظاهرة الشعبيّة.

يبدأ الأطفال عملهم بكلّ جديّة وكلّهم فرح وأمل بنزول المطر، يتقدّمهم حامل المغرفة "الدمية"، وأثناء المشي يردّدون نشيدهم الفلكلوري "أَنْزَارْ" (Anzar)[1]:

أَنْزَارْ، أَنْزَارْ	أنزار، أنزار
أَرْبِّ ثـْـگـْـفْذْ أَغْبَارْ	يا ربّ أرزقنا المطر
ثَغْنْجَايْثْ تْقْلُولِيحْ	المغرفة ساخنة
زْنــِيڤْ أُخَامْ أُقْلِيحْ	فوق بيت ساخن
أَرْبِّ ثْصْرْوِيثْ مْلِيحْ	يا ربّ ارويها جيّدا
أَمَانْ، أَمَانْ إِڤـْـنِّي	ماء، ماء السماء

---

[1]– أنشد هذه المقطوعة كلّ من: ــ صليحة بن حدة: السابقة الذكر، يوم: 2010/12/20م، على الساعة العاشرة صباحا.
ــ علجة يعيش: 60 سنة، السابقة الذكر، يوم: 2010/12/21م، على الساعة الثانية زوالا.

أَرْبِّ ثــْـگــْـفَدْ لْحْمّالِي	يا ربّ أرزقنا المطر الغزير
أَيْمَى عِيشَة أَوِيدْ أَمَانْ لْعْشَى	يا أمي عيشة أحضري ماء العشاء
أَيْمَى حْوَاء أَوِيدْ أَمَانْ لْهْوَى	يا أمي حواء أحضري ماء السماء
نُورْ، نُورْ أَغبَارْ	نور، نور المطر
أَرْبِّ سْقَى ثــِـپــْـحْيَّارْ	يا ربّ اسقي البستان.

عند وصول الأطفال إلى بيت معين، يقِفون أمام عتبة البيت، ويغنون أغنيتهم الشعبيّة بصوت مرتفع حتى يسمعهم أهل البيت، فتخرج إليهم الجدة*، والفرح يملأ قلبها وقارورة الماء بين يديها، فتلقي عليهم التحية، وتبدأ أوّلا برش المغرفة بالماء حتى تتبلل قائلة: «أَذِقــْـپــْـلْ رْبِّ نْشَاء الله»[1] أي: «يتقبل الله إنشاء الله». وبعدها ترش جمهور الأطفال جميعا بالماء فكأنّه مطر ينهمر عليهم، وتقول لهم: «فُذْمَاوْنُونْ، أَنْدِيفْكْ رْبِّ نْشَاء الله أَغْبَارْ»[2] أي: «من أجل وجوهكم، سيرزقنا الربّ إنشاء الله الغيث». وبعدها تذهب إلى المطبخ وتحضر لهم ما تملكه من مستلزمات كاللّحم والفول والعدس والحمص والزيت والزبدة والسميد والخضر إلى غير ذلك. وهناك من يقول لهم: «گــْـمــْـلْثْ لْخْذْمَانْوْنْ، ثُرَّى أَذْزَلْغْ وَذْدْعُوغْ رْبِّ أَنــِـقــْـپــْـلْ»[3] أي: «واصلوا عملكم، سأصلي وأدعو الله بأن يستجيب لنا».

يواصل الأطفال عملهم حتى يجمعوا ما يكفيهم من مستلزمات غذائية، فيجتمعون في مكان معين، ويختلف هذا المكان باختلاف القرى، فهناك من يجتمع في مكان تواجد العين كمنطقتي "أجيون" و"آيث الميزاب"، وهناك من يفضل ممارسته قرب المسجد الذي يتسّم بصفة القدّاسة كقرية "أزغار"، ومنهم من يرى أنّه من الأفضل ممارسة الطقس أمام الوادي كقرية "آيث عباس" في منطقة أجيون، أو أن يكونوا في وسط الحقل تحيطهم الجبال من كلّ جهة، وهناك من يرى أنّ المكان المناسب والأصلح هو أمام مقام الأولياء الصالحين.

*– وتخرج إليهم الأم عند غياب الجدّة، وعند غياب الأم تخرج إليهم الأخت الكبرى في العائلة.

1– المخبرة: صليحة بن حدة: السابقة الذكر.

2 – المخبرة: علجة يعيش: السابقة الذكر.

3– المخبرة: (؟): 53 سنة، مربيّة، أميّة، على الساعة الثانية والنصف زوالا، يوم: 2011/07/21م، قرية: "آيث مرعي"، بلدية: "خراطة".

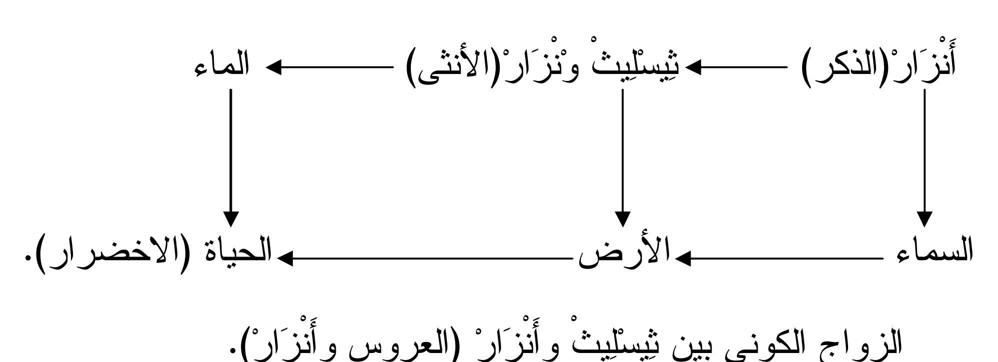
يذهب الذكور بعد استقرارهم في إحدى الأمكنة إلى الخلاء ليجمعوا الحطب، بينما تبقى الفتيات في المكان المختار، يحضرن الكسكس مع أحد العجائز والأمهات المحبّات للخير، وهناك من يصنع من المستلزمات الغذائية التي جمعوها الفطائر الرقيقة. أمّا المغرفة فقد كانوا قديما يغمسونها في الماء ولا يخرجونها إلا بعد الإنهاء من إعداد الطعام، أمّا في الآونة الأخيرة فقد اكتفوا برشها بالماء فقط، وبها يتم إخراج المرق من القدر لسقي الكسكس. ونجد أنّ بعض القرى تستعمل العصا أو العمود بدل المغرفة.

بعد نضج الكسكس، تذهب الفتيات إلى أقرب بيت لإحضار الصحون والملاعق، فيأكلون جميعا، ويأكل من تلك الوعدة كلّ من مرّ في ذلك المكان للبركة. وبعدها ينصرف الجميع إلى عملهم وكلّهم أمل في نزول المطر.

4 ــ الخلفيات الأسطورية لطقس الاستسقاء "أَنْزَارْ"

إذا دققنا النظر في كيفية ممارسة طقس الاستسقاء "أَنْزَارْ"، وفي أسطورته المحليّة، سنجد أنّه يحتوي على الكثير من الرواسب الأسطورية والممارسات القديمة. وإذا كانت الأساطير في نظر أصحابها حقيقية واقعية تعود أحداثها إلى الزمن البدئي، الأولي[1]، فإنّ هذا الشرط متحقق في الطقس المحلي الذي يحاول تكرار ذلك الزمان من خلال ممارسة مجموعة من الطقوس الخاصة به.

تعتبر المغرفة (Aghenja) التي تزيّن كالعروس الحقيقية، رمزا تلميحيا "لِثِسْلِيثْ وْنْزَارْ" أي "عروس أنزار"، إذ نجد أنّ بعض القرى المحليّة تزيّن المغرفة وكأنّها عروس حقيقية تنتظر بعلها "أَنْزَارْ"، فهما مصدرا خصوبة الأرض: «فاتصال أنزار السماوي والفتاة الأرضية هو المسؤول عن الخصوبة والاخضرار، بما يعني أنّ هطول المطر إنّما ينجم عن زواج كوني بين Anzâr، الماء المطري السيد الملك... ذي القدرة على الإخصاب، وعروسه (الأرض): تاسليث أونزار، أو ما يتماهى معه»[2]، ويعني هذا إن «وجود عنصري الأرض والماء في الأسطورة يعني وجود تحت – فوق أو أسفل و أعلى وقد تمثل غالبا المرأة الجزء الثاني أينما وجدت وهي الأرض التي تمثل كلّ شيء... في حين يمثل الرجل في أغلب الأحيان السماء – الفوق أي الجزء الأول... كما طرحت صورة المرأة الموجودة في الحضيض وصورة الرجل التي تمثل القوة والسلطة»[3] فإذا كان عطاء السماء متوقفا على "أَنْزَارْ"، فإنّ عطاء الأرض متوقف على رّضى " ثِيسْلِيثْ" (العروس) الزواج من "أَنْزَارْ"، وهذا الشكل توضيح لذلك:



الزواج الكوني بين ثِيسْلِيثْ وأَنْزَارْ (العروس وأَنْزَارْ).

---

[1]–Voir: Mircea Eliade: Aspects du Mythe, p16 -32.

[2]– محمد أوسوس: دراسات في الفكر الميثي الأمازيغي، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مركز الدراسات الأنثروبولوجية والسوسيولوجية، الرباط، 2008، ص12.

[3]– بداك شابحة: الممارسات السحرية للمجتمع الأمازيغي، د. ط، منشورات دار السعادة، د. ت، ص 67 ــ 68.

يتبيّن لنا من خلال هذا الشكل، التشابه الموجود بين "أَنْزَارْ" و"السماء" من جهة، و"ثِيسْلِيثْ وْنْزَارْ" (عروس أنزار) و"الأرض" من جهة أخرى، «إذ ينظر إلى المطر "أمان ونزار" على أنه سائل ينجم عن التقاء Anzâr سيّد المطر أو السماء، أو زيجته المقدسة مع الأرض الأم، كما يفرز الزوج السائل المنوي بعد اتصاله بالعروس»[1]. من خلال هذا تتبدى لنا علاقة "أَنْزَارْ" بالسماء، وثِيسْلِيثْ (العروس) بالأرض «فالأرض تخصب وتنتج والإنسان يفلحها ويبذر فيها البذور فتنمو، تماما كما ينمو الجنين في بطن أمه، فلا غرو بعد ذلك أن تكون الأرض هي المصدر الأول للإخصاب وأن تكون هي الأم الأولى أو الأم الكبرى»[2] ويعني هذا القول، إنّ النساء يشبهن الأرض وفي القرآن الكريم إشارة إلى ذلك يقول تعالى: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[3].

أمّا فكرة الطقس القديمة التي كانت تمارس في المنطقة، وهي غمس المغرفة داخل الماء عند الإنهاء مباشرة من جمع المستلزمات الغذائية من مختلف البيوت، وإخراجها من الماء عند الإنهاء من إعداد الطعام - إذ بوساطتها يتم إخراج المرق من القدر لسقي الكسكس (أَنْسْقَى سـڭـسُو) المعدّ في الصحون- فكرة أسطورية يمكن أن يرجع صداها إلى أسطورة « حدد» إذ «هناك اعتقاد قديم بأن انحباس ماء السماء، ناتج عن موت إله المطر «بعل» أو«حدد» أو من يمثله أحيانا مثل «كريت»... وينعكس هذا الموت أو المرض الطويل الشبيه بالموت على الطبيعة مباشرة، التي هي الوجه المرئي للإله»[4]. ويعني هذا القول، إنّ توقف ماء السماء له علاقة بموت الإله «حدد» إله البروق والرعود، والذي يسمى أيضا «بعل»، حيث أرسل كائنات وحشية أخذت تلتهم الديدان فتستنجد وصيفات الإلهة «عشيرا» سيّدة البحر و«ياريخ» إله القمر بـ: «إيل» ضد تلك الكائنات الوحشية فيطلب منهن «إيل» الاختباء في الفلاة حتى يولدن وحوشا كاسرة أشبه بالجواميس فتفعل الوصيفات ما أمرهن به «إيل». وعندما يلدن تلك الوحوش يراها «حدد» ويرغب في مطاردتها، لكنّه يفشل في ذلك، إذ تنقض عليه تلك الوحوش الكاسرة فتغرقه في مستنقع، فيختفي فيه سبع سنوات لا يقدر عن الحركة، وأثناء مدة اختفائه تسقط كافة الأشياء

---

[1]- محمد أوسوس: دراسات في الفكر الميثي الأمازيغي، ص17.

[2]- نبيلة ابراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص24.

[3]- سورة البقرة، الآية 223.

[4]- محمود مفلح البكر: الروح الأخضر، احتفالات الخصب في العَادةِ والمعتَقد، ط1، دار الحضارة الجديدة، بيروت، لبنان، 1992، ص76.

على الأرض في العماء، فيهرع إخوته للبحث عنه فيفرحون عند وجوده بعد عناء البحث[1] وبعودته يعود اخضرار الأرض إلى سابق عهده، باعتباره المسؤول عن المطر والخصوبة.

تشبه هذه الأسطورة طقس الاستسقاء "أَنْزَارْ" الذي يمارس في منطقة الدّراسة، فالمغرفة التي تلقى في الماء ما هي إلا رمز للإله «حدد» الذي يختفي في قاع المستنقعات سبع سنين وإخراج المغرفة من الماء لسقي الكسكس الموجود في الصحون هو إشارة ضمنية إلى خروج «حدد» أو ما يسمى بـ: «بعل» من ماء المستنقعات لسقي الأرض فتعود إليها الحياة من جديد. كما تذهب بنا فكرة غمس المغرفة في الماء إلى جزيرة «هالماهيرا Halmahera أو جيلولو Gilolo وهي جزيرة كبيرة تقع غربي غينيا الجديدة، يغمس الساحر غصن شجرة من نوع معين بالذات في الماء ثم ينثر الماء بعد ذلك على الأرض فيسقط المطر»[2] فكأنّ غمس المغرفة والغصن في الماء انعكاس لرغبتهم في الحصول على المطر، ويعبر هذا الفعل عن نوع من السحر التمثيلي.

والشيء ذاته نجده في أسطورة «كريت» فبمجرد مرضه ينحبس المطر ويؤدي هذا إلى خراب الغلال، فيسرع ابنه «ألحو» إلى إعطاء تقدمة من الزيت لـ: «بعل» لكي يساعده في إعادة خصوبة الأرض. ويعلن «إيل» بعد فشل مجمع الآلهة من شفائه، بأنّه سيلقي رقية على «كريت» كما أرسل إلهة الشفاء المسماة «شاتاقات» لتبحث في المدينة عن شفاء لـ: «كريت» فتنجح في ذلك فيستعيد «كريت» قوته[3]، وبعودته يعود المطر والاخضرار.

ولكن بما أنّ المغرفة هي أنثى، أي هي عروس "أَنْزَارْ"، فما هي علاقتها إذن بالإلهين الذكرين «حدد» و«كريت»؟

إنّ المغرفة هي بمثابة "أم الغيث" كما يرى محمود مفلح البكر، فإذا توقف ماء المطر فإنّ الأطفال بالتأكيد «سيحملون تماثيلها الخفيفة، وصورها ورموزها، ويطوفون بها، لتنقذ أبا الغيث «بعل»، كما طافت هي من قبل...»[4]. أي إنّ المغرفة التي يطاف بها حول البيوت يمكن

---

[1]– ينظر: صموئيل هنري هووك: منعطف المخيلة البشرية، ص99 ــ 100.

[2]– سير جيمس فريزر: الغصن الذّهبي، ص252.

[3]– ينظر: صموئيل هنري هووك: م. س، ص101 ــ 102.

[4]– محمود مفلح البكر: الروح الأخضر، ص73.

اعتبارها «عناة» القديمة التي جابت كلّ الأماكن من أجل استعادة شقيقها وزوجها «بعل» الذي هو إله المطر.

5 ـ الرموز الاثنولوجية لطقس الاستسقاء "أَنْزَارْ"

يحمل طقس "أَنْزَارْ" رموزا ودلالات ناسوتية ونياسية كثيرة، فهو طقس مشحون برموز متعدّدة، سنحاول استنطاق البعض منها، من أجل فهم مختلف جوانب الطقس.

أوّلا / أمكنة ممارسة طقس الاستسقاء "أَنْزَارْ"

للمكان أهمية كبيرة في الدّراسات الشعبية، وهو على أنواع عديدة «فطورا يعني المدينة وطورا يعني القارة كلّها، وطورا يعني بلدا ما على الحقيقة وطورا يعني الرمز إلى حيز لا يفهم من ظاهر اللفظ»[1]. فالمكان إذن يرد مختلفا، فقد يكون مدينة، أو قارة، أو بلدا، وقد يكون رمزا ضمنيا تلميحيا لا يُفهم من ظاهر الكلام وإنّما يحتاج إلى إعمال الفكر. ونجد أنّ لكلّ قرية تقريبا مراكز خاصة، تمارس فيها مختلف الطقوس «فلا تكاد تخلو قرية عربية أو حي في مدينة عربية من مراكز لممارسة الطقوس الأسطورية والغيبية القديمة، تتكون فيها وحولها مراكز للسلطة الأساسية – دينيا وسياسيا – في المجتمع العربي المعاصر»[2].

ويحتل المكان في مجتمع البحث مكانة مهمة في طقس الاستسقاء "أَنْزَارْ"، فهو لا يُختار عبثا واعتباطا، وإنّما يختار بعناية دقيقة من قِبل المسنين، ويختلف هذا المكان باختلاف الموقع الجغرافي لكلّ قرية، فمنهم من يفضل ممارسته أمام تواجد الماء سواء كانت ترعة أو وادي من الأودية، ومنهم من يرى أنّ الأمكنة المناسبة لممارسة الطقس هو المسجد أو مقام الأولياء باعتبارهما من الأمكنة المقدّسة، وهناك من يفضل ممارسته في الحقول الخضراء تحيطها الجبال من كلّ جهة.

ما يلاحظ على هذه الأمكنة المختلفة، أنّها أمكنة مقدّسة مركزية، لأنّها من اختيار المسنين فهي تحظى عندهم بمكانة مميّزة لقدّاستها لأنّ «الولوج إلى «المركز» يساوي عملية التقديس والتأهيل إلى حياة جديدة حافلة بالأسرار، إنه يعادل وجودا كان بالأمس دنيويا ووهميا أعقبه

---

[1]– عبد الملك مرتاض: الألغاز الشعبية الجزائرية، دراسة في ألغاز الغرب الجزائري، د. ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص89.

[2]– خليل أحمد خليل: مضمون الأسطورة في الفكر العربي، ص199.

الآن وجود جديد يتسم بالواقعية والاستمرار والفعالية»[1] وهذا يعني، إنّ الدخول إلى الأمكنة المركزية المقدّسة يعادل الدخول إلى حياة جديدة مملوءة بمختلف الأسرار من أجل الاستمرارية وهلّم جرّا.

ويتجلى المركز في مظاهر عديدة «منها ما يتصل بعالم الطبيعة كالجبل ومنها ما يتصل بعالم الثقافة كالهياكل والمعابد وحمى بعض الآلهة مجسما في مجال يحيط بالأصنام»[2] ويعني هذا الكلام، إنّ المركز قد يكون طبيعيا كالجبل أو ثقافيا كالمعابد، ويتميّز بقوة خيالية خارقة.

درس خليل أحمد خليل مقدّسات العرب «من زاويتين: المقدسات المكانية والمقدسات الزمانية. إن المقدسات المكانية (جبل، معبد، مقام، صنم ناطق، سكين مقدسة، الخ) مرتبطة بالمقدسات الزمانية (عيد، عام، شهر حرام، يوم مقدس، الخ)»[3]. فإذا نظرنا إلى الأماكن التي يمارس فيها طقس "أَنْزَارْ" في منطقة "خراطة" (عين ماء والوادي والمسجد والأولياء والحقول والجبال) فإنّنا سنجدها مقدّسات مكانية حسب القول السابق، وهي مرتبطة بالمقدّسات الزمانية و«تاريخ الأديان شاهد على يسر تعدد «المراكز» وعلى وجود المقدس المطلق في كلّ مكان ومن شأن هذا أن يؤكد صلة المكان بالزمان وقدرة الإنسان الأبدية على العود اللاّنهائي»[4]. ويعني هذا القول، إنّ المكان المقدّس لا ينفصل عن الزمان المقدّس، فكلاهما مقدّسان متكاملان إذ من خلال الأمكنة المقدّسة يلج الإنسان إلى الأزمنة المقدّسة، فأي «ممارسة طقسية لا تتمّ في مكان مقدّس وحسب، أعني في مكان متميّز، أساسا، عن المكان الدنيوي العادي، وإنما تحصل أيضا في «زمان مقدّس» في ذلك الزمان الذي كان عند البداية، أي عندما تحققت تلك الممارسة لأول مرة من قبل إله، أو سلف، أو بطل من الأبطال»[5]، فمن خلال المكان المقدّس والزمان المقدّس، يتم تكرار وإحياء ما حصل في زمن البدء. ومن الأمكنة المقدّسة التي يمارس فيها طقس الاستسقاء "أَنْزَارْ" في مجتمع البحث نجد:

---

[1]– ميرسيا ايلياد: أسطورة العودة الأبدية، تر: حسيب كاسوحة، د. ط، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سورية، 1990، ص34.

[2]– محمد عجينة: موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها، ج2، ص185.

[3]– خليل أحمد خليل: مضمون الأسطورة في الفكر العربي، ص67.

[4]– محمد عجينة: م. س، ص189.

[5]– ميرسيا ايلياد: أسطورة العودة الأبدية، ص38.

أ / عين ماء والوادي

يعدّ الماء من ضرورات الحياة، لا يمكن الاستغناء عنه، فوجوده استمرار للحياة وزواله اندثار لها، وقد لوحظت قيمته المهمة منذ فجر الإنسانية، لهذا أقيمت حول روافده الكثير من الشعائر الطقسية كطقس الاستسقاء "أَنْزَارْ" ليستمر في تدفقه وعطائه.

للماء عدة روافد منها عين الماء التي وجدت من أجل الحفاظ على المياه وعدم تبذيره واستغلاله أحسن استغلال، وهي في منطقة "خراطة" عند بعض القرى – كقرية "آيث الميزاب"– عين جماعية تكون في مركز القرية يستفيد منها جميع الساكنين في تلك القرية. ونظرا لموقعها المهم المتواجد في وسط القرية، فقد فضل بعض المسنين ممارسة كلّ ما يتعلق بالطقس أمامها تقول الرّاوية بهيجة: «مَدَامْ نـــْيــْغـَــى أَمَّانْ، لِيزَمْ أَنْخْذَمْ أَنْزَارْ زَاثْ نْتَلاَ، فَشِي أَنِديفْكْ رَبِّ أَغْبَارْ»[1]. أي: «بما أنّنا نريد ماء، فعلينا ممارسة طقس أنزار أمام عين الماء، لكي يرزقنا الله الغيث»، ويعني قولها هذا، أنّه من الواجب ممارسة طقس الاستسقاء "أَنْزَارْ" أمام عين الماء من أجل الحصول عليه.

إنّ ممارسة طقس "أَنْزَارْ" أمام عين الماء، رمز ضمني يشير إلى غياب المطر وحاجة الممارسين إليه، ولاسيّما وأنّ نسبة الماء فيها قد قلت، فعين الماء تعكس وجود الماء أو قلته. ففوهة حنفية الماء تكون مملوءة بالماء عند وجود الأمطار وغزارتها، وتقل بقلته، تقول مليكة: «أَسْمَى أَنْخْذَمْ أَنْزَارْ، تُوغْ ثَلاَ ثْنْقْسْ أَيــَاسَانْ إِفْرْغْ، كُولْشِي إِقُورْ»[2] أي: «عندما نمارس طقس أنزار، يكون ماء العين قد قل وحوض الماء فارغا، كلّ شيء جاف»، فهم بهذا المعنى يؤكدون حاجتهم الشديدة إلى الماء بدليل واقعي ملموس.

ومن روافد الماء أيضا الوادي، الذي لا يختلف عن عين الماء، فكلاهما منبعان مهمان وقد عدّ الوادي قديما في المنطقة مصدرا رئيسيا لجلب الماء وغسل الأغطية والأقمشة، وإقامة الفلاحة وإزال ظمأ الماشية والأبقار، ومكانا للسباحة والتجول إلى غير ذلك، وبسببه أُقيمت الكثير من الصراعات، إذ زُهقت الأنفس، ويُتم الأبناء، وأُرملت النساء، ولا يزال إلى اليوم يشكل مصدر رزق وصراع في المناطق الريفية خاصة، التي تعتمد كثيرا على الفلاحة

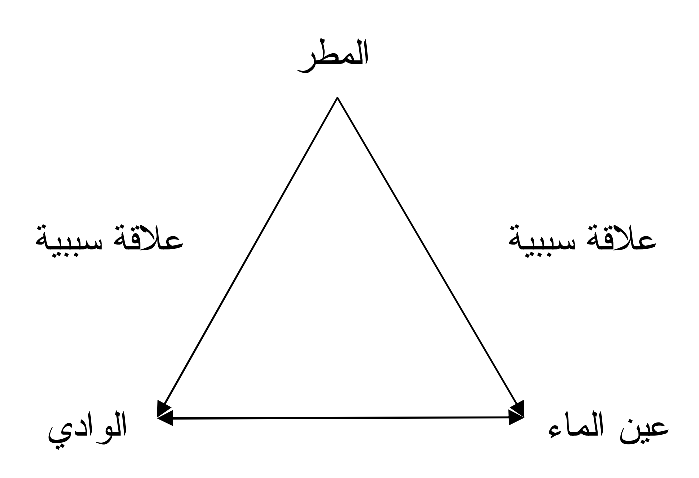
---

[1]– أخذت هذه المعلومة من الرّاوية: بهيجة معوش: السابقة الذكر.

[2]– استقيت هذه المعلومة من المخبرة: مليكة: 52 سنة، مربيّة، أميّة، على الساعة الخامسة مساء، يوم: 2011/03/04م، قرية: "أجيون"، بلدية: "ذراع القائد".

والبستنة، تقول الرّاوية د. ب في هذا الشأن: «نْخْدْمِيثْ پـْـگـْـرِي زَاثْ إِغـْـژْرْ، بَشِي أَدْيُوثْ بْزَافْ أَمَيْعْمْرْ»[1] أي: «نمارس الطقس قديما أمام الوادي، لكي ينزل المطر غزيرا حتى يمتلئ».

فعين الماء والوادي إذن دافعان من دوافع ممارسة طقس الاستسقاء "أَنْزَارْ"، مصدرهما مطر السماء الذي هو في ذروة المثلث، قاعدتاه هما عين الماء والوادي، وهذا ما يبيّنه الشكل التّالي:



شكل توضيحي يبيّن علاقة عين الماء والوادي بالمطر.

ما يلاحظ على هذا الشكل أنّ المطر سبب وجود كلّ من عين الماء والوادي، فلولا الأمطار ما فاضت عيون الماء والأودية، وكلّها مصادر مائية تؤدي وظيفة مهمة داخل نسق المجتمع.

ب / المسجد ومقام الأولياء

تعدّ الأماكن المقدّسة كالمساجد ومقام الأولياء من الأماكن المفضلة عند الكثير من النّاس إذ كلّما ضاقت عليهم الدنيا إلا ولجأوا إليها للتخفيف عن معاناتهم وآلامهم، فهم يزورونها باستمرار ويقدمون فيها القربان إلى القوى العليا من أجل استرضائها، فالمعابد ما هي «إلا البؤر التي تنبثق منها قوة الحياة والتي تعمل على استمرارها بشعائرها وصلواتها»[2]. فالإنسان في العصر الجاهلي مثلا قد اهتم بالآلهة اهتماما كبيرا، إذ كانوا يعبدونها بل ويقدّسونها، ومن أجلها

---

[1]– أخذت هذا القول من الراوية: د. ب: السابقة الذكر.

[2]– رندل كلارك: الرمز والأسطورة في مصر القديمة، ص09.

اشتعلت الحروب ودامت سنوات طويلة ولاسيّما عند مجيء الإسلام الذي رفض عبادة الأوثان ودعا إلى عبادة الواحد القهار. وبعد صراع طويل ومرير انتصر الإسلام فعوضت معابدهم بالمساجد إذ كلّما أصيبوا بغم وهمّ إلا ولجأوا إليها وتضرعوا إلى الله تعالى بأن يفرج كروبهم وهمومهم. وهو – في مجتمع الدّراسة – من الأمكنة المقدّسة يحاط بهالة من التقدّيس والاحترام.

نظرا لقيمة المساجد وعظمتها في مجتمع البحث، فهي في بعض القرى من الأماكن المفضلة لممارسة طقس الاستسقاء "أَنْزَار" لاعتقادهم باستجابة الدعوة ، تقول إحدى الرّاويات في هذا الشأن: «وِينْ إِقْـخْمَنْ أَنْزَارْ زَاثْ لْجَامَعْ أَدْيُوثْ أَغْبَارْ، أَلْخَاطَرْ ذَمـْـكَـانْ نَرْبِّ سَبْحَانُوا»[1] أي: «من مارس طقس أنزار أمام المسجد سينزل المطر حتما، لأنّه مكان الله سبحانه وتعالى». يتبدى لنا من خلال هذا القول، إنّ النّاس يؤمنون إيمانا قويا بنزول الغيث إذا أقيمت شعائر الطقس أمام المساجد المقدّسة.

وترى بعض القرى أنّ المكان المناسب لممارسة الطقس الاستسقائي، إنّما هو المكان الذي دفن فيه الأولياء الصالحون لإيمانهم القوي بقدرة الأولياء العجيبة على تحقيق مطالبهم، فهم يعتقدون «بأنّ دعاء الولي مستجاب، وأنّ روحه تظل خضراء بعد وفاته، وقادرة على التلبية ولذلك يسعى النّاس لاسترضاء هذه الأرواح بالأضاحي والقرابين المختلفة، وحين تصيبهم شدة كانحباس المطر، يهرعون إلى مقام الولي مستنجدين به لحظوته عند الله»[2]. فهم يرون بأنّ ممارسة الطقس أمام مقام الأولياء يؤدي إلى نزول الغيث لمكانتهم المرموقة عند الله «مَدَامْ صَالِحِينْ تُوغِيهْنْ ذَلـْـعـْـيـَـاذْ لْعَالِي، خَدْمَنْ حَشَا لْخِيرْ، طَڤْ لاَنْ طَژُومَنْ إِوَّاشْ أُتْخَدْمَنَانِي دَرْيِّ زَاثْسَنْ؟ يـْـگـْـرِي مِتْخَدْمْ زَاثْسَنْ إِتَكَنْغَنْ رَبِّ أَغْبَارْ»[3]. أي: «مادام الأولياء كانوا أنّاسا صالحين يعملون كلّ الخير، يصلون ويصومون فلماذا لا يمارس الأطفال طقس أنزار أمام أضرحتهم؟ في قديم الزمان عندما كانوا يمارسونه أمامهم، كان الله يرزقنا الغيث».

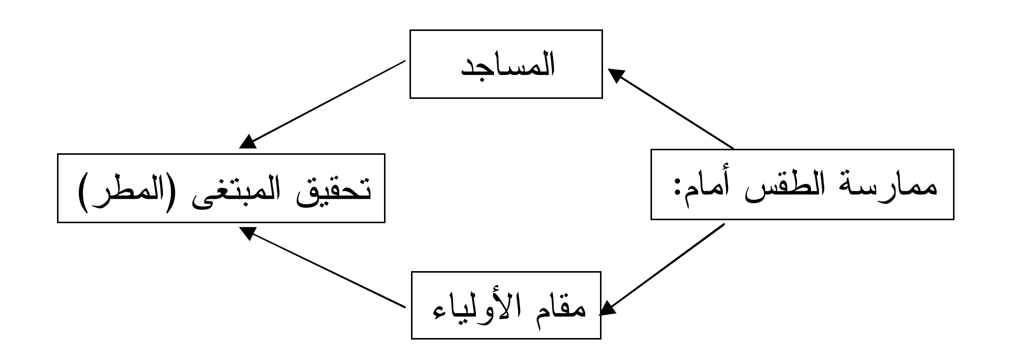
---

[1]– المخبرة: دهية مغبولي: 60 سنة، مربية، أميّة، على الساعة الثانية والنصف زوالا، يوم :2011/02/15م، قرية: "رحامين"، بلدية: "ذراع القائد".

[2]– محمود مفلح البكر: الروح الأخضر، ص34.

[3]– المخبر: مولود. ب، المدعو لعزيز: 50 سنة، حارس، أميّ، على الساعة السابعة مساء، يوم: 2010/12/17م، قرية: "أجيون"، بلدية: "ذراع القائد".

فالمسجد ومقام الأولياء إذن مكانان مقدّسان يلتقيان بالطقس المقدّس فيحققان المطلب الرئيسي من الممارسة، وهو الحصول على المطر. وهذا الشكل توضيح لذلك:



شكل توضيحي يبيّن التقاء المقدّسات لتحقيق الهدف المنشود.

ج / الحقول والجبال

اهتم الإنسان بالحقول منذ أقدم الأزمنة، منذ أن خرج من طور الالتقاط والجني والصيد إلى طور الزراعة التي فتحت له آفاقا واسعة للغذاء، فالحقل هو الأرضية التي ينمو عليها الغذاء، لهذا اهتم به الإنسان من جميع جوانبه، وأخذ يمارس شعائر الاستسقاء فيه، شرط أن تكون الجبال محيطة به من كلّ الجهات، فهو بهذا المعنى يشكل نقطة المركز.

يحمل الحقل شحنة دلالية مهمة، إذ إنّ نموّه مرتبط أشد الارتباط بماء المطر لشساعة مساحته، إذ كلّما كان عطاء السماء أكثر، كان الحقل أكثر إنتاجا كما وكيفا، فهو يصبح بساطا أخضرا يغطي أديم الأرض بكثرة الأمطار، ويبدأ في الاصفرار والذبول تدريجيا كلّما قلت الأمطار، فهو مرآة عاكسة لملك المطر (أَنْزَارْ)، فكأنّهم يقولون له ضمنيا: أنظر ما الذي فعلته بحقولنا الخضراء التي كافحنا من أجلها؟

واختيارهم للحقل الذي تحيطه الجبال من كلّ جهة، لم يكن اختيارا اعتباطيا إذ تحظى الجبال عندهم بمكانة بارزة، وما دفن أوليائهم في قمم الجبال الشامخة العالية إلا خير مثال على ذلك، وهذا إن دلّ على شيء، إنّما يدل على أنّ الجبال مقدّسة كالأولياء، و«الجبل أحد محاور الكون، أو الأداة التي تسمح لإنسان الأرض بالاتصال بالكائن أو بالكائنات العليا»[1]، ويرجع ذلك

---

[1]– خليل أحمد خليل: مضمون الأسطورة في الفكر العربي، ص56.

إلى علوّه الشامخ، لهذا فضله أغلب الأولياء المحليين إذ اتخذوه مكانا لعبادة الله، ونظرا لقيمته فقد جعله بعض الأولياء بيتا له، فالولي "سيدي مبارك" مثلا ينحت الجبل ويبنيه منزلا، والجبال هي التي ساعدته على أداء مناسك الحج وهو جالس في سجادته*. فالجبل هنا «يجسد صورة مهمة جدا لمركز العالم، وسطه، أي أفضل ما فيه، المكان الأشرف، بالتّالي الزمان الأنقى أيضا. إنه المكان المقدّس الذي تلتقي السماء فيه بالأرض»[1].

ويعتقد أفراد مجتمع البحث أنّ الجبل في الحلم رمز للسمو، فمن وجد نفسه صاعدا إيّاه سيصل إلى هدفه المنشود وسيحقق جميع أمانيه سواء طال به الزمن أو قصر، وقد «اعتقد الفلاحون أنّ الحقول التي تقع تحت الجبل تحظى بحمايته»[2]، فإذا هبت ريح قوية مثلا فسوف لن تصيب منتوجات الحقل، لأنّها محمية من الجبال التي تشكل سياجا لها يمنع وصول مختلف الأضرار إليها، لهذا نجد أنّ بعض النّاس في المنطقة يفضلون البيوت المبنية فوق قمم الجبال أو البيوت التي تحيطها الجبال من كلّ الجهات. هذا فيما يتعلق بعلاقة الحقول بالجبال. لكن ما علاقة الجبال بالماء؟

إنّ الربط بين الجبال والماء من خلال ممارسة طقس "أَنْزَار" تحت سفوح الجبال، دليل على القحط والجفاف الذي حلّ على سطح الأرض، فحتى ثلوج الجبال قد ذابت وانتهت. وقد أشار القرآن الكريم إلى ظاهرة الربط بين الجبال والماء، يقول تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا﴾[3]، فهذه الآية الكريمة «معجزة علمية لأنّها تربط بين الجبال العالية بالذات وبين الماء العذب، وهذا يشير إلى ظاهرة الثلج الدائم الذي يكلل هامات الجبال... ويكون لتراكم الثلج الدائم فوق مثل هذه الجبال المرتفعة الفضل بعد مشيئة الله في تغذية الأنهار بالماء نتيجة لذوبان بعض الثلج باستمرار على قمم الجبال... وتنكير الماء في هذه الآية الكريمة (مَاءً فُرَاتًا) يفيد العموم بحيث يشمل الماء الناتج عن الأمطار والماء المنحدر من شوامخ

*– ينظر هذه الأسطورة في الملحق رقم: (01)، ص 246.

[1]– م. ف، ألبيديل: سحر الأساطير، ص122.

[2]– م. ن، ص137.

[3]– سورة المرسلات، الآية 27.

الجبال»[1]. فالجبال بهذا المعنى هي التي تغذي الأنهار والأودية والسدود التي يستغلها الإنسان لصالحه.

وتقدّيس الجبال معروف في جميع الأساطير، فالأساطير العربية مثلا «تعتبر أنّ الأماكن المقدسة هي في أعلى مرتفعات العالم، وإن جبل أبي قبيس في الحجاز ليس جبلا عاديا، إنّه مسؤول، ناطق أمين مقدس،...»[2] وهذا يعني، إن الأماكن المقدّسة تكون دائما في المرتفعات وبما أن الجبال عالية مرتفعة فهذا يعني أنّها من الأمكنة المقدّسة و«بما أن لكلّ بلد مركزه الخاص فإن اسم الجبال المقدّسة يختلف حسب التقاليد... إنّها أولمب (Olympe) عند اليونان والبرج (Alborj) عند الفرس والطابور(Thabor) لليهود، وقاف (Qaf) للمسلمين»[3]. فأسماء الجبال المقدّسة إذن تختلف من بلد لآخر، وقد امتد تقدّيسها عند الصينيين إلى تقديم الذبائح لها في مناسبات عديدة ولاسيّما «عندما كانوا يتوسلون الأمطار، أو محصولا وفيرا، أو توقف الرياح... وسجدوا للجبال بصفتها أسلاف لأنّها كانت المكان الذي نفذ منه هؤلاء إلى العالم الآخر»[4]. وتعود عظمة الجبال إلى كونها مقر إقامة الآلهة، فالإله (زيوس) قد أقام في جبل الأوليمبوس الإغريقي، كما نجد جبل ايتنا مقر الحداد (هيفستوس) وجبل (نيسير) حيث استقرت فيه سفينة أوتنابيشتي في أسطورة الطوفان البابلية [5] .

يستنتج من كلّ هذا أنّ أمكنة ممارسة طقس "أَنْزَارْ" كثيرة ومتعدّدة تختلف باختلاف القرى وهي كلّها أمكنة مقدّسة في نظر أصحابها الذين انتقوها من ضمن الأمكنة الأخرى. ويمكن لنا تلخيص أمكنة ممارسة طقس الاستسقاء "أَنْزَارْ" كالتّالي:

---

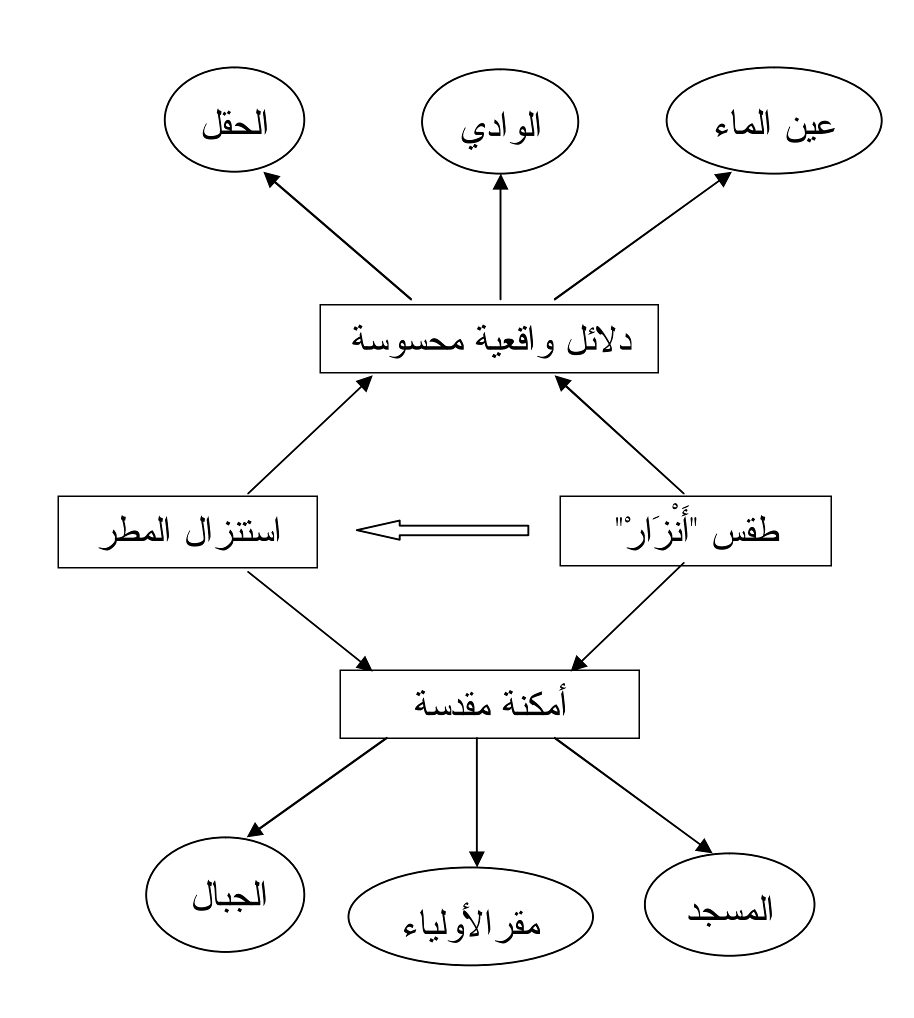
[1]– حسن الرودي: الماء – الخلق – الإنسان – الصحة – الآية، ط1، ايتراك للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2001، ص54.

[2]– خليل أحمد خليل: مضمون الأسطورة في الفكر العربي، ص56.

[3] - Luc Benoist: Signes, Symboles et Mythes, p 52.

[4]– م. ف ألبيديل: سحر الأساطير، ص136.

[5]– ينظر: م. ن، ص124.



أمكنة ممارسة طقس الاستسقاء "أَنْزَارْ".

ثانيا / الأطفال والحبّوب الجافة

يمارس طقس الاستسقاء "أَنْزَارْ" في مجتمع البحث من قِبل الأطفال الصغار السن يشارك فيه كلّ من الذكور والإناث على حد سواء، إذ يجتمعون في الصباح الباكر ويبدأون مسيرتهم الشعبية يتقدمهم حامل المغرفة، والكلّ يردد أغنيتهم الفولكلورية الشعبية "أَنْزَارْ". لكن لماذا تمارس طقوس "أَنْزَارْ" المقدّسة من قِبل الأطفال؟

يختار المسنون الأطفال الصغار لممارسة شعائر الطقس عن غيرهم، لأنّهم كما يقولون: «دْرْيَّ ذِمــْژْيَانْنْ أُوذْخْذِيمْنْ أُومَى ذَقْــرَامْ فَشِي أَذِفْقْعْ رَبِّ، أَهــْنــِژْرْ يــْرْكْ أَسْنْدِيفْكْ أَغْبَارْ أُوثْرْنِي أُتْحْتَمَلْنَانِي ثَفَاذِيثْ لْعْطْشْ»[1] أي: «الأبناء صغار السن لم يرتكبوا بعد أي إثم يغضب

[1]– المخبرة: صليحة بن حدة: السابقة الذكر.

الله، يراهم فقط يغيثهم بالمطر كما أنّهم لا يتحملون العطش» فالأطفال صغار السن لم يرتكبوا بعد الذنوب والمعاصي، فهم رمز البراءة لم يوسخوا بعد أيديهم بالرذائل التي تغضب الله.

وقد أكدت لنا إحدى العجائز، أنّه سبق وأن مارس الطقس الشباب والمسنون، فلم يتقبل منهم: «إِتُوغْ خَمْنْتْ إِقْـعْـمُورَى پـْـگـْـرِذِينْ، بْصَحْ أُودْيُوثَ أولاَ أَلْمِسْعَاوْذْنْ دْرْيَّ إِمـْـژْيَانْنْ أَمـْـگْ إِدْيُوثَ، لُوخَ تُوغْ مَتْشِي ذِمـْـژْيَانْنْ أُدِكَاثْ أُولاَ»[1]. أي: «سبق وأن مارس الطقس كبار السن في قديم الزمان، لكن لم ينزل المطر حتى أعاد ممارسته الأطفال الصغار فلولا صغر سنهم ما نزل الغيث»، ومنذ ذلك الوقت يحبّذون أن يمارسه صغار السن. وقد يحدث وأن تشاركهم العجوز في ذلك، فهي التي تتكفل بتزيّين المغرفة، وهي التي تختار اليوم المناسب لممارسة الطقس، ويعود كلّ هذا إلى الخبرة والتجربة التي اكتسبتها، فهي أكثر معرفة بأسرار الطقس، إذ ربّما قد تضيف إلى الطقس بعض الممارسات السحرية المجهولة لدى الأطفال «إِتُوغْ ڨـْـپـْـگـْـرِذِينْ ثْلاَ ثِيشْثْ نْتْمْغَارْثْ، لْعَاشُوا ثْهْذْرْ أَسْمَى ذْخْمْنْ دْرْيَ أَنْزَارْ، بْصَحْ أُنْفْهِمْ أولاَ ذَشُوا ثْهْذْرْ، ثْـڨْـمَـى انـْـتـْـسـْـگـْـنْ»[2] أي: «توجد في قديم الزمان، عجوز كانت تردّد كلاما غير مفهوم عندما كان الأطفال يمارسون الطقس، لكن لم نكن نفهم من كلامها شيئا، لا تريد تعليمنا إيّاه».

يظهر لنا من خلال هذا القول، إنّ العجائز في مجتمع البحث قديما كنّ يضفن إلى الطقس بعض الممارسات السحرية التي من شأنها أن تجعل الطقس فعالا. فالدمج بين الأطفال والعجائز إذن يجعل الطقس أكثر فعالية، إذ تجتمع فيهما كلّ الصفات التي تجعل ملك المطر "أَنْزَارْ" يستجيب لهما. فهما يرمزان إلى الضعف وعدم القدرة على تحمل العطش والجوع، وهذا ما يبيّنه الشكل التّالي:

الأطفال + العجائز = استجابة الدعوة

ممارسة الطقس من قِبل الأطفال والعجائز.

---

[1]– المخبرة: بركاهم: 73 سنة، مربية، أمية، على الساعة الثانية زوالا، يوم: 2011/04/03م، قرية: "آيث مرعي" بلدية: "خراطة".

[2]– المخبرة نفسها.

يوحي كلّ ما في الطقس إذن إلى ضرورة الماء، فالجدّات والأمهات يفضلن إعطاء أطفال المسيرة الشعبيّة مختلف الحبّوب الجافة كالحمص والفول والعدس وهلمّ جرّا، تقول إحدى الرّاويات «نْتَكَاسَنْ لْحِمْصْ إِيــَاوِنْ أَلْخَاطْرْ قُورِنْ، أَهــْنـــِيِزْرْ رْبِّ أَدِيفْكْ أَغْبَارْ»[1] أي: «نعطي لهم الحمص والفول، لأنّهما من الحبّوب الجافة، يراهما الله فيرزقنا المطر». فالحبّوب الجافة يتضاعف حجمها بمجرد وضعها في الماء «وهذا تبركا بمكوناته وما لها من قدرة على التضاعف في الحجم بعد تبليلها، وتشبيه جفافها بالأرض القاحلة التي تعود إلى عطائها بعد ارتوائها بماء المطر»[2] وهذا يعني، إنّ الحبّوب الجافة تصبح منتفخة عند تبليلها بالماء، فهي تكونوا محسنة إذا ارتوت بمياه الأمطار، فهي كالأرض الجدبة التي لا تبخل بشيء إذا لم تبخل السماء بأمطارها عليها.

وتستعمل الحبّوب الجافة في المنطقة في الكثير من الجوانب، فالمرأة النفساء (ثَــمــْرْ ُورْثْ) مثلا، بعد مرور أربعين يوما من ولادتها تقوم أوّلا بزيارة الترعة، فتأخذ معها حفنة من الفول الجافة وترميه في فوهة حنفية الماء ليستقر في حوض الماء، ذلك أنّه كما ينتفخ الفول ويكبر حجمه داخل الماء، كذلك سيكبر الوليد بسرعة. كمّا أنّه عندما يصل جهاز العروس (لْجْهَازْ نْتْسْلِيثْ) إلى البيت، تقوم قريبات العروس بزيارتها لمباركتها، فيأخذن معهن بعض الحبّوب الجافة كالفول والعدس والحمص والقمح... وينثرنه فوق جهاز العروس وهن يزغردن. وبعد مغادرتهن وانتهاء جميع الزيارات، تأخذ أم العروس جزء من تلك الحبّوب الجافة وتخفيها بعيدا عن الأنظار، أمّا الجزء الآخر المتبقي فتتركه في جهاز العروس الذي سوف يذهب معها إلى بيتها الجديد. وبعد زواجها ومرور سبعة أيّام (ســْپــُوعْ) من الزفاف يزورها والداها، وعند عودتهما تعطي العروس لأمّها تلك الحبّوب الجافة التي أخذتها معها، وعند وصول الأم إلى المنزل تقوم بخلطها مع الجزء المتبقي عندها وتخفيها إلى غاية حلول فصل الخريف، فتقوم بزرعها هي، أو زوجها أو ابنها أمام الحقل القريب من المنزل[3]. ذلك أنّه مثلما ينتفخ الفول ويلد الكثير من الحبات، سينتفخ بطن العروس وتلد الكثير من الأبناء.

---

[1]- المخبرة: لعمرية بن عياش: السابقة الذكر.

[2]- صافية قاسيمي: "أثر معتقدات البربر من خلال زخارف الحلي الفضية التقليدية (حلي منطقة بني يني بالقبائل وأولاد فاطمة بالأوراس)"، مجلة المحافظة السامية للأمازيغية، تيموزغة، العدد 21، المرادية، الجزائر، 2010، ص 17.

[3]- استقيت هذه المعلومات من الرّاوية: صليحة بن حدة: السابقة الذكر.

ويحكى في بلاد القبائل «أنّ الولي (سيدي بوشاقور) كان يتمنى بأن تكون له ذرية، فطلب من الولي سيدي حاند أوبراهيم بركة فقال له: « ليس لي أولاد، وأوّد أن أنال منك هذه البركة» فأعطاه سيدي حاند أوبراهيم سبع حبات من الفول، لكن سيدي بوشاقور أضاع واحدة منها في الطريق ولهذا فإنّه لم يرزق إلا بستة أولاد وهم: حاند وبلقاسم وعلي وعبيد وأعمر وحسين فحبات الفول تصير هنا رمزا للذرية»[1].

استنادا إلى ما سبق نستنتج، إنّ الحبوب الجافة عامة، والفول خاصة، رمز للانبعاث والخصب والتكاثر. لهذا أصبحت من الحبّوب المفضلة التي تُعطى للمسيرة الشعبيّة من أجل أداء طقس الاستسقاء "أَنْزَارْ".

ثالثا / المغرفة (Aghenja) وحاملوها

بعد إخبار الأطفال بالمسيرة الطقسية التي سيقومون بها من أجل استنزال المطر، تحضر لهم الجدّة الكبرى في القرية التي تحظى بالحبّ والاحترام بينهم، المغرفة* (Aghenja) من المطبخ، وغالبا ما تكون هذه المغرفة قديمة خاصة بطقس الاستسقاء "أَنْزَارْ"، تخفيها الجدة الكبرى عن الأنظار وتحافظ عليها، ولا تخرجها إلا عند ممارسة شعائر "أَنْزَارْ"، أو عند إقامة الأعراس، وهذه المغرفة غالبا ما تكون ملكا لجميع أفراد القرية.

إنّ اختيارهم للمغرفة لم يكن اختيارا عشوائيا، فهي رمز لخطيبة "أَنْزَارْ" إذ تزيّنها الجدة بالأقمشة والحلي، فالناظر إليها يوحى إليه وكأنّها عروس حقيقية من خلال تزيّينها «بالحلي وتشخيصها برسوم إنسانية، وحملها كعروس حقيقية في موكب مناظر لموكب الزفاف الإنساني نحو زوجها Anzâr، ويتم رشها في الطريق بالماء كما يتم بالنسبة لعروس حقيقية في احتفالات الزفاف الأمازيغية»[2] يتضح لنا من هذا القول، مدى التشابه الموجود بين المغرفة والعروس. كما أن شكل المغرفة يوحي إلى الجفاف «– فتاغنجا الدمية – الأنثى الصامتة الهزيلة الجسد

---

[1]- Jean Servier: Tradition et Civilisation Berbères, Les Portes de L'année , Édition du Rocher, Monaco, 1985, P43 – 44.

*– هي ملعقة كبيرة، تسمى في مجتمع البحث بصيغة المذكر "أَغْنْجَا"، أما الملعقة الصغيرة تسمى "ثَغْنْجَايْثْ" بصيغة المؤنث. وتسمى في بعض مناطق بجاية "ثَغْنْجَاوْثْ" كمنطقتي سيدي عيش وشْمِينِي، و"ثَـيچـْغـْلْتْ" في بعض مناطق تيزي وزو كمنطقة واضية.

[2]– محمد أوسوس: دراسات في الفكر الميثي الأمازيغي، ص17.

المستكينة إلى جفاف عودها خير تعبير عن الحاجة الملحة إلى الماء عبر ما يردده الصبية نيابة عنها كشخص مادي مقدس»[1].

ويعتقد بعض النّاس في المنطقة أنّ من أكل في المغرفة الكبيرة (Aghenja) ولو قضمة واحدة سوف يكون إنسانا خائنا لن يؤتمن به، ولن ينجح في حياته وستلاحقه اللّعنات أينما حلّ. وهي في المغرب والجزائر «أداة ذات طاقة سحرية توحي بالرهبة إذا أسيء استعمالها، لذا يحضر الضرب بها خشية الإصابة بشر وشؤم وبسوء المصير»[2]. وتستعمل في الطقس لسخونتها السريعة تقول إحدى الرّاويات: «ثْغْنْجَايْثْ مَثْمُوسِيتْ ثَفُوكْـثْ، دْقِيقَة أَهْتَافْذْ ثْحْمَى، أُمَلَّى ثْحْمَى لِيزْمَاسْ أَغْبَارْ بْزَافْ فَشِي أَطْصْمِيطْ»[3] أي: «المغرفة إذا لمستها شمس، دقيقة واحدة فقط تجدها ساخنة، وإذا سخنت فإنّها تتطلب مطرا غزيرا، لكي يبردها». لهذا نجد أنّ الجدّات أثناء الطقس يرشن المغرفة بالماء حتى تتبلل لكي ينزل المطر بالمثل، فكأنّ المغرفة بهذا المعنى تطلب من يسقيها لزوال حرارتها الساخنة، وما ظهرها المقبب إلا خير دليل على أنّها تستغيث وتنتظر من يروي ظمأها. ذلك أنّ «قلب المغرفة (إبداء ظهرها المقبّب عوض المجوّف)= قلب عضو التأنيث (لإظهار الإست العقيم)»[4] و يعني هذا القول، إنّ إظهار الوجه المقبب من المغرفة يشير إلى الجفاف والعقم نتيجة غياب المطر. فإبداء وجه المغرفة المقبب إذن ما هو إلا رمز للقحط الذي حلّ على سطح الأرض.

وتشبه المغرفة أيضا الصخرة المقعرة والبرك التي تتجمع فيها مياه الأمطار فالأشياء المقعرة تحتفظ بالماء لمدة أطول وإذا انتهى الماء الموجود فيها، فهذا دليل على قدوم الجفاف لهذا نجد أنّ أغلب أهالي الريف في منطقة "خراطة" يستدلون على قدوم الجفاف بانتهاء ماء الأحجار والبرك فيقولون: "مِيمْ ذَمَّانْ ڨـْپـْلاَطْنْ فُوكْنْ" أي: "حتى الماء في الأحجار قد انتهى" وهذا دليل على أنّ الجفاف قد حلّ عليهم، فالماء لا ينتهي في الأحجار إلا إذا كان هناك جفاف طويل المدى. فالمغرفة إذن شبيهة بالبرك والأحجار المقوسة، وكلّها رموز استغاثية تطلب

---

[1]– الزهرة إبراهيم: الايروس والمقدس، دراسة أنثروبولوجية تحليلية، ط1، النايا للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، سورية، 2010، ص259.

[2]– محمد أوسوس: دراسات في الفكر الميثي الأمازيغي، ص 26 ــ 27.

[3]– المخبرة: لعمرية بن عياش: السابقة الذكر.

[4]– محمد أوسوس: م. س، ص24.

النجاة من الحالة التي هي فيها. فالمغرفة ما هي إلا جزء ينوب عن الأرض المتشققة تنتظر من يروي ظمأها بشغف.

لكن ما رمز العصا أو العمود الذي تفضله بعض الجدات في الطقس عوض المغرفة؟ إنّ العصا أو العمود «يشير إلى صورة القضيب لا بوصفه عضوا تناسليا، بل مفرزا للسائل الذي يشبه رمزيا المطر»[1]. فالعصا بهذا المعنى أو العمود يرمز إلى جنس الذكر ويمثل ضمنيا الزوج "أَنْزَارْ"، فهم يكررون الزواج الكوني المقدّس الذي حصل في أسطورة "عروس ملك المطر"[*]. وشكل العمود في مجتمع الدّراسة يرمز إلى الذكر ففي أسطورة السرعونة[**] نجد أن النساء يتنبأن عن جنس الذكر من خلال العصا، وفي لبنان تتكهن النساء عن جنس المولود من خلال رمي ملابس الطفل في الهواء، فإذا وقعت تلك الملابس عمودية على الأرض يقلن بأن المولود سيكون ذكرا، أما إذا وقعت أفقية، يقلن بأن المولود سيكون أنثى[2]. فالعصا والعمود إذن يشيران إلى جنس الذكر. والمغرفة بشكلها المجوّف في الأعلى وبشكلها العمودي في الأسفل يمثل الرمزين معا، ومن ثم الاتصال الفعلي بين أَنْزَارْ وعروسه.

ولعلّ سائلا يتساءل في هذا المقام عن حامل المغرفة هذه، فمن هو يا ترى؟

تختار الجدّة حامل المغرفة بكلّ دقة، إذ تنظر إلى جمهور الأطفال الغافر وتنتقي منهم مباشرة فتاة يتيمة «نْتْخْتَارْ تَقْشِيشْتْ تَـيـُوجِـيتْ، أَلَخَاطَرْ ثْطْغَاطْ، ثْسْتْرَاوْ أَيـْـلاَطْ، فَشِي أَدِحِينْ رَبِّ أَعْزِيزْ أَنْدِيفْكْ أَغْبَارْ»[3] أي: «نختار الفتاة اليتيمة، لأنّها مسكينة، تبكي الحجر، لكي يحن علينا الربّ العزيز فيرزقنا الغيث». فالفتاة اليتيمة وحيدة، تثير الشفقة، تدمع عين الناظر إليها حتى وإن كان قلبه حجرا أو أشد منها. لهذا نجد أنّ اليتيم «يحظى بأهمية خاصة في هذه الطقوس، لأنّه وبالنظر إلى ظروفه البئيسة يثير شفقة القوى الكونية مما يضاعف من فرص

---

[1] - E- Laoust: Mots et choses Berbères, notes de linguistique et d’ethnographie dialectes du Maroc, Paris, France, 1920, p216 – 217 .

[*]– ينظر: الأسطورة في الملحق رقم: (01)، ص 256.

[**]– ينظر الأسطورة في الملحق رقم: (01)، ص245.

[2]– ينظر: محمد قنديل البقلي: وحدة العادات والتقاليد بين مصر والشام، ص64 ــ 65.

[3]– المخبرة: بهيجة معوش: السابقة الذكر.

نجاح الطقس»[1]، كمّا أنّ الفتاة اليتيمة تشير ضمنيا إلى عروس "أَنْزَارْ" فكأنّهم بهذا المعنى ينادونا العريس "أَنْزَارْ" ويقولون له: "هاهي عروسك، فارزقنا الغيث".

وإذا لم تجد الجدّة الفتاة اليتيمة داخل جماعة الأطفال، فإنّها تصوب نظرها مباشرة إلى الطفل الصغير، فتعطي له المغرفة ليقود المسيرة الشعبيّة ويطوف بها عبر البيوت، فالناظر إلى تلك الجماعة وهو يقودها يوحى إليه وكأنّه ربّ الأسرة راض عن تزويج ابنته العروس (المغرفة) للعريس "أَنْزَارْ".

كمّا أنّ إعطاء المغرفة للطفل يشير إلى المركز الذي يحتله داخل نسق المجتمع، إذ نجد أنّ معظم أهالي مجتمع البحث يفضلون الذكر على الأنثى، كمّا أنّه يوحي إلى نوع المجتمع السائد في المنطقة، والذي هو مجتمع أبوي، فالسلطة والإقامة والنسب تكون للأب، فهو المتحكم في زمام الأمور كلّها. وقد ظهر هذا النوع من المجتمع نتيجة الانقلاب الذي حدث في الزمن الغابر، إذ كانت المرأة هي المتحكمة في كلّ شيء، ففي «النصوص التي خلفتها القبائل المندثرة والتي ترجع إلى منتصف الألف الثالثة قبل الميلاد، جاءت فأكدت أن أهم وأعظم الآلهة السامية مثل إيل وبعل، وأدون أي أدونيس، وملك إله ثمود، وملك الآلهة المومس عند العمونيين، كانت تطلق عليهم بصفتهم آلهات إناثا، وأصبحت بعد ذلك تطلق عليهم كآلهة ذكور لدى كلّ الشعوب والقبائل السامية في آسيا الغربية بل وآسيا الصغرى كما هو معروف»[2].

استنادا إلى ما سبق نقول، إن المغرفة وحاملوها، هي رموز ضمنية توحي إلى الجفاف والقحط، فهما يوجهان نداؤهما إلى الملك "أَنْزَارْ" ويطلبون منه الغيث باعتباره مسؤولا عن هطول الأمطار.

رابعا / اللّونان: الأبيض والأسود

يعدّ اللّونان الأبيض والأسود من الألوان الأكثر انتشارا على سطح الأرض، وهما لم ينتشرا بمحض الصدفة، وإنّما لكونهما يحملان دلالة رمزية قوية، لهذا أنسجت مخيلة الإنسان حولّهما الكثير من العادات والمعتقدات.

---

[1]– محمد أوسوس: دراسات في الفكر الميثي الأمازيغي، ص49.

[2]– شوقي عبد الحكيم: موسوعة الفولكلور والأساطير العربية، ص101.

يحمل اللّون الأبيض في المجتمع الخراطي عدة رموز، فهو لون الصفاء والنقاء والأمن والسلام والطهارة والسعادة والثراء والأمل،... فهو اللّون المفضل لدى الفتاة إذ يكون لون لباسها أبيض ناصع في يوم خطبتها وزفافها، لأنّه إذا لم يكن كذلك ستعيش حياة تعيسة مملوءة بالأشواك، فصفو حياتها سيتكدر، وحتى العريس يفضل أن يكون لون لباسه أبيض، أو أن يلبس برنوسا أبيض اللّون فوق ملابسه. وهو لون قطعة القماش الذي يلف به الصبي عند ميلاده مباشرة، فأهل المنطقة عند رؤيتهم لشخص سعيد ناجح في حياته الدّراسية والمهنية والعائلية يقولون: «أيــحَالْ إِقْمْطْ سُشْلِيقْ أَمْلاَلْ»[1] أي: «كأنّه لفّ بقطعة قماش بيضاء»، وهو أيضا لون ملابس كفن الميّت. أي، إنّ الإنسان يأتي إلى هذه الدنيا مرتديّا زيّا ناصعا أبيضا ويغادرها باللّون نفسه. وهو لون ملابس الطفل الصغير الذي هو في صدد الختان «مَــنْــپــغَــى أَنْطْهْرْ إِميِثْنْغْ، لِيزْمْ أَسْنْسْلْسْ أَمْلاَّلْ، إِذَمْنِيسْ لِيزْمْ أَدْرْسْنْ فْلْحَاجَة ثَمْلاَلْتْ»[2]. أي: «إذا أردنا أن نختن ابننا، فإنّه علينا أن نلبسه الملابس البيضاء، فدمه ينبغي أن يسيل في شيء أبيض اللّون».

وأهل المنطقة يعتقدون أنّ من رأى نفسه في المنام لابسا اللّون الأبيض سينجح في أعماله إن كان عاملا، وسيتفوق في دراسته إن كان طالب علم، وإن كانت فتاة عزباء سترزق بزوج صالح، وإذا كانت متزوجة سترزق بولد صالح، أمّا إذا كان رجلا أعزبا سيتزوج بامرأة صالحة... أمّا من رأى في منامه ميّتا مرتديا لباسا أبيضا، فإنّه يجزم القول بأنّه في جنة النعيم فهو لون وجوه المؤمنين* يقول الله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[3]. وإذا كان اللّون الأبيض في مجتمع البحث خصوصا، وفي الجزائر عموما رمزا للأمل والحياة، فهو في بعض الدول الأخرى كما يقول لوك بنوا «انتقال من الحياة إلى الموت والأبيض كان لون الحداد عند القدماء والصين، وهو لون المعمودية والأكفان»[4].

---

[1]– المخبرة: صليحة بن حدة: السابقة الذكر.

[2]– المخبرة نفسها.

*– ونظرا لأهمية اللّون الأبيض فقد ورد ذكره في القرآن الكريم أكثر من مرّة. ينظر السور التّالية: سورة البقرة، الآية 187 وسورة آل عمران، الآية 106 والآية 107 وسورة الأعراف، الآية 108 وسورة يوسف، الآية 84 وسورة طه الآية 22 وسورة الشعراء، الآية 33 وسورة النمل، الآية 12 وسورة القصص، الآية 32 وسورة فاطر، الآية27 وسورة الصّافات، الآية 46.

[3]– سورة آل عمران، الآية 107.

[4] - Luc Benoist: Signes, Symboles et Mythes, p74.

أمّا اللّون الأسود فهو لون الحزن والشقاء والتعاسة، فهو لون مشؤوم عند أغلب النّاس في المنطقة، فعندما يرون شخصا مرتديا اللّون الأسود يقولون له:« أيـْحَالْ ذَقْـرْفِوْ» أي: «كأنّه غراب» وهم يكرهون الدجاجة السوداء لاستعمالها الشائع في الممارسات السحرية، فاللّون الأسود إذن رمز للتشاؤم والسحر والشعوذة. وإذا استقبلت العجوز كنّتها في يوم زفافها باللّون الأسود فهذا دليل على كرهها لها، لهذا فإنّها ستطلق بعد أيّام معدودات. ومن رأى نفسه في الحلم مرتديا لباسا أسود اللّون، فإنّه يتشاءم، فهو في نظرهم رمز لمراسيم الوفاة والدفن والشيء ذاته إذا رأوا ميّتا باللّباس الأسود فإنّهم يتشاءمون ويقولون أنّ صاحبه في نار السعير فهو لون وجوه الكافرين*، يقول تعالى في محكم التنزيل: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللهِ وجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾[1]. واللّون «الأسود هو ظلام البدء الحالة الرئيسية لعدم التجلي، لكنّه كذلك في القطب الآخر لون الدجنّة الخارجية، إنّه رمز الموت والسلبية والقبول والحداد، مثل الحجاب الذي كان يغطي رأس المحكومين عليهم بالإعدام وكلون شراع سفينة تريستان (Tristan) ومثل معاطف الدّراويش الذين يخلعونها عند الرقص ويلبسون ثوبا أبيضا»[2]، فاللّون الأسود بهذا المعنى رمز للحداد، وكلّ ماله صلة بالموت.

وهناك من يرى أنّ اللّونين الأبيض والأسود إذا التقيا كونا مظهرا جميلا في الزرابي والحياك والفخار... و«اجتماع الضدين في الألوان وتكاملهما يبدوان في معارضة الأبيض والأسود الضوء والظل والنهار واللّيل، مثلا في الجيتا (Gita) الهندية يمثل أرجونا (Arjuna) الأبيض... وكريسنا (Krisna) يمثل الأسود»[3].

وربّ سائل يتساءل: ما السبب في تفضيل بعض القرى في مجتمع الدّراسة بأن يكون لباس المغرفة (Aghenja) باللّونين الأبيض والأسود؟

*– وقد ورد ذكر اللّون الأسود في القرآن الكريم عدة مرّات، ينظر السور التّاليّة: سورة البقرة، الآية 187 وسورة آل عمران، الآية 106 وسورة النحل، الآية 58 وسورة فاطر، الآية27 وسورة الزخرف، الآية17 وسورة الزمر، الآية 60.

[1]– سورة الزمر، الآية 60.

[2] - Luc Benoist: Signes, Symboles et Mythes, p74 - 75.

[3]- Ibid, 74.

تجيبنا الرّاوية مليكة: «أَغْنْجَا نسْلْسَيَاسْ سْنَاثْ نْتْمْحْرْمِينْ، ثِيشْثْ تَمْلاَلْتْ، ثَايْطْ تــَـپــْـرْݣــَـانْتْ، ثَمْلاَلْتْ أَيْنْ نَســْـڤــْـنّـى أَمْلاَلْ، أُثــَـپــْـرْݣــَـانْتْ أَيْنْ نَســْـڤــْـنّـى أَپــْـرْݣــَـانْ»[1]. أي: «نلبس للمغرفة حجابين، واحد أبيض اللّون، والآخر أسود اللّون، الأبيض يشير إلى السحب البيضاء، أما اللّون الأسود فيشير إلى السحب السوداء الداكنة» فاستعمال الحجاب الأسود إذن «يشير إلى السماء الملبدة بالغيوم»[2].

ويرى جيمس فريزر أنّ هنود النوتكا (Nootka) «يذهبون إلى أن للتوائم القدرة على التأثير في الطقس وإنزال المطر إذا دهنوا وجوههم باللّون الأسود ثم غسلوها بالماء، رمزا للمطر المتساقط من السحب الدكناء»[3]. كما أنّ بعض القبائل كقبيلة وامبو جواي(Wambugue) بشرق إفريقيا وقبائل الواجوجو (Wagogo) نجد أنّهم يقدمون قرابين من الحيوانات ذات اللّون الأسود، لأنّ هذا اللّون يعد جزءا من التعويذة السحرية يساعد على تراكم السحب الممطرة الداكنة في السماء[4].

وإذا كانت منطقة "خراطة" تستعمل اللّونين الأبيض والأسود معا كرمزين لسقوط المطر فإنّ بعض أهالي اليابان يستعملون حيوانا أسودا إذا أرادوا وابلا من المطر، وحيوانا أبيضا إذا أرادوا الحصول على الجو الصحو[5]. ويعني هذا القول، إنّ اللّون الأسود رمز للمطر، أمّا اللّون الأبيض فهو رمز للجو الهادئ، عكس مجتمع الدّراسة الذي يستعمل اللّونين للمطر معا والاختلاف بينهما يكمن في أنّ «أپــْـرْݣــَـانْ إِوْغْبَارْ إِڤــْـقْوَانْ، أَمْلاَلْ إِوْغْبَارْ إِخْفِيفْنْ، نــْـپــْـغــَـى أَغْبَارْ لْعَالِي، مَتْشِي أَغْبَارْ هْوَاهِي» [6] أي: «اللّون الأسود للمطر القوي الغزير، أمّا اللّون الأبيض فهو للمطر الخفيف، نحن نريد المطر النافع، لا المطر الوابل المضر» فكأنّها تريد القول، إنّ اللّون الأبيض (السحب الخفيفة) يمنع حدوث الفيضانات التي قد يسببها اللّون الأسود (السحب الداكنة السوداء). والأسود «هو في الأصل رمز للخصب كما هو الحال في مصر

[1]– المخبرة مليكة: السابقة الذكر، على الساعة الثانية زوالا.

[2] - E- Laoust: Mots et chose berbères, p 216 .

[3]– سير جيمس فريزر: الغصن الذهبي، ص260.

[4]– ينظر: م. ن، ص275 ــ 276.

[5]– ينظر: م. ن، ص276.

[6]– المخبرة: مليكة: السابقة الذكر.

القديمة وشمال إفريقيا، فهو لون الأرض الخصبة والغيوم الممتلئة بالمطر. إنّ الأسود مثل المياه العميقة المظلمة»[1]، فاللّونان الأبيض والأسود إذن يرمزان للخصب والمطر.

خامسا / رش الماء على المغرفة (Aghenja) والأطفال

تقوم نساء المنطقة أثناء أداء طقس الاستسقاء "أَنْزَارْ" برش المغرفة والأطفال بالماء حتى يتبلّلوا تفاؤلا منهم بنزول المطر. تعلل الرّاوية فاطمة هذا العمل بقولها: «فَشُو أَدْيُوثْ أَغْبَارْ أَمــْـگْ إِهْنْرُوشْ»[2] أي: «لكي ينزل المطر مثلما نبللهم». ورش الماء في المنطقة لا يستعمل في طقس "أَنْزَارْ" فحسب بل تستعمله النساء أيضا أثناء قطع النسيج، فقبل قطعه يقمن أوّلا برشه بالماء ثلاث مرات وبعدها يقطعنه، إذ يعتقدن بأنّ للنسيج روحا وقطعه هو موته، والتي تقوم بهذه العملية يشترط بأن تكون امرأة متزوجة وهي الوحيدة التي تبقى في البيت إذ يتم إخراج كلّ من فيه. كمّا أنّ العجوز تقوم برش العروس الجديدة بالماء قبل دخولها إلى بيتها الجديد على سبيل الإخصاب. ويقوم بعض الأفراد في المنطقة برش الماء على بعض المزروعات عند زرعها مباشرة لتنمو بسرعة ولينزل عليها المطر مثلما رشت بالماء، وفي بروسيا «أثناء الحراثة في فصل الربيع، عندما يعود الحراثون والباذرون من الحقول في المساء، تريق زوجة المزارع والخدم الماء عليهم فيرد عليهم الحراثون والباذرون بالإمساك بهم والقذف بهم في بركة الماء وإغراق رؤوسهم في الماء... وأملهم من هذه العادة هو أن يضمنوا مطرا كافيا لما زرعوا من البذور»[3].

ويعتبر صبّ الماء حسب الكزاندر هجرتى كراب نوعا من أنواع السحر، ويسميه "السحر التوافقي أو المثلي" حيث يقول: «يفسره المثل اللاتيني القائل أن «المثل يبرئ المثل» فإذا أردنا أن نسقط المطر – مثلا – كان علينا أن نصب الماء على أساس أنّ هذا الفعل سيحدث مثيله»[4]. أي أنّهم ينطلقون من مبدأ أنّ الجزء ينوب عن الكلّ، فرش الماء جزء من الأمطار، فيكفي لهم أن يمارسوا الجزء حتى يتحقق لهم الكلّ. ونجد أنّه في أمريكا الشمالية «قبل أن يخرج هنود

---

[1]- Jean Chevalier, Alain Gheerbrant: Dictionnaire des symboles, p671

[2]– المخبرة: فاطمة عڤــون: السابقة الذكر.

[3]– جيمس فريزر: أدونيس أو تموز، ص166.

[4]– الكزاندر هجرتي كراب: علم الفولكلور، ص438.

«التوسايان»، لزرع الأراضي، تصب النساء الماء عليهم أحيانا، والسبب في ذلك هو: (كما يصب الماء على الرجال، هكذا فليسقط الماء على الأراضي المزروعة»[1].

ويعدّ رش الماء في المنطقة رمزا ضمنيا دالا على حاجة المجتمع للماء، تقول الرّاوية بهيجة معوش: «مــَنــْپغــَـى أَدْيُّوثْ أَغْبَارْ، أَسْنْوْهَى سرُوشْ نْوَمَانْ»[2]، أي: «إذا أردنا أن ينزل المطر، فإننا نوحي ذلك برش الماء»، فرش الماء على المغرفة والأطفال، إنّما هو تفاؤل منهم على نزول المطر، لهذا نجدهم إذا كانوا بحاجة إلى الماء الكثير يرشونهم حتى تتبلل جميع ملابسهم.

وظاهرة الجزء الذي ينوب عن الكلّ كانت منتشرة عند الشعوب البدائية «فإذا أرادت أن تهب عاصفة، فإنّها تضرب بمطارق على وعاء ثم تلطم شعلتين من النّار إحداهما بأخرى وترش المياه في كلّ مكان بفرع شجرة، أو هم يثيرون الماء في بركة بإلقاء حجارة فيها، أو بلطمها بفروع الأشجار لكي تثير العاصفة والرياح البركة فيما بعد»[3]، كما أنّ الساحر في المجتمعات القديمة كان يلجأ إلى «مبدأ السحر التشاكلي المحاكاة فإذا أرادوا مثلا أن يسقط المطر قاموا بمحاكاة سقوطه عن طريق رش بعض الماء أو محاكاة عملية تجمع الغيوم والسحب، أما إذا كانوا يريدون إيقافه وإحداث الجدب فإنهم يتفادون الاقتراب من الماء ويعمدون إلى الدفء وإلى النّار كي تجف الرطوبة الزائدة عن الحد»[4]، وهذا يعني أنّهم إذا أرادوا مطرا قاموا برش الماء، وإذا ارتوت الأرض من غيث السماء وأرادوا شمسا قاموا بإشعال النّار.

فإذا كان رش الماء جزء ينوب عن المطر، فإنّ إشعال النّار جزء من الظاهرة الكليّة (الشمس) فرش الماء وإشعال النّار إذن جزءان لا يتجزءان من المطر والشمس، وهذا ما يسمح لنا باستخلاص العلاقة الجدلية التّالية:

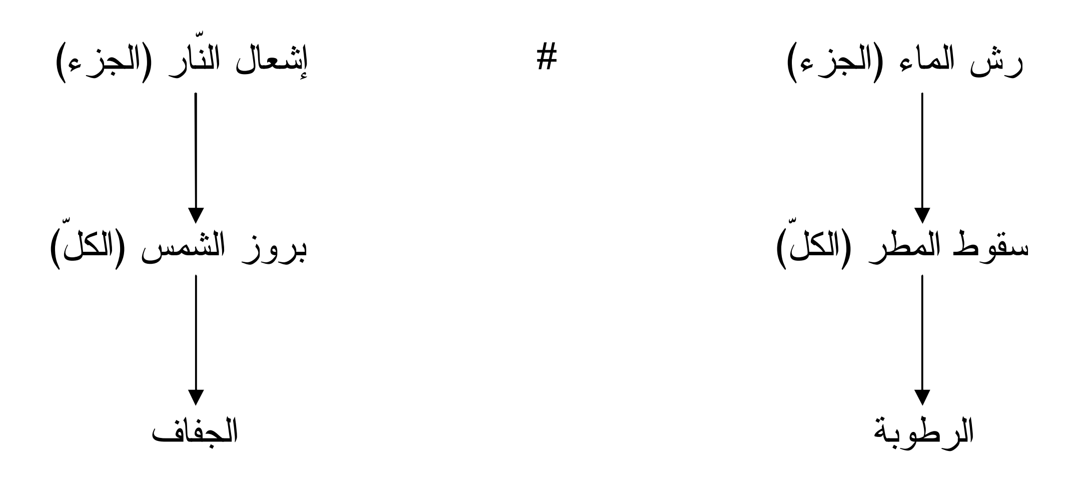
---

[1]– جيمس فريزر: أدونيس أو تموز، ص167.

[2]– المخبرة: بهيجة معوش: السابقة الذكر.

[3]– فون ديرلاين: الحكاية الخرافية، ص80.

[4]– سير جيمس فريزر: الغصن الذهبي، ص250 ــ 251.



ولا تتوقف قضية الجزء الذي ينوب عن الكلّ في مسألة الرش فحسب، بل قد امتدت لتشمل الحكايات والأساطير، فالحكايّة المصرية الإغريقية تروي كيف أن نسرا قد سرق من إحدى الفتيات حذاء ثم قذفه فوصل إلى حجر الملك الذي لم يهدأ له بال حتى أصبحت زوجة له فالملك الذي امتلك جزءا منها وهو الحذاء استطاع في النهاية أن يحصل على الكلّ وهي الفتاة بعينها[1]. ويروي عن الأمريكيين في الأساطير الطوطمية أنّ فتاة لبست جلد الدبّ فأحست نفسها بأنّها دبّة كاملة فقتلت جميع أخواتها[2].

إنّ رش الماء على المغرفة والأطفال، إنّما يراد به نزول المطر بالمثل، فهم يعتقدون أنّ ممارسة الجزء (رش الماء) يكفي للوصول إلى الكلّ (نزول المطر)، إذ يكفي رش الماء لكي ينزل الغيث على الأراضي القاحلة الجرداء ليبعث فيها الحياة من جديد.

وصفوة القول نقول، إنّ طقس "أَنْزَار" (Anzar) من الطقوس الاستسقائية القديمة، كان موجودا منذ القدم في المنطقة، ورغم أنّ أسطورته شبه مندثرة إلاّ أنّه لا يزال يمارس إلى اليوم في بعض المداشر كلّما تعرضت المنطقة إلى الجفاف رغم بعض التعديلات التي طرأت عليه نتيجة العصرنة. ولتحقيق نجاح الطقس الاستسقائي نجد أنّ المسنين يستبعدون كلّ ما يسيء إليه ويقربون له كلّ المزايا التي تجعله طقسا فعالا، من أجل تحقيق الهدف المنشود. فكلّ ما في الطقس يوحي إلى ضرورة الماء لتكون الأرض منتجة والربيع زاهيا مزركشا.

---

[1]- ينظر: فون ديرلاين: الحكاية الخرافية، ص79.

[2]- ينظر: م. ف ألبيديل: سحر الأساطير، ص305.

المبحث الثاني: طقس استقبال الربيع (شَوْرْپيعْ)

1 ــ الإنسان والنبات والأساطير.

2 ــ طقس استقبال الربيع (شَوْرْپِـيعْ) في منطقة خراطة (بجاية).

3 ــ نبتة بونافع (أَذْرْثِـيسْ) "Thapsia".

4 ــ الأطفال في طقس استقبال الربيع (شَوْرْپِـيعْ).

5 ــ موقف بعض رجال الدين من طقس استقبال الربيع (شَوْرْپِـيعْ).

6 ــ الخلفيات الأسطورية لطقس استقبال الربيع (شَوْرْپِـيعْ).

7 ــ الرموز الاثنولوجية لطقس استقبال الربيع (شَوْرْپِـيعْ).

المبحث الثاني: طقس استقبال الربيع (شَوْرْپِـيعْ)

انتهى فصل الأمطار الذي هو فصل بكاء الطبيعة وتجهمها، فاسحا طريقه لفصل الربيع فصل إيقاظ الطبيعة وإحيائها بعد سباتها الطويل، إنّه فصل البهجة والورود المختلفة.

لا يدخل فصل الربيع في المنطقة إلا بطقس بهيج، يحاط بهالة من التقدّيس، إنّه طقس عودة الحياة لكلّ مظاهر الطبيعة، فهو يحتل مكانة بارزة في نفوس أهل الخراطيين البجائيين يمارسونه كلّما حان أوانه، والكف عن ممارسته يؤدي إلى التهلكة والإصابة بمختلف الأمراض كما يعتقدون. وهو طقس ثري يحمل في طياته الكثير من الرموز، من هنا نتساءل: كيف يمارس هذا الطقس في مجتمع الدّراسة؟ وما هي رموزه الاثنولوجية؟ هذا ما سنحاول توضيحه من خلال هذا المبحث.

1 ــ الإنسان والنبات والأساطير

استطاع الإنسان بعد حقب طويلة، أن يكتشف نظاما جديدا للغذاء، فبعد أن كان يقتصر في غذائه على نظام الالتقاط والجني ونظام الصيد، اهتدى إلى نظام أكثر استقرارا وإنتاجا وهو اكتشاف النباتات المختلفة وظهور الزراعة. وقد اعتبر أغلب الأنثروبولوجيين أنّ هذا التطور في الأنظمة الغذائية هو «أعمق تغير في تاريخ الجنس البشري، ولا يمكن مقارنته باكتشاف الذرة أو بغزو الفضاء والوصول للقمر...، فبعد أن كان الإنسان يلتقط غذاءه ويجمعه ويقضي معظم وقته في اصطياد الحيوانات، انتصر على الطبيعة وأخضعها لسيطرته عندما أصبح ينتج غذاءه بنفسه عن طريق الزراعة والرعي»[1]، من هنا عرف الإنسان أهمية الأرض ودورها الفعال في تغيّير المنظومة الغذائية. «وفيما يتعلق بأقدم المجتمعات الإنسانية التي اكتشفت الزراعة، يرى كثير من العلماء أن منطقة الشرق الأوسط وخاصة العراق وإيران والشام تمثل أقدم مراكز اكتشاف الزراعة»[2]، لكن من هو مكتشف الزراعة هذه، هل هو الرجل أم المرأة؟

يرى جوزيف كامبل أنّ المرأة أكثر ارتباطا بعالم النبات، ومن ثم ارتباطها بعالم الزراعة «فالمرأة تمنح الحياة تماما كما تمنح الأرض الحياة للنبات. وهي تقدم الغذاء كما تفعل النباتات

---

[1]– عاطف وصفي: الأنثروبولوجيا الثقافية، ص271.

[2]– عاطف وصفي: الأنثروبولوجية الاجتماعية، د. ط، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د. ت، ص137-138.

فسحر المرأة هو ذاته سحر الأرض، وكلّ منهما مرتبط بالآخر، ولذلك فإن تشخيص الطاقة التي تعطي الحياة للأشكال وللغذاء يتمثل بالضرورة في صورة الأنثى، ومن البديهي أن نقول بأنّ الإلهة الأنثى ظلت الشكل الأسطوري المسيطر في عالم الزراعة في كلّ من منطقة ما بين النهرين وفي وادي النيل كما في بقية الحضارات الزراعية القديمة»[1] وهذا يعني، إنّ للمرأة صلة بالأرض فكلاهما يمنحان الحياة والغذاء، فهي بهذا المعنى أشبه بالأرض، ولم تقدّس إلا بعد اكتشاف الزراعة، يقول في هذا المضمار ميرسيا ايلياد: «إن الرمزيات والمعتقدات حول الأرض – الأم Terre – Mère والخصب البشري والزراعي، وقداسة المرأة... لم يكن لها أن تتطور وتشكل نظاما دينيا مصاغا باغتناء إلا باكتشاف الزراعة، ومن الواضح كذلك أن مجتمعا مما قبل الزراعة متخصصا بالصيد، لم يستطع الشعور بذات الطريقة، ولا بذات الكثافة، وقداسة الأرض – الأم»[2] فهناك إذن علاقة بين الخصب البشري والخصب النباتي «ولقد لبث تبادل التأثير بين الخصوبة البشرية والخصوبة النباتية واضح المكانة في عقل الإنسان – وهو الأمر الذي يشرح لنا، كيف أن الكثير من الجماعات المتوحشة والبربرية، تسند أعمال الزراعة جميعا، أو تسندها في غالبها الأعم للنساء»[3].

فالنساء إذن هن اللائي ابتكرن الزراعة، وربّما يعود ذلك إلى اشتغال الرجال بنظام الصيد، واشتغالهن بنظام الالتقاط والجني، مما ساعدهن على اكتشاف الزراعة والنباتات المختلفة، لأن نظام الالتقاط مرتبط بالأرض كالحفر لاستخراج الجذور والبذور المختلفة.

إنّ اكتشاف النباتات المختلفة ساعد على توسيع أفق الغذاء، إذ استطاع الإنسان بفضلها توفير فائض غذائي يعود إليه كلّما احتاجه، فأصبح بذلك أكثر استقرارا، كمّا أنّها قد قلصت من متاعب الإنسان، فأصبح يبذل جهدا أقل مما كان يبذله من قبل. وليس هذا فحسب بل توصل إلى استعمالها كأدوية لعلاج الأمراض التي كانت تصيبهم، ولا تزال إلى اليوم من ضمن الأدوية المستخدمة في العلاج، فلقد «احتفظت خواص العقاقير الموجودة في النبات، بمكانة لها، في عالم الطب من بدايته الأولى، فأغلب العقاقير المنزلية المستعملة الآن، تركيبات بسيطة، من الأعشاب اعتبرها علم الطب المتأخر زمنا، عقاقير نافعة»[4]، فإذا كانت «النباتات هي الدواء في بداية

[1]–جوزيف كامبل: قوة الأسطورة، ص241.

[2]– ميرسيا ايلياد: المقدّس والمدنّس، ص20 ــ 21.

[3]– الكزاندر هجرتي كراب: علم الفولكلور، ص 420.

[4]– م. ن، ص370.

الزمان... فالذي يبدو أنّها ستعود إلى عزها السابق في هذا الزمان بعد أن أثبتت نجاعتها وتفوقها على الأدوية الكيماوية في الكثير من المجالات... فكم من عشبة قدمتها عجوز بسيطة أدت إلى ما يشبه المعجزات في عالم الشفاء»[1]. والتداوي بالنباتات الطبيعية يمثل اليوم الطب البديل.

ونجد في الميثولوجيا البابلية أنّ هناك نبات الخلود الذي يمنح لآكله الحياة الأبدية، مثل النبات الذي ناضل من أجله بطل الأسطورة البابلية (جلجامش) من أجل الحصول على الخلود ورغم كلّ العوائق والصعوبات التي لقيّها في طريقه إلى الجد الأكبر الخالد (أوتنابيشتيم)، إلا أنّه استطاع الحصول على تلك النبتة من قاع البحر، لكن للأسف فقد سرقتها منه حيّة أثناء استحمامه، فكتب بذلك للإنسان الموت لا الخلود[2].

ونظرا لقيمة النباتات وأهميتها، فقد أقيمت حولها الكثير من الشعائر فالزراعة مثلا «لم تخطر على عقل الإنسان في شكل إجراءات عقلية بل خطرت له في شكل سلسلة من المراسيم السحرية، التي كان من المعتقد، أنّ كلاّ منها يحقق تأثيرا معينا، ثم صارت هذه المراسيم تلقن أو تؤدى، مع الزراعة ذاتها»[3] ويعني هذا الكلام، إنّ الإنسان قد انتبه إلى وجود الزراعة من خلال الطقوس السحرية، فأصبح يمارس هذه الشعائر مع الزراعة ذاتها. وفي مجتمع البحث نجد أنّهم يقومون بإحياء طقس استقبال الربيع من خلال النباتات التي تعدّ من العناصر المهمة في الطقس الربيعي الدوري، وهذا ما سنتعرف إليه.

---

[1]– خليل عبد الغفور: التداوي بالأعشاب والنباتات الطبية، د. ط، دار الإسراء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2004، ص 03.

[2]– ينظر: نبيلة ابراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص41 ــ 58.

[3]– الكزاندر هجرتى كراب: علم الفلكلور، ص433 ــ 434.

2 ــ طقس استقبال الربيع (شَوْرْپِــيعْ) في منطقة خراطة (بجاية)

قبل وصف طقس استقبال الربيع (شَوْرْپِــيعْ) الذي يمارس دوريا في مجتمع البحث نحاول إعطاء تفسير اصطلاحي له من أجل فهم جميع جوانبه.

يعدّ الربيع أحد فصول الطبيعة، يمثل نهاية فصل الشتاء وازدياد عدد ساعات النهار ويتكون من ثلاثة أشهر على التوالي: مارس وأفريل وماي، يبدأ «فلكيا عند الاعتدال الربيعي الذي يكون عادة في 21 مارس في نصف الكرة الأرضية الشمالي، وفي 22 سبتمبر في نصف الكرة الأرضية الجنوبي، ويستمر حتى وقت الانقلاب الصيفي الذي يكون عادة في 22 يونيو في نصف الكرة الشمالي و22 ديسمبر في نصف الكرة الجنوبي. ويعرف خبراء الأرصاد الجوية بداية فصل الربيع بأنّها تكون في 01 مارس في نصف الكرة الشمالي وفي 01 سبتمبر في نصف الكرة الجنوبي»[1].

ويستدّل أهل المنطقة وصول فصل الربيع مع وصول أوّل طائري اللقلق والخطاف إلى المنطقة، مع تفتح براعم زهور اللّوز ومختلف الورود، وينظر إليه على أنّه فصل التجدّد والنمو والانبعاث، إذ بمجرد حلوله يقوم أهالي الريف بقطع غصن كبير من شجرة الأشواك التي تسمى باللّهجة المحلية (ثَزُوتْ)* ويعلقونه في باب حظائر الماشية لتتكاثر أكثر، ولا ينزعونه إلى غاية قدوم الربيع مجدّدا. فهم يجدّدون الغصن بتجدّد الربيع. فالربيع إذن «مرحلة انتقالية بطريقة سحرية بين الشتاء والصيف بين دورة الرطب ودورة الجفاف للحياة الحقلية والحياة البشرية. وهو من أكثر المواسيم إحاطة بالشعائر الطقسية»[2]. ويسمى الربيع بلهجة منطقة "خراطة" (رْپِــيعْ) ويقابله في كلّ من بجاية وتيزي وزو وبويرة وبومرداس (ثَافْسُوتْ)، أمّا الطقس المصاحب له فيسمى في المجتمع المحلي بـ: (شَوْرْپِــيعْ)، لكن ما المقصود بهذه الكلمة؟

1- الموقع الالكتروني: /http : // Ar. Wikipedia. Org / wiki، يوم: 2011/06/14م، على الساعة الثانية زوالا.

*- شجرة صغيرة الحجم، تتكون من مجموعة من الأغصان الشوكية، ويحتوي كلّ غصن على عدد كبير من الأوراق الخضراء الصغيرة الحجم وهي تزهر في فصل الربيع، إذ تعطي زهرات صغيرة الحجم ذات لون أصفر، لها رائحة مميزة.

2- Jean Servier: Tradition et Civilisation Berbères, p 237.

حاولنا جاهدين الحصول على المعنى اللغوي لكلمة "شَوْرْپِـيعْ" من قِبل الرواة المسنين في المنطقة لكن دون جدوى، ويعود ذلك ربّما إلى قِدم الكلمة، ومن ثم نسيان معناها الحقيقي لهذا حاولنا مجتهدين معرفة معناها من خلال لهجة المنطقة:

إنّ كلمة "شَوْرْپِـيعْ" كلمة مركبة من مقطعين هما:

ـــ "شَوْ": مقطع يعني البداية (بداية الشيء) أو (أوّل الشيء)، فأهل المنطقة ولاسيّما الطاعنين في السن يردّدون على لسانهم هذه الكلمة "شَوْ أَمْزْوَار" إذا أرادوا بداية الشيء أو أوّل الشيء ويعني: "في البداية" فمثلا نجدهم يقولون "شَوْ أَمْزْوَارْ ثـْقـَامـِيذْ" أي: "في البداية رفضت" أو "في أوّل الأمر رفضت" فمقطع "شَوْ" إذن يعني بداية الشيء، أو أوّل الشيء وهو يلصق إلى الكلمتين: (أَمْزْوَارْ) فتصبح "شَوْ أَمْزْوَار" ومرادفها "أَپـْرِيذْ أَمْزْوَار" وتلصق أيضا إلى كلمة (الربيع) فيكون "شَوْرْپِـيعْ" فقط، ولم نعثر على كلمات أخرى تلصق إليه.

ـــ "رْپِـيعْ": وهو المقطع الثاني من الكلمة ويعني: فصل الربيع، وهي كلمة عربية دخيلة دخلت إلى المنطقة لقربها من منطقة الهضاب العليا (سطيف) .

بهذا المعنى تصبح كلمة "شَوْرْپِـيعْ" تعني (بداية الربيع)، أو (أوّل الربيع) وهم يمارسون طقوسه في أوائل أيّام شهر مارس*، فطقس "الربيع" حسب هذا المعنى يعود إلى الزمن البدئي الميثولوجي فالمنطقة كانت تحتفل به منذ القدم، منذ آلاف السنين، يقول شاهد عيان نثق به «قـْپـْگـْرِي نْخْدْمْ شَوْرْپِـيعْ، وَّى إِتَجَثِيذْ إِوَّى ذْلْمَنَة، لـْچـْدُودْ لـْچـْدُودْنْغْ، أَرْنَاسْ وْيَّ إِدْيُوسَانْ قـْپـْلْنْسْنْ خْدْمْنْتْ كُلْ مَحْلِيسْ، لِيزْمْ گـُنْوِي ثُورَى أَهْطْحْفْظْمْ وَاهْتْسْلْفِيمْ إِلْجِيلْ أَدْيَاسْنْ زْدْفِيرْنُونْ»[1]، أي: «منذ القدم ونحن نمارس طقس الربيع، هذا يتركه لهذا لأنّه أمانة، أجداد أجدادنا، والذين جاؤوا قبلهم كانوا يمارسونه كلّما حان أوانه، عليكم أنتم الآن أن تحفظوه وتتركوه للجيل الذي سيأتي بعدكم». يتبيّن لنا من خلال هذا القول، إنّ زمن الاحتفال بالربيع يعود إلى الزمن الميثولوجي البدئي، حفظه الأجداد عن آبائهم وتركوه أمانة لأبنائهم. وربّ سائل يتساءل في هذا السيّاق عن هذا الزمن الميثولوجي الذي ظهرت فيه النباتات المختلفة؟ تجيبنا

---

*– وقد كانوا في قديم الزمان يحتفلون به قبل دخول شهر مارس بيوم واحد أو بيومين. حسب الحساب الشعبي في المنطقة، المخبرة: لعمرية بن عياش: السابقة الذكر.

[1]– المخبر: أعمر بوخنوف: السابق الذكر، على الساعة الخامسة مساء، يوم: 2011/03/06م.

إحدى رّاويات قرى منطقة "أزغار" عن هذا السؤال الميثولوجي من خلال أسطورة "أصل النباتات، وطائر الجنة"*:

يروى في قديم الزمان، إن الإنسان الأوّل لم يكن يعرف النباتات الصالحة للأكل، إذ لم يكن يأكل سوى أوراق اللّوز والتوت. وعندما حلّ الخريف لم يجد ما يأكله فأوراق اللّوز والتوت قد تساقطت وجفت، وفي أحد الأيّام وجد في إحدى قمم الجبال طائر الجنة فاصطاده لكنّه أطلق سراحه في النهاية بتوسل من ذلك الطائر، بشرط أن يحضر له من الجنة النباتات والثمار المختلفة. وبالفعل فقد أوفى ذلك الطائر بعهده، إذ بمجرد قدوم الربيع أحضر للإنسان النباتات والثمار وعلمه كيفية غرسها والتداوي بها.

استغلنا أيّام الاحتفال بالطقس الربيعي في مجتمع الدّراسة، فقمنا بتتبع كلّ خطواته في الريف والمدينة على حد سواء، كما حاولنا أيضا الجمع بين الممارسة القديمة والحديثة للطقس بعد المعايشة الميدانية الحيّة، وهذا هو مضمونه:

يبدأ التحضير لطقس استقبال الربيع "شَوْرْپِـيعْ" بأيّام قبل حلوله، فالجدّات والأمهات يبدأن أوّلا وقبل كلّ شيء بجمع بيض البيوت لأنّه حسب اعتقادهن أكثرا اصفرارا من بيض الدكان وأحسن منه مذاقا، ولاسيّما الساكنين في الأريّاف الذين يمارسون تربية الدواجن.

تبدأ النساء في تنظيف البيت في اليوم الذي يسبق أداء الطقس، إذ ينظفن جميع الغرف دون استثناء، فلا يتركن ولو زاوية صغيرة من زوايا البيت دون أن يمر الماء فيها، كمّا أنّه يستحب الاستحمام قبل ممارسة الطقس وغسل جميع الملابس، تقول رشيدة في هذا الشأن: «لِيزَمْ أَنْسِيرْذْ كُولْشْ قـْپِـلْ مَنْخْذَمْ شَوْرْپِـيعْ، أَلَخَاطَرْ وِينْ أُنصْنْظِفَانِي أُذِتْعَوَذَانِي أَذِرْ رْپِـحْ، أَذِشْقَى قـْلـْحَيَاتِيسْ»[1] أي: «علينا أن نغسل كلّ شيء قبل ممارسة طقس الربيع، لأنّه من لم ينظف لن يرى الثراء أبدا، وسيشقى في حيّاته».

قبل بدء ممارسة الطقس الربيعي بيوم، يذهب الرجال إلى السوق لشراء جميع المستلزمات التي لا يملكونها في المنزل، كالصبغة الخضراء واللّوز والتمر والبيض والبرتقال واللّحم إلى غير ذالك.

*– ينظر: الأسطورة كاملة في الملحق رقم: (01)، ص 236.

[1]– المخبرة: رشيدة نوالي: السابقة الذكر، على الساعة الرابعة مساء، يوم: 2011/02/13م.

أمّا الأطفال، الذكور والإناث فيذهبون قبل حلول المغرب بساعات قليلة إلى البراري والحقول الشاسعة الخضراء، إلى موطن نبتة أَذْرْڤـِيسْ (Adergis) بونافع التي تتواجد بكثرة في إحدى ضواحي المناطق التاليّة: "أجيون" و"أزغار" و"رحامين" وبكمية أقل في المناطق الأخرى. والشيء الملفت للانتباه أنّ بعض الأفراد يلبسون القفازات، والبعض الآخر منهم يضعون على أيديهم الأكياس البلاستيكية كقفازات لأنّ لمسها يؤدي إلى احتكاك في اليدين وإصابتهما بقروح وقد تنتفخ اليدان ويظهر على جلديهما فقاعات مملوءة بالماء، ولا تشفيان إلا عند زيارة الطبيب. ورغم ذلك نجد أنّ بعض الأفراد الذين يملكون خبرة في انتزاعها لا يلبسون القفازات للحماية منها، وعندما سألناهم عن سبب ذلك، أجابنا خير الدين قريشي بائع النبتة قائلا: «نْكْ سْنْغ أَمــگْ أَهْدْكْسْغْ، غُورِي سْتْسْنِينْ نْكْ تْكْسْغِتِيدْ، أُيْتْخْذِيمْ گـرَّى، أَسْمَّى أَهْدْكْسْغْ تْمُسْغْتْ ڤـنْصَافْ»[1] أي: «إنّي أعرف كيفية نزعها، عندي ست سنوات خبرة وأنا أنزعها، ولم تفعل لي شيئا، فعندما أنزعها أمسكها من الوسط». والشيء الملحوظ هو أنّهم يكوّنون حلقة أثناء نزع النبتة، واحد في الوسط ينزع النبتة، والآخرون يلتفون حولّه وينشدون أغنيتهم الفولكلورية الربيعية المفضلة، وهناك من يبيع النبتة في المكان نفسه للذين يأتون من المدينة وبعض القرى المجاورة الأخرى بحثا عنها، إنّه جو مشحون بالفرحة والبهجة.

ويرجع الأطفال إلى البيوت قبل حلول المغرب، وكلّهم بهجة وسرور حاملين معهم النبتة بجذورها وأوراقها، والكلّ يغني ويرقص من شدة الفرح.

تستقبل الجدّة أو الأم أولادها مرتدية زيّا قديما ووجهها مزركشا بعلامة (+) بوساطة الرماد. فتأخذ جذور تلك النبتة فتغسلها جيّدا ثلاث مرات في اللّيل، وتضعها في كيس بلاستيكي مفتوح خارج المنزل مقابل النجوم.

تدخل الأم بعدها مباشرة إلى المنزل وتبدأ في فتل الكسكس، وإذا كان في المنزل عجوز فهي التي تفتله، لأنّها الأكبر سنا من جهة، ومن جهة أخرى فهي التي تعرف جيّدا الدعوات التي يجب ترديدها أثناء الفتل منها:

أَرْبِّ لـبْـرَكَـة	يا ربّ البركة

---

[1]- المخبر: خير الدين قريشي: 19 سنة، عامل حر، على الساعة الخامسة مساء، يوم: 2011/03/03م، قرية: "أجيون"، بلدية: "ذراع القائد".

أَرْبِّ لْغُفْرَانْ	يا ربّ الغفران
أَرْبِّ ثْـفْكْذَانْغْدْ أَيْنْ نْتْمْنَى	يا ربّ أرزقنا ما نتمناه
أَرْبِّ ثْسْرْپـْحْذْ ثَمُورْثْ	يا ربّ أرزق الوطن

وهناك من يفضل شراء الكسكس، لكن معظم الجدّات يفضلن فتله بأيديهن، فهن يحبّذن الأشياء التقليدية أثناء أداء الطقس الربيعي.

تنهض الأم أو الجدّة في الصباح الباكر، وكلّها أمل وحيوية، تتوضّأ وتلبس ما عندها من ملابس جديدة، فتصلي صلاة الفجر وفي يمينها جذور نبتة "أَذْرْقْـِيسْ" المطحونة قليلا، وفي يسارها البيض المعدّ للطقس الربيعي، ويختلف عدد البيض من بيت لآخر، لكن الشيء المهم والضروري هو أن تضع الجدّة أو الأم عددا زوجيا (ثـِچـْوَاچْ)، فهي تتجنب العدد الفردي (لُوكْرِيذْ) قدر المستطاع، وعند انتهائها من الصلاة تدعو الله سبحانه وتعالى، حامدة إيّاه على حلول فصل الربيع، وانتهاء فصل الشتاء دون أي كوارث، كمّا أنّها تدعو الله بأن يعم الخيرات البلاد والعباد، وأن يصلح أمور أولادها وأولاد الوطن، وأن يُيسر أعمالهم ويحفظهم ويشملهم برعايته، ويوجههم إلى ما فيه الخير والصلاح وهلمّ جرّا. لأنّ الدعاء في مثل هذا اليوم المقدّس مستجاب، فهو من جهة يوم الجمعة* المبارك، ومن جهة أخرى طقس الربيع، وعندما سألنا إحدى الرّاويات عن سبب إحضار النبتة والبيض والصلاة في وسطهما قالت لنا: «فَشِي أَتـْچـْمْعْ لـْپـَرگـَة، وَاتْسْعَى لْفَايْذَة أَسْ نْوَسَى، وِينْ إِقـْتشَانْ زْقـْسْ أَذِچـِي قـْلَعْطِپـِيسْ وِينْ إِقـْدْعُونْ گـْرَّى أَسِهْذِيفْكْ رْبِّ، وِينْ إِقـْطلـْپـْنْ رْحْمَة إِوْيَّ إِقـْمُوثْنْ أَسْنِيغْفْرْ رْبِّ»[1] أي: «لتجتمع البركة فيهما، وتكثر فائدتهما في مثل هذا اليوم، فمن أكل منه شفي من مرضه ومن دعا بشيء أستجيب له، ومن طلب الرحمة والمغفرة للأموات سيغفر الله لهم».

تنتهي الأم من صلاة الفجر والدعاء وكلّها ارتياح وفرحة، فتحضر قدرا من المطبخ وتضع فيه أوّلا جذور نبتة "أَذْرْقْـِيسْ" وفوق الجذور تضع مباشرة البيض حبة وراءها حبة أخرى، وهي تقول بصوت خافت لا يكاد يسمع:

*- لا يشترط يوم الجمعة لأداء الطقس الربيعي، وإنّما يستحسن ذلك لكونه يوم عطلة.

1- المخبرة: علجية. ب: 48 سنة، مربيّة، أميّة، على الساعة السادسة والنصف صباحا، يوم: 2011/03/04م، قرية: "أجيون"، بلدية: "ذراع القائد".

أَرْبٌ لـْپـَرگَـة	يا ربّ البركة
أَرْبٌ لْخِيرْ	يا ربّ الخير
أَرْبٌ شْحْيِّيذْ كُولْشْ	يا ربّ إحيي كلّ شيء
أَرْبٌ ثـْسـْپـْعـْذْ لـْپـْلاَ	يا ربّ أبعد عنا البلاء

وتضيف إلى القدر كمية من الماء، وتضع فوقه الكسكاس المملوء بالكسكس ليفوح برائحة تلك النبتة المميّزة. وبعد نضج الكسكس تخرج الأم البيض من القدر وتضعه في وسط الصحن، أمّا حواف الصحن فتملأها بجذور النبتة المنضوجة والرائحة تنبثق منهما. وبعدها تأخذ الكسكس وتضيف إليه زيت الزيتون والسكر، تحرك الكلّ جيّدا وتضعه في صحن كبير وتزيّنه بالبيض مشكلة زهرة من زهور الربيع الجميلة، وذوقا خاصا بالربيع. فيأكلّه أفراد العائلة في الصباح الباكر على الريق، والشيء الملفت للانتباه هو أن البيض الذي تكسر داخل القدر أثناء النضج لا يؤكل بل يرمى، فمن أكله قد يمرض عوضا من أن يشفى، لقوة مفعول النبتة الذي دخل إلى البيض المتكسر.

بعد الأكل مباشرة تخرج الأم مع أكبر بناتها، فتعطي لها أوراق النبتة لتعلقها على جميع الأشجار، كاللّوز والزيتون والتفاح والعنب والتين...، وذلك لزيادة نموها وثمارها أمّا قشور البيض فتقوم البنت الكبرى برميها من ورائها إلى الأشجار المختلفة، تقول بنت الرّاوية علجية: «نْكَاثْ إِقْشْرَانْ نْتْمْلاَلِينْ سْدْفِيرْنْغْ إِثْعْرِيشْثْ، فَشُوا أَتَرُو بْزَافْ»[1] أي: «نرمي قشور البيض من ورائنا إلى العنب، لكي تثمر الكثير».

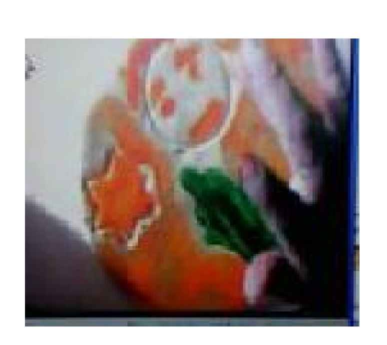
تنتقل الأم إلى تحضير فطيرة الربيع (أَغْرُومْ نْشْوْرْپِـيعْ) وطريقة إعدادها كالكسرة العادية، إذ تحضر جميع مكونات الفطيرة من سميد وملح وزيت وماء، فتخلط أوّلا الماء بالملح والزيت حتى يذوب الملح كلّيا وبعدها تضيف إليه السميد، فتخلط كلّ المكوّنات جيّدا حتى تكوِّن عجينة ملساء سهلة الاستعمال، وتتركها مدة حوالي عشر دقائق داخل كيس من الورق. وفي انتظار انتهاء هذه المدة، تُحضر الأم بعض البيضات فتكسرها مستخرجة منها محّ البيض

[1]– المخبرة: ك. ب: 18 سنة، السنة الثانية ثانوي، على الساعة الثامنة صباحا، يوم: 2011/03/04م قرية: "أجيون"، بلدية: "ذراع القائد".

فتضعه في صحن مضيفة إليه السكر وتحركه جيّدا، وبعدها تحضر صبغة من اللّون الأخضر تضعها في صحن آخر مضيفة إليه آح البيض والسكر، فتحركها جيّدا.

بعد تحضير كلّ من محّ البيض (أَوْرَاغْ نْتْمْلاَلِينْ)، والصبغة الخضراء (صـَـپْـغَــة ثَخْضْرِيثْ)، تعود إلى الفطيرة مرة أخرى، حيث تكون مدتها قد انتهت، فتأخذها وتقسمها إلى قطع صغيرة الحجم، مكوِّنة فطيرة صغيرة لكلّ فرد من العائلة.

تأتي بعد كلّ هذا عملية الرسم والتزيّين، فتأخذ الأم شكلا مماثلا للشمس تضعه على العجين وتضغط عليه قليلا وبعدها تنزعه مكونة شمسا – حسب اعتقاد الجدات والأمهات– وتصبغه بمحّ البيض، بعد رسم الشمس تنتقل مباشرة إلى رسم قمر بوساطة كأس أو سوار من الفضة مقابل للشمس، فهي ترسمه كوجه إنسان له فم وعينان وأنف وأذنان وشعر، وهي في الوقت نفسه تسرد أسطورة "وجه القمر الإنساني"*، أمّا في وسط الفطيرة فترسم شجرة خضراء عالية** أمّا المكان الشاغر في الفطيرة فتصبغه بمحّ البيض كلّه. وهذا الرسم توضيح لذلك:



الأم وهي تزيّن فطيرة الربيع (أَغْرُومْ نْشْوْرْپِـيعْ)



فطيرة الربيع كاملة ***

ولعلّ الشيء الملاحظ في عصرنا هذا أنّ أغلب النساء في المنطقة اليوم يزينّ الفطيرة بدوائر فقط بوساطة كأس أو سوار أو خاتم من الفضة أو أي شكل دائري وتطلى بمحّ البيض فقط، وهناك من يزينها بأدوات التزيين الحديثة المختلفة الأشكال. والشيء الملفت للانتباه أن هناك من تخلى تماما عن فطيرة الربيع واكتفى بصنع الحلويات والفطائر الرقيقة وهلمّ جرّا.

*– ينظر: هذه الأسطورة في الملحق رقم: (01)، ص269.

** – كان الأجداد قديما يستخدمون النباتات الخضراء الصالحة للأكل للحصول على اللّون الأخضر للشجرة .

***– التقطناها أيام الاحتفال بطقس استقبال الربيع في مجتمع البحث، يوم: 04 /03 / 2011م، قرية: "أجيون"، بلدية: "ذراع القائد".

بعد صنع الفطائر العادية تنتقل الجدة أو الأم إلى صنع الفطائر الرقيقة التي تتكون من سميد وملح وخميرة، تخلط الكلّ جيّدا وتتركها حتى تخمر، وبعدها تنضجها.

بعد صنع كلّ من الفطائر العادية (أَغْرُومْ نْشَوْرْپِـيعْ) والفطائر الرقيقة (ثِيغْرِيفِينْ) تعطي الأم لكلّ طفل من أطفالها كيسا صغيرا خاصا بالربيع يحتوي على: البيض والفطائر العادية والتمر والبرتقال والفطائر الرقيقة...، فيزورون أرض الله الواسعة المكسوّة بحلّلها الخضراء- ولاسيّما إذا كان الجو هادئا والشمس ساطعة، أما إذا كانت السماء ممطرة فتكتفي العائلات بالاحتفال داخل المنازل- وكلّهم فرح مردّدين أغنيتهم الفولكلورية الربيعية المفضلة (ثَغْنَايْثْ نْشَوْرْپِـيعْ):

شَوْرْپِـيعْ، شَوْرْپِـيعْ	الربيع، الربيع
ثـَـقْـَـزْ يطْ ثْتَاكْدْ، نْكْ زْنُوزَايْغْ	الدجاجة تعطي، وأنا أبيع
أَرْبِّ ثْسْحْيِّيذْدْ كُولْشْ	يا ربِّ إحيّي كلّ شيء
أَرْبِّ ثـْـگـْـفْذْدْ لْخِيرْ	يا ربِّ أرزقنا الخير

فالأطفال يردّدون أغنيتهم، وهم يلعبون في المروج الخضراء كأنّهم فراشات تحوم حول الزهور، مرتاحين من عناء الدّراسة ولاسيّما وأن معظمهم قد أنهى امتحان الفصل الثاني مفتخرين أمام زملائهم بالعلامات المتحصل عليها، تقول أسمى الصغيرة: «سْحُسَايْغْ أَمَـلَـپْـحَالْ تْفْرْفِيرْغْ قْـلْـهَـوَى قْـلْـفْرْحَى، أَلْخَاطْرْ فُوكْغْ لإمْتِحَانْ، لْعَلَمَاثِيوْ لْعَالِيهْنْتْ، والله أَلْخْفِيفْغْ أَلْمَرِيشْ قْـشَوْرْپِـيعْ»[1] أي: «أحس وكأنّي أطير في السماء من شدة الفرح، لأنّي أنهيت الامتحان، وتحصلت على علامات جيّدة، والله إنّي خفيفة كالريش بهذا الطقس الربيعي». فتراهم يلقون النكت المضحكة والألغاز، وفي كلّ مرة ينشدون أغنية الربيع. أمّا بعض الذكور فتجدهم يلعبون كرة القدم لاعتقادهم أنّ من مارس مهنة أحبّها في مثل هذا اليوم ستتحقق له في المستقبل، أمّا البعض الآخر منهم فيفضلون تسلق الجبال العالية، ولاسيّما وأن المكان الذي يجتمعون فيه غالبا ما يكون في الوسط تحيطه الجبال الشامخة من كلّ جهة. فالناظر إليهم يحس بالبهجة وينسى همومه ويتذكر صباه ويعود بذاكرته إلى الوراء متمنيا عودة تلك الأيّام السعيدة.

1– المخبرة: أسمى. ب: 07 سنوات، السنة الثانية ابتدائي، على الساعة الثانية زوالا، يوم: 2011/03/04م، قرية: "أجيون"، بلدية: "ذراع القائد".

ولعلّ الشيء الملاحظ أنّ بعض الأطفال يصعدون إلى قمة الجبل، ويقومون برمي الفطيرة الربيعية من قمته وهي تتدحرج رويدا رويدا حتى تصل إلى سطح الأرض، فينزلون من قمة الجبل إلى الأرض فيقسمونها ويأكلونها.

وإذا أحس الأطفال بالجوع يجلسون على البساط الأخضر، ويضعون على الأرض جميع أكياسهم الربيعية المحملة بالأكلة الربيعية المميزة، فيأكلون كلّ شيء بالتساوي، وهذا إن دلّ على شيء إنّما يدّل على اتحاد أفراد المجتمع وتلاحمه، وهم يرجعون إلى منازلهم بساعات قليلة قبل حلول المغرب. أمّا الرجال فيذهبون إلى المساجد لأداء صلاة الجمعة، وهم يشاركون في الطقس سواء كان ذلك بطريقة مباشرة أم بطريقة ضمنية، حتى أنّ البعض منهم من لم يرزق بالذرية بعد يساعد زوجته في وضع أوراق النبتة على الأشجار.

أمّا فيما يتعلق بالنساء، فبعد إنهائهن أشغال المنزل، نجد البعض منهن يذهبن مع الأطفال إلى الحقول الخضراء التي يجتمع فيها كلّ أفراد القرية. أمّا البعض الآخر منهن فيفضلن الحقل أو البستان القريب من المنزل، ويأخذن معهن مائدة الربيع التي تحتوي بما لذّ وطاب، ومعظمها من خيرات أرضهم الطيّبة، فيجلسن على شكل حلقات ويتذكرن ماضيهن، ويتحدثن عن كلّ ما يؤلمهن، فكأنّها فرصة مواتية لسرد المعاناة. وبعدها يتحدثن عن الأشياء الجميلة التي مرت في حياتهن، فيضحكن ويتبادلن الأطباق المعدّة ويحمدن الله على ذلك الخير الكثير، ويقمن بدعوة كلّ من مرّ أمامهن بالمشاركة في طعامهن والكلّ متوحدين في عبادة الربّ القهار، وبعدها يبدأن في البحث عن النباتات البرية الصالحة للأكل، ولاسيّما وأنّهن في البراري* أخيرا يتمنين بأن تكثر الخيرات من لوز وزيتون ومشمش وعنب وتفاح وجوز وقمح وشعير... وأن يعود عليهن باليمن والبركات، وأن يغفر الله ذنوبهن وأن يكون محصول السنة وفيرا**

---

*- الشيء الملاحظ في هذا الطقس أنّه يتوافق نوعا ما مما قاله Jean Servier عن ممنوعات الربيع في بلاد القبائل كتحريم الحداد مثلا ومنع شراء الأواني الجديدة واستخدامها في الطقس عند بعض أسر الريف، لكن لا يمنع في المجتمع المحلي غسل البيوت إذ جلّ الأسر تقوم بغسلها قبل أداء الطقس كما قلنا ذلك سابقا، كمّا أنّه لم يحرم أكل النباتات البرية الصالحة للأكل، بل على العكس تماما، فالكلّ يأكلها ولاسيّما وأنّهم متواجدون في البراري والحقول أين توجد مختلف النباتات. ينظر: Jean Servier: Tradition et Civilisation Berbères, p251 – 252

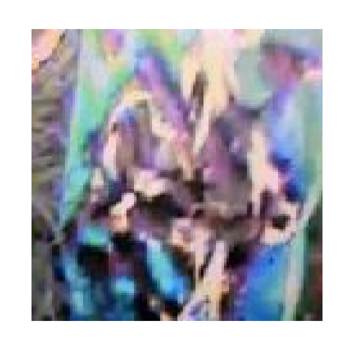
**- جمعنا كلّ هذه المعلومات المتعلقة بطقس الربيع أثناء معايشة مجتمع البحث وهو يقوم بهذه الطقوس في شهر مارس 2011م، مع طرح الأسئلة على الرواة المسنين كلما اقتضى الأمر ذلك.

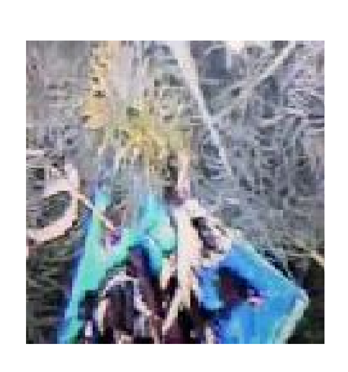
3 ـ نبتة بونافع (أَذْرْقْـِيسْ) "Thapsia"

هي نبتة متجدّدة، تتجدّد بتجدّد الربيع أوراقها تجف في فصل الصيف لكنّ آثارها تبقى على سطح الأرض إلى غاية عودة الربيع مجدّدا، أمّا جذورها فتبقى تتنفس تحت التراب رغم أنّها غير صالحة للاستعمال، لكن سرعان ما تدّب الحياة فيها بعودة الربيع، فأوراقها تصبح خضراء، أمّا جذورها فتجدّد قشرتها فتصبح لينة طرية قابلة للطحن والاستعمال وهي تتكون من طبقتين (قشرتين)، طبقة خارجية بنية اللّون، وطبقة داخلية بيضاء اللّون، وهي تزهر في فصل الربيع، إذ تعطي زهرات متوسطة الحجم صفراء اللّون على شكل شمس.

وتسمى في مجتمع الدّراسة أَذْرْقْـِيسْ (Adergis). وقد جاء في معجم أسماء النباتات «دِرْياس. بونافع، توفلت (المغرب)... الدَّرُوس – الدِرَسْت – أدْريس... مشتقة من اسم جزيرة Thapsus»[1] فالاسم العلمي لها إذن هو: (Thapsia) ، ويقابلها في العربية "بونافع"* وهذا الشكل توضيح للنبتة:







نبتة بونافع (أَذْرْقْـِيسْ) "Thapsia" (الأوراق والجذور)**.

ومن فوائدها أنّها تستعمل في علاج روماتيزم الركبتين، فالمصاب بهذا المرض في المنطقة يأخذ جذور نبتة أَذْرْقْـِيسْ (Thapsia) يغسلها ويطحنها جيّدا ويضعها على الركبتين وفي الصباح تنتفخ الركبتان ويظهر على جلديهما فقاعات صغيرة مملوءة بالماء، وهذا الماء في

---

[1]– أحمد عيسى بك: معجم أسماء النباتات، ط1، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1930، ص180.

*– والاسم نفسه يطلق عليها في العربية العامية الجزائرية، كالجزائر العاصمة وبومرداس... وهناك من يسميها أيضا بوشافي.

**– التقطناها أثناء بيع أحد الأطفال للنبتة، يوم: 2011/03/03م، قرية: "أجيون"، بلدية: "ذراع القائد". ولمزيد من الصور، ينظر: الملحق رقم: (04)، ص282.

اعتقاد بعض أهالي المنطقة هو الروماتيزم بعينه. ومن فوائدها الصحية أيضا أن رائحة جذورها بعد طحنها ونضجها مع البيض والكسكس تشفي من أمراض الشتاء، ولاسيّما الزكام والسعال إذا ما تم الاحتفال بها جيّدا في الطقس الربيعي حسب اعتقاد أهل المنطقة.

ولعلّ من فوائدها الاقتصادية أنّها تدر على أصحابها أموالا لا بأس بها في أيّام الطقس، وقد قمنا بإجراء حوار مع بائع النبتة[1]، وكان كالتالي*:

الباحثة: دَشُو ثْخْدْمْ؟

البائع: نْتْكْسْ أَذْرْقْـِيسْ؛

الباحثة: إِوَّاشْ؟

البائع: إِشَوْرْپـِيعْ، گـْرَّى أَثْنَوِي إِوْخَامْ، گـْرَّى أَثْنْزْنْزْ قـْسُوقْ نخراطة، نِيغْ قـْسُوقْ نـْپـْقـَايْثْ، نِيغْ قـْسُوقْ نـْپـُوعْنْدَاسْ؛

الباحثة: أَمـْگْ إِهْتْزْنْزُايْمْ؟

البائع: نْخْدْمِيثْ طِقْبِطِينْ، ثْلاَثَة إِعْمْدَانْ، رْپـْعـَة إِعْمْدَانْ، أَثـْنـْشـْپـْحْ وَاثْنْزْنْزْ.

الباحثة: نـْقـَارْمْدْ إِصُورْدِيّْنْ؟

البائع: إِيهْ، ثـْقـَارْدْ بْزَافْ.

---

[1]– بائع النبتة: قريشي خير الدين: 19 سنة، عامل حر، على الساعة الخامسة والنصف مساء، يوم: 2011/03/03م، قرية: "أجيون"، بلدية: "ذراع القائد".

*– الباحثة: ماذا تفعلون؟

البائع: إنّنا ننزع نبتة أَذْرْقْـِيسْ؛

الباحثة: لماذا؟

البائع: لطقس الربيع، نأخذ الجزء منها للبيت، أمّا الجزء الآخر المتبقي فنبيعه في سوق خراطة، أو في سوق بجاية، أو في سوق بوعنداس؛

الباحثة: كيف تبيعونه؟

البائع: نجعله على شكل حزم، تتكون من ثلاثة أعمدة، أو أربعة أعمدة، نربطها مع بعضها البعض ونبيعها؛

الباحثة: هل تجنون أموالا؟

البائع: نعم، نجني الكثير.

وهناك من يتخذ أوراقها بعد جفافها وسيلة لإشعال النّار للتدفئة، أمّا أوراقها الخضراء فهي تخصب الأشجار وتساعدها على النمو، وهم يعتقدون أنّها تعطي للشجرة البركة في ثمارها، إذ يمكن الادخار والتصدق والتجارة بثمارها في آن واحد.

ولعلّ فائدتها الروحية، أنّها تزيد الإنسان صلة بالله سبحانه وتعالى، فهي تجعله يفكر في صنع الله العجيب والبديع، فنبتة متوسطة الحجم تستطيع صنع المعجزات.

ولكن رغم كثرة فوائدها إلا أنّه على الإنسان أن يتخذ الحيطة والحذر عند لمسها – كما سبق وأن رأيّنا ذلك– إذ قد تشوههم وتترك عليهم آثارا لا تندمل. هذه هي نبتة أَذْرْقْــِيسْ "بونافع" (Thapsia) عظيمة الفائدة إذا أحسن الإنسان استغلالها، ولكنها أحيانا تثور غضبا إذا ما لم يأخذ احتياطه، ولم يصغ لنصائح الأجداد.

4 ــ الأطفال في طقس استقبال الربيع (شَوْرْپِــيعْ)

قد يستغرب البعض أثناء رؤية الأطفال الذكور والإناث معا في الطقس الربيعي (شَوْرْپِــيعْ) فيتساءل: لماذا يشارك الأطفال من الجنسين في أداء طقس الربيع المقدّس؟

تجيبنا الرّاوية مليكة التي التقينا بها في أحد الحقول وهي تحتفل مع أبنائها قائلة: «لِيزَمْ أَدْشَرْگَـنْ دَرْيَّ، أَلَخَاطَرْ نُوهْنِي أَلَضِورْتَنْ لْعَذَيِّي، فَشِي أَدْتْعْلَمْنْ زَقْـنْغْ، أَسْمَى أَنْمُتْ نُوغْ سْنَنْ مْلِيحْ، مَلاَّ أُسَـنْـسْـگِـنَـانِي، مَنْهُو أَلَـسَـنْـسِـگَـنَـنْ؟ أُثْرْنِي نُوهْنِي ذْلَـمُـسَـتْـقْـپَـلْ نَتْمُورْتْ، لِيزَمْ أَدْسَنْنْ لْعَذَيِّي فَشُو أُتْمَتْنْتَانِي، أُنْصْرْتْحَايْ أَلْمَّى سْنَنْ أَلَخَاطَرْ شَوْرْپِــيعْ ذَلْمَنَى لَـچِـدُودَنْغْ، أُشَوْرْپِــيعْ إِيـهَــى سْدَرْيَّ أَسْمَّى تْغْنَانْ ذِينْ نُوعَالْ»[1] أي: «يجب أن يشارك الأطفال، لأنّهم سيرثون هذه العادات لكي يتعلموا منا، فعندما نموت يكونوا قد تعلموا جيّدا، إذا لم نعلمهم نحن، فمن سيعلمهم؟ كما أنّهم مستقبل البلاد عليهم بحفظ هذه العادات لكي لا تموت وتندثر، فنحن لن يرتاح لنا بال حتى يتعلموا، لأنّ الربيع أمانة أجدادنا، والربيع يكون جميلا زاهيا بالأطفال وهم يغنون مع زقزقة العصافير».

ولعلّ الشيء الملفت للانتباه، هو أنّ بعض الأمهات يعلمن لأبنائهن حتى الرسومات التي ترسم على فطيرة الربيع (أَغْرُومْ نْشَوْرْپِــيعْ) ويشرحن لهم بعض المعاني السطحية التي يتقبلها عقلهم البسيط، ويسردن لهم أسطورة "المرأة في القمر" وأسطورة "وجه القمر الإنساني"*، ويقلن لهم بإصرار «شْفَاتْ فْلْعْوَايْدْ لْجْدُودْنُونْ، بَلاَكْ أَهْنْتْسْهِيمْ»[2]، أي: «تذكروا عادة أجدادكم، وإيّاكم والنسيان» فالأطفال كما يقلن يضفن إلى الطقس رونقا وجمالا بأغانيهم الجميلة الربيعية التي تخرج من حناجرهم الرقيقة، فتراهم يضحكون ويصرخون ويلعبون ويجرون وراء الفراشات ويقطفون الأزهار المختلفة الألوان، وكلّهم فرح وسرور فكأنّهم في رياض الجنة.

ولكن رغم تعليم الأجداد لأبنائهم كلّ ما يتعلق بطقس الربيع، إلاّ أنّ هناك أمورا لم يبوحوا بها، حيث صادفنا أثناء معايشة الطقس أنّ بعض الأمهات قد تأسفنا على ما فعله بعض الأجداد «لاَنْ گْـرَى لَـچِـدُودَنْغْ هْدَرْنْدْ گَـرَّى لْهْضُورْ أُتْوَفَهَمْنْتَانِي أَسْ نْشَوْرْپِــيعْ، فْـمَانْ أَنِهْدْسَـگَـنْنْ، أَلَخَاطَرْ تُوغَانْغْ ذِمَـزْيَانْنْ، فْـلَـفْدِينْتْ نْفَاقْ نَـسَـگَـنَايْ أَيْنْ إِنْسْنْ

---

[1]– المخبرة: مليكة: السابقة الذكر، على الساعة الرابعة زوالا، يوم: 2011/03/04م.

*– ينظر: مضمون هذه الأساطير في الملحق رقم: (01)، ص 265 ــ 269 .

[2]– المخبرة: مليكة: السابقة الذكر.

ڤـْشَوْرْپـِـيعْ إِدْرْيَّ فَشُو أُذِتِمَثَانِي»[1] أي: «كان بعض أجدادنا يتمتمون بكلام غير مفهوم أثناء الطقس الربيعي، لا يريدون تعليمنا إيّاه، لأنّنا كنا صغارا، ومنذ تلك الفترة أخذنا هذا الدرس فأصبحنا نعلم أبناءنا كلّ ما نعرفه عن الطقس لكي لا يندثر».

ولعلّ هذا ما جعلنا نطرح أسئلة دون العثور على إجابة كافية تشفي الغليل، فهم يجهلون بعض التفاصيل المتعلقة بالربيع، أو ربّما لا يريدون إخبارنا بها، إذ التقينا في مجتمع البحث على الكثير من المخبرات – ولاسيّما الجدّات– يتحفظن بعض الشيء. إذ لا يردن إخبارنا المعلومات العميقة للطقس، فهن يكتفين فقط بذكر المعلومات السطحية. وربّما يعود ذلك إلى عدم معرفتهن الإجابة الدقيقة، أو احتمال تحريمه من قِبل الإسلام. وهذا ما سنحاول معرفته في العنصر الآتي.

[1]– المخبرة: د. ب: 75 سنة، السابقة الذكر.

5 ـــ موقف بعض رجال الدين من طقس استقبال الربيع (شَوْرْپِــيعْ)

استغلنا أيّام أداء شعائر الطقس الربيعي الذي بدأ من أوائل أيّام شهر مارس – سنة 2011م– واستمر إلى غاية أواخره، فقمنا بطرح سؤال حوله على بعض أئمة الدين في منطقة "خراطة". وقد كان فحوى هذا السؤال كالتّالي:

ماهو رأيّكم الديني حول الاحتفال بطقس استقبال الربيع (شَوْرْپِــيعْ) الذي يمارس في هذه الأيّام في مختلف قرى منطقة "خراطة"؟

يجيبنا إمام منطقة (أجيون) عن هذا السؤال كالتّالي[1]:

«إنّ القيام بما يسمى بـ: (شَوْرْپِــيعْ) هو من العادات والأعراف المنتشرة في منطقة القبائل عموما، وفي منطقة خراطة (بجاية) خصوصا. وحكمه في الشرع له تفصيل، لماذا؟ لأن هذه العادة وهذا العرف داخل تحت الأعراف، والأصل في الأعراف وعادات النّاس في الشرع الإباحة، كما قال ابن ناصر السعدي:

والأصل في عاداتنا الإباحة   حتى يجيء صارف الإباحة

إذن فالأصل في العادات الإباحة، وهي قاعدة من القواعد الفقهية، لكن هذه العادة قد تلحق بالمحرم وقد تبقى على أصلها. فتلحق بالمحرم إذا كانت مشوبة بالحرام، أو كانت تقليدا للكفار من اليهود والنصارى، فإذا كان هذا العيد مثلا تقليد لليهود والنصارى فيلحق بالمحرم، لماذا؟ لأنّنا مأمورون بمخالفتهم.

كذلك ما يلحقها بالحرام أن يقام هذا الطقس، أو هذه العادة في مكان تقام فيه أعياد شركية عند ضريح مثلا، يستغيث النّاس به، لأنّ النبي (ص) لما سأله أحد الصحابة أن عليه نذرا فقال: إنّي نذرت أن أذبح إبلا ببوانة (مكان من الأمكنة)، فقال له النبي (ص): هل فيه صنم؟ قال: لا، قال: هل فيه عيد من أعياد الجاهلية؟ قال: لا، فقال له: أوف بنذرك، أو كما جاء في الحديث. فلو أخبره أنّ ذلك المكان كان فيه صنم أو عيد من أعياد المشركين لنهاه، لكن لمّا انتفى ذلك، أمره أن يوفي بنذره.

---

[1]– مقابلة مع: عيسى (؟) المدعو شيخ عيسى: إمام مسجد "عقبة بن نافع" بأجيون، وأستاذ طلاب الزاوية، على الساعة العاشرة صباحا، يوم: 2011/03/05م، بلدية: "ذراع القائد".

إذن، فالاحتفال بالطقس هو عادة مباحة إلا إذا كان تقليدا للكفار، أو تقام في مكان فيه ضريح أو مقام شركي أو مكان فيه عيد من أعياد الجاهلية، والقَيْدَيْن الأخيرين "ضريح* أو عيد من أعياد الجاهلية" منفيان. فيبقى لنا أن ننظر في أصل هذا العيد، فإن كان تقليدا للكفار حرم وإلا بقي على أصله، والله أعلم»

فهذا الإمام إذن يرى بأن الطقس الربيعي (شَوْرْپِــيعْ) الذي يمارس في مجتمع البحث مباح بشرط ألاّ يكون تقليدا للكفار. وقد أجاب أغلب أئمة الدين في المنطقة بالمثل.

إن المتأمل في طقس استقبال الربيع (شَوْرْپِــيعْ) يرى بأنّه طقس يضم بين دفتيه المزايا والعيوب فمن مزاياه مثلا أنّه فرصة للتعاون واتّحاد أفراد المجتمع، وما الأطباق الربيعية المتبادلة بينهم إلا خير دليل على ذلك، وهو طقس يجعل المنافسة قوية بين الأمهات والأطفال فالأمهات يتفانين أكثر في الأعمال المنزلية، أما الأطفال فتشتد لديهم رغبة المنافسة في طلب العلم ولاسيّما وأن أكثرهم يستغلون الفرصة ويفتخرون بعلاماتهم أمام زملائهم عند التقائهم في المروج الخضراء... أما عن سلبياته أنّه يسبب الشجار بين الأطفال والكبار، ومن ثم سيادة الاضطراب وفساد علاقات أفراد المجتمع. كما أنّنا نلاحظ فيه نوع من الاختلاط بين الرجال والنساء، أضف إلى ذلك أن بعض أطفال الأغنياء يتباهون بملابسهم الجديدة وبقفتهم المملوءة بشتى أنواع المأكولات أمام أبناء الفقراء... ناهيك عن ثرثرة بعض الجدّات والأمهات عند اجتماعهن في الحقول، إذ يخضن في حديث النّاس، فهن يرتكبن في يومين ذنوبا كثيرة لا يرتكبنها طوال السنة وهلمّ جرّا.

فطقس استقبال الربيع إذن طقس ذو حدين، له مزايا وعيوب، والشيء الملاحظ أنه يمكن التغلب على بعض عيوبه، فمثلا فيما يتعلق بالغنى والفقر فيمكن تقسيم المستلزمات ومختلف المأكولات بالتساوي كما تفعل بعض الأسر، كما أنّه على النساء حفظ الأسرار وتجنب حديث الغيب... إذ يمكن لهن الحديث عن أمور أخرى لا تمس سوء أحد. بهذا يكون طقس الربيع من الطقوس التي تدخل البهجة إلى قلوب الناس، فتخفف من معاناتهم وآلامهم، وتجعلهم يدركون قيمة التعاون والاتحاد بين أفراد المجتمع.

---

*– ربّما لهذا السبب بقي طقس الربيع يمارس في المنطقة في الريف والمدينة على حد سواء، عكس طقس الاستسقاء "أنزار" الذي اندثر تماما في المدينة، وقلت ممارسته في الأرياف، لأنّه يقام في بعض القرى أمام ضريح الأولياء.

6 ـ الخلفيات الأسطورية لطقس استقبال الربيع (شَوْرْپِـيعْ)

يرى ماجد عبد الله الشمس أنّه لكي تكون الأسطورة مقبولة لدى عامة النّاس، فإنّه ينبغي توفر شرطين أساسيين هما[1]:

1 ـ أن تستوعب السالف من المعتقد الذي يضمّ خبرات ومشاعر امتدت لآلاف السنين وبعبارة أخرى أن تتضمن استمرار القديم في الجديد؛

2 ـ أن يسقط واضعها ذات الإنسان لتمثل الحدث.

إنّ هذين الشرطين متوفرين في طقس الربيع (شَوْرْپِـيعْ) الذي لا يزال يحمل بذورا قديمة رغم كلّ المغريات الحديثة، وهي توحي إلى ما كان سائدا في زمن البدء، زمن المجتمع العشتاري. فتصرف النساء بكلّ حرية دون مراقبة أو سلطة أبوية أثناء أداء شعائر الطقس، يعيد إحياء المجتمع الأوّل الأمي النسب، أين كانت السلطة والنسب والإقامة للأم، إذ يسمح للنساء بالخروج إلى المروج الخضراء على غرار الأيّام الأخرى، كما أنهن يقمن ويترأسن جميع مراحل الطقس، فحتى نزع النبتة قديما من البراري كان من قِبل الجانب الأنثوي.

تقوم نساء المنطقة أثناء ممارسة طقس الربيع (شَوْرْپِـيعْ) بإحياء ذكرى المجتمع الأمي العشتاري فمجتمع عشتار كان أميّ النسب، بل النسب الأميّ يعود إلى ما قبل عشتار، إلى عهد الكهوف فمن «يمعن النظر في أسطورة تموز وعشتار يرى أنّها تؤكد شخصية المرأة التي تحتل الركن الأساس في الحدث، بل إنّها تسوق من تحبّ إلى عالم الأهوال... إن ما يمكن قوله ببساطة هو إننا نرى في شخصية عشتار امتدادا لعهد كانت المرأة فيه تتمتع بمنزلة مرموقة اعتبارا من عهود الكهوف وعهود العصر الحجري الحديث... إنّ ما تخبرنا به التنقيبات هو أن الدمى الأنثوية، دون الرجالية، هي التي قدسها الإنسان وتقرب إليها منذ عهد الكهوف»[2] هذا من جهة، ومن جهة أخرى نجد أن للطقس بذورا ميثولوجية توحي إلى الخصب، ذلك أنّ «الغاية من طقوس الربيع هي لإخصاب الطبيعة ضمن منطق السحر الانجذابي أو التعاطفي عن طريق مبدأ

---

[1]– ماجد عبد الله الشمس: الحضارة والميثولوجا في العراق القديم، بحوث ودراسات، الأسطورة – أصل النوروز – البستنة، ط1، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، دمشق، سورية، 2003، ص29.

[2]– م. ن، ص26.

المحاكاة»[1]، فطقس الربيع إذن، الذي يمارس في المنطقة من خلال النبات له علاقة بأدونيس. ولعلّ صلة أدونيس بالنبات تتمثل أوّلا في كونه ولد من شجرة المر التي كانت امرأة تدعى (مرة) وقد تحوّلت إلى شجرة بعد حبلها بالجنين، وثانيا إنّه كان يعيش نصف السنة أو ثلثها في العالم السفلي والنصف المتبقي في العالم العلوي[2]. فأدونيس يجدّد نفسه كما تتجدّد الطبيعة فوجوده في العالم السفلي هو قيام لفصل الشتاء، وبعثه من العالم السفلي هو تجديد للربيع وموت للشتاء، وهكذا دواليك، ذلك أن «الطبيعة يجب أن تجدد نفسها بالموت والانبعاث إلى حياة غضة جديدة مقتفية إثر أول حادثة موت وانبعاث على المستوى الميثولوجي، وهي حادثة موت وقيامة الإله دموزي»[3].

وقد كثرت أساطير الخصب التي توحي إلى عودة الحياة إلى الطبيعة، مثل أسطورة سيريس وپروسيرپينا. وملخصها أن قوس كيوبيد أصاب قلب پلوتو بأمر من أمه فينوس، لكي يمتد سلطانها إلى العالم السفلي، وبينما كانت ابنة سيريس پروسيرپينا المرحة تقطف أزهار البنفسج والسوسن مع رفيقاتها حتى وقع عليها بصر إله العالم السفلي پلوتو، فيقع في غرامها إذ رأى بأن جمالها الوضاء هو القادر على بعث الحياة في مملكته الخامدة، فاختطفها وأخذها عنوة رغم صراخها وتوسلاتها.

فتسللت الهموم والأحزان إلى أمها سيريس – التي كانت أوّل من حرث الأرض وزرعها بالقمح ومختلف الغلات – وهي تجوب الأرض باحثة عنها، وعندما أضناها التعب دون جدوى أخذت تلعن الأرض وتصفها بنكران الجميل، فأخذت تحطم المحاريث بيديها، وقضت على الفلاحين والثيران العاملة في الحقول بالهلاك بالطاعون، وأمرت الحقول بإفساد ما غرس فيها من بذور، فلم يعد ينمو فيها نبات ولا زرع، فأصبحت الأرض جدبة قاحلة جرداء بعدما كانت مخصبة خضراء. فخيبت آمال الناس وهلكت المحصولات.

ومن أعماق البركة برز وجه "آريثوزا" فأخبرت سيريس بحقيقة ابنتها. وما إن سمعت كلامها حتى انطلقت إلى الإله چوپيتر متوسلة إيّاه، ليعيد إليها حبيبتها پروسيرپينا من العالم السفلي، فأجابها چوپيتر أنه من السهل استعادتها إذا لم تتذوق طعامه.

---

[1]– ماجد عبد الله الشمس: الحضارة والميثولوجيا في العراق القديم، ص57.

[2]– ينظر: جيمس فريزر: أدونيس أو تموز، ص156.

[3]– فراس السوّاح: الأسطورة والمعنى، ص165.

غير أن الأقدار لم تسمح لسيريس باستعادة ابنتها، لأنّها كانت قد تذوقت سبع حبات من رمانة العالم السفلي عندما كانت تتجول في حدائقه، فحال ذلك بينها وبين العودة إلى الأرض. لكن سرعان ما تدخل الإله چوپيتر ليحكم بين أخيه وشقيقته الحزينة، إذ قسم العام إلى قسمين متساويين حتى تستطيع پروسيرپينا أن تقيم مع أمها ذلك العدد من الشهور التي تقضيها مع زوجها پلوتو، فتبدل وجه أمها فرحا بعودتها[1]، وبعودتها اخضرت الأرض والأشجار وازهر الزرع وعاد اخضرار الأرض إلى سابق عهده. فبعث پروسيرپينا من العالم السفلي هو عودة للربيع مجددا، وبهبوطها للعالم المظلم ينتهي فصل النبات ويحلّ محله فصل الأمطار «إذ ليس ثمة مظهر من مظاهر الطبيعة السنوية يوحي وحيا صريحا بفكرة الموت والبعث، كالذي يوحيه اختفاء النبت وعودته إلى الظهور في الخريف والربيع»[2].

ظهر طقس الربيع (شَوَرْپِـيعْ) إذن في سياق تاريخي قديم، حيث كان الأجداد يمارسونه من أجل استرضاء قوى الخصب، ولكن بعد مجيء الإسلام قام أهل المنطقة بتهذيبه حتى يستجيب لمتطلبات الإسلام السامية، حيث أدخلوا إليه عناصر إسلامية نابعة من الدين، وخير مثال على ذلك تلك الدعوات والابتهالات التي يرددونها أثناء الطقس، وحتى أغنيتهم الفولكلورية نجد أن بعض مقاطعها مستوحاة من الدين الإسلامي. لكن حتى وإن كان الطقس حداثيا، وابتعد عن الممارسات القديمة بفعل مختلف السلطات إلا أنّه سيظل يوحي في بعض أجزائه إلى تلك الممارسات، فالخيط بينهما غليظ لا يمكن قطعه نهائيا، لأنّه عندما «تكبت الرموز السارية في ثقافة ما بفعل سلطة روحية أو سياسية طاغية، فإنّ هذه الرموز لا تخمد ولا تموت، بل تحاول التعبير عن نفسها بطرق باطنية سرية شتى، فتتبدى في أشكال جديدة هي أبعد ما تكون عن أشكالها الأصلية القديمة مع محافظتها على طاقتها الإيحائية المتدفقة»[3].

---

[1]– ينظر: أوفيد: مسخ الكائنات، ص 123 ــ127.

[2]– جيمس فريزر: أدونيس أو تموز، ص156.

[3]– فراس السوّاح: لغز عشتار، ص340.

7 ـ الرموز الاثنولوجية لطقس استقبال الربيع (شَوْرْپِـيعْ)

إنّ من يدقق النظر في طقس استقبال الربيع (شَوْرْپِـيعْ)، يجد أنّه من الطقوس الثرية يحمل رموزا ضمنية كثيرة تنتظر من يفكها ويحلّلها، وعليه سنحاول مساءلة البعض منها والبحث عن دلالاته المختلفة من أجل استنباط الرؤية التي ينطوي عليها:

أوّلا / يوم الجمعة

يحظى يوم الجمعة بمكانة بارزة عند العرب، على غرار الأيّام الأخرى، فهو اليوم المفضل والمقدّس عندهم. وقد سمت العرب القدماء، عرب جرهم الأولى والعرب العاربة من بني قحطان يوم الجمعة بـ: "عروبة" ومعناه البيّن، وقد كان هذا اليوم في الجاهلية يوما معظما، أمّا في الإسلام فقد سمي هذا اليوم بـ: "الجمعة" ومعناها المجموع والاجتماع والجمع[1]، وقد اختلف في سبب تسميتها فقيل: «لاجتماع الخلق فيه... وقيل لاجتماع النّاس للصلاة فيه... وقيل إنّما سميت بذلك في الإسلام وذلك أنّ الأنصار قالوا: إنّ لليهود يوما يجتمعون فيه بعد كلّ ستة أيّام وللنصارى كذلك فَهَلُمُّوا نجعل لنا يوما نجتمع فيه نذكر الله تعالى ونصلي، فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الأحد للنصارى فاجعلوا يوم العروبة لنا،... فأنزل الله تعالى سورة الجمعة»[2] وذكر فيها يوم الجمعة لعظمته، يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاَةِ مِنْ يَّوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوا إِلَى ذِكْرِ اللهِ وَذَرُوا البَيْعَ ذَلِكُم خَيْرٌ لَّكُمُ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[3]، وفي يوم الجمعة خلق آدم، فهو «اليوم الذي أتم الله فيه خلق العالم، وأوجد فيه أبا البشر آدم (عليه السلام) وفيه قبض، وفيه يكون النفخ في الصور وفيه الصعق، وفيه الساعة التي لا يصادفها عبد مسلم يسأل الله فيها حاجة إلا قضاها له»[4]. هذا عند العرب.

أمّا عند الأوربيين «فقد كان هذا اليوم لدى الشعوب الأوروبية مكرسا للإلهة Frigg إلهة الحب عند الشعوب الاسكندنافية، فأطلقوا عليه في اللغة السكسونية القديمة Frigedaeg أو

---

[1]– ينظر: شحادة الخورى: قصة الأيّام، الشهور، الأرقام، وتسمياتها، ط1، دار الطليعة الجديدة، دمشق، سورية، 2001، ص19 ـ 30.

[2]– أبي العباس أحمد بن علي القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تح: مركز تحقيق التراث، ج2، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1985، ص 363.

[3]– سورة الجمعة، الآية 9.

[4]– شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ص150.

Frigg’s day ومن هذه التسمية جاء اسم Friday في اللغة الانجليزية وفي اللغة الألمانية Freitag. أما اللاتين فقد سموا هذا اليوم Veneris dies على اسم الإلهة Venus أيّ الزُّهرة وهي إلهة الجمال عندهم، وقد اشتقت من هذه التسمية تسمياته في اللغات اللاتينية الأصل: بالفرنسية Vendredi وبالايطالية Venerdi وبالاسبانية Viernes»[1].

أمّا في مجتمع البحث فيعدّ هذا اليوم من الأيّام المباركة، إذ يحظى باحترام وخشوع كبيرين، فهو يوم مقدّس عند الجميع وأحسن الأيّام عندهم عن سائر الأيّام الأخرى، ففيه كما يقولون تنزل الملائكة من السماء وتنتشر في بقاع الأرض، تسبح مع السابحين وتشكر الله، فمن صلى قبلت صلاته ومن دعا بشيء أستجيب له. وفيه يجتمع المسلمون في جميع أنحاء العالم داخل المساجد يذكرون الله ويسبحونه ويرجون الغفران والجنة من المولى عز وجل، وفيه يناقشون بعض المسائل الدينية وهلمّ جرّا.

وتمارس عدة أمور يوم الجمعة في المنطقة، فهو أفضل يوم للاستحمام، وأفضل الأيّام لتلاوة القرآن الكريم وقراءة سيرة الرسول (ص) ومحاسبة النفس، وهو عندهم أحسن يوم لخطبة فتاة وإقامة حفلة الزواج، فعن جعفر الصادق رضي الله عنه قال: «أن الأنبياء عليهم السلام كانت تنكح وتخطب يوم الجمعة»[2] وهو يوم عطلة للإنسان، ففيه يرتاح من أعباء الحياة الثقيلة وينسى هموم الدنيا، وفيه يجدّد قواه لمزاولة الأعمال التي تنتظره، وهو اليوم المفضل لزيارة الأموات والأولياء الصالحين والأهل والأحباب والمرضى والتصدق على الفقراء.

إنّ من ولد في يوم الجمعة سيكون مباركا أينما حلّ طول حياته، وستغدق عليه النعم المختلفة وسيكون كما يعتقدون ولدا صالحا محبا للخير، مطيعا الله ورسوله (ص)، لهذا يفضلون تسمية من ولد في مثل هذا اليوم "لْجَمْعِي" نسبة إلى يوم الجمعة، ومن توفي أيضا كما يقولون في هذا اليوم سيغفر الله ذنوبه ويسكنه جنة النعيم.

نظرا لقيمة يوم الجمعة، فقد جعله أغلب أهالي المنطقة اليوم المفضل لإقامة طقس الربيع (شَوَرْپِيعْ)، ليأتي بالثمار المرجوة، فهو اليوم الذي تجتمع فيه كلّ المزايا، تقول رشيدة: «نْخْدْمْ شَوَرْپِيعْ نْهَارْ لْجَمْعَة، فَشِي أَدِسْتَاچِپْ رَبِّ إِدْعَوِيتْنْغْ، أُتْرْنِي إِخْدَامْنْ أُخْدْمْنَانِي، أَرَّاشْ

---

[1] – شحادة الخوري: قصة الأيّام، الشهور، الأرقام وتسمياتها، ص31.

[2] – أبي العباس أحمد بن علي القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ص367.

أُنْقْرَنَانِي فَشُوا أَنْحْطْرْنْ أُكْلْ»[1]، أي: «نمارس طقس الربيع يوم الجمعة، لكي يستجيب الله لدعواتنا، كما أن العمال لا يعملون والتلاميذ لا يدرسون لكي يتسنى للجميع المشاركة» فالجمعة إذن رمز للخير والبركة واستجابة الدعوات.

ثانيا / الأعداد الزوجية والعدد الفردي ثلاثة

احتلت الأعداد الزوجية مكانة مهمة في نفوس أهالي المنطقة نظرا لقيمتها، وورودها تقريبا في جميع مظاهر الحياة، وتسمى بلهجة المنطقة "ثـِـچـْـوَاجْ"، وعكسها هو الأعداد الفردية التي يطلق عليها باللّهجة المحليّة "لُوكْرِيدْ".

تُختار البيوض بعناية فائقة من قِبل الجدّة أو الأم عند غياب الجدّة، إذ يشترط أن يكون عددها زوجيا لا عددا فرديا، إذ تضع لكلّ فرد من العائلة بيضتان أو أربع بيضات إلى غير ذلك، حسب الإمكانات المادية لكلّ أسرة، المهم في ذلك هو أن يكون العدد زوجيا "ثـِـچـْـوَاجْ" لا عددا فرديا "لُوكْرِيدْ" فهم يتجنبون هذا الأخير في عدد البيض قدر المستطاع كالعدد واحد ثلاثة، أو خمسة إلى غير ذلك. وإذا حدث وأن أخطأت الجدة في الحساب أو نسيت فوضعت عددا فرديا، فإنّها إمّا أن تضيف بيضة واحدة لذلك العدد الفردي فيصبح عددا زوجيا، أو أن تترك العدد كما هو فردي حتى ينضج كلّ شيء فتعطي للجميع عددا زوجيا وتحتفظ لنفسها بذلك العدد الفردي، تفاديا للأضرار التي قد تنتج عن أكلها – كما يعتقدون– من قِبل الأبناء، كعدم الطاعة وعدم المسؤولية وتأخر زواج الفتيات وهلمّ جرّا.

كما أنّ الأجداد في قديم الزمان كانوا يرسمون خطا في وسط البيضة المعدة للطقس فتصبح مقسمة إلى نصفين وهو عدد زوجي، فهم حتى وإن أضافوا خطا من رأس البيضة إلى آخرها، فإنّها تصبح مقسمة إلى أربعة أجزاء وهو عدد زوجي أيضا*. ومن الظواهر الملحوظة أيضا أن بعض الأسر في قديم الزمان تضع عددا زوجيا من جذور نبتة أَدْرْڤـِيسْ "بونافع" (Thapsia) ويحترم هذا العدد في الأعراس أيضا، إذ يشترط من أهل العريس (إِقْفَافْنْ) الذين يأتون إلى بيت العروس في الليّل أن يكون عددهم زوجيا، والشيء نفسه نجده عند أهل العروس (إِتْبَاعْنْ) الذين سيذهبون معها في الصباح. فالعدد الزوجي مهم في مجتمع الدّراسة، تقول

---

[1]– المخبرة: رشيدة نوالي: السابقة الذكر.

*– ينظر هذا الشكل في الفصل الأول، المبحث الثاني، ص 92.

المخبرة صليحة في هذا المضمار: «ڤْتَاوِيدْ ثـِچـْوَاچْ رْپـْـحْ ذْلْهْنّى، مَتشِي أَمْلُوكْرِيدْ إِتَوِيدْ لْفْقْرْ ذْلْهْمْ»[1]، أي: «تجلب الأعداد الزوجية الربح والهناء، عكس الأعداد الفردية التي تجلب معها الفقر والهم» ويعني هذا القول، إنّ الأعداد الزوجية رمز للثراء والسمو والسعادة، عكس الأعداد الفردية التي هي رمز للفقر المدقع، وضنك العيش والهموم، لهذا يحبّذون الأعداد الزوجية أثناء أداء طقس الربيع الأسطوري الذي يهدف إلى الخصب والثراء.

والمتأمل في هذا الكون الفسيح، يدرك مدى أهمية الأعداد الزوجية، فهي كثيرة لا تعدّ ولا تحصى منها:

ـــ خلق الله الكون في ستة أيّام، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اِسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾[2]؛

ـــ عدد الشهور في السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم، يقول تعالى في محكم التنزيل: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اِثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾[3]؛

ـــ وللشهر أربعة أسابيع، ولليوم أربعة وعشرون ساعة...؛

ـــ يشكل أغلب أعضاء جسم الإنسان عددا زوجيا: اليدان والرجلان والعينان والأذنان والثديان والرئتان وعدد الأصابع عشرة... ؛

ـــ أربعة فصول في السنة "الشتاء والربيع والصيف والخريف"؛

ـــ للبيت أربع زوايا؛

ـــ الاتجاهات أربعة "الشمال والجنوب والشرق والغرب"؛

---

[1]– المخبرة: صليحة بن حدة: السابقة الذكر.

[2]– سورة الأعراف، الآية 54.

[3]– سورة التوبة، الآية 36.

ــ بعد أن صنع "إنكي" مخلوقين، أعطى لهما طعام الحياة وشراب الحياة، فقاما بنثر ماء الحياة على الآلهة "عشتار" ستين مرة، ومن طعام الحياة ستين مرة[1]؛

ــ وقد كان العراقيون يحتفلون بعيد بعث "تموز" مدة اثنا عشر يوما[2]؛

من هنا ندرك بوضوح وجلاء الأهمية التي تكتسيها الأعداد الزوجية. ولكن رغم تفضيل مجتمع البحث الأعداد الزوجية، إلا أنّنا نجد أن للعدد الفردي "ثلاثة"[*]حضورا مهما في طقس الربيع (شَوْرِپــِيعْ) على غرار الأعداد الفردية الأخرى، فالنبتة (أَذْرْڤــِيسْ) بونافع التي تنزع من البراري تغسل ثلاث مرات في اللّيل، والطقس قديما كان يستمر لثلاثة أيّام على التّوالي. ومن حلف في المنطقة ثلاث مرات نجده لن يتراجع أبدا عن يمينه، وإذا حدث وأن تراجع فعليه بصيام ثلاثة أيّام متتاليّة، استنادا إلى قوله تعالى:﴿فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمُ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾[3]، ومن كذب عليهم ثلاث مرات، يعتبر إنسانا خائنا كاذبا، لن يصدقه أحد حتى وإن كان ما سيقوله في المرة القادمة حقيقة، ومدة الحزن على الميّت ثلاثة أيّام، ومدة الضيف ثلاثة أيّام، وإذا زاد أكثر من ذلك سيعامل معاملة أفراد العائلة وهلمّ جرّا.

ويعتقد العديد من النّاس أنّ هذا الرقم يحمل حظوظا سعيدة للأسباب التاليّة[4]:

ــ الأقدار ثلاثة (ثلاثة رموز تتحكم بمصير البشر: كلاذو تنسج خيوط الحياة، ولاشيسيس تقرر طولها، واتروبوس تقطعها)؛

ــ الأرواح المنتقمة الثلاث (وهي ثلاثة رموز تنتقم للجرائم غير المعاقبة، وهي: الكيتو وميجايرا، ويسيفون)؛

ــ ورموز الحسن الثلاثة: مانحات الأمل والإيمان والمحبة.

---

[1]- ينظر: فراس السوّاح: لغز عشتار، ص 69.

[2]- ماجد عبد الله شمس: الحضارة والميثولوجيا في العراق القديم، ص43.

[*]- يرى شحادة الخوري، إن أصل كلمة ثلاثة يعود إلى اللّغة العربية القديمة السامية، ويقابلها في اللغة السريانية كلمة تلوثو، ويفيد ربّما جذر هذه اللفظة الكثرة، ويسمى هذا العدد في اللغة اللاتينية Tree ...وفي اللغة الايطالية Tre... ينظر: شحادة الخوري: قصة الأيّام، الشهور، الأرقام وتسمياتها، ص148.

[3]- سورة المائدة، الآية 89.

[4]- سمير شيخاني: الخرافات هل تؤمن؟ ط2، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1988، ص29.

ـــ ممالك الطبيعة الثلاث: مملكة الحيوان ومملكة المعادن ومملكة النبات.

وقد كان عيد الربيع السنوي البابلي يستمر لمدة ثلاثة أيّام[1]، دون أن ننسى أنّه قد كثرت القصص حول العدد ثلاثة منها: "قصة الثلاثة الذين أووا إلى الغار فانطبق عليهم" فتوسلوا إلى الله بأعمالهم الصالحة بأن ينزاح الصخرة التي انطبقت عليهم، وهم داخل الغار، فاستجاب الله لدعوتهم، فخرجوا سالمين. كما نجد أيضا قصة "خبر الثلاثة الأعمى والأبرص والأقرع" الذين ابتلاهم الله فرزقهم ثروة طائلة "الناقة والبقر والغنم" وأعطى للأبرص لونا حسنا وجلدا حسنا وللأقرع شعرا حسنا، وأرجع للأعمى نور بصره... وبعد ذلك جاءهم الملك حسب صورة كلّ منهم يطلب صدقة تسد رمق جوعه، رفض كلّ من الأبرص والأقرع واستجاب الأعمى لإغاثته فأعطاه مما رزق، فقال له: أمسك مالك، فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك[2].

وورد ذكر العدد ثلاثة في القرآن الكريم في أكثر من موضع، يقول تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزًا﴾[3] وفي آية أخرى يقول: ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾[4] ويعني الرقم ثلاثة «في ديانة الشنتو الحظ الطيب وهو رقم محبب للآلهة فتستجيب للدعوات»[5]. فالرقم ثلاثة إذن يدل على الحظ الطيّب «وحتى المسيح نفسه يقسم إلى حد ما إلى ثلاثة مصلوبين، فالسارقان المصلوبان عن يمينه ويساره يشاركانه آلامه يمثلان البداية والنهاية اللتين يشكل المسيح الصلة بينهما. إن الثالوث المسيحي والمواري الإغريقيات [آلهة الولادة والحياة والموت] وغيرها تبدو وكأنّها تحافظ في مضمونها العددي على رواسب قمرية واضحة»[6]، ويعني هذا القول، إنّ العدد ثلاثة هو عدد الثالوث المسيحي وآلهة الولادة والحياة والموت، وهي رموز لها علاقة بالقمر الذي يرسم على فطيرة طقس الربيع. وهذا ما سنتعرف إليه في العنصر التّالي.

---

[1]– ينظر: فراس السوّاح: لغز عشتار، ص299.

[2]– ينظر: أبى الفداء إسماعيل بن كثير: البداية والنهاية، ص164 ــ 165.

[3]– سورة آل عمران، الآية 41.

[4]– سورة هود، الآية65.

[5]– عبد الفتاح محمد شبانة: اليابان، العادات والتقاليد وإدمان التفوق، د. ط، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، 1996، ص27.

[6]– جيلبير دوران: الأنتروبولوجيا، رموزها، أساطيرها، أنساقها، تر: مصباح الصمد، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1993، ص 266 ــ 267.

ثالثا / القمر والشمس

تعتبر الشمس والقمر عنصران مهمان للإنسان، فهما يحظيان بمكانة مهمة في تاريخ البشرية، ومرد ذلك كلّه يعود إلى فائدتهما العظيمة على سطح الأرض، فهما اللذان ينيران الدرب للبشرية، فالشمس ترسل أشعتها ونورها في الصباح، وبغيابها يحلّ القمر إذ يرسل نوره الخافت لإبعاد الوحشة عن الأرض ومواساة الإنسان الذي يخاف العيش في الظلام الدّامس.

إن القمر والشمس لم يرسما على فطيرة الربيع (أَغْرُومْ نْشَوْرْپِـيعْ) لمجرد الزخرفة والتزيّين وإنّما رسما لكونّهما يحملان رموزا كثيرة، تقول جميلة: «أَيُّورْ تَفُوكّـْثْ أُهَنْدْنْرْسِيمْ أولاَ إِلـْپـْهـَى، أَلَخَاطْرْ تْعَوَانْنْ رْپـْيعْ، لُوكّـَانْ مَتْشِي ذْنُهْنِي Jamais أَذِوقْ لْخِيرْ نْرْپِـيعْ»[1] أي: «القمر والشمس لم نرسمهما لمجرد التزيّين، بل لأنّهما يساعدان فصل الربيع فلولاهما ما نضج خير الربيع»، ويعني هذا القول، إنّ القمر والشمس يرمزان إلى الخصب وإلى مظاهر الطبيعة. ونجد أن بعض الجدّات والأمهات أثناء رسم القمر على فطيرة الربيع يسردن في الوقت نفسه أسطورة "المرأة في القمر"، وأسطورة "وجه القمر الإنساني"، ففي الأسطورة الأولى تصعد المرأة إلى القمر عقابا لممارستها للسحر وللجرائم التي ارتكبتها في حق ولديها، وفي الأسطورة الثانية تكون المرأة أيضا هي السبب في اختفاء ملامح وجه القمر المنيرة*.

وتعتقد بعض الأمهات في المنطقة أنّ من رأى من النساء في المنام قمرا، فإنّها إما أن تحيض أو أن تكون حاملا إذا كانت متزوجة، فالقمر إذن، هو رمز للأنوثة «فكان القمر بحق أنثى كونية عظمى، وكان هو ذاته الأم الكبرى والدة الكون والأرض والخصبة...»[2] وهذا يعني إنّ القمر رمز الأنوثة والخصب. فالقمر «هو كوكب إيقاعات الحياة، فهو يولد، ينمو، يتناقص يموت (خلال ثلاثة أيّام) ثم يعاود الولادة. رمزيته تمتد لكلّ ما يسيطر عليه أو يبدو أنّه مسيطرا عليه: المياه، المطر، النبات، الخصوبة، دورة الطمث النسوية، وأخيرا الوقت»[3] ويعني هذا

---

[1]– المخبرة: جميلة. ك: 40 سنة، مربية، أمية، على الساعة التاسعة والنصف ليلا، يوم: 2011/03/02م، قرية: "مرواحة"، بلدية: "خراطة".

*– ينظر الأساطير كاملة في الملحق رقم: (01)، ص 265 ــ 269.

[2]– فراس السوّاح: لغز عشتار، ص64.

[3]– فيليب سيرنج: الرموز في الفن – الأديان – الحياة، ص382.

الكلام، إنّ القمر رمز للموت والبعث. وليس هذا فحسب، فالقمر شريك للماء، وهو رمز التجدّد والتحوّل والنمو، ويعدّ أوّل حالة وفاة، وهو أداة قياس عالمية، إنّه يقيس الوقت والأسابيع والأشهر وفقا لدائرته الخاصة، وهو الذي يراقب عوامل الخصب والتنبيت[1]، فالقمر إذن رمز للخصب والنبات، وبما أنّه يراقب عوامل التنبيت فلا غرو بأن يرسم على فطيرة الربيع (أَغْرُومْ نْشَوْرْپِـيعْ) الذي هو فصل النبات والاخضرار، ذلك أن «القمر في كلّ مكان تقريبا موضوع تقدير كبير، فهو ينظم أو يبدو أنّه ينظم إيقاع الحياة وإيقاع النبات»[2].

ويرى فراس السوّاح أنّ القمر «يمر في ثلاثة أطوار منذ ظهوره في أوّل الشهر وحتى اختفائه تماما في آخره. الطور الأول هو الفترة التي يقضيها الهلال في التزايد التدريجي والتحول من خيط رفيع إلى قرص مكتمل. والطور الثاني هو فترة القمر البدر الذي يتوسط كبد السماء بكامل استدارته وتألقه. والطور الثالث هو الفترة التي يقضيها القمر في التناقص والميلان عن كبد السماء حتى التلاشي والغوص في أعماق الظلام. وقد اعتقد الأقدمون أن بركة القمر وخصائصه الايجابية إنّما تكمن في طوره المتزايد، طور اكتمال النور»[3]، وهذا يعني، إنّ القمر في طوره الثاني أحسن الطورين الآخرين – الأول والثالث– لأنّه يكون في كامل استدارته وربّما لهذا السبب يرسم القمر في مجتمع البحث قمرا مكتملا على فطيرة الربيع لتكون الخيرات كثيرة تسد جميع الاحتياجات. والقمر رمز للموت والانبعاث والتجدّد فالقمر «ليس هو أول ميت وحسب، بل هو أيضا أول ميت ينبعث. القمر هو إذن مقياس الزمن الأول ووعد صريح بالعودة الدائمة... فالقمر هو في آن واحد موت وتجدد، ظلمة ونور»[4].

وقد كان للقمر عباد، وهم طائفة من الهنود الذين يعتقدون أن القمر ملك من الملائكة حيث كانوا يسجدون له ويصومون النصف من كلّ شهر ولا يفطروا حتى يطلع القمر، ثم يحضرون مختلف الأطعمة إلى الصنم وينظرون إلى القمر ويطلبون حوائجهم منه، وإذا استهل

---

[1]- Voir: - Luc Benoist: Signes, symboles et mythes, p 61 .
- Jean Chevalier, Alain Gheerbrant: Dictionnaire des symboles, p 590 .

[2]– فيليب سيرنج: الرموز في الفن ــ الأديان ــ الحياة، ص138.

[3]– فراس السوّاح: لغز عشتار، ص85.

[4]– جيلبير دوران: الأنتروبولوجيا، رموزها، أساطيرها، أنساقها، ص272 ــ 273.

الشهر صعدوا إلى السطوح وأوقدوا الدُّخن ودعوا عند رؤيته، وبعدها ينزلون من ذلك السطح فيأكلون الطعام وكلّهم فرح...[1].

أمّا عن رسم الشمس على فطيرة الربيع فتقول الجدات، إنّه فصل الربيع، على الشمس أن تكون ساطعة لتساعد النباتات ومختلف الأشجار على النمو، تقول الرّاوية صليحة: «ثَفُوگـْـثْ ثْتَاكَدْ نُورْ، أُثْرْنِي ثْتْعَوَانْ لْحْشَاوْشْ نْرْبِــيعْ ڤـْـثـْـڤـْـعـْـمْرْثْ»[2]، أي: «الشمس تعطي النور كمّا أنّها تساعد نباتات الربيع على النمو»، فالشمس حسب هذا القول الحيّ هي رمز للنور والنمو والخصب. وهذا النور المشع منها هو المعرفة العقلية، فالشمس نفسها هي العقل الكوني فهي مثل القلب الذي هو موضع القدرة المعرفية، وهي تظهر كرمز للإحياء (البعث) والخلود وهي في علم التنجيم رمز للحياة والسخونة واليوم والنور والضوء[3].

أمّا طلاء الجزء الفارغ من الكسرة بمحّ البيض، فيرمز ذلك كما تقول أغلب الجدّات إلى الدفء وضياء الشمس المشرقة التي تغمر الكون، وهن يعتقدن أن من رأى شمسا في الرؤيا سيرى نورا وخيرا كثيرا في حياته، فالشمس بهذا المعنى تصبح رمزا للنور. وقد صنف جيلبير دوران رمزية الشمس ضمن الرموز النورانية، يقول في هذا الصدد: «الشمس، وبصورة خاصة الشمس الصاعدة أو المشرقة، تصبح بمظاهرها المختلفة، من الارتفاع والنور إلى الإشعاع والذهبي، الأقنوم الأمثل للقوى السماوية... ومهما يكن من أمر فإن الشمس تعني أولا النور، بل النور الأسمى»[4] وهذا يعني، إنّ الشمس رمز للنور.

وقد كانت «عبادة الشمس عالمية، كانت معبودة في مصر باسم أوزوريس*(Osiris) وبعل (Baal) عند الكلدانيين وميترا (Mithra) في بلاد الفرس وهيليوس (Hélios) في رودس وبعدها أصبحت أبولو (Apollon) عندما وصلت إلى بلاد اليونان قبل أن تعبد من قبل روما.

---

[1]– ينظر: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ص57.

[2]– المخبرة: صليحة بن حدة: السابقة الذكر، يوم: 2011/03/06م.

[3]- Voir: Jean Chevalier, Alain Gheerbrant: Dictionnaire des symboles, P 891- 892-894 .

[4]– جيلبير دوران: الأنتروبولوجيا، رموزها، أساطيرها، أنساقها، ص125 ــ 126.

*– كمّا ألّه المصريون أيضا إله الشمس (رع) وإله (أمون) الذي اتحد فيما بعد مع الإله (رع) مشكلا شخصية أمون – رع الذي أصبح ينظر إليه على أنه ملك الآلهة، ويمثل في الفن المصري بصورة إنسان له لحية يعلوه قرص شمس وتحيط به حية. ينظر: إمام عبد الفتاح إمام: معجم ديانات وأساطير العالم، مج1، مكتبة مدبولي، القاهرة، بيروت، د.ت، ص82.

وقد كانت تمثل العقل الكوني الذي يضيء، وبالتّالي يسود الأسرار الكونية»[1]، وقد عدّ فراعنة مصر القديمة أنفسهم أبناء للشمس، والشيء ذاته نجده عند الهنود الذين يعتبرون أنفسهم من سلالة الشمس والقمر، أمّا الأنكاد الأمريكيون فقد كانوا يكرمون الشمس ويقدمون لها الهدايا في أيام الاحتفالات وقد وصل بهم الأمر إلى تقديم قرابين بشرية لها، حيث كانوا يدفنون خمس مئة شاب وفتاة أحياء...[2].

وربّ سائل يتساءل في هذا المقام، عن سبب رسم القمر والشمس معا على فطيرة الربيع (أَغْرُومْ نْشَوْرْپِــيع)، فلماذا يرسمان معا؟

لعلّ ذلك يعود إلى التقارب والتكامل الموجود بينهما، تقول إحدى الرّاويات: «نْرْسْمِيهْنِيدْ لْوَاحِي، أَلْخَاطْرْ وَّى إِتْــگْــمِيلْ إِوَّى»[3]، أي: «نرسمهما معا، لأنّ هذا يكمل هذا»، فهما متكاملان، حيث نجدهما في الأساطير يشكلان «علاقات قرابة ما: إمّا أخ وأخته، أو زوج وزوجته، أو توأمان كإلهة القمر المصرية القديمة تفنوت وشو الذي عدّ أحد تجسيدات الشمس»[4] وقد كانت العرب تسجد للشمس والقمر معا، لهذا نهى الإسلام عن السجود لهما، يقول تعالى في محكم التنزيل:﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالقَمَرُ، لاَ تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلاَ لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا للهِ الذِي خَلَقَهُنَّ إنْ كُنْتُم إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[5]، وفي الجزائر «تتجلى عبادة إله القمر كعبادة إله الشمس من خلال بعض الشواهد الأثرية، كالتي وجدت في هضبة عين نمشة القريبة من قَــالمة، وكذا الحفرة المتواجدة بقسنطينة»[6] كمّا نجد أن للشمس والقمر ضياء ونورا، يقول الله تعالى: ﴿هُوَ الذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً والْقَمَرَ نُورًا﴾[7]، وفي آية أخرى يقول: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾[8]، ونظرا لقيمتهما فقد أتخذ كلّ منهما تقويما «فابتدأ التقويم قمريا في كلّ من وادي النيل وبلاد الرافدين، ثم مع نشوء الزراعة وتطورها تحول التقويم شمسيا، أو

---

[1] - Luc Benoist: Signes, Symboles et mythes, p 48.

[2]– م. ف ألبيديل: سحر الأساطير، ص160.

[3] – المخبرة: لعمرية بن عياش: السابق للذكر يوم: 2011/03/06م.

[4]– م. ف البيديل: م. س، ص156.

[5]– سورة فصّلت، الآية 37.

[6]– صافية قاسيمي: "أثر معتقدات البربر من خلال زخارف الحلي الفضية التقليدية"، ص14.

[7]– سورة يونس، الآية 5.

[8]– سورة نوح، الآية 16.

تم توفيقه مع التقويم الشمسي»[1]. والشمس تشبه القمر الذي يموت ويبعث حيّا كلّ مرة، وهما بدورهما يشبهان الربيع الذي يموت ثم يعود مجدّدا إلى الحياة، ومن ثم فلا عجب بأن يرسما مع بعضهما البعض على فطيرة الربيع (أَغْرُومْ نْشَوَرْپِـــيعْ) أو (ثِيرْطُونِينْ). فكلّ ما في الطقس يدل على البعث مجددا.

رابعا / الشجرة والدوائر

برزت الشجرة إلى الوجود منذ أن خلق آدم وحواء، منذ أن دبت الحياة البشرية على أديم الأرض، فهي التي تزود الإنسان بما يحتاجه في حياته اليومية، وتقيه من برد الشتاء القارس وحر الصيف اللّافح، وهي التي تعطي له ما تشتهيه نفسه من ثمار يانعة مختلفة الأشكال والأذواق، وحتى حلّتها الخضراء الربيعية تبهج النفس وتسعدها وتبعث فيها الأمل والطمأنينة.

إن الشجرة الخضراء رمز لانبعاث الحياة، فهي رمز لقدوم فصل الاخضرار وانبعاثه من جديد، لهذا نجدها ترسم في الكسرة الربيعية، وعندما سألنا إحدى الرّاويات عن سبب ذلك قالت لنا: «نْرْصَمْدْ ثَصْطَى قْـثْرْطُونْتْ نْشَوَرْپِـيعْ، أَلَخَاطْرْ نْتَاثْ إِنْدِتَاكْنْ كُولْشْ لُوزْ أَزْمُورْ تْفَاحْ لْمْشْمَاشْ... نْرْسْمِتِيدْ فَشِي أَنْتْفْكْ بْزَافْ لْفَاكِيَّة، أُثْرْنِي ذْرْپِـيعْ، كُولْشِي ذَخْضْرِي»[2] أي: «نرسم الشجرة على كسرة الربيع، لأنّها تعطي لنا كلّ شيء، اللّوز والزيتون والتفاح والمشمش... نرسمها لتعطي لنا الكثير من الفاكهة، كمّا أنّه فصل الربيع كلّ شيء أخضر اللّون» وهذا يعني إنّ الشجرة رمز لانبعاث الربيع مجددا، أي رمز لدورة الطبيعة «فالشجرة رمز الحياة في تطور دائم، فهي ترمز إلى دورة الطبيعة في التطور الكوني المتمثل في الموت والتجدد»[3]، فالربيع يموت ويحيا والشجرة تتجدّد بتجدّد الربيع.

ولعلّ كثرة فوائدها هو الذي جعلها مقدّسة عند بعض أفراد مجتمع البحث خصوصا، وعند معظم الشعوب عموما، فتقديس الإنسان «للأشجار والنباتات الأخرى هو موقف طبيعي، فهي تمثل قوى النماء في الطبيعة، لذا يجري الاعتقاد بأنّها تساعد المحاصيل على النمو والقطعان

[1]- شحادة الخوري: قصة الأيام، الشهور، الأرقام وتسمياتها، ص45.

[2]- المخبرة: علجية. ب: السابقة الذكر.

[3] - Jean Chevalier, Alain Gheerbrant: Dictionnaire des symboles, p 62.

على التكاثر والإنسان على التوالد»[1]، ويفهم من هذا القول، إنّ الشجرة رمز للخصب والنمو. ونجد أن أهالي المنطقة أثناء أداء شعائر الطقس الربيعي يجتمعون في المكان الذي تكثر فيه الأشجار، فالناظر إلى ذلك المكان يوحى إليه وكأنّه مركز للعالم «فكلّ مكان تم تقديسه بفعل المفارقة التي يحملها الطقس إنّما يتطابق مع مركز العالم تماما كما يتطابق زمان الممارسة الطقسية مع زمان البدايات الأسطوري»[2]، كما نجد أن بعض أفراد المجتمع يعتقدون أن للأشجار أرواحا تحرسها ترفض ارتكاب الذنوب والمعاصي وتعاقب فاعلها كالسقوط عليها وهو الاعتقاد نفسه نجده عند الكوريين الذين «رأوا في بعض الأشجار أرواحا – أسلافا: إذا ما تسلق طفل شجرة وسقط عنها. كانت والدته تقول إنّ روح الشجرة عاقبته»[3]، ومن رأى نفسه في المنام في المنطقة وهو يتسلق الشجرة، فإنّه سيسمو في حياته وسيعلو ويرتفع كما ارتفعت الشجرة، فالشجرة بهذا المعنى إذن تكون رمزا للسمو. و«تبدو الشجرة للوهلة الأولى داخلة ضمن بقية الرموز النباتية. فإزهارها وإثمارها وسقوط أوراقها تشكل دافعا للتأمل بالمصير المأساوي. ولكن التفاؤل الدوري يبدو عميقا في أنموذج الشجرة... الشجرة هي أولا مشاكلة للرمز الزراعي – القمري»[4] ويعني هذا الكلام، إنّ الشجرة رمز للنبات. ومن ثم فلا عجب بأن ترسم على فطيرة الربيع الذي هو فصل النباتات المختلفة.

وقد كانت الشجرة مقدّسة في عدة بلدان منها: «شجرة البلوط في بلاد الغال... وشجرة الزيتون في الإسلام والتين في الهند... فالشجرة الكونية المغروسة في منتصف الوجود... تربط الأرض بالسماء وعمودية الشجرة وخضرتها الدائمة أو المتجددة على المستويات الثلاثة: الجذور والجذع والأوراق تجمع علاقة العوالم: السماوي والهوائي والإعصاري (العاصفي)»[5] وقد «كان الكنعانيون يقدمون قرابينهم فوق الأكمات وتحت الأشجار الخضراء، وبابل كانت الشجرة مقر إله الخصب ومقر راحة الأم (الإلهة) إلهة التكاثر للماشية وللزراعة... أمّا لدى المصريين فقد كانت الشجرة حاملة الأذرع الإلهية والمسؤولة عن العطاء والخصب»[6]، يتبيّن لنا

---

[1]– فراس السوّاح: موسوعة تاريخ الأديان، الشعوب البدائية والعصر الحجري، الكتاب الأول، ط1، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، دمشق، سورية، 2003، ص27.

[2]– ميرسيا إيلياد: أسطورة العودة الأبدية، ص38.

[3]– م. ف ألبيديل: سحر الأساطير، ص137.

[4]– جيلبير دوران: الأنتروبولوجيا، رموزها، أساطيرها، أنساقها، ص 319.

[5] - Luc Benoist: Signes, Symboles et mythes, p53.

[6]– حسن نعمة: ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة، ص29.

من خلال هذا القول، إنّ الشجرة في أغلب البلدان هي شجرة الخصب والعطاء، ورغم اختلاف نوع الشجرة إلاّ أنّها تبقى دائما شجرة مقدّسة تحاط بمختلف الطقوس من قِبل أهلها.

ولكن السؤال المطروح هنا، لماذا ترسم الدوائر بالكأس بالتحديد، أو بسوار أو خاتم من الفضة – على شكل دوائر مختلفة الأحجام– في الآونة الأخيرة في مجتمع البحث؟ لأنّ الشكل الدائري يشير إلى شكل القمر المكتمل، تقول لعمرية: «نْرْسْمْدْ ثِيرْطُونِينْ نْرْبِــيعْ سْلْكَاسْ نِيغْ سْمُقْيَاسْ نْلْفْطَى، فَشُو أَتْرْڤْ أَمْوَيُّورْ إِكّــمْلْ»[1]، أي: «نرسم كسرة الربيع بوساطة كأس أو سوار من الفضة، لكي تكون كالقمر المكتمل» و«الرمز الأكثر عمومية للكأس هي الإناء الوافر الذي يجمع ماء السماء أو الحليب من ثدي الأم الذي يقارن هو الآخر بالكأس. أضف إلى ذلك إنّ بعض الثمار السمائية يمكن اعتبارها كؤوسا طبيعية تروي الظمأ كالقرع والبرتقال والبطيخ...»[2]، ولهذا رسموا الفطيرة الربيعية بوساطة كأس ليكون الربيع مملوءا بالفواكه والخيرات المختلفة، والمتأمل للشكل الدائري يوحى إليه وكأنّه سياج يستعمل للحماية والوقاية من مختلف الأضرار، وقد رسم رومولوس أثناء تأسيسه لمدينة روما «حلقة مقدسة حدد بها حدودا معلومة. واعتقدوا أن الآلهة سوف تحميها ولذلك يمكن أن تبنى المدينة في داخلها»[3] فالشكل الدائري إذن يمكن اعتباره رمزا للحماية.

كمّا أن الشكل الدائري يشير إلى شكل الأرض الذي هو كروي الشكل هذا من جهة، ومن جهة أخرى نجد أن «الدائرة والمربع كانا أكثر الرموز المكانية انتشارا، لقد عبرا عن الغاية من المكان الذي جرى تعيينه وأظهرا تمامه، ولذلك تخيلوا الأرض في غالب الأحيان كأسا مستديرة أو قرصا مسطحة»[4]، ولقد كثرت الأشياء الدائرية الشكل عند المجتمع الخراطي أثناء أداء الطقس الربيعي، فهم يشكلون حلقة أثناء نزع نبتة أَذْرْڤِــيسْ (Adergis) بونافع من البراري وحلقة أخرى أثناء الاجتماع على مائدة الربيع، وفي الحقول تجتمع النساء على شكل حلقات دائرية الشكل، وأثناء إعداد فطيرة الربيع (أَغْرُومْ نْشَوْرْبِــيعْ) تجلس الأم، وبناتها حولها ليتعلمن على شكل حلقة وهلمّ جرّا، فأغلب أعمال الطقس الربيعي تقام على شكل حلقات دائرية

---

[1]– المخبرة: لعمرية بن عياش: السابقة للذكر.

[2] - Luc Benoist: Signes, Symboles et mythes, p 62.

[3]– م. ف ألبيديل: سحر الأساطير، ص140.

[4]– م. ن، ص140 ــ 141.

وقد «تخيل النّاس بلادهم محاطة بدائرة سحرية ما تشكل مكانا مغلقا، وكان الحكام يدورون حولها (يحلقونها) وقت إقامة الطقوس الملكية الخاصة»[1].

وفي الأساطير نجد أن «الرمز الأسطوري للكأس هو كأس جرال (Graal) الذي جمع دم المسيح على الصليب وأصبح كأس كلّ القديسين وشبيها بجميع القلوب، وما تؤكده اللغة الهيروغلوفية عن القلب أنّه رسم على شكل كأس»[2] وهذا يعني، إنّ الكأس في الأساطير رمز لدم المسيح الذي جمع على الصليب.

خامسا / علامة (+)

تضع بعض الجدّات والأمهات قديما في مجتمع الدراسة علامة (+) في اليوم الأوّل من أداء الطقس الربيعي على الجبهة والوجنتين والفك، وهم يرسمونها بوساطة الرماد، قبل غسل نبتة أَذْرْقْـِيسْ (Adergis)، وقبل فتل الكسكس في اللّيل.

لم ترد هذه العلامة عبثا عندهم، فهي تحمل رموزا كثيرة، تقول إحدى المخبرات في هذا الشأن: «قْـرْسْمَيِّي نُكْنِّي، نلَّى قْـتْلْمَاسْتْ»[3]، أي: «في هذا الرسم، نحن متواجدون في الوسط» فالرسم إذن، يعني نقطة التقاء ومركز وجود المجتمع، فهو رمز للمركز. ووجودهم في الوسط حسب ما يفهم من قول المخبرة السابقة، إنّه رمز للحماية، فهم يعتقدون أن المكان الوسط محمي لن تصله الأضرار وهم يستعملون هذا الرسم في تزيّين الفخار باللّون الأسود، وفي وشم الوجه والذراع عند العجائز، ويوجد هذا الرسم أيضا في البيض المعد لأداء الطقس الربيعي قديما*.

وإذا دققنا النظر في هذا الرسم نجد أنّه يمثل الاتجاهات الأربعة (شمال وجنوب وشرق وغرب)، فهو إذن رمز للصليب، ذلك أنّ «الصليب موجه نحو أربعة نقاط أساسية، وهي رموز الاتجاهات... ويشير الفرع الأعلى للصليب إلى مقدار من الأمل نحو السماء، وعرض الصليب هو الحبّ الذي يمتد إلى الأعداء، وطول الصليب هو الثبات حتى النهاية»[4]، و«الخطان المتعامدان اللذان ترسمهما أقطار دائرة أو محور مربع ما يشكلان صليبا وهو الرمز الهندسي

---

[1]– م. ف ألبيديل: سحر الأساطير، ص141.

[2] - Luc Benoist: Signes, Symboles et mythes , p 62.

[3]– المخبرة: د. ب: السابقة الذكر. وهي تشير بإبهامها إلى وسط هذا الرسم (+).

*– ينظر: هذا الرسم في البيض، الفصل الأول، المبحث الثاني، ص 92.

[4] - Jean Chevalier, Alain Gheerbrant: Dictionnaire des symboles, p318- 319.

الأكثر عمومية، ففي كلّ التقاليد يمثل الصليب الإنسان العالمي الذي يتماثل مع آدم (Adam) وفي المستوى الأفقي يمثل الصليب امتداد الإنسان في كلّ اتجاهات كيانه»[1]، ويعني هذا القول إنّ هذه العلامة (+) هي علامة الصليب وهي رمز للإنسان. وقد كان بعض أفراد مجتمع البحث قديما يعلقون قلادة في رقبتهم تحمل رمز الصليب دون أن يفقهوا معناه ورموزه، ولكن مؤخرا غابت هذه القلادة نتيجة تنبيه أئمة الدين إلى رموزها غير الإسلامية. وعندما بحثنا عن سبب تعليقها في الرقبة، قالت لنا مليكة: «نْتْعْلِقِيتْ پـْـگـْـرْي فَشُو أَنـْـپـْـعـْـدْ ثِيطْ لْحَاسْدِينْ، أُثْرْنِّي ذْلْفَالْ لْعَالِي»[2]، أي: «نعلقها في قديم الزمان لكي تبعد عنا عين الحاسدين، كما أنّها فأل خير» فالصليب إذن رمز للوقاية من العين وهو أيضا رمز للخير «ويعتقد بعض الإناسيين أن الصليب المصري القديم، كان يرمز إلى مفتاح قناة، أو حدة قياس، أو لباس لستر العورة، أو لصورة القضيب أو للرحم، وقد ارتبط بعشتار عند الفنيقيين، وبأفروديت عند الإغريق، في حين تمثل الصلبان رموزا قمرية لدى بعض الشعوب الإفريقية»[3]، ويعني هذا الكلام، إنّ الصليب رمز للخصب والقمر. والصليب هو شجرة الحياة المغروسة في جنة الفردوس وهو يقسم الدائرة إلى أربعة أجزاء، فهو وسيط بين الدائرة والمربع، بين السماء والأرض، فهو إذن رمز للعالم الأوسط[4]، ويستخلص من هذا القول، إن الصليب هو شجرة الحياة، وبما أنّه كذلك فهذا يعني أنه رمز للنبات «فالصليب المسيحي، من واقع كونه خشبة منتصبة، أي شجرة اصطناعية، يرفد المفاهيم الرمزية العائدة لكل الرموز النباتية»[5]

ويمثل رمز الصليب «بالنسبة للصينيين الأرض وكلّ ما عليها. ويستخدمه بعض الأفارقة كرمز للحماية عند الولادة ويمثل بالنسبة للبوذيين روح القوانين أما بالنسبة للهندوس فيمثل الوجود السماوي العلوي، واستخدمه الرومان كرمز ليوم الحساب»[6]، فرمز الصليب إذن يختلف من بلد لآخر، ويرى علماء الآثار أن الصليب الماقبل المسيحي كان رمزا شمسيا، أمّا عند

---

[1]- Luc Benoist: Signes, Symboles et mythes, p51- 52.

[2] – المخبرة: مليكة: السابقة الذكر، يوم: 06/ 03/ 2011م.

[3]– أحمد ديب شعبو: في نقد الفكر الأسطوري والرمزي ، ص26.

[4]- Jean Chevalier, Alain Gheerbrant: Dictionnaire des symboles, p 323 – 324 .

[5]– جيلبير دوران: الأنتروبولوجيا، رموزها، أساطيرها، أنساقها، ص309.

[6]– سليمان الدّليمي: عالم الأحلام، تفسير الرّموز والإشارات، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2006، ص213.

المسيحيين فقد كان يرسم على الجبهة أثناء أداء طقوس التعميد[1]، وبما أنّه يرسم في مجتمع البحث قديما على الجبهة والوجنتين والفك، وعند المسيحيين على الجبهة، فربما يكون الرمز المحلي من بقايا الرموز المسيحية.

سادسا / البيض

يعدّ البيض من الضروريات الأساس لا يمكن ممارسة الطقس الربيعي بدونه، فهو عمود الطقس لا يمكن الاستغناء عنه، ويفضل أغلب أفراد مجتمع البحث بيض البيوت (ثِمْلاَلِينْ نُخَامْ) لأداء الطقس الربيعي، وهم يستعملون منها – كما قلنا ذلك سابقا– العدد الزوجي (ثـِچـْوَاچْ) ويبتعدون عن استعمال العدد الفردي (لُوكْرِيدْ) قدر المستطاع.

وتستعمل البيضة في المنطقة لتفسير الحلم وتحقيقه، إذ توضع في أسفل الكسكاس وتغطى بالكسكس، وبعد نضج الكسكس تخرج البيضة، فإذا كسرت أثناء النضج فذلك يدل على أن الحلم الذي سيحلم به ذلك الشخص في تلك اللّيلة سيكون حلما مفزعا، لهذا ترمى البيضة بعيدا إلى البراري لتجنب وقوع ذلك الحلم وتحقيقه، أمّا إذا لم تتكسر، فإنّ ذلك يدل على أن الحلم سيكون في تلك اللّيلة خيِّرا، لهذا يجب أن توضع تلك البيضة أثناء النوم أمام رأس النائم لتحقيق تلك الرؤية الخيِّرة في أرض الواقع[2]، فالبيض بهذا المعنى يصير رمزا لمعرفة الحلم المتوقع السيئ منه والحسن، ومن ثم يكون رمزا لمعرفة الغيب. أمّا الحلم بالبيض فيعد فأل خير، «فالحلم بالبيضة ذات دلالة ايجابية مهمة جدا وربما يشير إلى وجود رغبات أو طموحات حياتية مهمة يريد الإنسان تحقيقها»[3].

وتستعمل الدجاجة مع بيضتها البكر في المجتمع المحلي للسحر ومعالجة العقم عند المرأة العاقر، وقد أخبرتنا إحدى المخبرات[4] بأن كنتها كانت عاقرا، فلم تتجب رغم مرور خمس سنوات من زواجها، إلا بعد أن عالجتها بالبيض في فصل الربيع، فالبيض إذن رمز للخصب. لهذا عدّ من العناصر المهمة في ممارسة طقس الربيع الذي يهدف إلى الخصب والانبعاث

---

[1]– ينظر: فيليب سيرنج: الرموز في الفن – الأديان – الحياة، ص389.

[2]– المخبرة: (؟): 69 سنة، مربية، أمية، على الساعة الثانية زوالا، يوم: 2011/07/16م، قرية: "جرمونة"، بلدية: "خراطة".

[3]– سليمان الدليمي: عالم الأحلام، تفسير الرموز والإشارات، ص182.

[4]– المخبرة السابقة الذكر، وقد رفضت ذكر طريقة علاج كنتها العاقر بالبيض.

وربّما لهذا السبب أُختير بالضبط فصل الربيع والبيض لمعالجة عقم المرأة. ولا عجب في ذلك فالبيضة مثل الأم فهي تحتوي على كلّ بذور الخير والشر، وأيضا على قانون الانبعاث، ويمكن مقارنتها برموز أخرى تعد مركزا للعالم كالكهف والقلب والسرة... وتعدّ في بعض الأحيان رمزا للرخاء...[1]. ونجد أن بعض الجدّات في المنطقة يذبحن الدجاجة التي لا تبيض، ويعتبرنها رمز شؤم في حين أنّهن يعتبرن الدجاجة التي تبيض رمز فأل وخير على الأسرة، وهذا يعني إنّ البيض رمز للخير.

ويعدّ البيض أصل كلّ شيء، والعلم الحديث لم ينف ذلك، فهو أصل كلّ الكائنات، فهو بهذا المعنى علامة على قوة الحياة، وهو في جميع الميثولوجيا رمز للطبيعة، ويظهر البيض في حرم ديميتر (Dèmétre) وأبولو (Apollon) في سِلال مغطاة بالزهور والفواكه وذلك في مهرجانات باخوس (Baccкus) الرسمية، وقد نسيت المسيحية المعنى الكوني للرمز ولكنّها لم تتخل عنه حيث أصبح البيض رمزا للإحياء والبعث، فهو بيض عيد الفصح الذي يحملونه إلى الكنيسة للتبرك به من قبل الكاهن[2]، ويعني هذا القول، إنّ المسيحيين يحتفلون بعيد الفصح من خلال البيض حيث «كان يجري تبادل البيضات الملونة في عيد الاعتدال الربيعي وحتى اليوم ما يزال يقدم في أعياد الفصح في شطر من أوروبا، وأوروبا الغربية والشرقية، وفي البلدان الأرثوذكسية تلفظ في الوقت نفسه جملة (بعث المسيح) فالبيضة أعتبرت هنالك أيضا رمز للقيامة... وفي وقتنا هذا تباع البيوض من الشوكولا أو الحلويات في الفصل ذاته، الذي هو فصل تجدد الطبيعة»[3].

ويذكر ميرسيا ايلياد أسطورة سجلها أريان ماكدونالد (Arian Macdonald) عند التيبت (Tibet) تروي كيف أن الملك يسمون (Yesmon) قد ولد من البيضة الكونية[4]، و«تروي الأورفيّة الاغريقية كيف وضعت إلهة اللّيل، التي يرهبها زوس نفسه، البيضة الفضية (= القمر)، بعد أن أخصبها الهواء، مما أدى إلى ولادة إيروس (Eros) وهو الذي يفتتح مسيرة الخلق العالمية. كما تجعل الأسطورة البلاسجيّة من البيضة رمزيتها الرئيسية، وتضعها إلهة السديم أورينومية، بعد اقترانها بالثعبان أوفيون (Ophion) ثم تتخذ شكل اليمامة، لتحتضنها

---

[1] - Voir: Jean Chevalier, Alain Gheerbrant: Dictionnaire des symboles, p692- 693.

[2] - Voir: Jean Prieur: Les Symboles Universels, Édition Fernand, lanore, Paris, 1989 , p 44 .

[3]– فيليب سيرنج: الرموز في الفن – الأديان – الحياة، ص169 ــ 170.

[4] - Voir: Mircea Eliade: Aspects du Mythe, p 36 .

فوق الأمواج»[1]. وحسب بعض الشعوب نجد أنّه من الشطر العلوي للبيضة الذهبية صنعت السماء ومن شطرها السفلي صنعت الأرض ومنها ظهر بعض آلهة الأساطير، ففي الميثولوجيا البابلية مثلا نجد أن الإلهة عشتار قد انبثقت من البيضة في صورة حمامة، وفي الأساطير الصينية نجد أن العملاق بان – غو قد ولد من بيضة عملاقة[2]. ويفهم من هذا القول، إنّ العالم قد نشأ من بيضة ذهبية ضخمة، ومنها خرجت الآلهة إلى الوجود.

وبما أن البيض ضروري في الطقس الربيعي في المنطقة، فهذا يعني أنّه رمز للتجدّد الدوري للنبات، لهذا نجد أنّه يكثر أكل البيض في أرياف مجتمع البحث في فصل الربيع، ونرى أنّ «الفلاح الفنلندي يحتفظ ببيضة في جيبه، طوال مدة زرع البذار، ويضيف الألمان بيضة إلى بذر الكتان، أو يضعون البيضة في الحقل، أو يستهلكون بيضا في أثناء البذار، وغني عن البيان أن البيضة تعتبر في هذه الشعائر والعادات الفولكلورية بشيرا بإعطاء الحياة إلى النبات»[3].

ويكثر البحث عن بيض الحجلة (ثَسْكُورْثْ) في مجتمع الدّراسة ولاسيّما الساكنين في الأريّاف ويأكلونه، وهم يشبهون جمال المرأة بها إذ يقولون "ثـْـپـْـهـَـى أَمْثَسْكُورْثْ"، أي "جميلة كالحجلة" و«يعتبر أكل بيض الحجلة في بداية الربيع حمية لحماية الجمال الجسمي وسحرا لإغواء الحبيب لأنّ الحجلة رمز للرشاقة ولجمال المرأة»[4] فبيض الحجلة إذن، رمز للجمال عند المرأة القبائلية. وهو مزخرف أيضا مثلما يزخرف بيض وفطائر الربيع قديما في مجتمع البحث.

ومجمل القول، إنّ طقس استقبال الربيع (ثَوْرْپِــيع) لا يزال يمارس رغم آلاف السنين ولا يزال مدعاة فرح وبهجة وغبطة يأتي بالدفء بعد البرد القارس، وبالنور بعد اللّيالي السوداء في الشتاء، ويأتي بالزهور المختلفة الأشكال والألوان فتعم الكون برائحتها الزكية. وهو طقس يعج برموز ضمنية كثيرة، فهو ربيع مشحون بدلالات نفسية وثقافية واجتماعية عديدة، فبقدر ما يحققه من متعة نفسية ومنافسة في طلب العلم، بقدر ما يحقق الوحدة والتماسك بين أفراد الأسرة الواحدة عبر مائدة الربيع فيما لذّ وطاب، والأكثر من ذلك أنّه يحقق التضامن الاجتماعي بين أفراد المجتمع.

---

[1]– أحمد ديب شعبو: في نقد الفكر الأسطوري والرمزي، ص95.

[2]– ينظر: م. ف ألبيديل: سحر الأساطير، ص101.

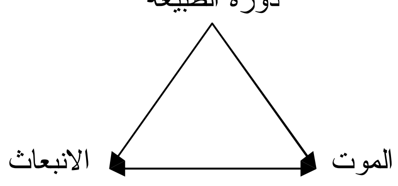
[3]– أحمد ديب شعبو: م. س، ص 163.

[4] - Jean Servier: Tradition et Civilisation Berbères , p243 .

وما نريد لفت الانتباه إليه في هذا الفصل، هو أن طقس الاستسقاء "أَنْزَارْ" وطقس استقبال الربيع (شَوْرْپِــيعْ) مترابطان مع بعضهما البعض، حيث أن «المملكة النباتية مرتبطة بالماء وهذه هي مرادفة للخصوبة... إن المطر والثلج اللذين يسقطان من السماء لا يعودان إليها بدون إرواء الأرض، وبدون تخصيبها وبعد بذرها لإعطاء الخبز لمن يأكله... فالماء هو رمز الخصوبة والخصب»[1] فالماء يجري ويفيض وبفيضانه يخضر النبات الربيعي «وكلّ ألوهيّة نباتيّة هي ألوهيّة الماء العذب، ألوهية قريبة من ألوهية المطر والسّحاب»[2]، ويفهم من هذا الكلام، إنّ إله النبات هو إله الماء الذي هو بدوره قريب من إله المطر والسّحاب، ولهذا فإنّنا لم نفصل بين الطقسين – أنزار والربيع– إلا من أجل تسهيل الدّراسة لفهم أسرار الطقسين ورموزهما العارمة. وهما طقسان مملوءان بالمتضادات:

طقس الاستسقاء أَنْزَارْ	#	**طقس استقبال الربيع (شَوْرْپِــيعْ)**
بكاء	←——→	لهو
شيخوخة	←——→	شباب
سكون	←——→	حركة
موت	←——→	انبعاث (الحياة)

فالشتاء سبب وجود الربيع، إذ كلّما كانت الأمطار غزيرة، كان فصل الربيع أبهى وأجمل وكلّما مارس المجتمع طقس استنزال المطر (أَنْزَارْ)، كان الاحتفال بطقس استقبال الربيع (شَوْرْپِــيعْ) أعظم بعودة الحياة إلى مظاهر الطبيعة، فالورود تضحك وتمرح ببكاء عيون الأمطار، وتبكي وتذبل بضحك السماء، وعليه فدورة الطبيعة قائمة عليهما معا لا على طرف واحد، وهذا الشكل توضيح لذلك:

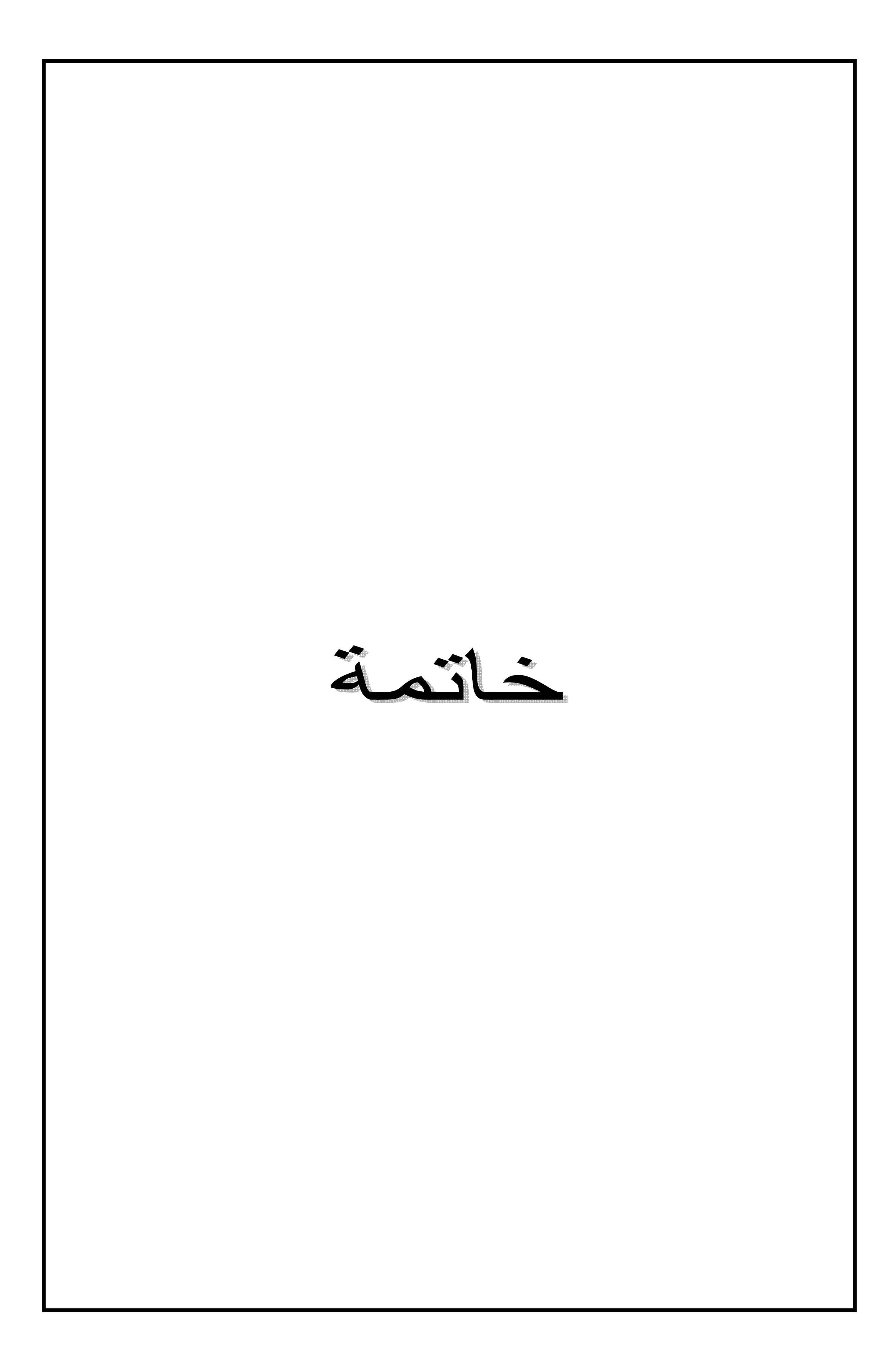


رسم توضيحي يبيّن دورة الحياة في الطبيعة

---

[1]– فيليب سيرنج: الرموز في الفن ـــ الأديان ـــ الحياة، ص350 ـــ 351.

[2]– غاستون باشلار: الماء والأحلام، ص225.



خاتمة

يتبيّن لنا بعد الجمع والدّراسة والتحليل، إنّ الأساطير والطقوس المرافقة لها كطقوس الاستسقاء واستقبال الربيع من الكنوز الإنسانية النفيسة لا تزال تتنفس في ذاكرة بعض الرواة رغم العصرنة، تنتظر يوما بعد يوم من يحاول جمعها واستنطاقها لتبوح بأسرارها الدفينة. وبعد البحث فيها ونبشها ومعالجة الإشكالية المطروحة، أدى بنا البحث إلى استخلاص النتائج التاليّة:

ـ إنّ بعض العادات والمعتقدات الأسطورية لا يختص بها مجتمع البحث فحسب، بل هي مشتركة بين أغلبية الشعوب والأمم، وقد يدل هذا على وحدة الكثير من العادات والمعتقدات الأسطورية الإنسانية بين بعض ثقافات العالم. كما أن الكثير من المعتقدات لا تزال تحمل ركامات أسطورية كثيرة. وللميثولوجيا قيمة كبيرة فلولاها لعجزنا عن معرفة معتقدات الشعوب، ورغم خيالها الخارق إلا أنّها تعبر في طياتها عن الواقع المعيش لتلك الشعوب بما فيها مجتمع البحث.

ـ على الرغم من الماضي السحيق الذي ظهرت فيه الأساطير، إلا أنّها لا تزال تحكى وتمارس بعض طقوسها إلى اليوم، باتخاذها أشكالا مختلفة نوعا ما مما كانت عليه في قديم الزمان كالغياب الكلّي لذكر الآلهة مواكبة للتغيّر الاجتماعي. فشخصيات الأساطير إذن قد تغيّرت بفعل الزمن، فمن شخصيات تتعلق بالآلهة إلى شخصيات عليا خارق للعادة، تقوم بأعمال خيالية عظيمة مثيرة لا يستطيع الإنسان العادي القيام بها.

ـ ويتبيّن لنا من خلال جمع مدونة البحث، إن للسيّاق والمقام الذي قيلت فيه المادة القصصية الفولكلورية دورا مهما في عملية تصنيفها، فبوساطتها مثلا يتم تمييّز الأساطير عن بقية الحكايّات الخرافيّة العجيبة.

ـ إن بعض الأساطير قد تسربت وذابت في الحكايّة الخرافيّة العجيبة لهذا يندر وجودها في المجتمع، وهي في طريق الاندثار إذا لم تسرع إليها النفس الغيورة على مأثور وطنها لجمعها وحفظها من عواصف العولمة ونوائب الزمن.

ـ إنّ كلّ ما ينتمي إلى ثقافتنا الشعبيّة الفولكلورية، يصعب تمييّزه في الوقت نفسه أو في الجيل نفسه. فما اعتبرناه ظاهرة أسطورية خارقة للعادة، قد يؤوّل في زمن آخر أو في جيل آخر على أنّه ظاهرة حكائية عادية، أو عكس ذلك، لأن الزمن في تحول وتغيّر. وباختلاف الوقت وتغيّره تتغيّر رؤية النّاس للظواهر الثقافية الشعبيّة – الميثيّة– التي تتعايش معهم.

ـ تغيّرت بعض الأساطير المحليّة نتيجة تأثير الفكر الديني الإسلامي، على الأوساط الاجتماعية في منطقة البحث ومن ثم تأثير الدين على الفكر الأسطوري أي على رواية الأساطير.

ـ تبقى الأساطير مستمرة حيّة فعالة أكثر بممارسة طقوسها، فالطقس يجعل الأسطورة حيّة تتنفس حتى وإن تلاشى واندثر المعتقد، وقد بيّن البحث الميداني أن الجماهير الشعبيّة اليوم تؤمن بالطقوس أكثر من الأساطير نتيجة انتشار الفكر الديني الإسلامي الذي يحرم معتقداتها، ولا غرو في ذلك فالطقس يجعلهم يعيشون الحدث واقعيا فعليا أكثر من رواية الأساطير التي يغلب عليها الطابع الاعتقادي الخيالي، ذلك أن الأفعال أقوى من الأقوال وأبلغ منها.

ـ ونستنتج أن تعميم التعليم وتطبيق الجزائر فكرة "محو الأميّة" في جميع أنحاء الوطن بما فيها قرى ومداشر منطقة البحث في الآونة الأخيرة هو العامل الأكثر مساهمة في التحوير والتغيّير الذي طرأ على الأساطير وطقوسها.

ـ إن تطور وسائل الحياة في مجتمع الدّراسة، قد أثر نوعا ما على السرد الأسطوري إذ أصبح أغلب المتعلمين اليوم يفضلون مشاهدة تلك الظواهر الميثية في وسائل العصرنة التي فرضت نفسها، ولكن رغم ذلك فالتغيّر الاجتماعي لا يؤثر دائما بالسلب في الموروث الشفوي الشعبي عموما، وفي الأساطير خصوصا، وإنّما يؤثر أحيانا بالإيجاب لأن المتعلمين في بعض الأحيان هم الذين يجعلون النص الأسطوري منسجما متناسقا بربط بعض أجزائه المتناثرة مع بعضها البعض، ومن ثم الحصول على نص أسطوري كامل لا ثغرات فيه.

ـ وتشير هذه الدّراسة أيضا إلى أنّ التراث الشعبي عموما، والأساطير خصوصا أكثر عرضة للزوال في المدينة منه في الأرياف. ورغم ذلك فلا يمكن لنا الحكم بأن المأثورات الشعبيّة بما فيها الأساطير والطقوس وقفا على أبناء الريف فحسب كما قد يظن البعض، بل أيضا على أبناء الحضر، بدليل أن طقس استقبال الربيع (شَوْرْپِـيعْ) لا يزال يمارس دوريا في المجتمع الخراطي البجائي في الريف والمدينة على حدّ سواء.

ـ وتوضح نتائج هذه الدّراسة الميدانية ندرة بعض الممارسات الطقسية في زمننا هذا كطقس الاستسقاء (أَنْزَارْ) بل اندثاره تماما في المدن، فالمتعلمون والساكنون في المدينة أصبحوا اليوم يجهلون تماما هذا الطقس، على غرار الساكنين في الأرياف، فأغلب تلاميذ المدينة مثلا لم يسمعوا به، حتى أنّهم تعجبوا من اسم "أَنْزَارْ" وطلبوا منا شرحا وتفسيرا له، عكس تلاميذ الريف

تماما. وعليه فإنّنا نرى أنّه من الضروري قبل أن يقدم الأساتذة للتلاميذ التفسير العلمي لنزول الأمطار أن ينطلقوا من التفسير الشعبي الأوّل لظاهرة نزول المطر، لأنّ الانتقال التدريجي من التفسير الشعبي إلى التفسير العلمي يجعل التلاميذ من جهة يكوّنون نظرة عامة حول طقس الاستسقاء "أَنْزَارْ" فلا يتعجبون منه ولا يجهلون تراث أجدادهم، ومن جهة أخرى تجعلهم يدركون من خلال المقارنة قيمة العلم وأهميته في الحياة.

ـ إذا كان طقس الاستسقاء "أَنْزَارْ" لم يستطع مقاومة إغراء التمدن، فإنّ طقس استقبال "الربيع" (شَوْرْپِـيعْ) قد تمكن من الوقوف في زوبعة العصر، حيث استطاع أن يثبت نفسه رغم إعصار المدينة إذ لا يزال يمارس في الأرياف والمدن على حد سواء، ولهذا فإنّنا نرجو من المسؤولين وذوي السلطات المعنية:

أوّلا: بأن يجعلوا يوم الاحتفال بطقس استقبال الربيع (شَوْرْپِـيعْ) يوم عطلة في المنطقة خصوصا، والجزائر عموما، فالاحتفال به ليس مجرد لهو فحسب، لأن استمتاع الأطفال بالطبيعة يقوي مخيلتهم الفكرية ويبعث فيهم الطمأنينة والراحة النفسية ويجدّد قواهم وينفض عنهم غبار الدّراسة لمزاولة نشاطهم الدّراسي من جديد. فلماذا إذن لا يخصص له يوم عطلة؟ ولاسيّما وأنّ التلاميذ لا يركزون في دراستهم داخل الأقسام أثناء ممارسة طقوسه. وهذا ما أكده جلّ الأساتذة أثناء تحقيقنا الاثنوغرافي الحيّ.

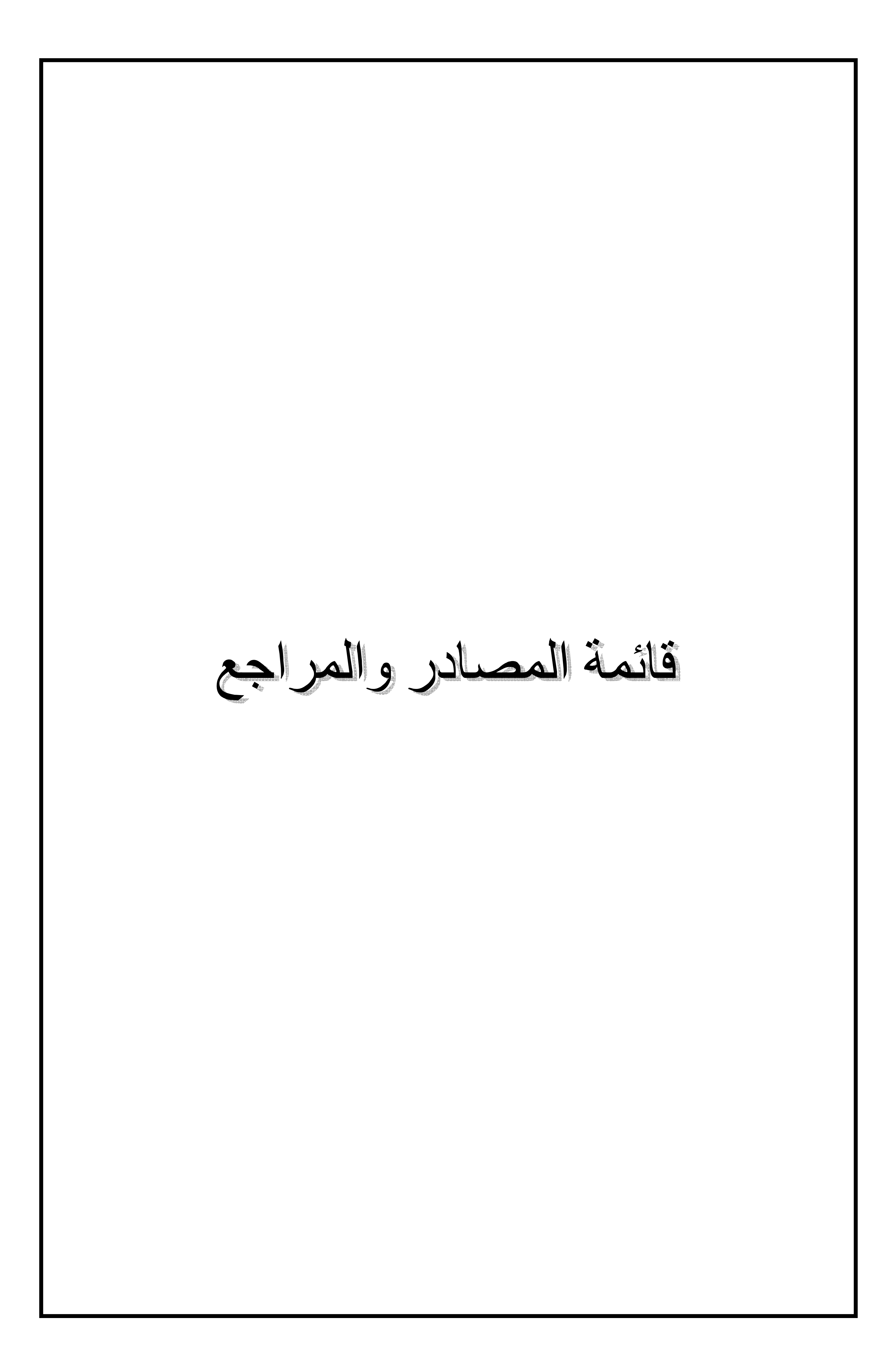
ثانيا: كما نرجو أن تُدرَج ولو أسطورة جزائرية واحدة في الكتاب المدرسي الجزائري إلى جانب ما يحتويه من أساطير أجنبية، فما أحوج التلاميذ اليوم في هذا العصر إلى دراسة أساطيرهم المحليّة التي تنبع من واقع ثقافتهم الشعبيّة الغنيّة بشتى أنواع المأثورات الفولكلورية.

ثالثا: وقد أسفرت التحليلات أنّ بعض الرّواة اليوم لا يجتمعون بأبنائهم وأحفادهم كما كانوا في قديم الزمان، إذ نجد أنّ أغلب التلاميذ يقولون أنّه لم تعد تروى لهم الأساطير قبل النوم، أو تروى لهم بين الحين والآخر فقط، ولتعويض ذلك النقص فإنّنا نقترح بإحضار راو إلى الأقسام بين الحين والآخر، ولاسيما وأنّ أكثر من نصف آراء تلاميذ المدينة قد فضلوا الاستماع إلى الرّاوي داخل القسم وهو يسرد لهم الأساطير. فلماذا إذن لا يستجاب لرأيّهم الخاص لتسدّ تلك الثغرة؟

ــ إن أساطير وطقوس الاستسقاء (أَنْزَارْ) واستقبال الربيع (شَوْرْپِــيعْ)، بمثابة لغة ضمنية، تحمل رسائل بالغة وشفرات كثيرة تنتظر من يقوم باستنطاقها وفك رموزها العارمة لفهم لبّها والوصول إلى دلالاتها العميقة.

أخيرا أتمنى أن يكون هذا البحث في المأثور الأسطوري الطقوسي الآيل إلى الزوال قد سدّ بعض الفراغ الذي تعانيه الفنون الفلكلورية الجزائرية الميثية، وأرجو أن أكون قد أفدت ولو بقليل وأن يكون هذا البحث نواة لدراسات لاحقة.

والله المستعان.



قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم (رواية ورش عن نافع)

أولا ــ المعاجم والقواميس والموسوعات

أ ــ المعاجم والقواميس والموسوعات بالعربية

1 ــ أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور: لسان العرب، ط3، مج3، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1994.

2 ــ ———————————— : لسان العرب، ط1، مج4، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1990.

3 ــ ———————————— : لسان العرب، ط3، مج5، دار صادر، بيروت، لبنان، 1994.

4ــ ———————————— : لسان العرب، ط1، مج 12، دار صادر، بيروت، لبنان، 1990.

5ــ أحمد عيسى بك: معجم أسماء النباتات، ط1، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1930.

6ــ إمام عبد الفتاح إمام: معجم ديانات وأساطير العالم، مج1، مكتبة مدبولي، القاهرة، بيروت، د. ت.

7ــ جميل صليبا: المعجم الفلسفي بالألفاظ العربيّة والفرنسيّة والانجليزيّة واللاتينية، د. ط، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982.

8ــ شاكر مصطفى سليم: قاموس الأنتروبولوجيا، إنجليزي - عربي، ط1، جامعة الكويت، 1981.

9ــ شوقي عبد الحكيم: موسوعة الفولكلور والأساطير العربية، مكتبة مدبولي، مطبعة أطلس، القاهرة، د. ت.

10ـ عبد الرحمن بوزيدة وجمال معتوك وآخرون: قاموس الأساطير الجزائرية، د. ط، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر، 2005.

11ـ فراس السوّاح: موسوعة تاريخ الأديان، الشعوب البدائية والعصر الحجري، الكتاب الأول، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، ط1، دمشق، سورية، 2003.

12ـ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزوبادي: القاموس المحيط، د. ط، ج2، دار الجيل، بيروت، لبنان، د. ت.

13ـ محمّد عجينة: موسوعة أساطير العرب عن الجاهليّة ودلالاتها، ط1، ج1، دار الفارابي، العربية محمد علي الحامي للنشر والتوزيع، بيروت، تونس، 1994.

14ـ ــــــــــ : موسوعة أساطير العرب عن الجاهليّة ودلالاتها، ط1، ج2، دار الفارابي، العربية محمد علي الحامي للنشر والتوزيع، بيروت، تونس، 1994.

ب ـ المعاجم والقواميس المترجمة

1ـ ايكه هولتكرانس: قاموس مصطلحات الاثنولوجيا والفولكلور، تر: محمد الجوهري وحسن الشامي، ط2، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1973.

2ـ دينكن ميتشل: معجم علم الاجتماع، تر: إحسان محمد الحسن، ط2، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1986.

3ـ ماكس شابيرو ورودا هندريكس: معجم الأساطير، تر: حنّا عبود، ط3، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، دمشق، سورية، 2008.

ج ـ القواميس الأجنبية

1- Jean Chevalier, Alain Gheerbrant: Dictionnaire des Symboles, Mythes, Rêves, Coutumes, Gestes, Formes, Figures, Couleurs, Nombres, Édition: Robert Laffont / Jupiter, Paris, France, 1982.

2- Larousse: Le Grand Larousse, Dictionnaire Encyclopédique, Volume 1, 2005.

ثانيّا ــ المصادر باللغة العربية

1ــ ابن هشام: السّيرة النبويّة، تقديم: عمر عبد السلام تدمري، د. ط، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 2006.

2ــ أبي العباس أحمد بن علي القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تح: مركز تحقيق التراث، ج2، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1985.

3ــ أبي الفداء إسماعيل بن كثير: البداية والنهاية، تح ودقق أصوله وعلق حواشيه: مكتب تحقيق التراث، د. ط، ج2، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د. ت.

4ــ شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، د. ط، السّفر الأول، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، مصر، د. ت.

ثالثا ــ المراجع

أ ــ المراجع العربية

1ــ إبراهيم عبد الحافظ: الفنون الأدبية الشعبية – دراسة في ديناميات التغير– ط1، مطبعة العمرانية للأوفست، القاهرة، مصر، 2004.

2ــ أحمد ديب شعبو: في نقد الفكر الأسطوري والرمزي ــ أساطير ورموز وفولكلور في الفكر الإنساني، ط1، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، 2006.

3ــ أحمد كمال زكي: الأساطير دراسة حضارية مقارنة، ط2، دار العودة للنشر، بيروت، لبنان، 1979.

4ــ ب. بن تريدي ور. آيت عبد السلام: اللّغة العربية للسنة الثّانية من التعليم المتوسّط، إشراف: بدر الدين بن تريدي، مراجعة وتنقيح: ساعد العلوي، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، الجزائر، 2009 ــ 2010.

5ــ بداك شابحة: الممارسات السحرية للمجتمع الأمازيغي، د. ط، منشورات دار السعادة، د. ت.

6ـ ثناء أنس الوجود: رمز الماء في الأدب الجاهلي، د. ط، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2000.

7ـ جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط2، ج1، ساعدت جامعة بغداد على نشره، 1993.

8ـ حسن الرودي: الماء – الخلق – الإنسان – الصحة – الآية، ط1، ايتراك للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2001.

9ـ حسن نعمة: ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة، د. ط، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1994.

10ـ خزعل الماجدي: متون سامر، التاريخ، الميثولوجيا، اللاهوت، الطقوس، الكتاب الأوّل، الأهلية للنشر والتوزيع، المملكة الأردنية الهاشمية، عمان، الأردن، د. ت.

11ـ خليل أحمد خليل: مضمون الأسطورة في الفكر العربي، ط3، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1986.

12ـ ___________ : المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع، ط1، دار الحداثة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1984.

13ـ خليل عبد الغفور: التداوي بالأعشاب والنباتات الطبية، د. ط، دارى الإسراء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2004.

14ـ روزلين ليلى قريش: القصة الشعبية الجزائرية ذات الأصل العربي، د. ط، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية، الجزائر، 1980.

15ـ زكي المحاسني: أساطير ملهمة، د. ط، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1970.

16ـ الزهرة إبراهيم: الايروس والمقدس، دراسة أنثروبولوجية تحليلية، ط1، النايا للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، سورية، 2010.

17ـ زهية طراحة: فضاء النوع بين تنظيم الخيال وتنظيم الواقع، دراسة أنثروبولوجية للحكاية القبائلية العجيبة، ط1، دار ميم للنشر، الجزائر، 2011، ص 15.

18ـ سليمان الدّليمي: عالم الأحلام، تفسير الرموز والإشارات، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2006.

19ـ سميح دغيم: أديان ومعتقدات العرب قبل الإسلام، ط1، دار الفكر اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1995.

20ـ سمير شيخاني: الخرافات هل تؤمن بها؟ ط2، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1988.

21ـ سيف الإسلام علي مطر: التغيّر الاجتماعي – دراسة تحليلية من منظور التربية الإسلامية – ط2، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورية، 1988.

22ـ شحادة الخوري: قصة الأيّام، الشهور، الأرقام، وتسمياتها، ط1، دار الطليعة الجديدة، دمشق، سورية، 2001.

23ـ شوقي عبد الحكيم: الفلكلور والأساطير العربية، ط2، دار ابن خلدون، بيروت، لبنان، 1983.

24ـ طلال حرب: أوّلية النص: نظرات في النقد والقصة والأسطورة والأدب الشعبي، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1999.

25ـ عاطف وصفي: الأنثروبولوجيا الاجتماعية، د. ط، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د. ت.

26ـ———— : الأنثروبولوجيا الثقافية مع دراسة ميدانية للجالية اللبنانية الإسلامية بمدينة ديربورن الأمريكية، د. ط، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، بيروت، 1971.

27ـ عبد الفتاح محمد شبانة: اليابان، العادات والتقاليد وإدمان التفوق، د. ط، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، 1996.

28ـ عبد الملك مرتاض: الألغاز الشعبية الجزائرية، دراسة في ألغاز الغرب الجزائري، د.ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائري، 1982.

29ـ فاروق خورشيد: أديب الأسطورة عند العرب، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، الظاهر، القاهرة، 2004.

30ـ فراس السوّاح: الأسطورة والمعنى – دراسات في الميثولوجيا والديانات المشرقية – ط1، دار علاء الدين، دمشق، سورية، 1997.

31ـ ———— : لغز عشتار – الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة – ط7، منشورات دار علاء الدين، دمشق، سورية، 2000.

32ـ ———— : مغامرة العقل الأولى – دراسة في الأسطورة – ط1، دار الكلمة للنشر، بيروت، لبنان، 1980.

33ـ قسم الدراسات والبحوث في جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية: الأسطورة توثيق حضاريّ، ط1، دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سورية، 2009.

34ـ كاملي بلحاج: أثر التراث الشعبي في تشكيل القصيدة العربية المعاصرة (قراءة في المكونات والأصول، دراسة)، د. ط، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، سورية، 2004.

35ـ ماجد عبد الله الشمس: الحضارة والميثولوجيا في العراق القديم، بحوث ودراسات، الأسطورة – أصل النوروز – البستنة، ط1، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، دمشق، سورية، 2003.

36ـ محمد أوسوس: دراسات في الفكر الميثي الأمازيغي، د. ط، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مركز الدراسات الأنثروبولوجية والسوسيولوجية، الرباط، 2008.

37ـ محمد جمال الدين الفندي: النّيل، مراجعة: سعد شعبان، د. ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1993.

38ـ محمد الجوهري: علم الفولكلور، دراسة في الأنثروبولوجيا الثقافية، ج1، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1975.

39ـ محمد حسن غامري: مقدمة في الأنثروبولوجيا العامة «علم الإنسان»، د. ط، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، د. ت.

40ــ محمد سعيدي: من أجل تحديد الإطار المعرفي والاجتماعي للمعتقدات والخرافات الشعبية – ظاهرة زيارة الأولياء والأضرحة نموذجا – د. ط، مطبوعات مركز الأبحاث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، الجزائر، 1995.

41ــ محمد قنديل البقلى: وحدة العادات والتقاليد بين مصر والشام، د. ط، دار الجيل للطباعة، د. ت.

42ــ محمود ذهني: الأدب الشعبي العربي، مفهومه ومضمونه، د. ط، دار الاتحاد العربي للطباعة، القاهرة، مصر، 1972.

43ــ محمود مفلح البكر: الروح الأخضر، احتفالات الخصب في العَادةِ والمُعتَقد، ط1، دار الحضارة الجديدة، بيروت، لبنان، 1992.

44ــ مصطفى علي الجوزو: من الأساطير العربية والخرافات، ط2، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1980.

45ــ نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ط3، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، د. ت.

46ــ———— : الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق، ط1، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، مصر، 1994، د. ت.

47ــ يحي بوعزيز: ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ثورات القرن العشرين، ط2، ج2، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الرويبة، الجزائر، 1996.

ب ــ المراجع المترجمة

1ــ أوفيد: مسخ الكائنات – ميتامورفوزس Metamorphoses – نقله إلى العربية وقدم له: ثروت عكاشة، ط4، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1997.

2ــ جاك لومبار: مدخل إلى الاثنولوجيا، تر: حسن قبيسي، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، 1997.

3ــ جوزيف كامبل: الأساطير والأحلام والدين، تر: نذير جزماتي، ط1، دار الكلمة للنشر والتوزيع، دمشق، سورية، 2001.

4ــ ــــــــــــ : قوة الأسطورة: تر: حسن صَقَر وميساء صَقَر، ط1، دار الكلمة، دمشق، سورية، 1999.

5ــ جيلبير دوران: الأنتروبولوجيا، رموزها، أساطيرها، أنساقها، تر: مصباح الصمد، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1993.

6ــ رضوان عيناد ثابت: 08 ماي 1945 في الجزائر، تر: رضوان عيناد ثابت ومغيلي، د.ط، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية، الجزائر، د. ت.

7ــ رندل كلارك: الرمز والأسطورة في مصر القديمة، تر: أحمد صليحة، د. ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1999.

8ــ سير جيمس فريز: أدونيس أو تموز، دراسة في الأساطير والأديان الشرقية القديمة، تر: جبرا إبراهيم جبرا، ط3، المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 1982.

9ــــــــــــــ : الغصن الذّهبي، دراسة في السحر والدين، تر وإشراف: أحمد أبو زيد، د. ط، ج1، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1971.

10ــ صموئيل هنري هووك: منعطف المخيلة البشرية، بحث في الأساطير، تر: صبحي حديدي، ط3، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سورية، 2004.

11ــ غاستون باشلار: الماء والأحلام، دراسة عن الخيال والمادّة، تر: علي نجيب إبراهيم، تقديم: أدونيس، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، 2007.

12ــ فريدريش فون ديرلاين: الحكاية الخرافية (نشأتها. مناهج دراستها. فنيتها)، تر: نبيلة ابراهيم، ط1، دار القلم، بيروت، لبنان، 1973.

13ــ فيليب سيرنج: الرموز في الفن – الأديان – الحياة، تر: عبد الهادي عباس، ط1، دار دمشق، 1992.

14ــ الكزاندر هجرتي كراب: علم الفولكلور، تر: رشدي صالح، د. ط، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 1967.

15ــ ك. ك راتفين: الأسطورة، تر: جعفر صادق الخليلي، ط1، منشورات عويدات، بيروت، باريس، 1981.

16ــ كلود ليفي ستروس: الإناسة البنيانيّة (الأنثروبولوجيا البنيوية)، تر: حسن قبيسي، ط1، ج1، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، 1995.

17ــ__________: الإناسة البنيانيّة (الأثروبولوجيا البنيوية)، تر: حسن قبيسي، د. ط، ج2، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، 1990.

18ــ م. ف ألبيديل: سحر الأساطير، دراسة في الأسطورة – التاريخ – الحياة، تر: حسان ميخائيل اسحق، ط2، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، دمشق، سورية، 2008.

19ــ موريس أنجرس: منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، تدريبات عملية، تر: بوزيد صحراوي وآخرون، ط2، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1980.

20ــ ميرسيا ايلياد: أسطورة العودة الأبديّة، تر: حسيب كاسوحة، د. ط، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سورية، 1990.

21ــ________ : المقدّس والمدنّس، تر: عبد الهادي عباس، ط1، دار دمشق للطباعة والنشر والتوزيع، 1988.

22ــ نور الدين طوالبي: الدين والطقوس والتغيرات، تر: وجيه البعيني، ط1، منشورات عويدات، ديوان المطبوعات الجزائرية، بيروت، باريس، 1988.

23ــ واليس بدج: السحر في مصر القديمة، تر وتقديم: عبد الهادي عبد الرحمن، ط1، سينا للنشر، 1998.

رابعا ــ المجلاّت والدوريات

1ــ صافية قاسيمي: "أثر معتقدات البربر من خلال زخارف الحلي الفضية التقليدية (حلي منطقة بني يني بالقبائل وأولاد فاطمة بالأوراس)"، مجلة المحافظة السامية للأمازيغية، تيموزغة، العدد21، المرادية، الجزائر، 2010.

2ــ عبد المحسن صالح: "الإنسان الحائر بين العلم والخرافة"، مجلة عالم المعرفة، يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، كتب ثقافية شهرية، الكويت، مارس، (آذار)، 1979.

3ــ ميشيل تومبسون وريتشارد إليس وآخرون: "نظرية الثقافة"، تر: علي سيد الصاوي، إشراف: أحمد مشاري العدواني، مجلة عالم المعرفة، يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، كتب ثقافية شهرية، الكويت، يوليو،1997.

4ــ نزار عيون السود: "نظريات الأسطورة"، مجلة عالم الفكر، العدد الأول والثاني، المجلد الرابع والعشرون، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، دولة الكويت، يوليو/ سبتمبرــ أكتوبر/ ديسمبر، 1995.

خامسا ــ المقابلات والحوارات

1ــ سعيد حمامين: مندوب خاص مكلف بالحالة المدنية لبلدية خراطة، على الساعة التاسعة والنصف صباحا، يوم: 2011/02/17م.

2ــ (؟) صالحيوي: الأمين العام لمتوسطة معتم محمد بأجيون، على الساعة التاسعة صباحا، يوم: 2011/05/05م.

3ــ عبد المجيد مالة: رئيس المصلحة الشعبية لبلدية ذراع القائد، على الساعة العاشرة صباحا يوم: 2011/02/14م.

4ــ عبد المجيد مرزوق: مدير متوسطة 08 ماي 1945م بخراطة المركز، على الساعة الحادي عشرة، يوم: 2011/05/05م.

5ــ (؟) عيسى المدعو شيخ عيسى: إمام مسجد عقبة بن نافع بأجيون، وأستاذ طلاب الزاوية، على الساعة العاشرة والنصف صباحا، يوم: 2011/03/05م.

6ـ (؟): أحد عمال متحف المجاهد في منطقة خراطة المركز، على الساعة العاشرة صباحا، يوم: 2011/08/16م.

سادسا ـ وثائق البلدية

1ـ حمامين سعيد – المندوب الخاص مكلف بالحالة المدنية لبلدية خراطة – الحالة المدنية: تشخيص وتحديات، خراطة أيّام 16 ـ 17 ـ 18 جويلية 2009، إشراف: عمران خير الدين، رئيس المجلس الشعبي البلدي، بلدية: "خراطة"، دائرة: "خراطة"، ولاية: "بجاية".

سابعا ـ المواقع الالكترونية

1- Http : //www. Wikipedia. Org/ Wiki/ربيع .

يوم: 14/06/ 2011م، على الساعة العاشرة والنصف صباحا.

ثامنا ـ المراجع الأجنبية

1-André Jolles: Formes Simples, Traduit de L'allemand par: Antoine Marie Buguet, Éditions de seuil, Paris, France, 1972.

2-E- Laoust: Mots et choses Berbères, notes de linguistique et d'ethnographie dialectes du Maroc, Paris, France, 1920 .

3- Jean Maisonneuve: Les rituels, 1er Édition, universitaires de France, Paris, France, 1988.

4-Jean Prieur: Les symboles universels, Édition Fernand, lanore, Paris, 1989.

5-Jean servier: Tradition et civilisation Berbères, les portes de l'année, Édition du Rocher, Monaco, 1985.

6 -Leo Frobenius: Contes Kabyles, Traduction des textes allemands par: Mokran Fetta, Tome 1, EDISUD, Paris, France, 1999.

7- Luc Benoist: Signes, Symboles et Mythes, dixième Édition, universitaires de France, Paris, France, 2009 .

8-Mircea Eliade: Aspects du Mythe, Édition Gallimard, paris, France,1963.

الملاحق

1 ــ الملحق رقم **(01):** المدونة.

2 ــ الملحق رقم **(02):** الاستبانة.

3 ــ الملحق رقم **(03):** الرواة والمخبرين.

4 ــ الملحق رقم **(04):** الصور.

5 ــ الملحق رقم **(05):** قائمة الأحرف الزائدة.

الملحق رقم (01): المدونة

يحتوي هذا الملحق على مجموعة من الأساطير التي جمعناها من مختلف قرى منطقة خراطة (بجاية) في سنتي 2010م ــ 2011م، وقد كتبناها باللهجة القبائلية للمنطقة، (لهجة مناطق سواحل بجاية)* أوّلا، ثم قمنا بترجمتها إلى اللغة العربية ثانيا. وقد أعطينا الرقم نفسه للأسطورة سواء المكتوبة بلهجة المنطقة أم المترجمة إلى اللغة العربية، مع إعطاء الحرف نفسه أحيانا إن وجدت روايات مختلفة للأسطورة الواحدة، وهذه بعض الأساطير:

الأسطورة بلهجة المنطقة	ترجمة الأسطورة إلى اللغة العربية
1 ــ إِتْمْخَلاَّفْ لُونْ نُجْلُولْ لـْعـِـپَـاذْ	**1** ــ اختلاف لون بشرة الإنسان
2 ــ لْصِلْ لْحْشَاوْشْ ذُقْـطِيطْ لْجْنَة	**2** ــ أصل النباتات وطائر الجنة
3 ــ لـْپـْرْقْ ذْرْعْظْ	**3** ــ البرق والرعد
4 ــ ثـِپـُورْقْشِينْ فَيُّورْ وْذِمْطَاوْنْ	**4** ــ البقع على سطح القمر
5 ــ أُوشْنْ إِتَوقـَاذْ وِيذِّي	**5** ــ خوف ابن آوى من الكلب
6(أ) ــ زْنْزْلَّى (الرواية الأولى)	**6(أ)** ــ الزلازل (الرواية الأولى)
6(ب) ــ زْنْزْلَى (الرواية الثانية)	**6(ب)** ــ الزلازل (الرواية الثانية)
7 ــ نَانَة حِيجَة	**7** ــ سرعونة (أو فرس النبي)
8 ــ سِيذِي مْبَّارْكْ	**8** ــ سيدي مبارك
9 ــ سِيذِي مْنْصُورْ	**9** ــ سيدي منصور
10(أ) ــ ثَمْغَارْثْ تْسْلِيثْ دِمَّى تْنَاغْنْتْ (الرواية الأولى)	**10(أ)** ــ الصراع الأبدي بين الحماة والكنة (الرواية الأولى)
10(ب) ــ ثَمْغَارْثْ تْسْلِيثْ دِيمَّى تْنَّاغْنْتْ (الرواية الثانية)	**10(ب)** ــ الصراع الأبدي بين الحماة والكنة (الرواية الثانية)
11 ــ ثِيسْلِيثْ ذَحَلُومْ	**11** ــ العروس القرد
12 ــ ثِيسْلِيثْ نْسْلْطَانْ نْغْبَارْ	**12** ــ عروس ملك المطر

*ــ هي لهجة خاصة بمناطق سواحل بجاية. يطلق عليها في مجتمع البحث وبجاية "ثَسَاحْلِيثْ" نسبة إلى المناطق التي تقع على طول الشريط الساحلي، جنوب شرق ولاية بجاية كمنطقة أوقاس وملبو وسوق الإثنين ودرقينة وتامريجث وآيت سماعيل وكلّ مناطق دائرة خراطة (بلدية ذراع القائد وبلدية خراطة).

13 ـــ ثـَـڤـَـرْڤَى تـَـپـْـرْگـَـانْتْ	**13** ـــ الغراب الأسود
14 ـــ قَابِيلْ ذْهَابِيلْ	**14** ـــ قابيل وهابيل
15 ـــ لْقَايْدْ أَپـْـلاَرْچْ	**15** ـــ القائد اللقلق
16 ـــ أَمـْـگْ ثـْـپـْـنـىَّ دُنِيثْ؟	**16** ـــ كيف نشأ الكون؟
17 ـــ لالا خْدِيجَة " دْرْيَّ وْلْمَّالْ"	**17** ـــ لالا خديجة "البنون والماشية"
18 ـــ ثَمْطُوثْ تَحْمَامْتْ	**18** ـــ المرأة الحمامة
19 ـــ ثَمْطُوثْ ڤَـيُّورْ	**19** ـــ المرأة في القمر
20 ـــ ثِزِيزْوِيثْ نْثْمَاثْ مَتْقْسْ حْدْ	**20** ـــ موت النحلة بعد اللسع
21 ـــ ثِيخْسِّي تْغَاطْ	**21** ـــ النعجة والعنزة
22 ـــ أُوذْمْ نْوَيُّورْ	**22** ـــ وجه القمر الإنساني
23 ـــ ثَغُرْظْمْتْ دِمَّى سْدَوْپـْـلاَطْ	**23** ـــ الوجود الأبدي للعقرب تحت الحجر

1 ـ إِتْمْخَلاَّفْ لُونْ نُجْلُولْ لـْعـِپـَاذْ[1]

ثِينْ إِقْـحْكَانْ: يْعْنِي، إِوَّاشْ إِنْدِخْلْقْ رْبِّ حْدْ ذَپـْرْگَانْ، حْدْ ذَمْلاَّلْ...؟

وْيَّ إقْـصرْاَّشْنْ: إوَّاشْ؟

ثِينْ إِقْـحْكَانْ: فَشُو إِدْنْخْلْقْ؟ نْخْلْقْدْ ڤـَّگالْ، أَذْرُوحْنْتْ لـْمـَّلـَيـْگَـاثْ أَدْكْسْنْتْ ثَّلاَّغْثْ: ثَمَّى تَمْلاَّلْتْ، ثَّمَّى تـَپـْرْگَـانْتْ. فَشُو إِدْكْسْنْتْ ڤْشْرِيحْثْ تَمْلاَّلْتْ أَدِّمَاڤْ لـْعـْپـْدِينْ ذَمْلاَّلْ، مَكْسْنْتْدْ ڤْشْرِيحْثْ تـَپـْرْگَـانْتْ أَدِّمَاڤْ لـْعـْپـْدِينْ ذَپـْرْگَـانْ، مَلاَّ خْلْطْنْطْ أَدِّمَّاڤْ لـْعـْپـْدِينْ إِبْرُونْزِي ذَقْهْوِي*.

ثْلاَّ ثِيشْثْ ڤـْ: "زَغَارْ"** أَزْڤـْنْ زْڤـْسْ ذَپـْرْگَـانْ، أُوَزْڤـْنْ ذَمْلاَّلْ، شْغْلْ إِفُكَاسْنْتْ أَمْلاَّلْ كْسْنْتْدْ ڤـْپـْرْگَـانْ ، أُبْعْذْ ثْمُوڤـْدْ أَزْڤـْنْ ذَمْلاَّلْ أَزْڤـْنْ ذَپـْرْگَـانْ.

أُمْبْعْذْ أَنْكَ إِتْمُوڤْ لْبَشْرَة، أَسْمَّى دْكْسْنْتْ ڤـْمْلاَّلْ أَتِّلِي لْبَشْرَة تَمْلاَّلْتْ، أَسْمَى دْكْسْنْتْ ڤـْپـْرْگَـانْ أَتْمَاڤْ تـَپـْرْگَـانْتْ، أَسْمَى ذْخْلْطْنْطْ أَتْمَاڤْ تَقْهْوِيثْ، أَسْمَّى أَسْنْتِيفَاكْ أَدْكْسْنْتْ سَّا وْسَّاغْ***، إِتـْمـَڤـَادْ لـْعـْپـْدِينْ أَزْڤـْنْ ذَمْلاَّلْ أَزْڤـْنْ ذَپـْرْگَـانْ.

[1]– لَقِغِيهْنْتْ تـَچـْمَاعْثْ: فْلْعَشْرَة نـْصـْپـْحْ، 2010/12/22م، ثَدَّارْثْ: "آيثْ المِيزَابْ"، لبلدية: "ذْرَاعْ القائد":

– علجة يعيش: 60 سنة، ثْطْرْبَّى، سَنَة ثانية محو الأمية.

– نجاة قريشي: 29 سنة، سَنَة ثَالْثَة مَحْوْ الأُمِيَة.

– بهيجة معوش: 54 سنة، ثْطْرْبَى، أُتْقْرَانِّي .

* – لْقَهْوَة ذُشْفَى مَلاّ أَهْنْتْخْلْطْظْ، تَوْلاَنْدْ ذِقْهْوِيْنْ.

**– تَدَّارْثْ نْخْرَاطَة، ثـْپـْعـْذْ فْثْمْدِينْتْ قْرِيپْ بـ: 18 كلم².

*** – تْوْهَانْتْ سُيْفُوسْ (ثَلاَغْثْ تَمْلاَّلْتْ)، ذُرْ لْمَاطْ (ثَلاَّغْثْ تـَپـْرگَـانْتْ)، حْكَانْتِدِيتْ أَسْمِي تْكْسْنْتْ ثَلاَغْثْ.

1- اختلاف لون بشرة الإنسان[1]

الرّاوية: يعني، لماذا خلقنا الله مختلفين في البشرة، أحدنا أسودا والآخر أبيضا ...؟

المستمعون: لماذا؟

الرّاوية: بماذا خلقنا؟ خلقنا من التراب، تذهب الملائكة لتنزع الصلصال: جهة بيضاء وجهة سوداء. فإذا انتزعت من الجهة البيضاء فسيكون الإنسان أبيض اللّون، أما إذا انتزعت من الجهة السوداء فسيكون الإنسان أسود اللّون، أما إذا قامت الملائكة بخلط تراب الجهتين معا فسيكون الإنسان أسمر البشرة*.

توجد فتاة في قرية "أزغار"** نصف جسمها أبيض اللّون، أما نصفها الآخر فهو أسود اللّون، فالصلصال الأبيض قد أوشك على الانتهاء، فأخذت الملائكة الحفنة المتبقية منه وحفنة من الصلصال الأسود، فكانت تلك الفتاة بلونين مختلفين، نصف جسمها أبيض، ونصفها الآخر أسود.

هكذا إذن هي البشرة، فعندما تأخذ الملائكة حفنة من الصلصال الأبيض تكون البشرة بيضاء وعندما تأخذ حفنة من الصلصال الأسود تكون سوداء اللّون، وعندما تخلط بينهما تكون البشرة سمراء اللّون، وعندما تأخذ حفنة بيضاء وحفنة سوداء*** يصبح نصف جسم ذلك الإنسان أبيض اللّون ونصفه الآخر أسود.

---

[1]- مقابلة جماعية: على الساعة العاشرة صباحا، يوم: 2010/12/22م، قرية: "آيث الميزاب"، بلدية: "ذراع القائد"، مع:

- علجة يعيش: 60 سنة، مربية، السنة الثانية محو الأميّة.
- نجاة قريشي: 29 سنة، السنة الثالثة محو الأمية.
- بهيجة معوش: 54 سنة، مربية، أميّة.

*- يستشهدن بخلط القهوة مع الحليب الذي ينتج عنهما اللّون البني.

**- إحدى قرى منطقة خراطة تبعد عن المدينة بحوالي18 كلم².

***- تشير الرّاويات إلى اليمين (الصلصال الأبيض) واليسار (الصلصال الأسود)، وقد روينّ هذه الأسطورة عندما كنّ ينزعن الصلصال.

2 ــ لْصْلْ لْحْشَاوْشْ، نُقْطِيطْ لْجْنَةْ[1]

وِينْ إِقْحْكَانْ: مَلاَّ تْزْرِيمْ أَتَمْنْمْ أَدْنْحْكَى، مَلاَّ تْزْرِيمْ أُتْتَمْنْمَانِي أُدْنْحْكَانِّي.

وِينْ إِقْصْرَاشْنْ: أَوَّاهْ أَنَمْنْ، حْكَادْ پْرْكْ.

وِينْ إِقْحْكَانْ: قَرْنَاگْ لْچْدُودْنْغْ، بْلِّي پْگْرِي وْزْمَانْ، لْعْپْذْ أَمْزْوَارْ أُذْسِنَانِي لْحْشَاوْشْ إِقْتْوَتْشَايْنْ، تُوغْ إِثْتْ رِيشْ نْلُوزْ، ذْتُوثْ. أَسْمِّي ادْگْشْمْ لْخْرِيفْ إِقُورْ رِيشْ نْلُوزْ ذْتُوثْ، أُلاَشْ ذَشُو أَلَذِيتْشْ حَشَا رِيشْ ذِينْ إِقُورْنْ. أَمِذْيِّيُونْ أُپْرِيذْ إِلُوژْ إِتْحْوِيسْ قْلغَاپَة، يُوفَى أَقْطِيطْ لْجْنَةْ* زْنِيقْ أُشْطُوپْ، إِطْلْعْ إِوْشْطُوپْ إِحْكْمِثِيذْ، أَسْمِي رُوحْ أَثِزْلُو إِنْطْقْدْ أَوْعِيلْ ذِينْ سْقْلْقْلِي إِنَّاسْ إِلْعْپْدِينْ: جَايْ أَذْعَاشْغْ، أَسْمَّى دِيگْشْمْ رْپِيعْ أَقْدَوِيغْ قْلْجْنَةْ أَنْدَى تْعَاشْغْ خِيرْلَّى لْحْشَاوْشْ إِقْتْوَتْشَايْنْ، أَهْنْطْژُوظْ وَتْعَاشْذْ زْقْسْنْ.

إِخْمْمْ لْعْپْدِينْ أَيْنْ إِسْدِنَى أُوْعِيلْ، إِنَّاسْ: رُوحْ، مَدَامْ نَقْطِيطْ لْجْنَةْ أُتْسْهِذَانِي لْوْعْذِيگْ مَاطِّي. إِفْرْقْرْ أَقْطِيطْ ذِينْ إِلْهْوَى إِخْفَى. مِّي دْيُّوسَى رْپِيعْ إِوْلاَدْ نْتَى ذِمْدُكَالِيسْ إِعْبَادْ گْرَيْلاَّنْ لْحْشَاوْشْ، لْفَاكِيَةْ إِلْعْپْدِينْ، إِرْنِّي إِسْگْنَّاسْ أَمْگْ أَهْنْطِّژُو أَهْنْتِيتْشْ أَمْگْ أَذِدَّوَى زْقْسْنْتْ. إِشْكْرِيثْ لْعْپْدِينْ مْلِيحْ، أُمْبْعْذْ إِوْدْعِيثْ. مِّي قْرُوحْ أَوْعِيلْ ذِينْ ذَايْنْ، إِژُو لْعْپْدِينْ لْحْشَاوْشْ ذِينِ لْفَاكِيَةْ، إِتْعُوسِيهْنْ أَلْمِقْعْمْرْنْ.

قْلُقْدِينْتْ سْنْنْ لْغَاشِي لْحْشَاوْشْ إِقْتْوَتْشَايْنْ، ذْلْفَاكِيَةْ، إِرْنِّي إِعَاهْذْ بْلِي أُذْثَانِي أَقْطِيطْ لْجْنَةْ أُسِخْدْمْ أُومَّى ذَقْرَامْ.

---

[1] – ثْحْكَايِّتِيذْ: (؟): 71سنة، ثْطْرْبَّى، أُتْقْرَانِي، فْتْمَنْيَةْ نْدْقِيطْ، 2011/07/20م، ثَدَّارْثْ: "أزغَارْ"، لْبَلَدِيَةْ: "ذْرَاعْ القائد".

* – ذَقْطِيطْ إِتْشَپَاهْ إِقْطَاطْ نِيطْنْ، إِرْقْمْ فْلأَلْوَانْ مْرَّى قْسْتَةْ، إِپْهَى مْلِيحْ، پْگْرْذِينْ أُدِتْپْنَانِي حَشَا إِلْعْپَاذْ لْعَالِي، أُثْقَرَيِّي إِخْفَى لْغَاشِي تْوَاغْنْ، إِيِّهْدِنَانْ تِينْ نِزْقْلِي.

2 ـ أصل النباتات وطائر الجنة [1]

الرّاوية: إذا رأيتم بأنكم ستصدقون سأحكي، وإذا رأيتم بأنكم لن تصدقوا فلن أحكي لكم.

المستمعون: بلى سنصدق، إحكي لنا فقط .

الرّاوية: يقول أجدادنا، إنّه في قديم الزمان وسالف العصر والآوان، أن إنسان الزمن الأول لم يكن يعرف النباتات الصالحة للأكل، إذ كان يأكل أوراق اللّوز والتوت. وعندما حلّ الخريف جفّت أوراق اللّوز والتوت، فلم يجد ما يأكله إلا تلك الأوراق الجافة. وفي أحد الأيّام بينما كان جائعا يتجول في الغابة، وجد عصفور الجنة* في قمّة الجبل، فصعد إلى الجبل فأمسكه وعندما همّ بذبحه تكلم ذلك العصفور بصوت خافت قائلا لذلك الإنسان: أتركني أعيش، وعندما يحلّ الربيع سأحضر لك من الجنة التي أعيش فيها الكثير من النباتات الصالحة للأكل، لتغرسها وتعيش بها.

فكّر الإنسان هنيهة من كلام العصفور، فقال له: إذهب فأنت حرّ، وبما أنّك طائر الجنّة فلن تنسى وعدك لي أبدا. فطار العصفور إلى السماء واختفى. وبعودة الربيع عاد محمّلا مع أصدقائه ما لذّ وطاب من النباتات والفواكه لذلك الإنسان، وعلّمه كيفيّة غرسها وأكلها والتداوي بها. فشكر الإنسان ذلك العصفور وودّعه. وبعد مغادرة عصفور الجنّة، أخذ الإنسان تلك النباتات والثمار المختلفة، وغرسها وأخذ يعتني بها حتى نمت وأثمرت.

ومنذ تلك الفترة عرف الإنسان النباتات الصالحة للأكل، ومختلف الفواكه، وأخذ عهدا على نفسه بأن لا يأكل طائر الجنة ولا يسيئ إليه.

---

[1]– الرّاوية: (؟):71 سنة، مربيّة، أميّة، على الساعة الثامنة ليلا، يوم: 2011/07/20م، قرية: "أزغار" بلدية: "ذراع القائد".

*– طائر يشبه سائر الطيور الأخرى مزركشا بالألوان الستة المعروفة، إنّه طائر جميل، وقد كان في قديم الزمان لا يظهر إلا للأتقياء، أما في الآونة الأخيرة فقد اختفى لفساد أخلاق البشر. استقيت هذه المعلومات من الرّاوية نفسها.

3 ـ لـْپـْرقْ ذْرْعْظْ[1]

وِينْ إِقْـصْرْاَشْنْ: أَمـْگْ ثـْپـْرقْ ثْرْعْظْ؟

ثِينْ إِقْـحْكَانْ: نَنَّاگْ، سِينْ لْمُلُوكْ ذْرْبِّ أَعْزِيزْ إِهْندِوْصْفْنْ، نَنَّاگْ يِّيوْنْ ذَعـْقـُونْ وَنِيطْنْ إِهْدْرْ، نَنَّاگْ أَعـْقـُنْدِينْ مَلاَّ تْرْعْظْ أَسِّنِي: أَطْطْرْنْغْ، نَنَّاگْ لـْپـْرقْذِينْ أَسِّنِي: خَاطِّي مَا زَالْ قْلِّي.

أُمْبْعْدْ أَتـْپرقْ وَطْرْعْظْ گـْرَّى أُذِتْلِي.

أَنِسَامْحْ رْبِّ، أَيْنْ إِدْنْنَى.

3 ـ البرق والرعد[2]

المستمعون: كيف تبرق السماء وترعد؟

الرّاوية: يقولون، إن هناك ملكين خلقهما الله، واحد منهما أبكم، والآخر عادي يتكلم فالأبكم يقول عندما ترعد السماء: سأقلّب الدنيا وأدمّرها، فيردّ عليه البرق قائلا له: لا إنتظر قليلا.

وبعدها تبرق السماء فترعد دون حدوث أي ضرر.

فليسامحنا الله، على ما قلناه.

---

[1]– ثْحْكَايْتِيدْ: العمرية بن عياش: 78 سنة، ثْطْرْبَى، أُتْقْرَانِي، فْتْمَنْيَة وْنْصْ نْدْقـِيطْ، 2011/01/20م، ثَدَارْثْ: "لْبْرْزَاخْ"، لبلدية: "ذراع القائد".

[2]– الرّاوية: العمرية بن عياش: 78 سنة، مربيّة، أميّة، على الساعة الثامنة والنصف ليلا، يوم: 2011/01/20م، قرية: "البرزاخ"، بلدية: "ذراع القائد".

4 ــ ثـــِپــُـورْقِشِينْ فَيُّورْ وْذِمْطَاوِنْ[1]

ثِينْ إِقْــحْكَانْ: أَمْدْحْكِيغْ. مَلاَّ ثـــْرْ رِيظْ أَتَمْنْذْ أَمْدْحْكِيغْ، مَلاَّ أُتَمَنْذَّانِي أُمْدْحْكِغَانِّي.

ثِينْ إِقْــصْرَاشْنْ: أَوَّاهْ أَذَمْنْغْ، حْكَادْ پــْرْكْ.

ثِينْ إِقْــحْكَانْ: أَمْدْحْكِيغْ. أَمْــگْ سْنْنْ لْغَاشِّي إِمْطَاوِنْ، وَامْــگْ إِقْــرْقْمْ وَيُّورْ؟

ثِينْ إِقْــحْكَانْ: ثْلاَّ ثْمْطُوثْ ذُرْقْــازْ پــْگـْـرِي، سْعَانْ يِّيوِنْ نُمْتشُوگْ، تْعَاشْنْ مْلِيحْ گـْـرَّى أُذِلَّى، أَلْمِتِيشْثْ نْنْهَارْ ثْمْرْضْ إِمَّاسْ نُقْشِيشْذِينِّي أَپـْـسْتُوحْ قــْپــْلْ أَتْمْثْ، ثْوْصَى أَرْقْــازِيسْ فْمِيسْ، ثْنَّاسْ: بَلاَّكْ مِّي كُولْشِي، كُولْشِي ذْمِيسْ. ثْجَسِثِيدْ ذْلْمَنَّى إِوْرْقْــازِيسْ.

أُمْبْعْذْ إِرْنِّي إِجِــوچْ ثَايْطْ، ثَيِّي إِدُوفِــى ثُوعْرْ مَاطِي، أُمْبْعْذْ أَنْكْنْ أَنْكْنْ ثْنَّاسْ ثْمْطُوثِيسْ: لِيزْمْ أَطْذْبْرْظْ إِمــِيگْ، إِنَّاسْ: أَمــْگْ أَذْغْغْ إِذَمْنِيوْ!؟ يَّاخِي ثْعْلْمْذْ ذْمِّي، ثْوْصَيْ زْقْــسْ إِمَّاسْ، ثْجَيْثِيدْ ذْلْمَنَّى. ثْنَّاسْ: أَبْلِجِي أَسْتْطْبْرْظْ إِمــِيگْ. أُمْبْعْذِيگْنْتْ إِنَّاسْ: ذَايْنْ إِقْــسْهلْنْ، إِرُوحْ إِوْقْــِيثْ إِلْغَاپــَـة أُمْبْعْذِيگــْنْتْ، إِطْفْذْ أُوشْنْ، إِزْلُو أُوشْنْدِينْ، نْتَى أُذِزْمِرَّانِي أَذِيغْ مِيسْ، مِيسْ أَثِيغْ!؟ أُذِزْمِرَّانِّي، إِسْرْحَاسْ قــْلْغَاپــَـة. نْتَى إِرُقْــحْ ثْنَّاسْ: ذَايْنْ ثْهْنِذَايْ زْقْــسْ؟ إِنَّاسْ: ذَايْنْ، صْرْتَحْغَامْ ثْرَّى، ســِيڤْ لْمُوسْ إِطْلَّى ذِيذَامْنْ.

أَقْشِيشْذِينْ إِقِيمْ دْقْــِيطْ قــْلْغَاپــَـة أُوحْذْسْ، تَلاَّسْثْ، أُلاَّشْ ذَشُو أَلَذِخْذْمْ، إِوِقْــذْ مَاطِّي. نْتَّى كُولْشِّي إِتْرَّاثْ إِوْلِيسْ، لْمَحْلْدِينْ أُلاَّشْ إِمْطَاوِنْ، أُذِسِينَّانِي أَذِتْرُو أَذِسْرْثَّاحْ أُولِيسْ، لْقْدِينْتْ ثــْرْ رَّاثِيدْ ثْمْطُوثْ قــَيــُورْ، ثْنَّاسْ إِوَيُّورْ: ســِيڤْ إِوْقْشِيشْغَاذِي؟. أُمْبْعْذِيگــْنْتْ إِرْ رَّاثِيدْ وَيُّورْ إِنَّاسْ: ثْرَّى أَذْرُوحْغْ أَضَطْرْغْ إِغُورْسْ أَســِيڤــْغْ ذَشُو ثْيُّوغْنْ؟ أُمْبْعْذِيگــْنْتْ مِّي قـُـوطْرْ إِحْكَاسْدْ أَقْشِيشْذِينْ كُولْشْ، إِحْكَاسْدْ ثَحْكَايْثِيسْ مْرَّى، أُمْبْعْذْ إِنَّاسْ أَيُورْذِينْ: لِيزْمْ أَتْتْرُوذْ بَشِّي أَتْكْسْذْ أَيْنْ الاَّنْ قــُولــِيگْ مْرَّى، أُمْبْعْذِيگــْنْتْ إِســْگــْنَّاسْ أَمــْگْ أَلَذِتْرُو، أُمْبْعْذْ إِتْرُو فْلاَّسْ فَيُّورْ.

أُمْبْعْذْ أَيُّورْ ثْرَّى إِسْعَى ثِنُقْطِينْ گـْـرَى، أَنْكَى شْغْلْ وَمَّانْ، لُوكَانْ أَذِســِيڤْ حْذْ مْلِيحْ أَهْنْدِيزْ رْ إِرْقْمْ أُمْبْعْذْ قــْلُقْدِينْتْ ثْتْرُونْ لْغَاشِّي، أُوَيُّورْ إِرْقْمْ أَنْكْنْ. ثْحْكَايْثِيدْ نَنَّى پــْگـْـرِي أَطِّرْحْمْ رْبِّ.

---

[1]– ثْحْكَايِّثِيدْ: جميلة. ك، 40 سنة، ثْطْرْبَى، أُتْقْرَانِي، فْتْمْنِيَة نْدْقْــِيطْ، 2011/03/02م، ثْدَّارْثْ: "لْوَافْرة"، لْبَلَدِيَة: "خراطَة".

4 ــ البقع على سطح القمر[1]

الرّاوية: سأحكي. إذا رأيت بأنك ستصدقين فسأحك، وإذا رأيت بأنك لن تصدقي فلن أحكي.

المستمعة: بلى، سأصدق، احك فقط.

الرّاوية: سأحكي لك. كيف عرفت البشرية البكاء، ولماذا القمر مزركشا؟

الرّاوية: وُجِد في قديم الزمان امرأة وزوجها، رزقهما الله بولد، فعاشوا حياة سعيدة وفي أحد الأيّام مرضت الأمّ فانتقلتْ إلى جوار ربّنا، وعندما كانت تلفظ آخر أنفاسها، أوصت زوجها بابنها خيرا، قائلة له: إيّاك وابني. تركته أمانة في عنق زوجها.

أعاد الأب الزواج مرة أخرى، ومن سوء حظه كانت زوجته قاسية لا ترحم أحدا، فعاش معها على تلك الحال، على تلك الحال، على تلك الحال، وفي أحد الأيّام قالت لزوجها: إما ابنك أو أنا؟ خيّرته بين الابن أوالطلاق، هكذا وهكذا وهكذا، دائما تتكرّر الحكايّة نفسها. تقول له: إمّا ابنك أو أنا؟ فردّ على كلامها قائلا: كيف لي أن أقتل ابني من لحمي ودمي!؟ وقد أوصتني به أمّه خيرا، إنّه أمانة. فقالت له: لا يهمني أمره. فقال لها: هذا شيء سهل، أخذ ابنه إلى الغابة، وبعدها أمسك ابن آوى فذبحه، فهو لا يستطيع قتل ابنه، أيقتل ابنه!؟ لا يستطيع، تركه في الغابة وعاد إلى منزله. وعند وصوله استقبلته زوجته الشريرة قائلة له: هل قتلته؟ قال لها: نعم، لقد خلصتك منه، وها هو السكين ملطخا بالدّم.

ترك الطفل في الغابة وحيدا، وقد حلّ عليه ظلام اللّيل الدّامس، لا يعرف المسكين ماذا سيفعل، فبدأ يرتجف من الخوف. وكان كلّ شيء يكتمه في قلبه، لأنّ البكاء في تلك الفترة لم يكن معروفا، لا يعرف كيف يبكي ليخفّف عن ألامه. رأته المرأة التي تعيش في القمر، فقالت للقمر: أنظر إلى ذلك الطفل المسكين؟ فرآه القمر، فقال لها: سأنزل إليه وأرى ما الذي أصابه؟ وعندما نزل إليه وسأله عن سبب حزنه، فحكى له الطفل حكايّته، فقال له القمر: يجب أن تبكي لتخفّف عن ألام قلبك، فشرح له طريقة البكاء، فبكى على سطح القمر.

---

[1]– الرّاوية: جميلة. ك، 40 سنة، مربية، أميّة، على الساعة الثامنة ليلا، يوم: 2011/03/02م، قرية: "وافرة"، بلدية: "خراطة".

الآن أصبح القمر مزركشا ببقع على شكل ماء، لو ينظر أحدكم إليه جيّدا سوف يراه مزركشا بتلك الدموع، ومنذ تلك الفترة أصبحت البشرية تعرف البكاء وأصبح القمر مزركشا بدموع ذلك اليتيم.

روّتها لي جدّتي رحمها الله*.

---

*- تشبه هذه الأسطورة إلى حد ما تلك الأسطورة التي ذكرها Leo Frobenius وملخصها أن هناك طفلا يتيما تائها لا يدري ماذا سيفعل... فرآه القمر فأشفق عليه فنزل إليه وطلب منه البكاء، وعوض أن تنزل دموعه على الأرض ألقى إليه القمر نفسه لكي لا يلوث الأرض بدموعه، ومنذ تلك الفترة أصبح القمر مزركشا ببقع هي دموع أول يتيم على سطح الأرض. ينظر:

Leo Frobenius: Contes Kabyles, Traduction des textes allemands par: Mokran Fetta, Tome1, EDISUD, Paris, France, 1999, P50.

5 ــ أُوشْنْ إِتْوقْــاذْ وِيذِّي[1]

وِينْ إِقْــحْكَانْ: أَمْدْحْكِيغْ. إِوَّاشْ أُوشْنْ ذْوِيذِّي أُتْمِفْهَمْنَّانِّي؟

وِينْ إِقْــحْكَانْ: تُوغْ إِشْحَلَيَّ إِلاَّغْ أُوشْنْ ذْوِيذِي، أُمْبْعْذْ أَنْكَى تْعَاشْنْ مْلِيحْ، ذِمْدُكَالْ، أُمْبْعْذْ أَمِّي تِيشْثْ نْنْهَارْ طْفْنْذْ ثْغْزَالْتْ، أُمْبْعْذْ أُوشْنْذِينْ إِوقْــِى أَزْقْــنْ أَقْــعْــمِيرْ، أَيْذِذِينْ أَزْقْــنْ أَمــْژْيَانْ، أُمْبْعْذْ إِفْقْعْ فْلاَّسْ أَيْذِي، إِنَّاسْ: مُوقْ إِكــْژْرِيغْ شْكِينِّى ذْلْعَيْلاَّگْ أَكْتْشْغْ .

أُمْبْعْذْ ڤْــلُقْدِينْتْ أُوشْنْ إِتَوْقْــاذْ أَيْذِي.

ثِينْ إِقْــتْحْوِسْنْ: مْنْهُو إِكِهْدِحْكَانْ ذِمَاگْ؟

وِينْ إِقْــحْكَانْ: يَّا؛

ثِينْ إِقْــتْحْوِسْنْ: ذَشُو كْتْتَّاغْ؟

وِينْ إِقْــحْكَانْ: ثْنَايْذْ ذْصْحْ ثْطْرَّى پــْگْرِي؛

ثِينْ إِقْــتْحْوِسْنْ: أُمْبْعْذْ شْكِينِّى ذْصْحْ ثُمْنْذْ؟

وِينْ إِقْــحْكَانْ: يَا؛

ثِينْ إِقْــتْحْوِسْنْ: صَحِيطْ.

---

[1]– إِحْكَايِّتِيذْ: محمد بوخنوف، ثْمْنْسْنِّينْ ڤْــلْعْمْرِيسْ، سَنَة ثَالْثَة ابتِدَائِي، فْتْسْعَة نْدْقْــِيطْ، 2011/02/18م، ثَدَّارْثْ: "أجيونْ"، لْبَلْدِيَة: "ذْرَاعْ القائدْ".

5 ــ خوف ابن آوى من الكلب[1]

الرّاوي: سأحكي لك. لماذا ابن آوى والكلب لا يتفاهمان مع بعضهما البعض؟

الرّاوي: كان في قديم الزمان ابن آوى والكلب، يعيشان مع بعضهما البعض عيشة سعيدة، فهما صديقان متحبان، وفي أحد الأيّام إصطادا غزالة، فأخذ ابن آوى الجزء الأكبر من لحمها، وأعطى للكلب الجزء الأصغر منها، فغضب الكلب من قسمته غير العادلة، فقال له: منذ هذا اليوم أنّى وجدتك افترستك مع عائلتك.

ومنذ تلك الفترة أصبح ابن آوى يخاف من الكلب.

الباحثة: من روّاها لك، هل هي أمّك؟

الرّاوي: نعم؛

الباحثة: ماذا قالت لك؟

الرّاوي: قالت لي: إنّها حقيقية وقعت في قديم الزمان؛

الباحثة: هل صدقت والدتك؟

الرّاوي: نعم؛

الباحثة: شكرا لك.

[1]– الرّاوي: محمد بوخنوف، 08 سنوات، السنة الثالثة ابتدائي، على الساعة التاسعة ليلا، يوم: 2011/02/18م، قرية: "أجيون"، بلدية: "ذراع القائد".

6(أ) ــ زْنْزْلّى[1] (الرواية الأولى)

وْيَّ إِقْـصِرّاشْنْ: أَمْـگْ إِثْتْزْنْزِيلْ؟

ثِينْ إِقْـحْكَانْ: مَلاَّ أَدِحْرْگـْ أُنْزَاظْ نْوَّيُوفـْ فْـلـْپـحْرْ أَتْزْنْزْلْ لْقَاعَى، وِيطْ أُنْزَاظْ پـرْكْ، لُوكَانْ أَذِحْرْگْ مْرَّى أَتـْنـْـقْـرْ دُنِيثْ.

6(أ) ــ الزلازل[2] (الرواية الأولى)

المستمعون: كيف تزلزل الأرض؟

الرّاوية: عندما تتحرك شعرة من ثور البحر تزلزل الأرض كلّها، شعرة واحدة فقط تحدث الزلزال، لو يتحرك ثور البحر كلّه ستفنى الدنيا.

1– ثْحْكَايِّيِيذْ: دهبية مغبولي، 60 سنة، ثْطْرْبَى، أُنْقْرَانِي، فْسَاعْتِينْ نْتْعْشْوِيثْ، 2011/02/15م، ثَدَّارْثْ: "رْحَامِينْ"، لْبَلَدِيَة: "ذْرَاعْ القائد".

2– الرّاوية: دهبية مغبولي، 60 سنة، مربية، أمية، على الساعة الثانية زوالا، يوم: 2011/02/15م، قرية: "رحامين"، بلدية: "ذراع القائد".

6(ب) ــ زْنْزْلَى[1] (الرواية الثانية)

ثِينْ إِقْـحْكَانْ: أَمـْگـْ إِثْتْزْنْزِيلْ لْقَاعَى؟

وْيَّ إقْـصْرَّاشْنْ: أُنْعْلِيمْ، أَمـْگـْ إِثْتْزْنْزِيلْ؟

ثِينْ إِقْـحْكَانْ: لْقَاعَى ثْمُوفْ فِقَاشِيوْنْ نـُقْـدُوزْ، أَسْمَى أَذِيعْيَّ يِّيوْنْ نُقَاشِيوْ فْلْقَعَاذِينْ أَتِسْرْسْ فُوقَاشِيوْ نِيطْنْ پـرْكْ أَتْزْنْزْلْ. أَنْكَى إِثْتْزْنْزِيلْ لْقَاعَى، مُوقْ إِقْـپـدْلْ أَقَاشِيوْ أَتْزْنْزْلْ.

6(ب) ــ الزلازل[2] (الرواية الثانية)

الرّاوي: كيف تزلزل الأرض؟

المستمعون: لا نعرف. فكيف تزلزل؟

الرّاوي: وضعت الأرض على قرني الثور، فعندما يتعب أحد قرنيه من حمل الأرض فإنّه يضعها على قرنه الآخر فتزلزل الأرض. هكذا إذن تزلزل الأرض، كلّما إنتقل من قرن إلى آخر تزلزل.

---

[1]- ثْحْكَايّتِيذْ: (؟): 69 سنة، ثْطْرْبَى، أُتْقْرَأولاَ، فْتَالْتَة نْتْعْشْوِيثْ، 2011/07/16م، ثَدَارْثْ: "جرْمُونة"، بلدية: "خْرَاطَة".

[2]- المخبرة: (؟): 69 سنة، مربية، أمية، على الساعة الثالثة زوالا، يوم: 2011/07/16م، قرية: "جرمونة" بلدية: "خراطة".

7 ــ نَانَة حِيجَة[1]

وْيَّ إِڤْـصْرَّاشْنْ: إِوَّاشْ إِسْمَانْ "نانة حيجة"؟

وِينْ إِڤْـحْكَانْ: نَانَة حِيجَة ثَرُوڤْـحْدْ ڤْـلْحِيجْ، ثـُوڤْـطْ أَخَامْ نرْبِّ، مَلاَّ أَطْنْطْفْ نْقَرَّاسْ: أَنْدَلَّى أَتـْـچْـوْچْ فْلاَّنْتَا، أَنْدَلَّى تـْچْـوْچْ؟ نْتَاثْ ثْخْدْمْدْ ثـِقـْچـَرْنِيسْ أَنْكَى ذْوَنْكَى*، أَنْدَى تْوْهَى ذِينْ أَلـَتـْچـْوچْ، ذْصْحْ.

أُثِيشْثْ مَقْرِيبْ أَتَرُّو أَهْتَوِي وتَوِّي ثـِپـْرِيثْ ذُعْمُوذْ، وَسْتِّي: ذَشُو أَلْتَرُو؟ مَلاَّ تَقْشِيشْثْ أَتْرْفْذْ ثـِپـْرِيثْ، مَلاَّ ذَقْشِيشْ أَتْرْفْذْ أَعْمُوذْ، ثْعْلْمْ أَلْخَاطْرْ ثْوْلاَّدْ ڤْـلْحِيجْ. أُمْبْعْذْ أُتْنْتْغَانِي.

7ــ سرعونة (أو فرس النبي) [2]

المستمعون: لماذا أطلقوا عليها اسم "نانة حيجة"؟

الرّاوية: رجعت السرعونة من الحج، فهي تقوم بأداء مناسك الحج كالإنسان تماما، عندما نمسكها نقول لها: إلى أي مكان ستتزوج بنت فلان؟ فتشير إلينا برجليها هكذا وهكذا**، أينما أشيرت فإنّها ستتزوج إلى ذلك المكان بعينه، إنّها الحقيقة.

أما المرأة الحامل فعندما تمسكها تحضر حبة من فضلات الأغنام وعصا صغيرة، وتقول لها: ما نوع الجنس الذي سألده؟ فإذا أمسكت السرعونة حبة الفضلات فإنّ المرأة ستلد بنتا، أما إذا أمسكت العصا الصغيرة فإن المرأة ستلد ذكرا، فالسرعونة تعلم كلّ شيء لأنّها رجعت من بيت الله. ولهذا فإنّنا لا نقتلها أبدا.

---

[1]– حْكَانيَّتِيدْ: – فاطمة عـْڤـُون، 60 سنة، ثْطْرْبَى، أُتْقْرَانِي، فْتْمَنْيَة نْدْڤـِيطْ، 2011/02/15م، ثَدَّارْثْ: "الرْحَامِينْ"، لْبَلَدِيَة: "ذْرَاع القائِد".

– دهبية مغبولي ثِينْ نِزْڤْـلِي.

*– تْوْهَانْتْ سِفَاسْنْسْنْتْ إِلْجْوَيْه ڤـْرْپـْعـَة (شمال ذلجنوپ شرق ذلغرپ).

[2]– الرّاويتان: – فاطمة عـْڤـُون، 60 سنة، مربية، أميّة، على الساعة الثامنة ليلا، يوم: 2011/02/15م، قرية: "رحامين"، بلدية: "ذراع القائد".

– دهبية مغبولي: السابقة الذكر.

**– تشير الرّاويتان بيديهما إلى الجهات الأربعة (الشمال والجنوب والشرق والغرب).

8 ــ سِيذِي مْبَّارْگْ[1]

إِتْرُوحْ إِوْشْطُوپْ إِطْژَلَّى ذِينِّي، إِطْژَلَّى ذِينِّي، إِوْحَاسْدْ رَبِّ بَلِّي أَمْـگَـانْدِينْ لْعَالِيثْ ذْلْجَامَعْ، أُمْبَعْذْ إِطْسْ يُّوفَ ڤْـلْمْنَّامْ إِغَازْ ڤُـمْـگَـانْدِينْ. إِكْرْذْ إِنَّاسْ: واﷲ، أَلْمَخْمْغْتْ، إِغَازْ إِغَازْ إِغَازْ، أَلْـمـِڤْـخْذْمْ سْنَّاثْ نْشْنَايـرْ، شَمْبْرَّى تـَڤْـعْـمِيرْثْ تْڤِيمَانْ ذِينِّي تـْژَلاَنْ شَمْبْرَّى نِيطْنْ خَمْثْتْ إِوْپـخْرْ. أَسْمِّي إِهْنْتِيكْسْ إِسـُڤـْدْ لـْجـْپـْسْ إِخْمَّاسْ لـْپـَاپْ، إِخْمَّاسْ طَاقْ، إِوْڤـِيدْ تَسْجَالْتْ نَنَّاگْ إِژْوِلْ – ثـَژْلِيثْ أُتِجَانِّي – نْتَّى إِسْلْمْ إِنْطْقْدْ إِغُورْصْ لـْمَـلْـگْ إِنَّاسْ: "طَاطِّي طَاطِّي يَا لْجْبْلْ يْحْجْ بُوخْنُوفْ* ڤـَاعْدَة "، نَنَّاگْ خَمْنْ إِذُرَّارْ أَنْكَ** – أَذْرَّارْ إِپـطَّى نْصَافْ – إِژْرَادْ لْحْجْ سِڤِيمِّي.

8 ــ سيدي مبارك[2]

يذهب هذا الرجل إلى جبل يعبد فيه الله، يعبد فيه الله، حتى أوحّى الله إليه بأنّ ذلك المكان يصلح بأن يكون مسجدا، وفي أحد الأيّام بينما كان نائما رأى في منامه بأنّه يحفر في ذلك الجبل الذي أوحى الله إليه. فنهض مباشرة وقال: والله، سأفعل ما رأيته في منامي فأخذ يحفر ويحفر ويحفر، حتى بنى غرفتين واحدة كبيرة تقام فيها الصلاة، وأخرى صغيرة تستعمل للبخور. وعندما أتمّ بناءهما أنضج الجبس فأطلى جدرانهما بالجبس، كما وضع لهما الأبواب والنوافذ، وفي أحد الأيّام أحضر السّجادة فصلى – الصلاة لا يتركها أبدا – وبعد أن سلم من صلاته كلّمه ملك من الملائكة قائلا له: "انشقي انشقي يا جبال يحج بوخنوف*** وهو جالس" فتشققت الجبال هكذا**** – قسمت الجبال إلى نصفين – قام بأداء مناسك الحج وهو جالس في سِّجادته.

---

[1] – ثْحْكَايِّتِيدْ: العمرية بن عياش: ثِينْ نِزْڤـَلِي، ڤْتْمْنْيَة وْنْصْ نْذْڤـِيطْ، 2011/01/20م.

*– ذْلاَقَـبْ نْلْوَلِيْ "سِيذِي مْبَّارْگْ".

**– ثـْسـْپـْعـْذْ إِفَاسْنِيسْ فـْلـْپـَعـْطْنَى.

[2] – الرّاوية: العمرية بن عياش: السابقة الذكر، على الساعة الثامنة والنصف ليلا، يوم: 2011/01/20م.

***– لقب الولي "سيدي مبارك".

****– أبعدت الرّاوية يديها عن بعضهما البعض.

9 ـــ سِيذِي مَنْصُور[1]

لاَّصَلْيصْ "نْسِيذِي مَنْصُورْ"* نِزرُوقَنْ (أَجِيونْ). إِتْرُوحْ إِعَبْذْ رَبِّ زَنيفْ أُوشْطُوبْ إِقْرَّى نْسْخَانَسْ ذِنِّي أَلْمَتَعْشْوِيثْ وَدِرِقْـحْ. Aprés نَنَّاگْ يِّيونْ أُيِـرِيذْ، إِقْرَّى نْسْخَانَسْ ذِنِّي ثْعْدَاذْ ثْفِيرْلَسْثْ إِسـِقْـاسْ أَنْكَ** ثْغْلِيذْ أَلَخَطْرْ إِسْعَى لْبُرْهَانْ.

نَنَّاگْ إِلاَّ يِّيونْ شْغْلْ لْغَارْ، إِلاَّ وَايْطْ حْبُونْ فْلاَّسْ. كُلْوَّى ذَشُو قـْـدْعُو، وِينْ إِقْـسْعَانْ مِيسْ نِيغْ ذِلِيسْ طَمَطُونْطْ أَنْيَّوِي إِذِينْ، وِينْ إِقْـسْعَانْ مِيسْ قـْفْرَنْسَا أَذرُوحْ أَذِدْعُو فَشِّي أَدِوِلَّى أَسِينِّي: "أَسِيذِي مَنْصُورْ" رِثِيذْ، وِينْ أُنْسْعَانِّي دْرْيَّ أَسِينِّي: "أَسِيذِي مَنْصُورْ" گـفَايْذْ دْرْيَّ أَسْدِيفْكْ.

أُمَبْعْذْ إِرُوحْ يِّيونْ أُيِـرِيذْ إِلْزَايْرْ إِعَبْذْ رَبِّ قـُمـگَـانْ گـرَّى ذِنِّي، قَرْنَّاسْ: "سِيذِي مَنْصُورْ". أَسْمِّي قـْمُوثْ رُوحْنْ سَيِّي أَهْدَاوِينْ نُوغْنْ فْلاَّسْ، وِيَّى نْدَيِّي إِزْرُوقَنْ قَرْنَّاسْ: أَنْثَوِي أَذِمْطَلْ قـْثْمُورْثِيسْ، وِيَّ نْلْزَايْرْ قَرْنَاسْ: أَنْدَّى إِقْـمُوثْ ذِينْ أَلَذِمْطَلْ. إِنْطَقْذْ إِنَاسْنْ: أُتَاغْثْ فَلِّي أُوذِلَّى، لْخْمِيسْ ذْلْجْمْعَة أَكَايْنْ ذَيِّي قـْسِيذِي مَنْصُورْ "نُوَچِيونْ"، أُسَانْ نِيطْنْ أَكَايْنْ "قْـلْزَايْرْ" أَنْدَى رُوحْنْ أَثَافَنْ. أُمَبْعْذْ قَرْنَّاسْ: "سِيذِي مَنْصُورْ بُوسِينْ لـقـپُـورْ".

لاَّنْ إِخَامْنْ قـُمـگَـانْ "نْسِيذِي مَنْصُورْ" أَنْدَّى إِقْـمْطَلْ، إِكْسْ أَقْرْمُوذْ رَاپـنْ إِقِيمْذْ لأَثَارْنْسْنْ، لْغَاشِّي لـهِـپَـارْگْ إِيقْـزْذْغْنْ ذِينِّي، خَدْمْنْ ثِيغْطْنْ، خَدْمْنْ أُولِّي. نَنَّاگْ ثِيشْثْ مْسْكِينْثْ ثـتـغـپـنْ مَاطِي مَاطِي – أَهْدِحِينْ رَبِّ فْلاَنْغْ سْلْخِيرْ نْشَاء الله– نَنَّاگْ ثْخْذْمْ قـْلْمَالْ "ثِيغْطْنْ أُولِّي" ثِينْ إِتَمْعِشْثِيسْ.

أَنْكْنْ أَنْكْنْ، أُولْعْلِمْغَانِّي ذْعْشْرْسْنِينْ، ذَحْدَاشْ نْسْنَّى، نِيغْ ذْرْپـعـطَاشْ نْسْنَّى أُذْعْلِمْغَانِّي. أَلْمِتِيشْثْ نْنْهَارْ ثْطْفْذْ ثَغَاطْ أَهْطْرْقْ قـْلْكْهْفْ "نْسِيذِي مَنْصُورْ"، ثْخْذْمْ ثـپـقْرُوشْثْ نْتَلاَّغْثْ أَهـطـرْقْ إِشِيْعَاسْذْ رَبِّ ثـعـچـاچـثْ، ثْطِيرْتِيذْ سْنْتَاثْ سْطْغَطْنِينْ

[1]–حْكَانِيتِيذْ: – مولود طْعِيطْنَاسْ لْعَزِيزْ: 50 سنة، ذَعْسَاسْ، أُنِقْرَانِي، فْثْمَنْيَة وْنْصْ نْدْقِيطْ،2010/12/27م، ثَدَارْثْ: "أَجِيونْ"، لبلدية: "ذْرَاعْ لقائد".

– صليحة بن حدة: 47 سنة، ثْطْرْبَّى، أُتْقْرَانِي، فْتْسْعَة وْنْصْ نْدْقِيطْ، 2011/03/09م، ثَدَارْثْ: "أَجِيونْ"، لبلدية: "ذْرَاعْ لقائد".

*– سِيذِي مَنْصُورْ ذْلْوَلِّيْ، إِسْعَى سْنَاثْ نْطْمْطْلِينْ ثِيشْثْ قـْشْطُوپْ د: "أجيون"، أُوثَايْطْ "قلْزَايْرْ".

**– إِعِينْ إِخْفِيسْ شْوِيَّ شْوِيَّ إِسِيفْ إِلْهْوَى.

سـْتـْـپـْقْرُوچـْـثْ ذِينْ نْتَلاَّغْثْ. نَنَّاگْ مِي ثـْـقـُـورْ أَتْدْرِپـَــى نْطَقْنْطْدْ لـْـمـَـلـَـيگـَـاثْ فِمِيسْ ثْنَاسْ: "أَسِيذِي مْنْصُورْ أَجْبَارْ لْكْسُورْ"، "أَسِيذِي مْنْصُورْ أَجْبَارْ لْكْسُورْ"، "أَسِيذِي مْنْصُورْ أَجْبَارْ لْكُسُورْ"، نَنَّاگْ مِي طُوطْرْ إِلْقَاعَى أُتْيُوغْ أُومَى ذَقـْـرَامْ ڤـْـ: "سِيذِي مْنْصُورْ" ذِينِّي .

إِوَّاشْ إِسْقَارْنْ ثُرَّى "سِيذِي مْنْصُورْ أَجْبَارْ لْكْسُورْ"؟

سْلِيغَاسْ پـْـگـْـرِي پـْـگـْـرِي.

9 ــ سيدي منصور[1]

أصل "سيدي منصور"* من عائلة زرارقة (أجيون). كان يعبد الله في الجبل الذي دفن فيه الآن، حيث كان يقرأ هناك القرآن كلّ يوم حتى يسمع آذان المغرب فيعود إلى داره. وقالوا بعد ذلك، إنّه في أحد الأيّام بينما كان يرتل القرآن مرّ عليه الخّطاف فنظر إليه هكذا** فسقط ميّتا لأنّه كان ذا برهان كبير.

يوجد في المكان الذي دفن فيه الآن غار وحجر أملس تتدحرج عليه النساء. كلّ واحد ماذا يدعو فيه، فمن كان يملك ابنا أو ابنة مريضة ذهب إليه، ومن كان ابنه في فرنسا يدعوه قائلا: "يا سيدي منصور" أرجعه، والمرأة العاقر تدعوه بأن يرزقها ذريّة فتقول: "يا سيدي منصور" أرزقني الذريّة.

ذهب في أحد الأيّام إلى الجزائر العاصمة فاختار لنفسه مكانا يعبد فيه الله، وهو مكان سمي باسمه الآن "سيدي منصور". وعندما توفي ذهب أهل منطقته "أجيون" إلى الجزائر العاصمة لاسترجاع جثته ودفنه في منطقته الأصلية، فتشاجر أهل منطقته مع أهل الجزائر العاصمة، فأهله يفضلون دفنه في مسقط رأسه، أما أهل العاصمة فيفضلون دفنه في مكان وفاته. فتحركت جثته نتيجة هذا الصراع، وحسمت الأمر قائلة: لا تتشاجروا فيومي الخميس والجمعة سأكون في منطقة ولادتي "أجيون"، وفي الأيّام الأخرى سأكون في مكان وفاتي "الجزائرالعاصمة" أينّما ذهبوا وجدوه. ومنذ تلك الفترة يقولون له: "سيدي منصور ذو القبرين".

كانت المنازل متواجدة في المكان الذي دفن فيه "سيدي منصور"، لم يبق منها في وقتنا الرّاهن إلا آثارهم، وقد كان يعيش في ذلك المكان الكثير من النّاس، وقد كانوا يملكون الكثير من الماعز والنعاج. وقد كانت تعيش هناك إمرأة فقيرة – ليحنّه الله علينا بالخير إنشاء الله– كانت ترعى الماشية "الماعز والنعاج" تلك هي معيشتها.

---

[1]– الرّاويان: – مولود. ب المدعو لعزيز: 50 سنة، حارس، أميّ، على الساعة الثامنة والنصف ليلا، يوم: 2010/12/27م، قرية: "أجيون" بلدية: "ذراع القائد".

– صليحة بن حدة: 47 سنة، مربية، أمية، على الساعة التاسعة والنصف ليلا، يوم:2011/03/09م، قرية: "أجيون" بلدية: "ذراع القائد".

*– سيدي منصور وليّ، له ضريحان ضريح في إحدى قمم جبال منطقة "أجيون"، وضريح آخر في "الجزائر العاصمة".

** – رفع الرّاوي رأسه تدريجيا ونظر إلى السماء.

هكذا وهكذا وهكذا ظلت تعيش لا أدري كم دام ذلك الاستقرار عشر سنوات، أو إحدى عشرة سنة، أو أربعة عشرة سنة... لا أدري. حتى جاء ذلك اليّوم الذي أمسكت فيه العنزة لتحلبها في كهف "سيدي منصور"، فوضعت مزهرية الصلصال بين رجليها لتحلب العنزة فأرسل الله إليها ريحا قوية، فرمتها من قمة الجبل مع عنزتها وحليبها. وعندما كانت تسقط تكلمت بلسان الملائكة قائلة: "يا سيدي منصور جابر الكسور"، "يا سيدي منصور جابر الكسور" "يا سيدي منصور جابر الكسور"، وعندما وصلت إلى سطح الأرض وجدت الحليب كما كان وهي لم تصب بأي مكروه فعظامها لم تتكسر وحتى عنزتها لم تصب بأي أذى، بسبب استغاثتها بالولي "سيدي منصور".

ولهذا السبب أصبحوا يقولون له الآن "سيدي منصور جابر الكسور".

سمعت هذه الحكاية في قديم الزمان.

10(أ) ــ ثَمْغَارْثْ تَسْلِيثْ دِمّى تْنَاغْنْتْ[1] (الرواية الأولى)

ثِينْ إِقْــحْكَانْ: مَلاَّ ثــْژْ رِيمْ أَتَمْنْمْ أَوَنْدْنْحْكَاغْ، مَلاَّ ثــْژْ رِيمْ أُتَمْنْمَانِّي أُدْحْكِغَانِّي.

وْيَّ إِقْــصْرَّاشْنْ: أَوَّاهْ أَنَمْنْ، حْكَادْ يــْرْكْ.

ثِينْ إِقْــحْكَانْ: إِوَّاشْ زْعْمَّى ثَمْغَارْثْ تْسْلِيثْ دِمَّى تْنَاغْنْتْ؟

وْيَّ إِقْــصْرَّاشْنْ: إِوَّاشْ؟

ثِينْ إِقْــحْكَانْ: ثْلاَّ قْــتَارِيخْ قْــپگْــرِي وْزْمَانْ، ثْلاَّ ثَمْغَارْثْ ثْسْعَى أَمْتشُوگْ نْتَاثْ ذُرْقَــازِيسْ، تْعَاشْنْ قْــعــرْشْ رْحْمَانْ قْــلْهْوَى. تْعَاشْنْ قْــلْهْوَّى، تْعَاشْنْ قْــلْهْوَّى، تْعَاشْنْ قْــلْهْوَّى، أَمِــقْــعــمْرْ أُمــتشــُگــذِينِّي تْحْوِسْنَاسْدْ ثِيسْلِيثْ، تْحْوِيسْنْ تْحْوِيسْنْ تْحْوِيسْنْ أَلْمِتُوفَى ثِيسْلِيثْ لْعَالِي، ثــْچــوْچــَاسْ. لُقْدِنْتْ تْعَاشْنْتْ Normal ثَمْغَارْثْ ثــْپــْغــَى ثِيسْلِيثْ ثَمْغَارْثْ ثــْپــْغــَى ثِيسْلِيثْ، ثَمْغَارْثْ ثــْپــْغــَى ثِيسْلِيثْ، أَلْعْلِيمْغْ ذْعَامَيْنْ نِيغْ ذَســُقــَاسْ نِيغْ ذْتْلْتْسْنِينْ. أُمْبْعْدْ لْعَاشُو لْمَشَاكِلْ إِقــْلاَّنْ قــَرَاسْنْتْ تْنَاغْنْتْ تْنَاغْنْتْ تْنَاغْنْتْ تْنَاغْتْ، سَّعَى أَهــْنــْتــِســْنــْپــْطَّى أُرْقــَازِيسْ، سَّعَى أَهــْنــْتــِســْنــْپــْطَّى إِسْلِذِينْ، سَّعَى أَهــْنــْتــِســْنــْپــْطَّى أُرْقــَازِيسْ، سَّعَى أَهــْنــْتــِســْنــْپــْطَّى إِسْلِيذِينْ، لــُقــْدنــِگــْنْتْ أَلْمِتِيشْثْ نــُپــْرِيذْ أُلاَّشْ مْنْهُو أَلــَهــْنــْتــِســْنــْپــْطَانْ، تْمْشْبَابْنْتْ تْشْبْابْنْتْ تْمْشْبَابْنْتْ أَلْمِدْقْلْعْنْتْ شْعْرْ لــْپــَعــْطْنَّى – أُلاَّشْ مْنْهُو أَلــَهــْنــْتــِســْنــْپــْطَانْ – لــُقــْدنــِگــْنْتْ أُطْرْنْتْدْ قــْعــرْشْ رْحْمَانْ ثَّى ثْقْلْعْدْ قــْشْعْرْ نْتَّى، إِقْقْعْ فْلاَّسْنْتْ رْبِّ أَعْزِيزْ قــْلْهْوَى إِطْيْرِهْنْتِيدْ.

قــْلُقْدِينْتْ إِجَادْ رْبِّ ثِيسْلِيثْ تْمْغَارْثْ أُتْمِفْهَمْنْتَانِّي، أُمَّى قــُخَامْ نْرْبِّ سْبْحَانُو وَلاَّ غِيرُو. ثْرُوحْ ثِيشْتْ نْتْمْغَارْثْ أَتْحِيجْ أُنْتَاثْ تــْشــْثــْگــيْ قــْشْلِيسْ، ثْسْلاَسْ ثِيشْثْ نْتْمْغَارْثْ* ثْنَّاسْ: ثُسِيذْدْ أَتْحِيجْدْ نِيغْ أَتــْشــْثــْگــِيذْ فْشْلِيثِيمْ؟ ثْنَّاسْ: يَاخِي ذْرْبِّ إِدِجَانْ أَنْكَّى، أُمَّى قــُخَامْ نْرْبِّ أَنــْتــْشــْثــْگــَيْ.

قــْلُقْدِينْتْ ثِيسْلِيثْ تْمْغَارْثْ تْنَاغْنْتْ أَمُومْشِيشْ ذُغْرْضَّى.

---

[1]– ثْحْكَايْتِيدْ: صليحة بن حدة: ثِينْ نزِقــْلِي، فْتْسْعَة نْدْقــِيطْ، 2010/12/24م.

* – ذْخَالْتِيسْ نْتِينْ إِيهْدِحْكَانْ، ثــْحــِيچْ يــْرْذَايْنْ.

10(أ) ــ الصراع الأبدي بين الحماة والكنّة[1] (الرواية الأولى)

الرّاوية: إذا رأيتم بأنكم ستصدقون سنحك، وإذا رأيتم بأنّكم لن تصدقوا فلن نحكي.

المستمعون: بلى سنصدق، إحك فقط.

الرّاوية: لماذا الحماة والكنّة في صراع دائم ؟

المستمعون: لماذا؟

الرّاوية: كانت عجوز في الزمن الغابر، تعيش مع ابنها وزوجها في عرش الرحمان في السماء العليا. كانوا يعيشون في السماء، يعيشون في السماء، يعيشون في السماء، ولما كبر ابنهما، أخذت وزوجها يبحثان له عن عروس، يبحثان ويبحثان ويبحثان حتى وجدت له أمّه (العجوز) عروسا آية في الجمال فزوجتها له، فعاش الكلّ في سعادة. وقد كانت العجوز الحماة تحبّ كنّتها، كانت الحماة تحبّ كنّتها، كانت الحماة تحبّ كنّتها، لا أدري كم دام ذلك الاستقرار عامين أو عاما واحدا أو ثلاثة أعوام. وبعد ذلك وقعت بينهما مشاكل، فأخذتا تتشاجران وتتشاجران وتتشاجران، وقد بقيت الأمور على هذا الحال فأحيانا يتدخل الحام لفصل الصراع بينهما وأحيانا أخرى يتدخل الابن (الزوج)، هكذا حتى جاء ذلك اليوم حيث لم يكن أحد في المنزل لتهدئة الأوضاع فأخذتا تتشاجران وتتشاجران وتتشاجران، حتى انتزعتا شعر بعضهما البعض – لم يكن أحد في المنزل ليفصل الصراع بينهما – فأغضبتا الله فأنزلهما من عرش الرحمان وهما تتشاجران حتى وصلتا إلى سطح الأرض.

ومنذ تلك الفترة جعل اللّه الحماة والكنّة لا تتفاهمان، حتى في بيته المقدس. وقد ذهبت إحدى الحماة إلى الحج وعندما وصلت بدأت تشتكي من كنّتها، فسمعت كلامها إحدى العجائز* فقالت لها: أيتها الحاجة هل أتيت للحج أم أتيت لتشتكي من كنّتك؟ فقالت لها: ربّي هو الذي ترك هذا، فحتى في بيته المقدّس نشتكي من الكنّات.

ومنذ ذلك الحين صارت الحماة والكنّة في شجار دائم كالقط والفأر.

---

[1]– الرّاوية: صليحة بن حدة: السابقة الذكر، على الساعة التاسعة ليلا، يوم: 2010/12/24م.

* – هي خالة الرّاوية، وقد قامت بأداء مناسك الحج مرتان.

10(ب) ــ ثَمْغَارْثْ تَسْلِيثْ دِيمَّى ثْنَّاغْنْتْ[1] (الرواية الثانية)

ثِينْ إِقْــصْرْاّشْنْ: إِوَّاشْ ثَمْغَارْثْ ثَسْلِيثْ إِمُوقْ لْكُرْهْ قْــرَاسْنْتْ؟

وِينْ إِقْــحْكَانْ: إِتِيْشِهْنْتِيدْ مُولاَّنَا قْــعــرْشْ الرَحْمَانْ، نُوغْنْتْ إِتِيْشِهْنْتِيدْ ثْنَاغْنْتْ ثْمْشَبَابْنْتْ إِتِيْشِهْنْتِيدْ قْـعــرْشْ الرَحْمَانْ إِلْقَاعَى، مِّي دُطْرْنْطْ ثْغْمِيدْ ثَسْطَّى نْلِيلِي قْــرَاسْنْتْ، غَاسْ أَذْمْخَوَّانْتْ مِّي ثِرْزْقْ ثْلاَ ثْلاَّ قْــرَاسنْتْ.

قْـلُقْدِينْتْ ثَمْغَارْثْ تَسْلِيثْ أُوتْمْسَعَذْنْتَّانِّي.

أَنِسَامْحْ رْبِّي، أَيْنْ نْسْلَّي إِدْنْنَّى.

10(ب) ــ الصراع الأبدي بين الحماة والكنّة[2] (الرواية الثانية)

المستمعة: لماذا الحماة والكنّة تكرهان بعضهما البعض؟

الرّاوية: رماهما الله من عرش الرحمان، لأنّهما تتشاجران دائما، فرماهما من أعلى السماء إلى سطح الأرض، وعندما وصلتا إلى الأرض أنبت الله بينهما شجرة المرّ، فهما حتى وإن تصالحتا فالكره والحقد يملأ قلبيهما.

ومنذ تلك الفترة صارت الحماة والكنّة لا تتفاهمان مع بعضهما البعض.

فليسامحنا الله هذا ما سمعناه، هذا ما قلناه.

---

[1]– ثْحْكَايِّتِيدْ: رشيدة نوالي: 44 سنة، ثْطْرْبَى، أُتْقْرَانِي، فْتْمَنْيَة ونْصْ نْدْقْـيطْ، 2010/12/13م، ثَدَارْثْ: "الرْحَامِينْ"، لْبَلَدِيَة: "ذْرَاعْ القَائِد".

[2]– الرّاوية: رشيدة نوالي: 44 سنة، مربيّة، أميّة، على الساعة الثامنة والنصف ليلا، يوم: 2010/12/13م، قرية: "رحامين"، بلدية: "ذراع القائد".

11 ـ ثِيسْلِيثْ ذَحَلُومْ[1]

ثْرُوحْ ثِيشْثْ نْتْقْشِيشْثْ تِيسْلِيثْ ثْـچـوْچْ إِوْمـْگَـانْ إِيـْعـْذْنْ – مَتْشِي ذَمـْگَـانْ إِقْرْپِـْنْ – ثْرُوحْ ذِيذْسْ إِمَاسْ، ثُوقِي مِيسْ، ذَشُو تَاوِينْتْ ثْسْلِيِّينْ پـْگـْرِي؟ تَوِينْتْ ثِغْرِيفِينْ* إِكْرْ أُطُفَنْدِينْ حَشَا سَامْعِينْ إِسْخْمْچْ**، ثْكْسْدْ ثَرْپـْعـُوشْثْ نْتْغْرِيفِينْ ثْسْفْطَّاسْ زِيسْ أُوْطُفَانْدِينِّي.

أُمْبْعْذْ ثِيسْلِيثْ ذِينْ إِمْسْخِيتْ رْبِّ ذَحَلُومْ، أُيِّقْفَافْنْدِينْ ذِتْبَاعْنْذِنِّي إِسْلْسْقِيهْنْ رْبِّ إِلْحِيطْ ذْلْكْهْفْ، ثَيِّي ذْلْحَقِيقَة ثْطْرَّى قَـارْ نْتِيزِي وْزُو ذْپـْقَـايْثْ ذِينِّي إِلْصْقْنْ إِثُورَى.

11ـ العروس القرد[2]

تزوجت إحدى البنات إلى مكان بعيد – ليس بمكان قريب– ذهبت معها أمها الّتي أخذت معها ابنها، ما الذي تأخذه العروس في القديم؟ تأخذ معها الفطائر الرقيقة***، فتبرز ذلك الطفل**** فانتزعت الأم قطعة من الفطائر الرقيقة ونظفت بها جسمه.

فمسخ الله ابنتها العروس قردا، أما أهل العروس الذين ذهبوا معها وأهل العريس فألصقهم الله إلى جدران أحد الكهوف، وهذه الحادثة حقيقية وقعت ما بين تيزي وزو وبجاية وهم لا يزالون ملتصقين بالحجارة إلى اليوم.

---

[1] – ثْحْكَايِّتِيدْ: بهيجة معوش: ثِينْ نِزْقْـلِـي، فـْسـْپـْعـَة وْنْصْ نْتْعْشْوِيثْ. ثْسْهَى أَنْدَى ثْطْرَى ذْدْقْـدْ.

* – ثُرَى تَوِينْتْ لـْقَـاطُو تْمْرْ تَوِينْتْ لْكَاوْكَاوْ...

**– پـْگـْرِي ثْلاَّ القْلَة والْعْلَة، مَتْشِي أَمْلُوقَة إلى الْخِيرْ.

[2]– الرّاوية: بهيجة معوش: السابقة الذكر، على الساعة السابعة والنصف مساء. لا تتذكر الرّاوية المكان الذي وقعت فيه الحادثة بالدّقة.

***– الآن يأخذن الحلويات والتمر والكاكاو...

****– في القديم توجد القلة والعلة، ليس كما الآن يوجد الخير.

12 ــ ثِيسْلِيثْ نَسْلْطَانْ نُغْبَارْ[1]

إِلاَّ يِّوْنْ پـْگـْرِذِينْ ذْسَلْطَانْ ذَوْعِيلْ إِتْفَرْفِيرْ ڨـْلْهْوَى، إِسْعَى ثَخَاثْمْتْ نـْلـْعـْچـْپْ ثْتَكَاسْذْ أَيْنْ إِڨـْتْمْنَى مِرَّى أَيْنْ إِڨـْلاَنْ ذْلْمُسْتَحِيلْ ثْتَكَاسِثِيذْ.

إِلاَّ ڨـْثَدَارْثْ ذِينْ أَنْدَّى إِڨـْتْعَاشْ، إِغـْژْرْ ذَڨـْعـْمِيرْ، فْلاَّسْ فَشُو ثْتْعَاشْ ثَدَّارْثْ ذِينْ أَمِّي ذْيِّوْنْ نـْپـْرِيذْ تَفُوگـْثْ، ثْرْڨَـى ثِيشْثْ نْتْقْشِّيشْثْ ثْرُوحْ أَتْدْوْشْ ڨـْغـْژْرْ ذِينْ وَتْسِيرْذْ لْقْشِيسْ، أَلْمِّي ثْلْفَى إِيذِينْ ثْكْسْ لْقْشِيسْ ثـْگـْشْمْ إِيـْغـْژْرْ إِژْرَاطْ سْلْطَانْذِينْ إِڨـْمُوڨـْنْ شْغْلْ أُوْعِيلْ، إِحَّارْ ڨـْزْنِيسْ إِطْلـْپـِيطْ إِچـْوَاچْ، ثـْڨـَمَى، ثُفَاسْذْ سْبَّى بْلِي طَمْژْيَّانْتْ سُيْثْمَاسْ گـْثْرْ، إِڨْقْعْ لْمَلِكْذِينْ مْلِيحْ، إِدْوْرْ ثَخْثَمْتِيسْ نـْلـْعـْچـْپْ إِڨُورْ إِغْژْرْ ذِينْ أُكْلْ.

نـْعـَچـْپـْنْ لْغَاشِي نْتَدَّارْثْ أَمـْگْ إِڨـْڨُورْ إِغْژْرْ ڨـِطْلِي إِوَسَّى، گـْرَى أُذْسْعَانْ حَشَا نْتَى، پـْدَانْتْ تْڨَرَانْتْ ثـِپـْحْيَارْ گـْرَّى گـْرَّى، أَلْمِفَاڨْنْ لْغَاشِي نْتَدَّارْثْ بْلِي أَيْنْ دْسْلْطَانْذِينْ رُوحْنْ إِغُورْسْ تـَچـْمَاعْثْ تْحَوَالْنْتْ فَشِي أَسْنْدِيرْ إِغـْژْرْ، إِنَّاسْنْ: أَوْنْدْوَعِي إِغْژْرْ بْشْرْطْ أَيْتْفْكْمْ ثَقْشِيشْثْ ذِينْ لْعَالِي، نَنَّاسْ: شْرْطْگْ أَثـْنـْڨـْپـْلْ، بْصَحْ مَطْصَڨَارْضْ إِغْژْرْ أُنْڨْبْلاَنِّي. رُوحْنْ إِوْخَامْ نْتْقْشِيشْثْ ذِينْ حَاوْلْنْتْ، حَاوْلْنْ إِمَوْلاَنِيسْ فَشِي أَذْڨـْپـْلْنْ أَتـْچـْوْچْ سْلْطَانْذِينْ لْحَيَاتْنْسْنْ ڨـْفَاسْنِيسْ. مِتْحَاوَلْنْ ثـْڨـْپـْلْ، فْكَانَّاسْ شْرْطْ نْسْلْطَانْ، إِرَاسْنْدْ إِغْژْرْنْسْنْ.

ڨـْلُقْدِينْتْ ثَدَّارْثْ ثْخْدْمْ " أَنْزَارْ"، مُوقْ أُلاَّشْ أَمَانْ.

[1]– ثْحْكَايِّتِيذْ: د. ب: 75سنة، ثْطْرْبَى، أُتْڨْرَانِّي، فْثْمَنْيَة نْدْڨـِيطْ، 2011/05/02م، ثَدَّارْثْ: "ثَاڨْلِيعْثْ"، لْبَلْدِيَة: "ذْرَاعْ القائد".

12 ـــ عروس ملك المطر[1]

كان في قديم الزمان وسالف العصر والأوان ملك طائر، يطير في السماء، وكان يملك خاتما سحريا عجيبا، به يحقق أمانيه ومتطلباته مهما كانت مستحيلة.

وقد كان في القرية التي عاش فيها، وادي كبير يعيش منه أهل القرية، وفي أحد الأيّام المشمسة، خرجت فتاة جميلة من القرية لتستحمّ وتغسل ملابسها من الوادي، وعند وصولها نزعت ملابسها ودخلت إلى الوادي لتستحم فرآها الملك الطائر، فتعجب من جمالها الخلاّق فطلبها للزواج، لكنّها رفضت طلبه، بحجة أنّها صغيرة السنّ وأنّ لديها أخوات أكبر منها غضب الملك غضبا شديدا فأدار خاتمه السحري العجيب فجف الوادي كليّا.

تعجب أنّاس القرية من جفاف الوادي بين ليلة وضحاها، ولم يكونوا يملكون سواه، فبدأت محاصلهم الزراعية تجفّ تدريجيا، إلا أن تفطّن أحد أصحاب القرية إلى قصد الملك الثري العجيب، فذهبوا إليه جماعة وتوسلوه بأن يعيد لهم الوادي، فقال لهم: أعيد لكم الوادي بشرط أن تزوجوني بالفتاة الجميلة، فقالوا له: شرطك مقبول، وحبسك الوادي مرفوض. فذهبوا إلى بيت الفتاة وطلبوا منها ومن والديها أن تتزوج الملك الطائر العجيب لأنّ حيّاتهم متوقفة عليه. وبعد إلحاح طويل قبلت الفتاة الزواج منه، فتحقّق شرط الملك فأعاد إليهم مجرى الوادي.

ومنذ تلك الفترة أصبحت القرية تقيم طقس الاستسقاء "أَنْزَارْ" كلّما حلّ الجفاف.

---

[1]– الرّاوية: د. ب: 75سنة، مربيّة، أميّة، على الساعة الثامنة ليلا، يوم: 2011/05/02م، قرية: "ثاقليعث"، بلدية: "ذراع القائد".

13 ـ ثـَـڤـَـرْڤَى تـَـپـْـرْݣَــاتْ [1]

رَسُولْ صَلّى الله عليه وسلم أَسْمِّي إِهـْـتـْـپـْـعـْـنْ وُذَايْنْ، ذْپـُـوپـْـكْرْ إِيثِڤْرْنْ، رُوحْنْ فْرْنْ ڤـْـلْغَارْ، إِرُوحْ أَڤـَـرْڤِيوْ إِژْرَّاثْ، إِرُوحْ غَلْوُذَايْنْ إِنَّاسْنْ: أَثَايْنْ مُحْمْذْ (ص) ڤـُـمـْـݣَــانْ نْفْلاَّنِّي إِزْنْزِيثْ.

أُسَّانْذْ وُذَايْنْ ڤـُـطْنْذْ إِغْلْدِينْ، أُفَانْ أَژْطَّى نْتِسِيسْثْ إِغْطَاثْ ڤـْـلْڤْرْنْ، ثَحْمَامْتْ ثْخْذْمْ لْعْشْ نَنَّاسْ: ذْلـْـݣـْـذْپْ مَلاَّ ذَيِّي إِڤـْـلَّى مُحْمْذْ (ص)، لُوݣَــانْ دَاغْ إِلاَّنْ، لُوݣَــانْ أَژْطَى نْتِسِيسْثْ إِڤْرْصْ لُوݣَــانْ ثَحْمَامْتْ ثُوفـْـڤْ، أُمْبْعْذْ وْلاَّنْ إِوْمـْـݣَــانْنْسْنْ.

إِدْعُوثْ سِيذِي رْبِّ إِرَّاثْ ذَپـْـرْݣَــانْ يُوثَاثْ سْدْخَانْ ذْنْڤُو الله إِرَاثِيدْ ذَپـْـرْݣَــانْ.

13 ـ الغراب الأسود[2]

عندما كان الكفار يطردون الرسول صلى الله عليه وسلم، فإن أبو بكرالصديق هو من خبأه في غار حراء، وقد رآهما الغراب، فذهب إلى الكفار وقال لهم: إنّ محمدا (ص) موجود في غار حراء.

ذهب الكفار إلى غار حراء، وعندما وصلوا وجدوا أن نسيج العنكبوت يسدّ فوهة الغار وحمامة بنت عشها أمام الغار، فقالوا: لقد كذب علينا الغراب، إن محمدا (ص) غير موجود هنا، لو كان حقا هنا لتمزق نسيج العنكبوت ولهربت الحمامة، فرجعوا من أين أتوا.

دعا عليه الله فصار لونّه أسودا حيث نفخ فيه.

---

[1]– ثْحْكَايِّثِيدْ: رشيدة نوالي: ثِينْ نِزْڤـْـلِي، فْسَعْثِينْ نْثْعْشْوِيثْ، 2010/12/13م.

[2]– الرّاوية: رشيدة نوالي: السابقة الذكر، على الساعة الثانية زوالا، يوم: 2010/12/13م.

14 ـ قَابِيلْ ذْهَابِيلْ[1]

وِينْ إِقْـحْكَانْ: أَوَنْدْحْكِيغْ ثَحْكَايْثْ نْصَحْ. أَمْـگْ إِسْنَنْ لْـعْـپَـاذْ لْمُوثْ ذُمْطَالْ؟

ثِينْ إِقْـصْرَاشْنْ: إِيهْ، أَمْـگْ؟

وِينْ إِقْـحْكَانْ: أَسْمِّي دِخْلْقْ رْبِّ پَـاپَـاثْنْغْ آدْمْ ذِمَثْنْغْ حَوَاءْ، إِرْزْقَاسَنْدْ رْبِّ دْرْيَّ خِرِلَّى زْقْـسْنْ قَابِيلْ ذْهَابِيلْ. قَابِيلْ تُوغِيثْ إِطُوقِـى أُولِّي، أُقْـمَّاسْ هَابِيلْ تُوغِيثْ ذَفْلاَّحْ إِخْدْمْ ثَفْلاَّحْثْ، أَلْمِّي ذْيِّوْنْ أُپْـرِيذْ نُوغْنْ فْجَالْ نْطْمْطُوثْ، إِفْقْعْ قْـمَاسْ قَابِيلْ، إِدْمْدْ أَپْـلاَطْ يُثَّى قْـمَاسْ هَابِيلْ إِغَاثْ إِمُوثْ، أُمْبْعْذْ إِحَارْ أَمْـگْ أَسِخْذْمْ. أُمْبْعْذْ إِوْهَاسْدْ رْبِّ سِينْ إِقْـرْفِيوْنْ تْنَاغْنْ، أُمْبْعْذْ إِغَى أَقْـرْفِيوْ وَّايْطْ، إِغَى قْـمَاسْ، أُمْبْعْذْ يُوغْزْدْ ثَسْرَافْثْ أُقْـرْفِيوْ يْهَثَى إِقْـرَاثْ زْقْـسْ، أُمْبْعْذْ إِتْعْلْمْ قَابِيلْ دْرْسْذِينِّي، أُمْبْعْذْ يُغْزْدْ ثِمْطْلْطْ إِقْـرَى زْقْـسْ هَابِيلْذِينِّي.

أُمْبْعْذْ قْـلُقْدِينْتْ عْلْمْنْ ذَشُو ذْلْمُوثْ ذَشُو ذَمْطَالْ.

14 ـ قابيل وهابيل[2]

الرّاوي: سأروي لكم حكاية حقيقية. كيف عرفت البشرية الموت والدفن؟

المستمعة: نعم، كيف ذلك؟

الرّاوي: عندما خلق الله سبحانه وتعالى أبانا آدم وأمنا حواء، رزقهما الله ذرية كثيرة منها قابيل وهابيل. قابيل راع يرعى الماشية، أما أخوه هابيل فقد كان فلاحا يحرث الأرض ويزرعها، وفي أحد الأيّام تشاجرا بسبب امرأة، فغضب قابيل من أخيه غضبا شديدا، فأخذ حجرا وشج رأس أخيه هابيل فقتله، ولكنّه كان حائرا ماذا سيفعل بأخيه. فأوحى الله إليه غرابين يقتتلان، حتى قتل أحدهما الآخر، فحفر الغراب القاتل حفرة ودفن القتيل فيه، فتعلم قابيل هذا الدرس فحفر لأخيه هابيل حفرة لأخيه هابيل وورّاه فيها.

ومنذ تلك الفترة عرفت البشرية الموت والدفن.

---

[1]– إِحْكَايِّتِيدْ: فاروق. ب: 35 سنة، إِتُوقِـى، سنة سابعة قْـسْيَّامْ، فْتَلْتَة نْتْعْشْوِيثْ، 20 /2011/02م، ثَدَّارْثْ: "أَزَغَار"، لْبَلدِيَة: "ذراع القائد".

[2]– الرّاوي: فاروق. ب: 35 سنة، راع، السنة السابعة أساسي، على الساعة الثالثة زوالا، يوم: 20 /2011/02م، قرية: "أزغار"، بلدية: "ذراع القائد".

15 ـ لْقَايْدْ أَيــْلاَرْچْ[1]

ثِينْ إِقـْحْكَانْ: أَمْدْحْكِيغْ ثَحْكَايْثْ لْقَائِدْ. أَمــْگـْ إِقـْولّى ذَيـْلاَرْچْ ؟

لْقَائِدَيِّي إِفْكَاسْ رْبِّ رْيـْحْ، إِرْيـْحْ مْلِيحْ، أُذِسْتِعْرِفَانِّي قْرْيـْحِيسْ، إِچـْهـْلْ إِتـْگـْنـَى أُلاَّشْ وِينْ إِقـْرْيـْحـْنْ أَمْنْتَاغْ، إِدْمْدْ أَغِي إِتْوْضَى سِيْسْ، أُمْبْعْدْ إِمْسْخِيثْ رْبِّ إِرَاثْ ذَيـْلاَرْچْ ذَمْلاَّلْ أَمِغْذِينِّي.

ثْرَى أَوِيثْ لْعِبْرَيْهَثَى، فَشُوا أُتْخْدْمَانِي لْحْوَايْجْ هْوَاهِي أَوْنِمْسْخْ رْبِّ.

15 ـ القائد اللّقلق[2]

الرّاوية: أروي حكاية القائد. كيف تحوّل هذا القائد إلى لقلق؟

رزق الله هذا القائد ثروة طائلة، لكنّه كان جاحدا بنعم الربّ، حيث صار كافرا، يظن بأنّه لا يوجد مثيله على سطح الأرض، فأخذ اللّبن وتوضّأ به فمسخه الله لقلقا أبيضا كاللّبن الذي توضّأ به.

الآن خذوا هذه العبرة، لكي لا تفعلوا الأشياء الرذيلة فيمسخكم الله.

1– ثْحْكَايْتِيدْ: نَجَاة قريشي: ثِينْ نِزْقْـلِـي، ثْسْلاَسْ نَّاسْ أَطِرْحْمْ رْبِّي، قْثْمَنْيَة نْدْقـِيطْ، 2010/12/23م.

2– الرّاوية: نجاة قريشي: السابقة الذكر، عن جدّتها رحمها الله، على الساعة الثامنة ليلا، يوم: 2010/12/23م.

16 ـ أَمـْـگْ ثـْـپـْـنىَّ دُنِيثْ؟[1]

ثِينْ إِقْـصِرْ ّاشْنْ: أَمـْـگْ ثـْـپـْـنَى دُنِيثْ؟

وِينْ إِقْـحْكَانْ: دُنِيثْ ثـْـپـْـنَّى بْقُدْرْةْ الله، أُمْبْعْدْ عَلَى الْهَوَا، الهَوَا عَلْى العِلْمْ، الْعِلْمْ عَلَّى الغِلْمْ، أُمْبْعْدْ عَلَى الظُلْمْة، الظُلْمَة عَلَى الصْخْرَة، عَلَى الثُورْ، ثُمَ عَلَى قْدْرَةْ الله السَمِيع الْعَلِيمْ.

16 ـ كيف نشأ الكون؟[2]

المستمعة: كيف بنيّ الكون؟

الرّاوي: بنيّ الكون بقدرة الله، ثم على الهواء، الهواء على العلم، والعلم على الغلم*، ثم على الظلمة، والظلمة على الصخرة، ثم على الثور، ثم على قدرة الله السميع العليم.

---

[1]– إِحْكَايِّتِيذْ أَمْجَاهْدْ الحَاجْ: أعمر بوخنوف: 90 سنة، فْسْعَتِينْ نْتْعْشْوِيثْ، 2010/12/28م، ثَدَّارْثْ: "أجيون"، لبدية: "ذْرَاع القائد".

[2]– الرّاوي المجاهد الحاج: أعمر بوخنوف: 90 سنة، على الساعة الثانية مساء، يوم: 2010/12/28م، قرية: "أجيونْ" بلدية:" ذراع القائد".

*– كلمة غامضة استفسرنا عن دلالتها ثلاث مرات عند الرّاوي، ففي المرة الأولى قال لنا بأنّه لا يعرف معناها، قالها كما حفظها عند أجداده، وفي المرة الثانية قال بأنه لا يستطيع إخبارنا بها، وفي المرة الثالثة والأخيرة كانت إجابته بأنّه لا يعرف، لا يستطيع. وقد جاء في لسان العرب: «غلم: الغُلمة، بالضم: شهوة الضّراب، غَلِمَ: الرجل وغيره، بالكسر يَغْلِمُ غَلْمًا واغْتَلَمَ اغتلامًا إذا هاج... والغِلّيمُ، بالتشديد: الشديد الغلمة، ورجل غَلِمٌ وغِلّيمٌ ومغْليمٌ، والأنثى غَلِمَةٌ ومِغْليمَةٌ ومِغْلِيمٌ وغلّيمة وغِلّيمٌ... الغُلْمَة: هيجان شهوة النكاح من المرأة والرجل والاغتلام: مجاوزة الحد». أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، ط1، مج 12، دار صادر، بيروت، لبنان، 1990، ص439.

17 ـ لالا خْدِيجَة " دْرْيَّ وْلْمَّالْ"[1]

وِينْ إِقْــحْكَانْ: ثْرَّى مَلاَّ ثــْزْ رِيمْ أَتَمْنَمْ أَوْنْدْحْكِيغْ، مَلاَّ ثــْزْ رِيمْ أُتْمْنْمَانِّي أُدْنْحْكَانِّي.

وْيَّ إِقــصْرَّاشْنْ: أَوَّاهْ أَنَمْنْ، أَنْمْنْ.

وْيَّ إِقــصْرَّاشْنْ: إِوَّاشْ زْعْمَّى ثَدَرْثَيِّي ثْتْشُورْ ذْدْرْيَّ ذْلْمَّالْ؟

وِينْ إِقــحْكَانْ: إِيهْ، فَــْپــْگــرِّي أُلاَّشْ لْغَاشِي مْرَّى، إِلاَّ پــَاپــَا ذْقــْمَّاسْ، ثْلاَّ نَانَة إِسْمِيسْ خْدِيجَة، فَــْلْعْمْرِيسْ سْتِينْ سْنَّة، ذْلــْعــْپــْذْ لْعَالِي ثْطْزْ وْمْ، ثــْطْزْ لَّى، ثْتْزْكَى، ثْتْغَاثْ أَزْ وَّالِّي، ثْخْدْمْ أَيْنْ إِسْدِنَّى رْبِّ مْرَّى ثْخْدْمِيثْ.

إِلْفَادْ رْمْطَانْ نــْزْ وْمْ، إِيطْ نــْســْپــْعـَـة وْعْشْرِينْ – نْتَّاثْ ثْطْزْلَّى أُتْحْبْسَانِّي مْرَّى فَــرْمْطَانْ – ثْرْقَــي أَتْتْوْضَى أَطْزْ اَلْ، ثْتَافْ نْشْقْنْتْ فْلاَّسْ ثــِقــْنَاوْ* يُسَاسْدْ يِّيوْنْ نْصُوتْ لْمَلاَيــْگـَاثْ سْنِّي، إِنَّاسْ: أُطْلــْپْ ذَشُو ثــْپــْغــِيذْ، ذَشُو ثــْپــْغــِيذْ أُطْلــْپْ أَمِهْدْنْمُودْ ثْنَّاسْ: يَا رْبِّ لْمَّالْ وْدْرْيَّ، يَا رْبِّ لْمَّالْ وْدْرْيَّ، يَا رْبِّ لْمَّالْ وْدْرْيَّ. أُمْبْعْدْ ثْعَاوْدْ ثْرْقَــي ثُوفَّى ثْوْلَّى إِوْمــْگـَانــِيسْ ثــِقــْنَّاوْ، أُمْبْعْدْ وَاحْدْ نْشْهْرَّايْنْ، تْلْتْشْهُورْ إِفْكَاسْدْ رْبِّ لْمَالْ (ثِفُونَّاسِينْ أُولِّي...) دْرْيَّ (أَرَّاشْ ثِمْتْشُوگــِينْ)، ثَدَارْثَيِّي نْتَاثْ إِنْسْبَاسْ لْمَاحْلْدِينْ.

ثَدَارْثَيِّي ثْرَّى ثْتْشُورْ ذْلْمَالْ ذْدْرْيَّ.

---

[1]– إِحْكَايِّتِيدْ: العمري بوخنوف: 55 سْنَة، ذَخْدَامْ، أُذِقْرَانِي، فْتْسْعَة وْنْصْ نْدْقــِيطْ،، 2011/02/17م، ثْدَّارْثْ: "أجيونْ"، لْبَلدِيَة: "ذْرَاعْ القــَائدْ".

* – إِســْپــْعــْذْ إِفَاسْنِيسْ فــْلــْپــَعــْطْنَى.

17 ـ لالا خديجة "البنون والماشية"[1]

الرّاوي: إذا رأيتم بأنّكم ستصدقون فسأحك، وإذا رأيتم بأنكم لن تصدقوا فلن نحكي.

المستمعون: بلى، سنصدق، سنصدق.

المستمعون: لماذا هذه القرية مملوءة بالبنون والماشيّة؟

الرّاوي: آه، في قديم الزمان لم يكن النّاس متواجدين في هذه القرية، كان بها فقط أبي وعمي، وكانت بها جدّتي اسمها "خديجة"، عمرها ستون سنة في تلك الفترة، طيّبة ومؤمنة تصوم وتصلي وتزكي وتغيث الفقير، تقوم بكلّ ما أمرنا الله به.

وبحلول رمضان صمنا كعادتنا، وفي اليوم السابع والعشرون – كانت جدّتي تصلي لا تتوقف أبدا في رمضان – خرجت كعادتها لتتوضأ للصلاة، فانشقت السماء* وجاءها صوت ملائكي يقول لها: أطلبي ما تردينه، كلّ ما تطلبينه سيتحقق، فقالت: يا ربّ الماشية والبنون يا ربّ الماشية والبنون، يا ربّ الماشية والبنون. وبعدها رجعت إلى الدار وخرجت مرة أخرى فوجدت السماء قد عادت إلى مكانها، وهكذا بحوالي شهرين، ثلاثة أشهر بدأ الله يرزقها بالماشية (الأبقار والأغنام) والأبناء (الذكور والإناث)، فهي السبب في ملء هذه القرية بالماشية والبنون.

ومنذ تلك الفترة امتلأت القرية بالماشية والبنون.

1– الرّاوي: العمري بوخنوف: 55 سنة، عامل، أميّ، على الساعة التاسعة والنصف ليلا، يوم: 2011/02/17م، قرية: "أجيون"، بلدية: "ذراع القائد".

* – أبعد الرّاوي يديه عن بعضهما البعض.

18 ــ ثَمْطُوثْ تَحْمَامْتْ [1]

ثْلاَّ ثِيشْتْ نْطَمْطُوثْ ثـْپـْهـَى، أُلاَّشْ ذَشُو أَلـَطـْژ رْضْ، شْعْرِيسْ إِقـُورْ قـْلْقَاعَى ثِطِونِيسْ تِزْقـْزَوِينْ، تَشُورَّاقْتْ، ثـْپـْهـَى، ثـْپـْهـَى، أُلاَّشْ ذَشُو أَلـَطـْژ رْضْ زْقـْسْ وِينْ إِطـْژ رَّانْ أَذِخْلْغْ Mais لاَّنْ لـْعـْپـَاذْ ذِخـْژ َارْنْ مَاطِّي مَاطِّي سُورْتْ إِلْجِهَة نِرِيَّاحْنْ*.

ثْرُوحْ إِلْعْرْسْ، ثـْژ رَّاطْ ثِيشْتْ نْطَمْطُوثْ ثْنَّاسْ: رْوَّاحْ أَطْژ رْمْطْ أَلْخَلاَّثْ! ژ رِيغْ زِينْ Mais ثْغَاذِي أُطـْژ رِغَانِّي قـَسْمِّي إِدْشْفِيغْ، سـِيقـْنْتْ، Mais ثْمْغَارْثْ ذِينْ گـْثْرْ ثـْسـِيقـَاسْ پـْرْكْ ثْوْلاَّدْ تَحْمَّامْتْ تَمْلاَّلْتْ، زِينْ دِينْ نْطَمْطُوثْ إِفْكَاسْتْ رْبِّ إِثْحَمَّامْتْ.

ذْصَحْ ثْطْرَّى قـْرِيَّاحْنْ.

18 ــ المرأة الحمامة[2]

توجد في قديم الزمان امرأة آية في الجمال، فهي جميلة، شعرها طويل وعيناها زرقاوان ووجهها أبيض ناصع، إنّها جميلة، جميلة، كلّ من رآها ينبهر لجمالها الخلاق، لكن وُجد في تلك الفترة بعض النّاس الحاسدين خاصة في منطقة "إرياحن"**.

ذهبت تلك المرأة إلى العرس، فرأتها امرأة أخرى فقالت: أسرعن يا نساء لترين! رأيت الجميلات لكن هذا الجمال لم أره منذ ولدت، فنظرن إليها، لكن تلك العجوز نظرت إليها نظرة حسد، فتحولت المرأة المسكينة إلى حمامة بيضاء جميلة، فكلّ جمالها إنتقل إلى الحمامة.

إنّها الحقيقة وقعت في منطقة إريّاحن.

---

[1]– ثْحْكَايِّتِيذْ: جميلة. ك: ثِينْ نِزْقـْلـِي، فْتْسْعَة نْدْقـِيطْ.

*– تَدَارْثْ ثـْثـْپـَاغْ إِلْبَلِدِيَة "ذْرَاعْ القائد"، ثـْپـْعـْذْ فخراطة قْرِيپْ بـ: 18 كلم²

[2]– الرّاوية: جميلة. ك: السابقة الذكر، على الساعة التاسعة ليلا.

**– إحدى قرى بلدية منطقة "ذراع القائد"، تبعد عن منطقة خراطة بحوالي: 18 كلم².

19 ــ ثَمْطُوثْ ڤـْوَيُّورْ [1]

ثِينْ إِڤـْحْكَانْ: مَلاَّ ثـْـژْرِيمْ أَتَمْنْمْ أَدْنْحْكَاغْ ، مَلاَّ ثـْـژْرِيمْ أُتَمْنْمَانِّي أُدْنْحَكانِّي.

وْيَّ إِڤـْصرْ ّاشْنْ: أوَّاهْ أَنَمْنْ، أَنَمْنْ.

ثِينْ إِڤـْحْكَانْ: إِمَّلاَّغْ ثَغْثَيْهِ، ذَشُو إِڤـْسرْڤـْنْ ثَمْطُوثْ ذْمِيسْ إِوَيُّورْ؟

ثِينْ إِڤـْحْكَانْ: قَرْنَاگْ سْسْحُورْ أَهْطْصَطْرْ سُمْنْزُو نْتَسَاسْ*، مَلاَّ ادِّهْوَّى إِهـُـُـڤـَـادْ شْغْلْ أُپـْرِپـُرْ نْتَى إِخـْپـْطْ، نْتَّاثْ إِتُوغْ ثْهَيَّادْ إِغْزَالْنْ أَهْنْتْشَارْ. أُمْبْعْذْ أَهْتَسْطْلْغْ صـُمْژُوژْ نْتَسَاسْ**، إِتُوغْ إِمُّوثْ أُمْزْوَارْ أَذِرْنِّي أَذِيمْثْ وَايْطْ، أَبْعْذِيگـْنْتْ أَتْسْحْرْ إِلْغَاشِّي.

أُمْبْعْذْ إِسْخْطِيطْ رْبِّ، ثْطْلْغْ نْتَاثْ ذْمِيسْ إِوَيُّورْ.

---

[1]– ثْحْكَايْتِيذْ: – علجة يعيش: ثِينْ نيزْڤـْلِي، فْلْخْمْسَة وْنْصْ نْتْعْشْوِيثْ، 2010/12/21م.

– نجاة قريشي: ثِينْ نِيزْڤـْلِي.

*– ثْتَاكْ أَمْزْوَارْ نْمِيسْ إِوَيُّورْ.

**– ثْتَاكْ أَمـَـژُوژْ نْمِيسْ إِوَيُّورْ.

19 ــ المرأة في القمر[1]

الرّاويتان: إذا رأيتم بأنكم ستصدقون فسنحكي، وإذا رأيتم بأنكم لن تصدقوا فلن نحكي.

المستمعون: بلى، سنصدق، سنصدق.

الرّاويتان: كيف صعدت المرأة إلى القمر؟

الرّاويتان: صعدت المرأة إلى القمر عن طريق السحر، فهي تنزل القمر من خلال موت فلذة كبدها الأول* فينزل على شكل رغاوي وهو يتخبط، و تكون قد هيأت الأواني فتملأها بتلك الرغاوي. وبعدها تصعده بوساطة موت فلذة كبدها الأخير**، بعد موت الابن الأول يموت الابن الثاني، وبعدها تقوم بعملية السّحر للنّاس.

مسخها الله، فأصعدها إلى القمر مع ابنها الأخير.

---

[1]– الرّاويتان: – علجة يعيش: السابقة الذكر، على الساعة الخامسة والنصف مساء، يوم: 2010/12/21م.

– نجاة قريشي: السابقة الذكر.

*– تعطي ابنها الأوّل قربانا للقمر.

**– تعطي ابنها الأخير قربانا للقمر.

20 ـ ثْزِيزْوِيثْ ثْتْمَاثْ مَثْقْسْ حدْ [1]

پْـگْـرذِينْ، أَسْمِّي دِخْلْقْ رْبٍّ لْحَيَوَانَاتْ مرَّى أُسْنْتِفْكَ أوْلاَ فَشُو أَلَذْحَمَانْتْ فْلْعْمْرَاوْنْسْنْتْ أَمِذْوِيچْ أُپْـرِيذْ نـچْـمَاعنْتْ مرَّى، نَنْتَاسْ: أَيَّ كُولْتِيشْثْ أَتْخْثَارْ ذَشُو إِسْـعْـچْـپْـنْ ذْسْلاَحْ فَشُو أَتْـسْـلْـگْ إِمَانِيسْ ڤْـلْـعْـپَـاذْ، وَاتْدْعُو رْبٍّ فَشِي أَسِهْدِيفْكْ.

ثْنْطْقْدْ ثْغَاطْ تَمْزْوَارْثْ ثْنَاسْ: أَرْبٍّ فْكَايْدْ إِقَاشِيوْنْ. أُمْبْعْذْ ثْنْطْقْدْ: ثْحْمَامْتْ ذُوعِيلْ ذْڤَـرْفِيوْ تْفِيرْلْسْثْ طْڤْـطِيطْ يِّيطْ، نَنَّاسْ: أَرْبٍّ فْكَانْغْدْ إِفْرَاوْنْ أَنْتْفْرْفِيرْ ڤْـلْهْوَى، أُنْـپْـغَـى أَنْحْقْرْ أُمَاذْحْدْ. أُمْبْعْذْ ثْنَّاسْ ثْغُرْظْمْطْ: أَرْبٍّ وِينْ إِقْسْغْ أَذِيمْثْ. أُمْبْعْذْ إِقِيمْدْ أُوزْرْمْ تْزِيزْوِيثْ حَارْنْ ذَشُو أَلَذْخْثَارْنْ ذْسْلاَحْ، نَنَّاسْ: أَنْخْثَارْ ذَشُو ثْخْثَارْ ثْغُرْظْمْطْ، إِنَّاسْ أُوزْرْمْ: أَرْبٍّ وِينْ إِقْسْغْ أَذِيمْثْ. إِفْكَاسْنْ رْبٍّ أَيْنْ إِتْمْنَانْ مرَانْسْنْ. أُثْزِيزْوِيثْ ثْغْلْطْ ثْنَّاسْ: أَرْبٍّ وِينْ إِقْسْغْ أَذْمْثْغْ.

أُمْبْعْذْ ڤْـلْقُدِينْتْ وِينْ إِيثْقْسْ ثْزِيزْوِيثْ أَتْمْثْ.

20 ـ موت النحلة بعد اللسع [2]

في زمن البدء، عندما خلق الله الحيوانات جميعا لم تكن تملك سلاحا تدافع به عن نفسها وفي أحد الأيّام اجتمعت كلّ الحيوانات، فقالت: لتختار كلّ واحدة منا ما أعجبها من سلاح لتدافع به عن نفسها من الإنسان، وتدعو الله بأن يعطيها إيّاه.

تكلمت المعزة أوّلا فقالت: يا ربّ أرزقني قرنين. ثم تكلمت كلّ من: الحمامة والعصفور واللّقلق والخفاش والبومة، فقالوا: يا ربّنا أرزقنا جناحين نطير بهما في السماء، فإنّنا لا نريد إيذاء أحد. ثم قالت العقرب: يا ربّ فليمت كلّ من لسعته. ثم بقي الثعبان والنحلة فقد احتارا ما سيختارانه من سلاح، فقالا: لنختارا ما اختارته العقرب، فتكلم الثعبان فقال: يا ربّ ليمت كلّ من لسعته. فكان لكلّ منهم ذلك. أمّا النحلة فأرادت تقليد العقرب والثعبان فأخطأت فقالت: يا ربّ لأمت عندما ألسع أحدا.

ومنذ تلك الفترة تموت النحلة بعد لسعها لأحد مباشرة.

---

[1]– ثْحْكَايِّتِيدْ: ه. تسعذيث: 72 سنة، ثْطْرْبَى، أُتْقْرَى أوْلاَ، فْتْمَنْيَة نْدْڤْـيطْ، 05/ 2011/11م، ثَدَارْثْ: "ثِيعْونِينْ"، لبلدية: "خراطة".

[2]– الرّاوية: ه. تسعذيث: 72 سنة، مربيّة، أميّة، على الساعة الثامنة ليلا، يوم: 2011/11/05م، قرية: "ثيعونين"، بلدية: "خراطة".

21 ــ ثِيخْسِّي تْغَاطْ [1]

وِينْ إِقْــحْكَانْ: أَونْدحْكِيغْ ثَحْكَايْثْ. ثْطْرَّى ڤــعــهـــدْ نرَّسُولْ عْلِيه الصَلاَّة والسَلاَّمْ.

لْمَحْلْدِينْ تَحَرَّاپــنْ لْكُفَارْ ذْلْمُسْلِمِينْ أُمبْعْذْ مِّي تْحَرَّاپــنْ، إِرُوحْ رَسُول عْلِيه الصَلاَّة والسَلاَّمْ أَذِفْرْ ڤــثْقْطْعِيثْ نلْمَالْ نُولِّي فَشِي أَهْنِقِيسْ مْلِيحْ. أُمبْعْذْ إِرُوحْ زَّاثْ نــُچــحْنِيطْ نطْغَاطْ أَذِفْرْ ثْعِينْ أَچــحْنِطِيسْ، أُمبْعْذْ إِنَّاسْ: رُوحْ أَمِفْضْحْ رْبِّ أمــڰ إِيْتْفْضْحْذْ، وَذِيكْسْ فْلاَّمْ رْبِّ سْرْ، ڤــشْثْوَّى دِمَّى أَمِتْغَى أُصْمِيطْ.

أُمبْعْذْ ڤــلُقْدِينْتْ نْتَّاثْ أَچــحْنِطِيسْ إِعْلْقْ إِلْهْوَّى، ڤــشْثْوَّى إِتْغَاتْ أُصْمِيطْ.

أُمبْعْذْ مِّي ڤــرُوحْ نْتْخْسِي ثــســتــقــپــلِيثْ مْلِيحْ، ثْفْرِيثْ مْلِيحْ، أُتْعِنَانِّي أَچــحْنِطِيسْ أُمبْعْذْ إِنَّاسْ: رُوحْ أَمِسْطْرْ رْبِّ أَمــڰ إِيْطْصْطْرْظْ، إِنَّاسْ: دِمَّى ڤــشْثْوَّى ثْحْمِيذْ.

أُمبْعْذْ ڤــلُقْدِينْتْ نْتَّاثْ ثْحْمَّى قــشْثْوَّى، أَچــحْنِطِيسْ إِرْسَّى تــڰــسَارْثْ.

ذْنَّانَة إِيِّهْدِحْكَانْ پــڰــرِي مَاطِّي.

[1]– ثْحْكَايِّتِيذْ: وردية. ب: 26 سنة، نَنَّاسْ إِسِهْدِيحْكَانْ، فْتْسْعَة ونْصْ نْدْقــِيطْ، 2011/02/20م، ثَدَّارْثْ: "أجيون"، لْبَلَدِيَة: "ذْرَاعْ القائدْ". سْعَانْ بْزَافْ نُولِي.

21 ــ النعجة والعنزة [1]

الرّاوية: سأروي لكم واقعة. حدثت في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام.

كان الكفار في عهد الرسول (ص) يحاربون المسلمين، وبينما كانوا يقتتلون فيما بينهم ذهب الرسول عليه الصلاة والسلام ليتوارى عنهم في قطعان الماشية لكي يسدد سهامه بنجاح إلى الكفار. ذهب أولا إلى العنزة واختفى وراءها لكنّها عندما رأته رفعت ذيلها، فانكشف الرسول عليه الصلاة والسلام فدعا عليها قائلا: فليفضحك الله كما فضحتني، ولينزع عنك سرك، وفي الشتاء ترتعدين من البرد.

ومنذ تلك الفترة وذيلها مرفوعا إلى السماء وهي ترتعش من البرد في الشتاء، فجسمها مكسوّ بالشعر فقط.

وبعدها ذهب الرسول عليه الصلاة والسلام إلى النعجة فاستقبلته، وخبأته جيّدا، فلم ترفع ذيلها عنه، فدعا عليها قائلا: فليسترك الله كما سترتني، وليحميك من برد الشتاء.

ومنذ تلك الفترة وهي ساخنة في الشتاء، فهي مكسوّة بالصوف، أما ذيلها فمبسوط إلى الأرض.

روتّها لي جدّتي رحمها الله في قديم الزمان.

---

[1] – الرّاوية: وردية. ب: 26 سنة، عن جدّتها رحمها الله، مربية، على الساعة التاسعة والنصف ليلا، يوم: 2011/02/20م، قرية: "أجيون"، بلدية: "ذراع القائد". يملكون الكثير من الماشية.

22 ــ أُوذْمْ نْوَيُّورْ [1]

أَيُّورْ إِخْلْقِثِيدْ رْبِّ إِسْعَى ثِطِوِينْ، إِسْعَى كُولْشْ، أَيْنْ إِقْـلاَنْ فْـلْـعْـپْـذْ إِقْـلاَنْ فْـَيُّورْنِّي.

ثْلاَّ ثِيشْثْ ثْنَّاسْ: لُوگَـانْ غَاسْ إِسْعِيغْ أُوذْمْ أَمْيُّرْنْهَى، ثْنَّاسْ: سِـيفْ، سِـيفْ أَثْوَيُّورْ إِقْـپْـهَـى! لُوگَـانْ سْعِيغْ أُوذْمْ أَمُوذْمْ وَيُّورْ. ثْرْقْـادْ يِّيوْثْ ثْنَّاسْ: أَمْـگْ إِمُوفْ أَيُّرْهَثَى؟ ثْـسِـيقْـاسْ أَنْكَى* ثْنَّاسْ: إِيهْ بُوخْنْفُرْنْهِينْ ثُرَّى وَدْشْـپِـيغْ زْقْـسْ.

أُمْبْعْذْ إِنْعْرْ وَيُّورْ، أُمْبْعْذْ إِتْرُو أَلْـمِـقْـلُّوغْ إِفْسْخْ فْـمْطَاوْنْدِينْ، أُمْبْعْذْ أُدِتْـپَـانَّانِّي أُوذْمِيسْ.

22 ــ وجه القمر الإنساني[2]

خلق الله القمر وجها، له عينان، له كلّ شيء، كلّ ما يملكه وجه الإنسان يملكه وجه القمر.

قالت امرأة: آه لو كان لي وجها كوجه القمر أنظروا، أنظروا إلى جمال وجه القمر! يا ليتني لو كنت أملك ذاك الوجه المنير. فسمعتها إمرأة أخرى فخرجت من المنزل مسرعة ونظرت إليه هكذا** وقالت: معاذ الله هذا الوجه القبيح وأتمنى أن أشبهه.

فأغاظ هذا الكلاّم القمر، فبكى ومن شدة بكائه تعكرت عيناه، واختفت ملامح وجهه للأبد فلم تعد تُرى اليوم.

---

[1]– ثْحْكَايِّثِيدْ: رشيدة نوالي: ثِينْ نِزْقْـلِي، فْثْمَنْيَة نْدْقْـِيطْ، 2010/12/07م، ثْحْكَاثِيدْ بْشْرْطْ فْـپْـرَى، أَسْمَى أَذْيِّلِي وَيُّورْ إِگْـمْـلْ.

*– ثْعِينْ أَقْرْوِيسْ قْلِقْلِي إِلْهْوَى، أُمْبْعْذْ ثْـسِـيفْ إِوَيُّورْ.

[2]– الرّاوية: رشيدة نوالي: السابقة الذكر، على الساعة الثامنة ليلا، يوم: 2010/12/07م، وقد وضعت شرطا لروايتها وهو خارج المنزل، حين يكون القمر بدرا كاملا.

**– رفعت الرّاوية رأسها تدريجيا إلى السماء، ونظرت إلى القمر.

23 ــ ثَغُرْظْمْتْ دِمَّى سْدَوْپْــلاَطْ [1]

ثِينْ إِقْـحْكَانْ: مَلاَّ ثـْـرْ رِيطْ أَتَمْنْذْ أَمْدْحْكِيغْ، مَلاَّ ثــْـرْ رِيطْ أُتَمْنْدَانِّي أُمْدْحْكِيغَانِّي.

ثِينْ إِقْـصْرَّاشْنْ: أَوَّاهْ أَذَمْنْغْ، حْكَادْ پـْـرْكْ.

ثِينْ إِقْـحْكَانْ: أَمْدْحْكِيغْ ثَحْكَايْثْ نْتْغُرْظْمْتْ. إِوَّاشْ دِّمَّى دَوْپْــلاَّطْ؟

ثِينْ إِقْـحْكَانْ: إِطْلْعْ أَوْعِيلْ إِوْشْطُوپْ يُفَى ذِّنِي ثَغُرْظْمْتْ، ثْنَاسْ ثْغُرْظْمْتْ: صَحَّ فْلاَّگْ أَيَوْعِيلْ! قْـمـَـلَتْكْرْذْ شْكِينَّى قْلْهْوَى إِلْهْوَى كـُـلـَــمـْـگـَـانْ ثْطْرُوحْتْ، گـْـرَيْلاَّنْ تَمُورْثْ إِطْرُورِيطْ أَوْعِيلْ - يَخِّي ذْصْحْ؟ أَوْعِيلْ دِمَّى قْلْهْوَى- أُمْبْعْذْ ثْنَاسْ ثْغُرْظْمْتْ: ثَغْتَى أَعْمِي أَوْعِيلْ پـْـغـِـيغْ أَيْتَوِيذْ أَذْرُورْغْ ثَشْرْقِيتْ ثَغْرْپـِـيتْ إِنَّاسْ: ذَايْنْ إِقْـسْهْلْنْ طْلْعْذْ فِرِيوْ. ثْكْرْ ثَغُرْظْمْتْ ثْطْلْعْ إِنْصَافْ يِرِيسْ، ثْطْلْعْ أَطْرُورْ دُنِيثْ مْرَّى ثَشْرْقِيتْ ثَغْرْپـِـيتْ، أَلَّخَطْرْ نْتَاثْ دِمَّى قْـلْقَاعَى. ثـْـپـْـغـَـى أَطْرُورْ دُنِيثْ أُكْلْ، لُقْدِنـِـگـْـنْتْ ثْطْلْعْ أَلْمِثْرَوَّى أَحْوْسْ، ثَغُرْظْمْتْ نْتَاثْ قْرِيپْ أَطَّاطْرْ إِلْقَاعَى إِنَّاسْ أَوْعِيلْ نْتَّاثْ تُوْغْ ثْتْشَاثْ قـِـرِيسْ: أَهْيَّ ثَغُرْظْمْتْ، أَمْدْقْكْغْ تْلاَّثْ نْدْعَاوِيثْ - وَيِّي ذْلْمْثْلْ- إِنَّاسْ أَوْعِيلْ أُومَعْرُوفْ إِتُوغْ إِسْرَّاشْ زْدْفِيرْ نْتْزُوتْ، إِنَّاسْ: رُوحْ أَوْمْيَامْنْ لـْـعـْـپـْـذْ، لـْـعـْـپـْـاذْ أُمْتَمْنَانِّي أَنْدَى إِمُفَانْ أَمْغْنْ - يَخِّي ذْصْحْ؟- إِنَّاسْ: رُوحْ أَوْمْيَّامْنْ لْحَيَّوَانْ - لْحَيَوَانْ أَمعْرُوفْ إِحْطْرْ- رُوحْ أَوْتْعَوْذْذْ أَتْرْقْـذْ قـْـلْغَارِيمْ.

لُقْدِنـِـگـْـنْتْ نْتَّاثْ دِّمَّى سْدَوْپْـلاَطْ - لْعْمْرِيسْ أُكْلْ قْلْقَاعَى- أَوْعِيلْ إِدْعُوتْ پـْـرْكْ إِرْقـَـى رُوحِيسْ. أَمعْرُوفْ إِسْرَاشْ إِنْقْلِيتْ ذْلْحِكْمَة إِلـْـعـْـپـْـاذْ، أَنْدَى قـْـرُوحْ أَسْنِحْكَاغْ أَخَطْرْ ثَغُرْظْمْتْ ثْظْلْمْ أَوْعِيلْ.

ثَحْكَيْثَى ذْنَّنَّى إِيهْدِحْكَانْ أَطِرْحْمْ رْبِّ.

[1]– ثْحْكَايِّتِيذْ: سميرة بوخنوف: ثْسْلاَسْ ثَّنَاسْ "ثسعذيث بوخنوف" أَطِرْحْمْ رْبِّي، 29 سنة، ثْطْرْبَى، سَنَة رابعة ابتدائي، فْتْسْعَة وْنْصْ نْدْقـِـيطْ، 2010/12/12م، ثَدَّارْتْ: "أجيون"، لْبَلَدِيَة: "ذْرَاعْ القائدْ".

23 ـ الوجود الأبدي للعقرب تحت الحجر[1]

الرّاوية: إذا رأيت بأنك ستصدقين فسأحك، وإذا رأيت بأنك لن تصدقي فلن أحكي.

المستمعة: بلى سأصدق، احكي فقط.

الرّاوية: سأحكي حكاية العقرب. لماذا العقرب يختفي دائما تحت الأحجار؟

الرّاوية: صعد العصفور إلى الجبل فوجد هناك عقربا، فقال العقرب: يا لحسن حظك يا عصفور! دائما وأنت في السماء تزور كلّ الربوع، كلّ وطن تزوره – أليست هي الحقيقة؟ العصفور دائما في السماء – إذا يا عمي العصفور أريد أن تأخذني لزيارة الشرق والغرب، فقال لها: هذا سهل اصعدي إلى رقبتي. صعدت العقرب إلى منتصف رقبته، صعدت لتزور كلّ الدنيا الشرق والغرب، لأنّها دائما تعيش في الأرض. تريد زيارة الدنيا كلّها، وعندما تعبت من التّجوال، طلبت النزول، فقال لها العصفور وقد أكلت عنقه: آه يا عقرب، سأدعو عليك بثلاث دعوات – هذا مثل– وكانت البومة تتصت السمع من وراء الأشواك، فقال لها: إذهبي لن يصدقك أي إنسان، أينّما وجدك قتلك – أليست هي الحقيقة؟ – إذهبي لن يصدقك أي حيوان – البومة شاهدة على ذلك– إذهبي لن تخرجي أبدا من الأحجار.

ومنذ تلك الفترة وهي تحت الحجر – تعيش حياتها كلّها في الغار – بعد أن دعا عليها العصفور لفظ آخر أنفاسه. وكان أمام الحادثة البومة، فسمعت كلامهما فنقلته إلى كلّ الآنّام.

هذه الحكاية روتها لي جدّتي رحمها الله.

---

[1]– الرّاوية: سميرة بوخنوف: عن جدّتها رحمها الله "تسعذيث بوخنوف"، 29 سنة، مربية، السنة الرابعة ابتدائي، على الساعة التاسعة والنصف ليلا، يوم:2010/12/12م، قرية: "أجيون"، بلدية: "ذراع القائد".

الملحق رقم (02): الاستبانة

استبانة حول الأساطير وطقوس الاستسقاء واستقبال الربيع عند الفئة المتعلمة في المدرسة الجزائرية: موجّهة لتلاميذ السنة الثانية متوسط

إنّني بصدد إعداد بحث أكاديمي حول الأساطير عند الفئة المتعلمة، ومجتمع البحث هو منطقة خراطة (بجاية)، لذا نرجو منكم أن تتكرموا بملء أسئلة الاستبانة، وذلك بالإجابة على الأسئلة التاليّة:

ملاحظة: الرجّاء وضع علامة (×) أمام الجواب الذي تراه مناسبا، مع التحري بالصراحة.

أوّلا ــ بيانات شخصية:

1 ــ الجنس: ذكر ☐ أنثى ☐

2 ــ السن:

3 ــ مكان الإقامة: المدينة ☐ الريف ☐

ثانيا ــ بيانات حول الأساطير المرويّة في المنزل:

1 ــ هل تحبّ سماع الأساطير؟

نعم ☐ لا ☐

إذا كانت الإجابة بـ: (لا) لماذا؟..

....

2 ــ هل تُروى (تُحكى) لك أسطورة قبل النوم؟

نعم ☐ لا ☐ أحيانا ☐

3 ــ من بين الرّواة الآتي ذكرهم، من يروي لك الأساطير بكثرة؟ (رتبهم من 01 إلى 06 حسب الأهمية)

الجدّة ☐ الأم ☐ الأخت ☐

الجدّ ☐ الأب ☐ الأخ ☐

4 ــ متى تروّى لك الأساطير؟

في الصباح ☐ في اللّيل ☐ في الخريف ☐

في الشتاء ☐ في الربيع ☐ في الصيف ☐

5ــ ما هي الأساطير التي تروى لك؟ (الرجاء ذكر عناوينها فقط):

أ ــ ....

ب ــ..

ج ــ ....

6ــ هل تؤمن بالأساطير المروّية لك؟

نعم ☐ لا ☐

ــ لماذا؟..

....

7 ــ هل تتمنى بأن تكون رّاويا يعرف الأساطير ويحكيها للمستمعين مثل: الجدّة أو الأم؟

نعم ☐ لا ☐

ثالثا ــ بيانات حول الأساطير المدروسة في المدرسة (التعليم):

1 ــ هل تحبّ دراسة الأساطير؟

نعم ☐ لا ☐

ــ إذا كانت الإجابة بـ (لا) لماذا؟..

....

2 ــ هل درست بعض الأساطير أثناء مسيرتك الدّراسية؟

نعم ☐ لا ☐

ــ إذا كانت الإجابة بـ: (نعم) فما هي؟ (الرجاء ذكر عناوينها فقط):

أ ــ...

ب ــ...

ج ــ...

3 ــ الأساطير المذكورة في الكتاب المدرسي – حسب رأيّك– ؟

كافية ☐ أم أنّها غير كافية ☐

4 ــ هل درست في القسم كلّ الأساطير المذكورة في الكتاب المدرسي؟

نعم ☐ لا ☐

ــ إذا كانت الإجابة بـ: (لا) لماذا؟..

....

5 ــ من بين الأساطير المدروسة، هل درست أسطورة جزائرية؟

نعم ☐ لا ☐

6 ــ هل تؤمن بالأساطير المدروسة في المدرسة؟

نعم ☐ لا ☐ أحيانا ☐

ــ لماذا؟...

....

رابعا ــ بيانات حول الأساطير المروية في المنزل والمدروسة في المدرسة:

1 ــ ما هو الأفضل بالنسبة لك؟ (يمكنك اختيار أكثر من إجابة واحدة):

أ ــ أن تستتمع إلى الرّاوي في المنزل وهو يروي (يحكي) لك الأساطير ☐

ب ــ أن تستمع إلى الرّاوي داخل القسم وهو يروي لك أسطورة ☐

ج ــ أن تقرأها في الكتب المدرسية ☐

دــ أن تشاهدها في شاشة التلفزة والكمبيوتر ☐

ــ رأيّ آخر؟ (أذكره)..

....

2 ــ ما هو رأيّك الشخصي حول الأساطير؟

خيالية ☐ حقيقية واقعية ☐ بين الخيال والواقع ☐

3 ــ ما وظيفة الأساطير حسب رأيّك؟

التعليم والوعظ ☐ التسلية والترفيه ☐

ــ وظائف أخرى؟ (أذكرها)..

....

خامسا ــ طقوس الاستسقاء "أَنْزَارْ" واستقبال "الربيع" (شَوَرْپِــيعْ):

أ ــ طقس الاستسقاء "أَنْزَارْ":

1ــ هل تمارس طقس "أَنْزَارْ"؟

نعم ☐ لا ☐

ـــ إذا كانت الإجابة بـ: (نعم)، فمتى تمارسه؟

في الشتاء ☐ في الخريف ☐ في الربيع ☐ في الصيف ☐

2 ـــ هل تؤمن بنزول المطر عند ممارسة طقس "أَنْزَارْ"؟

نعم ☐ لا ☐ أحيانا ☐

ـــ إذا كانت الإجابة بـ: (لا) أو (أحيانا) لماذا؟..

....

3 ـــ من يحمل المغرفة (أَغْنْجَا) عند ممارسة طقس "أَنْزَارْ"؟

الطفل الصغير ☐ البنت اليتيمة ☐ العجوز ☐ أي بنت ☐

ب ـــ طقس استقبال الربيع (شَوْرِپِـــيعْ):

1 ـــ هل تمارس طقس استقبال الربيع (شَوْرْپِـــيعْ)؟

نعم ☐ لا ☐

لماذا؟..

....

2 ـــ هل ترضى بأن يحتفل أهلك بالربيع (شَوْرْپِـــيعْ) وأنت غائب عن المنزل، متواجد في المدرسة مثلا؟

نعم ☐ لا ☐

لماذا؟..

....

3 ـــ هل تتعلم كيفية تزيّين كسرة الربيع (أَغْرُومْ نْشَوْرْپِـــيعْ) أو(ثِيرْطُونِينْ)؟

نعم ☐ لا ☐

لماذا؟...

....

4 ـ لماذا تحتفل بطقس الربيع (شَوْرْپِــيعْ)؟

فرحة بعودة الربيع مجددا ☐ لتكثر الخيرات ☐ للشفاء من أمراض الشتاء ☐

اقتراح آخر (أذكره)؟...

....

5 ـ بما أن طقس الربيع (شَوْرْپِــيعْ) ليس يوم عطلة، فماذا تقترح؟

أن يكون يوم عطلة ☐ أن يمارس يوم الجمعة ☐

اقتراح آخر؟ (أذكره)...

....

شكرا على اهتمامكم وتعاونكم معنا، وأتمنى لكم التوفيق في مشواركم الدّراسي.

يوم: 09 ماي2011م.

الملحق رقم (03): الرواة والمخبرين

1ــ أسمى. ب: 07 سنوات، السنة الثانية ابتدائي، سجلنا عنها في سنة 2011، قرية: "أجيون"، بلدية: "ذراع القائد".

2ــ أعمر بوخنوف: 90 سنة، مجاهد، فهو شاهد عيان عاش أحداث الثورة ومجازر 08 ماي 1945 في المنطقة، سجلنا عنه في سنتي 2010 و2011، قرية: "أجيون"، بلدية: "ذراع القائد".

3ــ بركاهم (؟): 73 سنة، مربية، أمية، سجلنا عنها في سنة 2011، قرية: "أيث مرعي"، بلدية: "خراطة".

4ــ بهيجة معوش: 54 سنة، مربية، أمية، سجلنا عنها في سنة 2010، قرية: "أيث الميزاب"، بلدية: "ذراع القائد".

5ــ شعذيث. ه، 72 سنة، مربية، أمية، سجلنا عنها في سنة 2011، قرية: "ثيعونين"، بلدية: "خراطة".

6ــ جميلة. ك، 40 سنة، مربية، أمية، سجلنا عنها في سنة 2011، قرية: "وافرة"، بلدية: "خراطة".

7ــ خير الدين قريشي: 19 سنة، عامل حر، سجلنا عنه في سنة 2011، قرية: "أجيون"، بلدية: "ذراع القائد".

8ــ د. ب: 75 سنة، مربية، أمية، سجلنا عنها في سنة 2011، قرية: "ثاقليعث"، بلدية: "ذراع القائد".

9ــ دهبية مغبولي: 60 سنة، مربية، أمية، سجلنا عنها في سنة 2011، قرية: "رحامين"، بلدية: "ذراع القائد".

10ــ رشيدة نوالي: 44 سنة، مربية، أمية، سجلنا عنها في سنة 2010، قرية: "رحامين"، بلدية: "ذراع القائد".

11ـ زوينة (؟): 55 سنة، مربية، السنة الثالثة محو الأمية، سجلنا عنها في سنة 2011، قرية: "جرمونة"، بلدية: "ذراع القائد".

12ـ سميرة بوخنوف: عن جدتها رحمها الله "تسعذيث بوخنوف"، 29 سنة، مربية، السنة الرابعة ابتدائي، سجلنا عنها في سنتة 2010، قرية: "أجيون"، بلدية: "ذراع القائد".

13ـ سي منصور(؟): 65 سنة، أمي، فلاح، سجلنا عنه في سنة2010، قرية: "أجيون"، بلدية: "ذراع القائد".

14ـ صليحة بن حدة: 47 سنة، مربية، أمية، سجلنا عنها في سنتي 2010 و2011، قرية: "أجيون"، بلدية: "ذراع القائد".

15ـ علجة يعيش: 60 سنة، مربية، السنة الثانية محو الأمية، سجلنا عنها في سنة 2010، قرية: "أيث الميزاب"، بلدية: "ذراع القائد".

16ـ علجية. ب: 48 سنة، مربية، أمية، سجلنا عنها في سنة 2011، قرية: "أجيون"، بلدية: "ذراع القائد".

17ـ علي يعيش: 83 سنة، مجاهد، فهو شاهد عيان عاش أحداث الثورة ومجازر 08 ماي 1945 في المنطقة، سجلنا عنه في سنة 2011، قرية: "أزغار"، بلدية: "ذراع القائد".

18ـ فاروق. ب، 35 سنة، راع، السنة السابعة أساسي، سجلنا عنه في سنة 2011، قرية: "أزغار"، بلدية: "ذراع القائد".

19ـ فاطمة عڤون: 60 سنة، مربية، أمية، سجلنا عنها في سنة 2011، قرية: "رحامين"، بلدية: "ذراع القائد".

20ـ فضيلة. ع، 50 سنة، مربية، أمية، سجلنا عنها في سنة 2011، قرية: "أزغار"، بلدية: "ذراع القائد".

21ـ ك. ب: 18 سنة، السنة الثانية ثانوي، سجلنا عنها في سنة 2011، قرية: "أجيون"، بلدية،: "ذراع القائد".

22ـــ لعمري بوخنوف: 55 سنة، عامل، أمي، سجلنا عنه في سنة 2011، قرية: "أجيون"، بلدية: "ذراع القائد".

23ـــ لعمرية بن عياش: 78 سنة، مربية، أمية، سجلنا عنها في سنة 2011، قرية: "لبرزاخ"، بلدية: "ذراع القائد".

24ـــ محمد بوخنوف: 08 سنوات، السنة الثالثة ابتدائي، سجلنا عنه في سنة 2011، قرية: "أجيون"، بلدية: "ذراع القائد".

25ـــ مليكة (؟): 52 سنة، مربية، أمية، سجلنا عنها في سنة 2011م، قرية: "أجيون"، بلدية: "ذراع القائد".

26ـــ مولود. ب المدعو لعزيز: 50 سنة، حارس، أمي، سجلنا عنه في سنة2010، قرية: "أجيون"، بلدية: "ذراع القائد".

27ـــ نجاة قريشي: 29 سنة، السنة الثالثة محو الأمية، سجلنا عنها في سنة 2010، قرية: "أيث الميزاب"، بلدية: "ذراع القائد".

28ـــ وردية. ب: 26 سنة، عن جدتها رحمها الله، مربية، سجلنا عنها في سنة 2011، قرية: "أجيون"، بلدية: "ذراع القائد".

29ـــ (؟): 75 سنة، مربية، أمية، سجلنا عنها في سنة2011، قرية: "وافرة"، بلدية: "خراطة".

30ـــ(؟): 71 سنة، مربية، أمية، سجلنا عنها في سنة 2011، قرية: "أزغار"، بلدية: "ذراع القائد".

31ـــ (؟): 69 سنة، مربية، أمية، سجلنا عنها في سنة 2011، قرية: "جرمونة"، بلدية: "خراطة".

32ـــ (؟): 53 سنة، مربية، أمية، سجلنا عنها في سنة 2011، قرية: "إيث مرعي"، بلدية: "خراطة".

ملحق رقم (04): الصّور



صورة رقم (01): جزء من السد (Barrage)

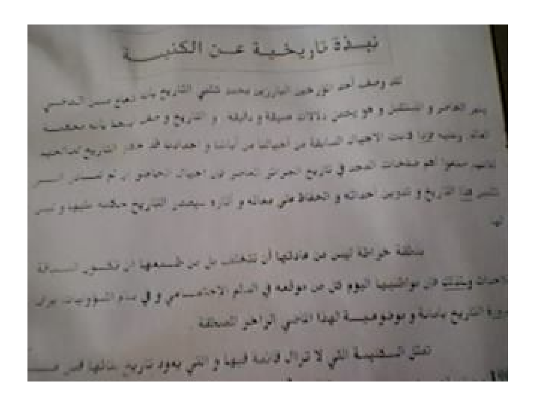


صورة رقم (02): الفرع الإداري أجيون التابع

لبلدية: ذراع القائد



صورة رقم (03): بلدية: "خراطة المركز".



نبذة تاريخية عن الكنيسة

صورة رقم (04): جزء من نبذة تاريخية حول تحويل الكنيسة إلى مكتبة المعرفة ومتحف المجاهد. إلتقطناها داخل مكتبة المعرفة



صورة رقم (05): النفق (Tunnel)



صورة رقم (06): عروس أَنْزَارْ



صورة رقم (07): متوسطة الإخوة بومعزة المتواجدة في الريف "أجيون"

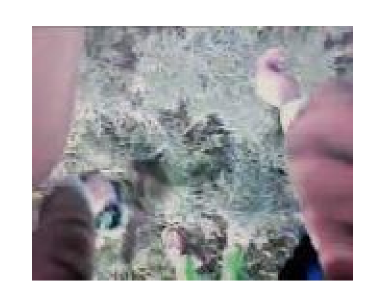


صورة رقم (08)*: متوسطة 08 ماي 1945م، المتواجدة في منطقة خراطة المركز






صورة رقم (09): أوراق وجذور نبتة أَذْرِيسْ "بونافع" (Thapsia)




صور رقم (10): الأطفال وهم ينزعون النبتة في البراري

*- الصور رقم: (01) ــ (02) ــ (03) ــ (04) ــ (05) ــ (07) ــ (08)، إلتقطناها في شهر أوت 2011م. أما الصورة رقم (06) فقد إلتقطناها في شهر أكتوبر 2011م، وقد زينتها الرّاوية صليحة بن حدة بطلب منا لأخذ الصورة لغياب ممارسة طقس الاستسقاء "أَنْزَار" في سنتي 2010 ــ 2011.



صورة رقم (11):

الأم وهي تصلي صلاة الفجر



صورة رقم (12):

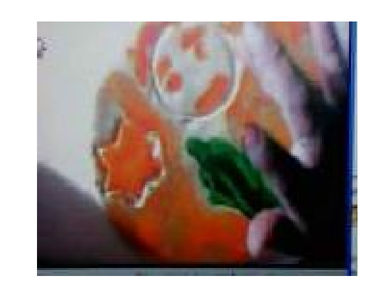
الأم وهي تضع جذور نبتة أَذْرْقْـِـسْ في القدر



صورة رقم (13):

الأم وهي تضع البيض في القدر







صورة رقم (14): فطيرة طقس الربيع (أَغْرُومْ نْشَوْرْپِـيعْ)







صورة رقم (15): أكلة الربيع في الصباح الباكر داخل البيوت





صورة رقم (16): تعليق أوراق نبتة أَذْرْقْـِيسْ "بونافع" على الأشجار





صور رقم (17): الأطفال في البراري وهم يغنون أغنية الربيع (ثَغْنَايْثْ نْشَوْرْپِــيعْ)









صور رقم (18)*: أكلة الربيع في البراري

*- الصور رقم: (09) – (10) – (11) – (12) – (13) – (14) – (15) – (16) – (17) – (18)، إلتقطناها أثناء أداء طقس استقبال الربيع في المنطقة – المعايشة الحيّة – في شهر مارس 2011م.



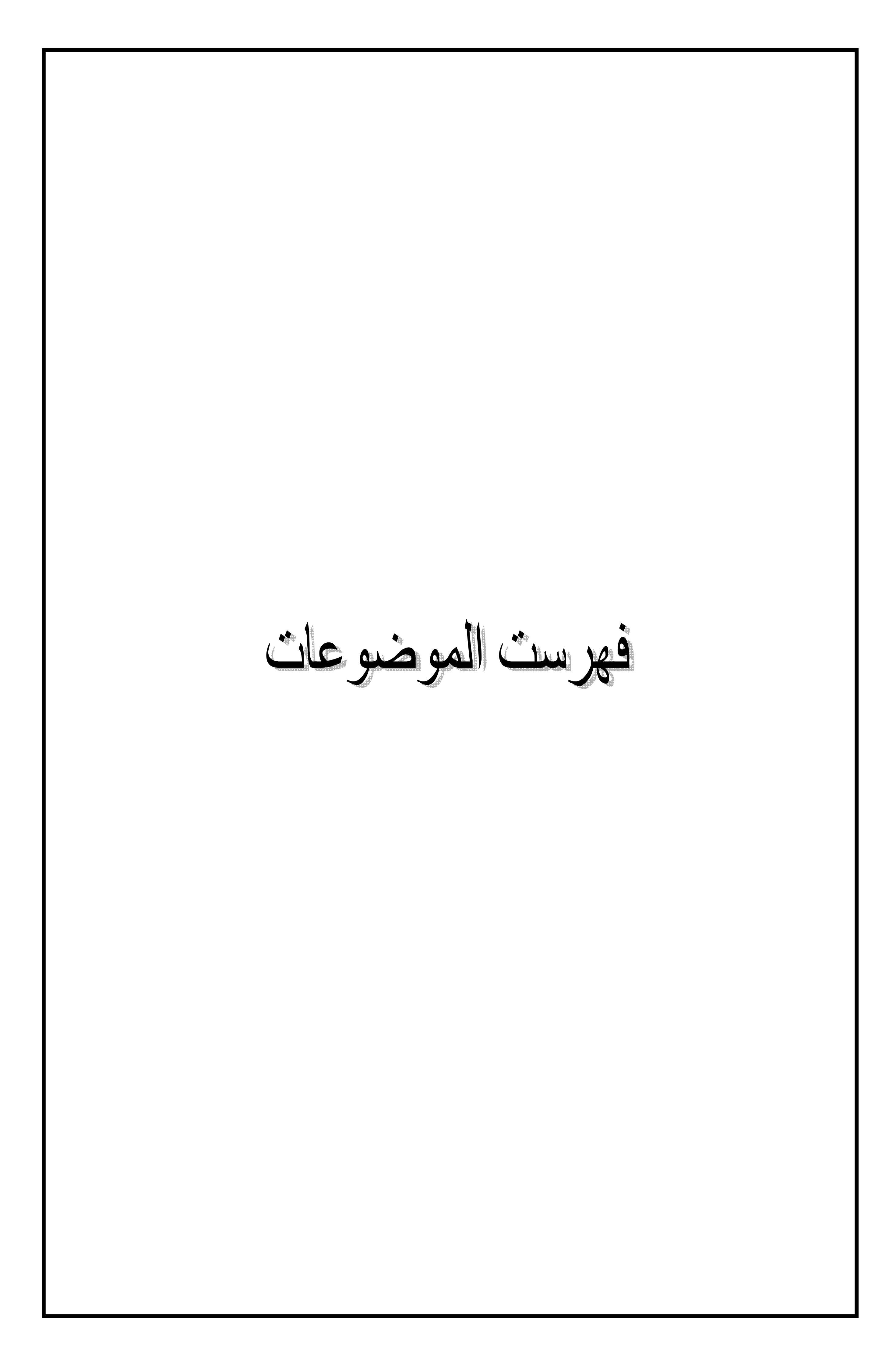
خريطة بعض القرى التابعة لدائرة خراطة (بعض مناطق مجتمع البحث)*

*– أخذناها من بلدية: "ذراع القائد"، دائرة: "خراطة"، ولاية: "بجاية".

الملحق رقم (05): قائمة الأحرف الزائدة [1]

الحروف الزائدة	وصفه وما يقابله في الأبجدية الصوتية الدوليّة (أ ص د API)، أو الفرنسيّة	إعطاء بعض الأمثلة بالأمازيغيّة (لهجة المنطقة)	ترجمة الأمثلة إلى اللغة العربيّة
ڭ	شفوي، لهوي، وهو KW في (أ ص د)	أمـْـڭْ، أمــْڭــَانْ	كيف، المكان
پ	شفوي، ويقابله V، في الفرنسية	پـْڭـْـرِي، لـْـپـْـرْقْ	في قديم الزمان، البرق
چ	حرف معطّش، وهو J، في الفرنسية وʒ في (أ ص د)	چـْـواچْ، أَپـْـلاَرْچْ	الزواج، اللقلق
تش	معطّش، يقابلهʧ في (أ ص د)	إِتشَّ، إِتشُورْ	أكل، امتلأ
ژ	مفخّم، يقابله في الفرنسية Z	ثـْـژُومْ، أَنْژَاظْ	صَامَت، الشعرة
ڤ	شفوي لهوي، وهو GW في (أ ص د)	أَرْڤــَازْ، ثـَـڤـُـورْثْ	الرجل، الباب

[1]- ينظر: زهية طراحة: فضاء النوع بين تنظيم الخيال وتنظيم الواقع، دراسة أنثروبولوجية للحكاية القبائلية العجيبة، ط1، دار ميم للنشر، الجزائر، 2011، ص 15.



فهرست الموضوعات

فهرست الموضوعات

المبحث الثاني: الأساطير بين الأصالة والتغيّر الاجتماعي

الفصل الثاني: مقاربة اثنولوجية لأساطير الطقوس

– طقوس الاستسقاء واستقبال الربيع –

المبحث الأوّل: طقس الاستسقاء (أَنْزَارْ)

المبحث الثاني: طقس استقبال الربيع (شَوْرْپِــيعْ)

الملاحق